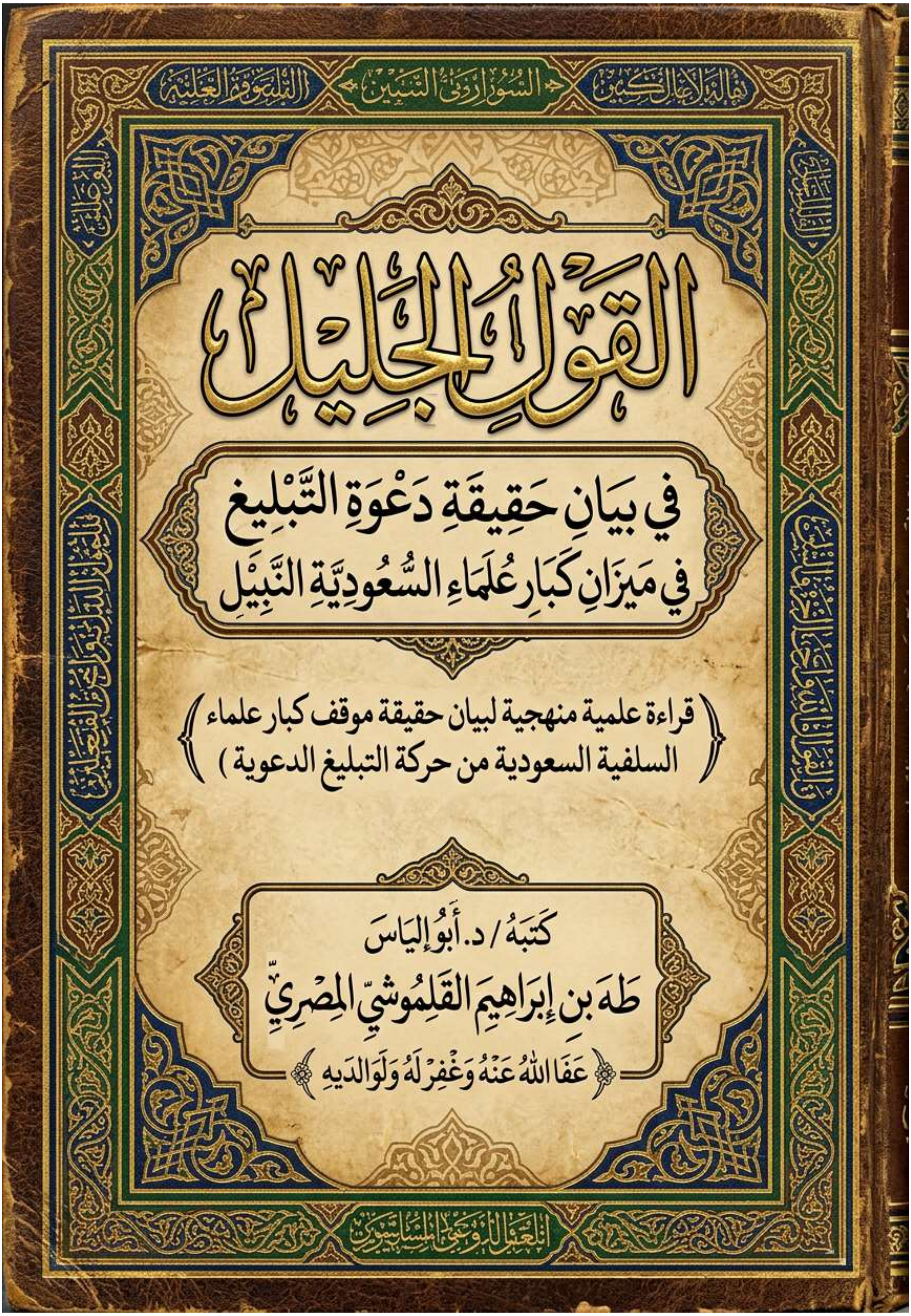

القول الجليل
في بيان حقيقة دعوة التبليغ
في ميزان كبار علماء السعودية النبيل
( قراءة علمية منهجية لبيان حقيقة موقف كبار علماء
السلفية السعودية من حركة التبليغ الدعوية )
كتبه / د. أبو إلياس
طه بن إبراهيم القلموشي المصري
عفا الله عنه وغفر له ولوالديه

# القول الجليل

## في بيان حقيقة دعوة التبليغ

## في ميزان كبار علماء السعودية النبيل

( قراءة علمية منهجية لبيان حقيقة موقف كبار علماء السلفية السعودية من حركة التبليغ الدعوية )

كتبه

د. أبو إلياس

**طه بن إبراهيم القلموشي المصري**

عفا الله عنه وغفر له ولوالديه

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد ، فعلى مدى عقود متتالية ، أثارت حركة جماعة التبليغ الدعوية الإصلاحية جدلًا واسعًا في الأوساط الإسلامية في البلاد العربية وخاصة في المملكة العربية السعودية ، حيث تباينت الآراء حول دورها وتأثيرها في نشر الدعوة ، بين من يؤيد جهودها في إصلاح القلوب وتقويم السلوك ، وبين من يرى أنها تحتاج إلى مراجعة في منهجها العقدي والتأسيسي ، فلأجل ذا كان هذا الكتاب ، تناولنا فيه بالتفصيل موقف كبار علماء المملكة العربية السعودية تجاه حركة التبليغ الدعوية ، وعلى رأسهم السادة العلماء الأفاضل ، الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وفضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى ، حيث أنهما المرجعية الكبرى والمستند الأقوى لجيل الصحوة المعاصر والسلفية السعودية في القرن الماضي ، وأكملنا الفائدة بذكر موقف العالمين الجليلين والفقيهين المخضرمين فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جبرين رحمهما الله تعالى أيضا ، في محاولة جادة لتوضيح الحقائق التاريخية والعلمية التي تحيط بهذه القضية ، بعيدًا عن المبالغات والادعاءات غير الدقيقة.

استهللنا موضوعات بحثنا بمقدمات هامة تُرسي الفهم الصحيح لمسألة الفتاوى ، حيث وضحنا الفرق بين الفتوى والحكم الشرعي ، وأشرنا إلى أن الفتوى تُبنى على واقع محدد ، ولا ينبغي تعميمها على كل زمان ومكان دون مراعاة السياقات المختلفة. كما سلطنا الضوء على أهمية إنزال الفتاوى في محلها الصحيح وعدم توظيفها خارج سياقها ، وهو أمر بالغ الأهمية في القضايا الخلافية ، حيث يمكن أن يؤدي إساءة فهم الفتاوى إلى بناء مواقف مشوهة تفتقر إلى الدقة العلمية.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى استعراض سِيَر العلماء الذين لهم صلة مباشرة بهذه القضية ، بدءًا بالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله المفتي الأسبق للملكة ، أحد أبرز العلماء الذين وضعوا أسس الفتاوى الشرعية في المملكة ، ثم الشيخ عبد العزيز بن باز التلميذ الأوفى للشيخ بن إبراهيم والمفتي السابق ، الذي كان له دور محوري في توجيه الدعوة وإرشاد المسلمين ، إلى جانب الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين كفقيهين لهما دور بارز أسهما في ضبط المفاهيم العقدية والفقهية. أبرزنا في هذا الجزء نشأتهم ، وشيوخهم وطلابهم ، بالإضافة إلى أعمالهم ومواقفهم العلمية التي أسست لفهمٍ أعمق لمسألة التبليغ والدعوة.

وفي سياق تاريخي موسّع ، استعرضنا واقع الدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية أيام الملك عبد العزيز آل سعود ، وحللنا كيف دخلت جماعة التبليغ إلى السعودية لأول مرة ، وردود الفعل التي أثارتها بين العلماء والمسؤولين. كما ناقشنا الفتوى الشهيرة للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله حول دخول الجماعة ، وكيف تم التعامل معها في ذلك الوقت ، من حيث تأييد بعض العلماء لجهد الجماعة في الدعوة والإصلاح ، ولكنهم أكدوا على ضرورة تصحيح بعض المفاهيم العقدية التي تحتاج إلى ضبط وفق الكتاب والسنة.

ومن القضايا المهمة التي تناولناها في الكتاب ، مراجعات الشيخ ابن باز رحمه الله المتكررة تلامذته في مسألة التبليغ ، حيث ظل ثابتًا في موقفه المؤيد لهم ، مؤكدًا أن العمل الدعوي الذي يقومون به له تأثير إيجابي ، ولكنه يحتاج إلى تعزيز الجانب العقدي والفقهي. كما ناقشنا في الكتاب الفتوى المنسوبة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ، والتي ظهرت بعد وفاته بسنوات ، وحللنا مدى دقتها واتساقها مع آرائه التي كان يُعلنها خلال حياته.

ثم عرضنا رفض الشيخ ابن باز رحمه الله تقريظ كتاب القول البليغ للشيخ التويجري عفا الله عنه ، وهو الكتاب الذي انتقد جماعة التبليغ بشدة. وهذا الرفض يُبرز موقف الشيخ المتزن ، حيث كان يُشدد دائمًا

على ضرورة الإنصاف في الحكم على الجماعات الإسلامية وعدم إطلاق الأحكام الجزافية دون مراجعة دقيقة للحقائق.

ثم ناقشنا فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، والتي كانت في مجملها مؤيدة لجهود جماعة التبليغ في نشر الإسلام ، ولكنها شددت على أهمية الالتزام بالعقيدة الصحيحة وتصحيح بعض الأخطاء المنهجية. وهذا يتقاطع مع فتاوى الشيخ ابن جبرين رحمه الله ، الذي سار على نفس النهج في دعم الجماعة مع التأكيد على ضرورة أن يكون العمل الدعوي موافقًا لضوابط الشريعة الإسلامية.

ومن الجوانب الحاسمة التي تناولناها في هذا الكتاب ، الرد على الادعاءات بشأن تراجع الشيخ ابن باز عن موقفه من جماعة التبليغ ، حيث قدمنا أدلة تاريخية تثبت أنه ظل ثابتًا على رأيه حتى وفاته ، كما ناقشنا مفهوم الجرح المجمل والتعديل المفصل ، وأوضحنا أن تزكية الشيخ التفصيلية للجماعة لا يمكن نسخها بمجرّد نقد غير مفسَّر أو مبني على اجتهادات غير موثقة.

وللوصول إلى هذه النتائج الهامة التي تفنّد الشبهات حول موقف كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من جماعة التبليغ ، قمنا بجمع المعلومات وتوثيقها ، حتى تكون دقيقة وموثقة ، وقد تضمنت مراحل متعددة ، حيث قمنا بجمع الفتاوى الصادرة عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ عبد الله بن جبرين رحمهم الله تعالى ، سواء في الفتاوى المكتوبة أو المسجلة ، لضمان فهم دقيق لما قاله العلماء في سياقاتهم المختلفة. تم قمنا بتحليل الفتاوى المتكررة حول جماعة التبليغ لفهم ما إذا كان هناك تغير في موقف العلماء أم أنهم ظلوا ثابتين على رأيهم.

وقد رجعنا إلى الكتب التي تناولت الدعوة في المملكة العربية السعودية ، خاصة في فترة دخول جماعة التبليغ إلى المملكة ، لمعرفة كيف تعامل العلماء والمسؤولون مع هذه الجماعة عند وصولها لأول مرة. وتمت مراجعة

رسائل ومراسلات رسمية بين العلماء وبعض الجهات الدعوية ، والتي توضّح موقفهم الحقيقي دون تحريف أو اجتزاء.

وقمنا بتحقيق النصوص وإثبات صحتها ، فهناك العديد من الفتاوى المنسوبة إلى العلماء والتي تم التحقق من صحتها ، خاصة الفتوى المنسوبة للشيخ محمد بن إبراهيم والتي زُعم أنها تحذر من جماعة التبليغ بعد أن مدحها سابقًا. وقد ركزنا على مقارنة النصوص القديمة والحديثة للعلماء ، مما أظهر أن موقفهم ظل ثابتًا ، ولم يتراجعوا عن تزكية الجماعة كما زعمت بعض الأطراف. ثم رجعنا إلى شهادات طلاب العلماء الكبار الذين كانوا قريبين منهم ، وسؤالهم عمّا سمعوه من شيوخهم حول جماعة التبليغ ، مثل الطلبة الذين لازموا الشيخ ابن باز وتحدثوا عن موقفه في عدة مناسبات. وكانت هذه الشهادات من أهم الأدلة في دحض الادعاءات حول تراجع العلماء ، حيث أكد طلاب الشيخ ابن باز مثل سعد الحصين وفالح الحربي أنه كان يدعم جماعة التبليغ حتى وفاته ، ولم يتراجع عن موقفه كما زُعم.

ولم نكتف بجمع الفتاوى ، بل قامنا بتحليلها وتفسيرها ، ثم رددنا على الادعاءات التي حاولت التشكيك فيها ، مثل القول بأن العلماء كانوا يُخدعون أو أنهم لم يكونوا على علم بحقيقة الجماعة. كما ناقشنا الفرق بين الفتاوى التفصيلية والجرح المجمل ، وأوضحنا أن التعديل المفصّل للعلماء لا يُنسَخ بمجرد نقد عام غير مدعوم بأدلة.

وكان من أهم أهداف هذا الكتاب تصحيح المغالطات حول موقف العلماء من حيث إثبات أن العلماء لم يكونوا متذبذبين في آرائهم ، وإنما كانوا يؤيدون الدعوة ويباركون جهودها ، لكنهم ينصحونها بتعزيز بعض الجوانب العقدية.

فالكتاب يعرض بالتفصيل كيف تم التلاعب ببعض الفتاوى واستخدامها خارج سياقها لتصوير العلماء الكبار وكأنهم كانوا متناقضين ، بينما الواقع أنهم كانوا على رأي واضح وثابت طوال حياتهم.

وقدمنا في هذا الكتاب صورة متكاملة حول موقف كبار العلماء من جماعة التبليغ الذي يؤكد على منهج العدل والإنصاف في التعامل مع الجماعات الإسلامية ، حيث لا يجوز التشدد في نقدهم بلا أساس علمي ، كما لا ينبغي تأييدهم تأييدًا مطلقًا دون مراعاة الحاجة إلى تصحيح المفاهيم العقدية. نزعم أنه مرجع مهم لكل من يسعى لفهم هذه المسألة بعيدًا عن التحامل أو التشويه ، لما أبرزناه فيه من أن التعامل مع الجماعات الإسلامية يجب أن يكون قائمًا على التعاون في الخير وتصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [1] . ولأن منهج هؤلاء العلماء الأكابر منهج وسط كانوا نبلاء هذا العصر ، وكلامهم أنقى وأعدل من غيرهم أسميته : ( **القول الجليل في بيان حقيقة دعوة التبليغ في ميزان كبار علماء السعودية النبيل** ) جعله الله تعالى جليلا في عيون عباده ، ثقيلا في الميزان يوم نلقاه .

وبهذا نكون قدمنا بحثا شاملاً يرد على كل الشبهات المثارة حول موقف كبار العلماء في السعودية من جماعة التبليغ ، يوضح بالأدلة القاطعة أن هؤلاء العلماء كانوا ثابتين على آرائهم ولم يتراجعوا عن تزكية حركة التبليغ والدعوة ، مع نصحهم لهم في بعض القضايا التي تحتاج إلى ضبط شرعي ،ولعل هذا السفر يكون مرجعًا علميًا مهمًا لكل من يريد فهم تلك القضية من منظور وسطي موثق ومحايد ، بعيدًا عن التلاعب أو التأويلات غير الدقيقة. والله الموفق والمستعان

**وكتبه ، أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري**

**عامله الله تعالى بلطفه وعفوه ، وغفر له ولوالديه ، وبارك في ذريته وأثره إلى يوم الدين ، ءامين**

[1] (المائدة : 2)

**الثلاثاء 15 أكتوبر 2019 م**

**16 صفر 1441 هـ**

## فصل في المقدمات المهمات لفهم القضية وتحديد المناط :

### مُقَدِّمَةٌ فِي التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْفَتْوَى وَالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ :

اعلم أنه يجب التفريق بين الفتوى التي هي خاصة وبين الحكم الشرعي الذي هو عام ! فالفتوي قد تكون خاصة بفرد بعينه أو بمجموعة أفراد أو بمكان معين أو بزمان معين أو بحال معين أو بصفة معينة وتختلف باجتماع عامل من تلك العوامل مع عامل آخر أو بفقدانه ! والحكم الشرعي يكون عاما للأمة مخاطبة به كلها وقد يستثنى من هذا العموم أناس في حالات معينة ! فافهم .

فمن المباحث المنهجية التي لا يصح إغفالها عند دراسة أقوال العلماء وتقويم الجماعات الدعوية: التفريق بين الفتوى الخاصة والحكم الشرعي العام ، فهما وإن اشتركا في كون كلٍّ منهما متعلقًا ببيان الشرع ، إلا أن بينهما فروقًا جوهرية ينبغي الوقوف عليها لضبط الفهم وصيانة الاستدلال.

لقد بيّن العلماء الربانيون أن الفتوى هي: بيان لحكم شرعي ناتج عن اجتهاد المفتي في واقعة خاصة تتعلق بزمان معين ، أو مكان معين ، أو شخص بعينه ، أو حالة ظرفية معينة. وعليه ، فليست كل فتوى حكمًا عامًا ملزمًا لكل الأمة ، بل قد تختلف الفتوى بتغير الظروف والأحوال.

أما الحكم الشرعي ، فهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على جهة العموم ، سواء أكان أمرًا أم نهيًا أم إباحة. وهو شامل لجمهور المكلفين لا يختص بشخص أو حال دون آخر ، إلا أن يستثنى من عمومه أفراد لأعذار معتبرة شرعًا.

وقد نوّه الإمام ابن القيم رحمه الله إلى هذا الفرق بقوله: ولا يجوز للمفتي أن يشهد على الله بأنه أحل كذا أو حرمه إلا بما يعلمه من كتاب الله وسنة رسوله مما يدل على أن الفتوى قد لا تكون بيانًا يقينيًا عن حكم الله ، بل هي اجتهاد يُنَزَّل على الواقع ، يعتريه الصواب والخطأ.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن: الحكم الشرعي هو ما دل عليه الدليل ، أما الفتوى فهي تطبيق الحكم على حالة معينة وقد تختلف باختلاف الحال. وهذا التنبيه يعمق الفهم بأن الفتوى ليست معيارًا عامًا يقاس عليه ، بل يُنظر فيها من حيث أسبابها وملابساتها ، فلا تُعمّم أحكامها على غير محلها.

وقد يُظَن أحيانًا أن قول أحد العلماء جماعة كذا لا تُنصح هو حكمٌ مطلق ، والحق أنه قد يكون فتوى صادرة في زمن معيّن ، بالنظر إلى حال الجماعة آنذاك ، وقد تختلف الفتوى إذا تغيّر الحال أو توفرت معطيات جديدة ، مع بقاء الحكم الشرعي العام ثابتًا في بابه.

ومن ثمّ ، فإن الإنصاف في دراسة أقوال أهل العلم لا يتم إلا إذا نُظِرَ إلى أقوالهم في سياقها التاريخي والواقعي ، وفُرِّقَ فيها بين ما هو فتوى اجتهادية جزئية ، وما هو حكم شرعي عام يُستدل به ويُحتج.

## مُقَدِّمَةٌ فِي وُجُوبِ تَنْزِيلِ كُلِّ فَتْوَى عَلَى مَكَانِهَا وَزَمَانِهَا وَعَدَمُ تَعْمِيمِهَا عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا :

هذا العنوان يضع يد الباحث على أصلٍ من أصول الفقه والاجتهاد ، وهو ما يُعرف عند العلماء بـ تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف ، وهو أصلٌ قرره الأئمة كابن القيم وابن تيمية والشاطبي وغيرهم ، واعتبروه من لوازم فقه الواقع وفقه التنزيل.

فاعلم أيضا أنه يجب تنزل الفتوى الخاصة في مكانها الصحيح وعدم نقلها من مكان إلى مكان أو زمان إلى زمان أو من شخص إلى شخص إلا إذا توافق المعطيات كلها توافقا تاما !

فلو اختلف عامل واحد من معطيات الفتوى الأولى وجب التوقف وإعادة النظر في تلك الفتوى والتأمل في كيفية موائمتها للشخص الجديد أو المجتمع الجديد أو الزمان الجديد .

فليست كل فتوى من شيخ يصح أن يتم إسقاطها على أي شخص في أي مكان ، وهذا ملمح هام جدا وقع في مخالفته كثير من المعاصرين خاصة كثير من يزعمون اتباع منهج السلف ، فينقلون فتوى من زمان بن

تيمية – مثلا – ويسقطونها على زماننا من غير إعمال نظر هل تتوافق تلك الفتوى مع زماننا أم لا تتناسب معه ! وهل المعطيات واحدة أم متباينة ! مما أدى إلى كثير من الالتباس والاختلاف والشقاق !

وعلى العلماء المتخصصين في العلوم تتبع واستقراء كل ما أحدث في القرن الرابع عشر الهجري وسبره والكتابة فيما أخطأ في فهمه المعاصرون ! من مثل ( الفتاوي القديمة التي استدل بها المعاصرون وأخطئوا فهمها أو إسقاطها ) وذلك في المجالات المختلفة ( العقيدة والفقه والتفسير والمناهج )

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين: هذا موضعٌ زلّت فيه أقدام ، وضلّت فيه أفهام ، وهو موضع عظيم النفع ، لا يُحسن الفتوى من لم يُحسن فهمه.

ثم ضرب أمثلة كثيرة على تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ، منها إسقاط حد السرقة في عام المجاعة ، والنهي عن إنكار المنكر إذا ترتب عليه منكر أعظم.

قال ابن تيمية رحمه الله : ليس لأحد أن يُلزِم الناس بفتوى في مسألة اجتهادية وقعت في زمن معين ، ثم يُعممها على كل زمان ومكان ، فإن هذا من الجهل والظلم.

نقل العلماء عن الشافعي رحمه الله أنه غيّر بعض فتاواه لما انتقل من العراق إلى مصر ، مراعاة لاختلاف الأعراف والوقائع ، وهو ما عُرف بـ القول القديم و القول الجديد .

ولنقل الفتوى عند أهل العلم ضوابط منها التحقق من المعطيات الأصلية للفتوى: من هو السائل؟ ما حاله؟ ما الزمان والمكان؟

عدم تعميم الفتوى الخاصة: لأن خصوصيتها قد تكون نابعة من ظرف استثنائي.

التمييز بين الفتوى والحكم العام: كما سبق في المبحث السابق.

الرجوع إلى أهل العلم في التنزيل الجديد: لأنهم الأقدر على الموازنة بين النص والواقع.

ما ذكرناه من ضرورة عدم إسقاط فتاوى الأئمة على واقعنا دون نظر في المعطيات هو من صميم منهج السلف في الفهم والتطبيق. وقد أشار ابن القيم إلى أن من أعظم أسباب الفتنة: أن يُنزل العام منزلة الخاص ، أو يُنزل الخاص منزلة العام ، أو يُطلق المقيد ، أو يُقيد المطلق ، أو يُعمم الخاص ، أو يُخصص العام ، أو يُثبت الحكم في غير محله.

ومن هنا ، فإن ما يقع فيه بعض المعاصرين من نقل فتاوى من زمن شيخ الإسلام ابن تيمية أو غيره ، ثم إسقاطها على واقع مختلف تمامًا ، دون اعتبار لاختلاف السلطان ، أو تغير حال الجماعة ، أو تبدل الأعراف ، هو من الخطأ المنهجي الذي يؤدي إلى الفوضى في الفهم ، والتشويش في الدعوة ، بل وربما إلى التبديع والتفسيق بغير حق.

وهنا فإننا ندعوا إلى تتبع الفتاوى القديمة التي أُسيء فهمها أو إسقاطها هو مطلب علمي رفيع ، ويُعالج فيه نماذج من الفتاوى التي نُقلت دون مراعاة السياق ، في العقيدة والفقه والمناهج ، ويُبيَّن فيها الفرق بين الاجتهاد المنضبط والجمود على النصوص دون فقه الواقع.

## مُقَدِّمَةٌ فِي بَيَانِ الْفَصِيلِ الْوَاحِدِ الَّذِي يَنْتَقِدُ التَّبْلِيغَ :

واعلم بارك الله فيك أن الفصائل الإسلامية المعاصرة كلهم متفقون في الأصول لا اختلاف بينهم في شيء من ذلك إلا ما ندر ، وأشهر الصحوات الإسلامية في القرن المعاصر ثلاثة ، السلفية المعاصر وهي الأقدم والأكثر تشعبا وتفرقا وتعقيدا ، والتبليغ والدعوة وهي الأكثر تماسكا وتمسكا بمنهجها منذ نشأتها والأقل خلافا واختلافا مع الآخرين ، والإخوان المسلمين وهم وسط بين الفريقين .

ولا ينكر أحد الفضل الذي قام به كل فصيل من الفصائل الثلاثة لأمة الإسلام ، ولكن السلفية المعاصرة فتحت باب الاجتهاد والفتوى حتى صار جل أبناءها مجتهدون جهابذة ! ومن هنا بدأت الفتنة وتفرقت كلمتهم حتى صار هذا الفصيل أكثر الفصائل الإسلامية اختلافا فيما بينه وبين بعضه وفيما بينه وبين الآخرين ، حتى وصل الأمر بهم إلى تبديع بعضهم بعضا ، فضلا عن غيرهم ! والمعتدلون منهم قلة !

وأما العامة وهم السواد الأعظم فغالبيتهم لا يفرقون بين معتدل وغال ! ويحسنون الظن بكل من يزعم اتباع منهج السلف ، ويغترون بكل من ينقل نقولات عن سلف الأمة ويلبس الزي الذي اشتهر عنهم !

وهذا الفصيل الوحيد هو الذي آذي أهل التبليغ إيذاءا شديدا ، لا لكونه واقفا على ثغر – كما يتوهمون – ولكن لكونهم فتحوا باب شر على الأمة وظنوا أنفسهم في زمان الجرح والتعديل وتحمل الحديث ! وقاسوا حياتهم على القرن الثاني والثالث الهجري الذي كان لابد من وجود الجرح والتعديل فيه لمعطيات العصر وقتذاك ! أما الآن فبس الأمر كما كان وليس بنفس الدرجة إذ قد ترسخت مبادىء الإسلام وثبتت عقيدته ولم يكن هناك مجال لتحريف بقدر ما كان يحتمل وقتذاك !

ففتح القوم باب تجريح كل من يخالف فى نظرهم فتنبه لقولنا نظرهم – ولو في فتوى في الفروع ! وابتدعوا التبديع المتسلسل وخرج من رحمهم التكفير وغلاته ! وصاروا جماعات يبدع بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا وكلهم خرج من رحم واحد ودعواهم واحدة ومصادرهم واحدة ورموزهم واحدة ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ونحن هنا نختار بعض أعلام هذا الفكر الذي انحرف كثير من منتسبيه ، دار حولهم نقاش كبير في أقوالهم حول منهج التبليغ والدعوة وحركتهم في الدعوة إلى الله تعالى ، ولما ترجح لدينا وتأكدنا من الكذب عليهم والتدليس ، عزمنا على تبيين موقفهم بجلاء حتى لا يغتر العامة من الناس والمغرر بهم من أتباع السلفية بما

يروجه بعض منتسبي السلفية المعاصرة عن موقف الشيوخ الثلاثة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد .

ونحن إذا نتناول هذا الموضوع بالكتابة لا نعمد إلى إسقاط السلفية المعاصرة ولا تشويهها بقدر ما نحب أن يعتدل خطابهم وينخرطوا في أمة الإسلام متعاونين مع المسلمين في التعليم والدعوة والجهاد والنضال من أجل رفعة الإسلام وعلو كلمته . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك وأن يجمع كلمة المسلمين .

## مصطلح السلفية المعاصرة بين سعة الشمولية وضيق الحزبية :

إنَّ مصطلح السلفيون المعاصرون يثير في الأذهان صورة معقدة لا تقتصر على نسق واحد، بل تتشعب إلى تيارات وأفهام متباينة، وإن ادعت جميعها اتباع منهج سلف الأمة. هذا التنوع يستدعي تحليلًا دقيقًا من منظور وسطي يهدف إلى جمع كلمة الأمة الإسلامية، لا تفريقها.

### السلفيون المعاصرون ، أفهام شتى ودعاوى واحدة:

إن السلفية المعاصرة ليست سوى أفهام شتى ودعاوى تتفق على اتباع منهج السلف ، إذ تتفق هذه الفئات جميعها في دعوى اتباع منهج سلف الأمة ، وهي دعوى حق لا يختلف عليها اثنان من أهل السنة والجماعة. إلا أن الإشكالية تكمن في التطبيق العملي لهذه الدعوى. فكل فئة، وكل شخص، قد ينتقي من كلام السلف ما يحلو له، ويؤوِّله على ما يوافق مراده وهواه، ثم يُلزم الأمة كلها بفهمه الذي فهمه هو من كلام السلف . هذا الانتقاء والتأويل يفتح بابًا واسعًا للاجتهادات الخاطئة، والتطرف، والتصنيف، مما يؤدي في النهاية إلى أن السلفية المعاصرة ليست إلا جماعات متفرقة متناحرة متقاتلة يُبدع كل منها الآخر، ودعواها كلها واحدة .

ويمكن تقسيم السلفيين المعاصرين، بناءً على منهجهم في تناول القضايا والتعامل مع المخالف، إلى ثلاثة أصناف رئيسة:

**1. سلفية الجادة والاعتدال:** ويمثل هذا التيار نخبة من كبار العلماء الذين تميزوا بالحكمة والإنصاف والعمق العلمي، مثل المشايخ **عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن جبرين، وأبو بكر الجزائري**، وغيرهم كثيرون. هؤلاء العلماء، رحمهم الله، كانوا على الجادة في فقههم للمواقف، وتناولهم للمسائل، وتطبيقهم لمنهج السلف الصالح. لقد كانوا يحرصون على جمع الكلمة، وتقديم النصح برفق، والتركيز على الأصول، مع سعة أفق في التعامل مع قضايا العصر. لم يُعرف عنهم الغلو أو التشدد في التبديع والتفسيق، بل كانوا يمثلون حلقة وصل بين المنهج السلفي الأصيل وواقع الأمة، محافظين على التوازن بين النص والعقل، وبين الثوابت والمتغيرات.

**2. السلفية المتساهلة (المتأثرة بالمصالح):** وتضم هذه الفئة شريحة كبيرة تتسم بالمرونة الزائدة، أو بتعبير أدق، التلون وفقًا للمصالح الظرفية. قد يتساهلون في بعض القضايا المنهجية، أو يُقدمون التنازلات في سبيل مكاسب آنية، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دعوية. هذا التساهل قد يؤدي بهم أحيانًا إلى تذبذب في المواقف، أو إلى الوقوع في مداهنة لا تتفق مع صرامة المنهج السلفي في بيان الحق. يفتقر بعض المنتسبين لهذا التيار إلى العمق العلمي الذي يؤهلهم للثبات على المبدأ في وجه المتغيرات، فيُصبحون عرضة للتأثر بالضغوط الخارجية.

**3. السلفية الغالية والمتشددة:** وتمثل هذه الفئة الطرف المقابل للتيار المعتدل، ويُعد **التيار المدخلي والجامي** أشهرها، بالإضافة إلى أفراخهم من تيارات أخرى كـ **الرسلانية، والبيلية، والحدادية**. يتميز هذا الصنف بالغلو في التبديع والتفسيق، وسرعة الحكم على المخالف، وشدة الخصومة والتقاتل الداخلي بين أفرادهم. لقد حولوا

منهج السلف الذي يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة إلى أداة للتنابز والتناحر، حيث يُصبح كل فهم خاص بهم لكلام السلف هو الملزم للأمة بأسرها، ومن خالفه فهو مبدع أو ضال. هذا الغلو يؤدي إلى تضييق واسع لمفهوم السلفية، وحصر الحق في فئة معينة، مما يُمزق الصف ويُشوه صورة المنهج السلفي الأصيل.

## نحو منظور وسطي يجمع أمة الإسلام :

إنَّ السبيل إلى تجاوز هذا التشرذم، وجمع أمة الإسلام، لا يكون إلا بالعودة إلى المنهج الوسطي الذي يُمثله كبار العلماء المعتدلين في بلاد الإسلام يكون هدفهم :

1. **التركيز على الأصول لا الفروع:** يجب أن يكون محور الاهتمام هو الأصول الكبرى للدين، والاتفاق على ما اتفق عليه السلف، وترك النزاع في المسائل الفرعية التي تحتمل الاختلاف.
2. **التواضع العلمي وقبول الاختلاف:** ينبغي أن يُقر الجميع بأن فهم نصوص السلف قد يختلف، وأن الحق لا ينحصر في فهم واحد، وأن الاجتهاد له مجاله، ما لم يُخالف نصًا صريحًا أو إجماعًا قطعيًا.
3. **حسن الظن والتماس الأعذار:** يجب أن يسود مبدأ حسن الظن بالمسلم، والتماس الأعذار له، والبعد عن التسرع في التبديع والتفسيق، إلا في حال المخالفة الصريحة للثوابت.
4. **التعاون على البر والتقوى:** ينبغي أن تتضافر الجهود في الدعوة إلى الله، والعمل الصالح، والبعد عن النزاعات التي تُضعف شوكة الأمة وتُشغلها عن قضاياها الكبرى.
5. **العودة إلى كبار العلماء المعتدلين:** يجب أن تكون المرجعية لكبار العلماء الربانيين الذين جمعوا بين العلم والحكمة والورع، واتباع منهجهم في الدعوة والإصلاح.

6. **فقه الواقع:** السلفية ليست مجرد نصوص جامدة، بل هي منهج حياة يُفهم في سياق الواقع المعاصر، مع الحفاظ على الثوابت، والتصرف بحكمة تجاه المتغيرات.

إنَّ الغاية الأسمى هي بناء أمة قوية متماسكة، تعتز بمنهج سلفها الصالح في الجادة والاعتدال، وتتجنب مسالك الغلو والتساهل، لتكون خير أمة أُخرجت للناس .

## سلفيتنا منهاج ورؤية لا حزبية وعداوة :

قد يتبادر إلى ذهن البعض، ممن لم يتعمقوا في فهم الطروحات التحليلية، أن مجرد حديثي عن تصنيفات السلفيين المعاصرين ونقدي لبعض تياراتهم، اتهام لي بالتخلي عن المنهج السلفي، أو معاداة له، أو بغضا للتوحيد الذي هو جوهر رسالة الأنبياء. وهذا فهمٌ خاطئ تمامًا، ومجانب للحقيقة التي أسعى لإبرازها.

إنَّ قولي هذا ليس إلا محاولة لتشخيص واقع منهجي معقد، وتقديم رؤية نقدية بناءة من داخل المنهج نفسه، لا من خارجه. فأنا أرى في **السلفية منهاجًا قويمًا** للتمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالح، وهو منهج أحمله وأدين الله به، وأعتقد أنه سبيل النجاة والفلاح. وما قدمتُه من تحليل لأنماط السلفيين المعاصرين، إنما هو رغبة في تنقية هذا المنهج العظيم مما قد يُعلق به من شوائب الغلو أو التساهل أو التشرذم، والتي لا تتفق مع جوهره الأصيل.

إنني **لستُ بمعادٍ للسلفية، ولا أبغض التوحيد**. بل على العكس تمامًا، فهذا الاهتمام بتحليل واقعها المعاصر ينبع من **غيرة صادقة على نقاء هذا المنهج**، وحرص على أن يبقى منارة هداية جامعة، لا أداة تفرقة وتقاتل. فالتوحيد هو أساس ديننا، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وعليه قامت السماوات والأرض. ومن يظن أن نقدي لبعض الممارسات أو الأفهام المعاصرة داخل التيار السلفي هو بغض للتوحيد، فإنه يخلط بين الأصول والفروع، وبين المنهج وتطبيقاته الخاطئة.

والسعي لبيان أن السلفية المعاصرة ليست على نسق واحد، وأن فيها أفهامًا شتى، دعوة إلى **التفقه في الدين بعمق، والتواضع في التعامل مع النصوص، والابتعاد عن التسلط والتبديع المفرط**. هو دعوة للعودة إلى المنهج الوسطي الذي تمثل في كبار أئمتنا من أمثال **ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والجزائري**، الذين كانوا قدوة في العلم والحلم، وفي التفريق بين الغث والسمين، وفي تقديم النصح برفق ومحبة، لا بالطعن والاتهام.

فهدفي الأسمى هو المساهمة في **جمع كلمة الأمة** على الحق، وعلى المنهج السلفي النقي، الذي يدعو إلى التوحيد الخالص، واتباع السنة الصحيحة، وفهم الدين بفهم السلف الصالح، بعيدًا عن كل ما يُفسد القلوب ويُفرق الصفوف.

## فصل في تراجم المشايخ والعلماء محل الدراسة والبحث:

### ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بقلم محمد زياد التكلة :

وعلى سبيل الإجمال نذكر ترجمة موجزة ل**سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى** كتبها الشيخ محمد زياد التكلة وفقه الله .

**اسمه ونسبه :**

هو أبو عبد العزيز ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ، من آل مشرف ، أحد أفخاذ الوَهَبَة ، من بني تميم.

أسرته :

وهو من بيت علم وشرف رفيع ، كان غير واحد من أفراده إمامَ السنّة في عصره ، فهي أشهر الأسر العلمية في العصور المتأخِّرة ، وقد ذكر التاريخُ عدة أسر عريقة بقيت على مدى قرون تخرِّج الأئمة وكبار أهل العلم ، كآل منده ، وآل قدامة ، وآل مفلح ، وآل عبد الهادي ، ثم جاءت هذه الأسرة السلفية التي استمرَّ فيها العلم من زهاء أربعة قرون إلى الآن ، فكان الشيخ سليمان بن علي عالمَ نجد في زمانه ، وابنه عبد الوهاب كان عالماً تولى القضاء مراراً ، وابنه محمد كان مجددَ الدعوة إلى السنّة وشيخَ الإسلام في وقته ، وابنه حسن قُتل شابّاً فلم يُشتهر خبره ، وابنه عبد الرحمن كان من كبار العلماء ، بل هو إمام السنّة في عصره ، وكذا ابنه عبد اللطيف ، ثم ابنه إبراهيم من كبار علماء نجد ، وكان قاضيَ الرياض ، وابنه محمد المترجَم هو وريثُ أجداده في العلم والإمامة والفضل ، وتعداد العلماء في هذه الأسرة يطول ، رحم الله الأموات منهم ، وبارك في الأحياء.

أما والدة المترجَم فهي الجوهرة بنت عبد العزيز الهلالي ، وأبوها أمير بلدة عرقة غربي الرياض ، ويُنسب للمزاريع من بني عمرو من تميم.

مولده ونشأته :

وُلد الشيخ محمد بن إبراهيم في مدينة الرياض يوم الإثنين الموافق 17 من المحرَّم من عام 1311هـ ، ونشأ في كنف والده العالم ، ووالدته الصالحة ، وأسرته العلمية ، فكان لهذه البيئة الخيِّرة ، مع ما وهبه الله من ذكاء ومواهبَ فذةٍ وتبكير في الطلب؛ كان لكلِّ ذلك الأثر الكبير في حياة الشيخ

ومن عجيب قصص ذكائه ما نقله عنه تلميذه الشيخ عبد الله بن منيع ، أنه قال له : كنتُ في آخر العام الثاني من ولادتي ، فدخلتْ والدتي غرفةَ نومها ، فرأيتها تبحث عن شيء ، فظننتُ أن ذلك الشيء الذي تبحث عنه مُكْحُلَتُها ، فأشرت بيدي إليها أن المُكْحُلَة في طاق الغرفة ، ففرحت بإشارتي ، وضمَّتني ضمَّةً لا أزال أتذكرها إلى يومي هذا.

قلت : دخل المترجَم كتَّاب الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج رحمه الله في حي دُخنة ، فحفظ القرآن مبكِّراً ، وتعلم القراءة والكتابة ، وشرع في طلب العلم بهمَّة عظيمة ، وأكثر من حفظ المتون ومن المطالعة ، وكان رفيقَه في الطلب الشيخ الصالح المعمَّر عبد العزيز بن مرشد رحمه الله تعالى.

فقده البصر :

وأصابه مرض في عينيه وهو في حدود السادسةَ عشرة لمدة سنة تقريباً ، فقد على أثره البصرَ ، ولكن عوَّضه الله البصيرة النافذة ، والحافظة النادرة ، حتى ذكر بعضُهم أنه كان يحفظ المتنَ من القراءة الثانية أو الثالثة.

وقال الشيخ حمد الحمين : لا أذكر مرة خلال 18 سنة قضيتُها معه أنه ردَّ عليه أحد في أثناء قراءته للقرآن في صلاة الجماعة.

شيوخه :

1 قرأ سماحته القرآن على الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج كما تقدم ، وكان يصفه بقوله : إنه آية في حفظه لكتاب الله وفي ضبطه للإعراب.

2 وطلب العلم على والده العلامة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف (1329/1280 هـ) قاضي الرياض ، قرأ عليه مختصرات أئمة الدعوة في نجد ، حفظاً عليه وشرحاً ، كما قرأ عليه في الفرائض.

3 وقرأ على عمه علامة نجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (1339/1265هـ) ، ولازمه ملازمةً ، وتخرَّج به ، فقرأ عليه كتب العقائد ، مثل كتاب التوحيد وكشف الشبهات وثلاثة الأصول وبقية كتب أئمة الدعوة ، والواسطية والحموية ، وغيرها ، وحفظ بلوغ المرام وقريباً من نصف منتقى الأخبار للمجد ، وقرأهما عليه ، وقرأ عليه سوى ذلك من الفنون ، وكان عمّه محبًّا له ، عارفاً لفضله ، ويقدمه في المجلس ، ويُذكر أنه أوصى به صهرَه الملك عبد العزيز ليخلفه بعده.

4 العلامة محدِّث نجد الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (ت1349هـ) ، كرر قراءة بلوغ المرام عليه ، وقرأ عليه ألفية العراقي ، وفي الفقه وغيره ، وله منه إجازة مطوَّلة ، وكان إذا ذكره قال : شيخنا الشيخ الكبير والعالم الشهير. وحدثني شيخي العلامة عبد الله بن عقيل حفظه الله ، قال : كان شيخنا محمد بن إبراهيم رحمه الله متشبّعاً بعلوم الشيخ سعد ، ويثني عليه ، ويحدثنا عنه بحكايات كثيرة ، وكان يقدِّره ، وكان يحترم آراءه ، ويرى أنه الشيخ الوحيد ، وأنه صاحب اتّزان ، وصاحب ثبات ، وله الأجوبة والفتاوى .

5 العلامة الشيخ محمد بن محمود (1333/1250هـ) قرأ عليه في الفقه.

6 العلامة الشيخ حمد بن فارس (1345/1263هـ) ، حفظ وقرأ عليه زاد المستقنع ، وتخرج به في اللغة ، فقرأ عليه الآجُرُّومِيَّة ، ومُلحة الإعراب ، وقطر الندى ، والألفية.

7 الشيخ عبد الله بن راشد بن جُلعود (ت1339هـ) قرأ عليه الفرائضَ بتوسُّع ، وكان يقول : إنه آية فيه.

8 الشيخ عبد العزيز النمر (ت1337هـ) أخبرني شيخي العلامة عبد الله بن عقيل أن الشيخ محمد بن إبراهيم أخبره أنه من شيوخه ، وأنه قرأ عليه في سطح المسجد ، وكان يصفه بالشدَّة والحدَّة في الطبع.

9 الشيخ عبد الله العَنقَري (ت1373هـ) أجازه إجازة رائقة ، وعندي صورة من مُسوَّدتها ومُبيَّضتها ، وأثنى فيها عليه ثناء عالياً.

10 الشيخ عبد الستار الدهلوي ، أجازه في الحديث إجازةً عامة.

11 الشيخ عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي (ت1392هـ) أجازه إجازةً عامة ، وأخبرني ابنُه الشيخ عبد الوكيل أن الشيخَ محمد بن إبراهيم أرسل إلى أبيه يسأله عن تخريج بعض الأحاديث الغرائب.

12 وذكر أحد القريبين من الشيخ أنه ذكر العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت1385هـ) من شيوخه ، وسألت تلميذَهما شيخنا ابن عقيل عن ذلك فنفاه ، ولعل الشيخَ ذكر أنه في منزلة شيوخه وأنه أكبر منه سنًّا ، والله أعلم.

وذُكر من مشايخه أيضاً : الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وحسين بن محسن الأنصاري ، وكلا ذلك وهم.

التعليم و تربية الطلاب :

بعد أن تضلَّع سماحة الشيخ من العلوم ، وشاع نبوغُه واشتُهر فضلُه ، لفت عمُّه علامة نجد الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف نظرَ الملك إليه ، وأثنى على علمه وبُعد نظره وحسن إدراكه ، ولما مرض كان يُنيبه في مسجده ، فلما توفي الشيخ عبد الله سنة 1339هـ أُسندت مهامه لابن أخيه المترجَم وهو في الثامنة والعشرين من العمر ، ويذكر الأستاذ صالح الحيدر أن الملكَ عبد العزيز كلَّف المترجَم بذلك في مقبرة العود بعد دفن عمه ، قائلاً له : عمُّك الشيخ عبد الله انتقل إلى رحمة ربه ، وأنت إن شاء الله خيرُ خلف لخير سلف في مكان عمك الشيخ عبد الله في الإفتاء والإمامة وتدريس طلبة العلم مثلما كان الشيخ عبد الله.

فعكف المترجَم على التدريس والإفتاء والإمامة والخطابة ، في الوقت الذي ما يزال بعضُ كبار شيوخه على قيد الحياة ، فالتفَّ حوله الطلبة ، وكانت دروسه في مختلِف الفنون ، في البيت وفي جامع دُخنة؛ المسمى أخيراً مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم لأنه إمامه كما كان خطيباً في الجامع الكبير (جامع تركي بن عبد الله) في الرياض.

وفي سنة 1345هـ عُيِّن قاضياً لمدة ستة أشهر في ناحية الغطغط لحلِّ مسألة الإخوان .

ولما توفي شيخه العلامة سعد بن عتيق سنة 1349هـ تفرَّد المترجَم بالرئاسة العلمية في نجد ، وصار المرجعَ الأولَ في العلم والإفتاء والقضاء ، وتخرَّج به عدد من كبار العلماء.

وكان في تدريسه يقسم الطلبة إلى مستويات ، ويهتم كثيراً بحفظهم للمتون ، ولا يرضى بغياب الطلاب ، ويحضِّر لدروسه ، وحول ذلك يخبرنا شيخنا عبد الله بن عقيل حفظه الله عن درس الفجر ، قائلاً : إذا انتهت الصلاة بادر الطلبةُ إلى مجالسهم في الحلقة شرقي المسجد مسجد الشيخ بدُخْنَة ، فيأتي الشيخ ، ويجلس على الأرض دون فراش ، ويتكئ على مركأ من الحجر على يساره ، وربما جمع أطراف مشلحه يتكئ

عليه ، ويبقى في مجلسه هذا حتى يلقيَ ستة دروس أو سبعة : الألفية في النحو ، والقَطْر ، والآجُرُّوميَّة ، وبلوغ المرام ، وزاد المستقنع ، وتارة الرحبية ، وتارة الورقات ، وربما قام قبل استكمالها ، وذلك كل يوم عدا يوم الجمعة ، **وربما في بعض الأيام ترك الجلسة ، وهذا إذا لم يحضِّر للدروس قبل ذلك**؛ لأنه بعد صلاة العشاء يستعرض دروس الغد ويراجع عليها بعض الشروح إلخ.

وكانت دروسه أولَ أمره خمسة أوقات ، كما قال سماحة الشيخ ابن باز الذي درس عليه بين سنتي 1347 و1357هـ وهي : بعد الفجر ، والضحى ، وبعد الظهر ، وبعد العصر ، وبعد المغرب.

ثم مع ازدياد المسؤوليات تقلَّصت الدروس إلى ثلاثة؛ في الفجر والضحى والعصر ، وأحياناً يجلس الظهر ، وبقي كذلك إلى سنة 1380هـ ، حيث ترك الدروس عدا درس الفقه وبلوغ المرام بعد الفجر ، واستمرَّ إلى أن حبسه المرض ، فاقتصر على إقراء تفسير ابن جرير الطبري قبل صلاة العشاء ، وبهذا امتدَّ تدريس هذا الإمام نصف قرن من الزمان.

من أشهر طلابه :

وخلال هذه المدة الطويلة من التدريس المنهجي التربوي الفريد تخرَّج به جماعاتٌ من العلماء والقضاة والدعاة ، من أشهرهم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وسماحة الشيخ عبد الله بن حميد ، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، وابنه محمد ، والشيخ عبد الله بن دهيش ، والشيخ عبد الله بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن جبرين ، والشيخ عبد الله القرعاوي ، والشيخ عبد العزيز بن رشيد ، والشيخ صالح اللحيدان ، وغيرهم.

أعماله ومناشطه وإنجازاته :

عاصر سماحته التطور الحضاري الذي عاشته هذه البلاد ، فكان بفضل الله وما هيّأه له مواكباً لهذا التغيير ، فلم يكتفِ بالانطلاق من المسجد عبر التدريس والفتوى ، بل امتدت آفاقه وجهوده ليؤسِّس مرحلة علمية جديدة ، ويرتقي وينظّم الشؤون الدينية.

ففي سنة 1370هـ قام سماحتُه بتأسيس معهد الرياض العلمي ، ليكونَ أول معهد شرعي في نجد بمناهجَ قوية تؤسِّس طالب العلم الجيد ، ثم تلته معاهد متعددة في المملكة.

وفي سنة 1373هـ أُسِّست كلية الشريعة في الرياض ، تلتها كلية اللغة العربية في السنة التالية ، وكان سماحته رئيسَ الكليات والمعاهد العلمية ، التي تحوَّلت فيما بعد إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفي سنة 1374هـ أسَّس معهد إمام الدعوة في الرياض ، وباشر التدريسَ فيه بنفسه ، وكان مستوى التدريس قويّاً؛ كما أخبرنا شيخُنا عبد الله بن جبرين.

وفي شعبان من السنة نفسها أسَّس دار الإفتاء لتنظيم أمورها.

وفي سنة 1376هـ أسَّس رئاسةَ القضاة ، وتولى أمورها في نجد والمنطقتين الشرقية والشمالية ، في حين تولى سماحة الشيخ عبد الله بن حسن رئاسةَ القضاة في الحجاز ، ولما توفي الأخير سنة 1378هـ توحَّدت رئاسةُ القضاة برئاسة المترجَم.

وفي سنة 1379هـ أُنشئ المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي ، فكان رئيساً له. وفي السنة نفسها افتُتحت مدارس البنات ، وتولى الإشرافَ عليها.

وفي سنة 1381هـ أُسِّست الجامعةُ الإسلامية في المدينة المنورة ، فكان رئيساً لها.

وكذا تولى سماحتُه رئاسة المعهد العالي للقضاء منذ تأسيسه سنة 1386هـ ، ورئاسةَ مجلس القضاء الأعلى ، ورئاسةَ دور الأيتام ، ورئاسةَ المكتبة السعودية

إضافةً إلى إمامة جامعه في دُخنة ، وخطابة الجامع الكبير والعيدين ، ورئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا ، ورئاسة مؤسسة الدعوة الصحفية ، مع إشرافه على ترشيح الأئمة والمؤذنين ، وتعيين الوعَّاظ والمرشدين.

وكان قد بدأ في تأسيس مجلس هيئة كبار العلماء سنة 1389هـ غير أنه توفي قبل مباشرة أعماله.

وهذه المهام والأعمال كما لا يخفى ينوء ببعضها العصبة أولو القوَّة من الرجال ، ولكن وفَّقه الله للجمع بين كل ذلك بحزم وعزم كبيرين ، فكان بحقٍّ أمّة وحدَه ، وهيأ الله له من يساعده من الأَكفياء المخلصين ، ولا سيما أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ، رحم الله الجميع.

وقال تلميذه الشيخ عبد الله بن منيع لما سرد جدول أعماله اليومي : إنه كان يقضي ما لا يقل عن سبعَ عشرةَ ساعة في خدمة المسلمين ، وبصفة دائمة ومستمرة ، لا تقطعها إجازة ، ولا يحول دون القيام بها أيُّ تعلل

من صفاته :

كان رحمه الله تقيّاً عابداً ذكر تلميذُه الشيخ ابن قاسم رحمه الله أنه كان يقوم قريباً من ساعة ونصف آخرَ الليل ، ويواظب عليها سفراً وحضراً. كما كان من أهل الخشية والذكر والاستغفار والبكاء ، ولا يرضى بغيبة أحد في مجالسه.

وكان مع إقبال الدنيا عليه ورعاً زاهداً ، وكان سماحته برغم أعماله الرئاسية الكثيرة لا يتقاضى عليها رواتب ، إلا راتب رئاسة القضاة.

وكان رحمه الله مَهيباً قوياً في أمر الله ، ومن طالعَ قراراته وأحكامَه في مجموع فتاويه رأى عجباً ، كما أن له مواقفَ جريئة مشهورة في نُصرة طلبة العلم والدعاة وأهل الحسبة والوقوف بجانبهم.

ومما أخبرني به شيخي عبد الله بن عقيل من دلائل هيبته وعلوِّ مكانته عند العامَّة والخاصَّة قال : استدعاني الملكُ عبد العزيز لتعييني في قضاء السيح ، فقلتُ له : أنا أرجوكم أن تبقوني عند الشيخ محمد بن إبراهيم أطلب عليه العلم ، وإذا بلغتُ مبلغ القضاء فالسمع والطاعة ، فالتفت إليَّ بعناية ، وقال : محمد بن إبراهيم هذا أخٌ لي وولدٌ لي ، شاوِرْهُ ولا تخرج عن رأيه ، واستعن بالله.

وموقفه لما أعلن مبايعة الملك فيصل موقفٌ يدل على قوته وشجاعته.

وكان حازماً في أحكامه ، حريصاً على توحيد الفتوى على الراجح ، وجمع كلمة الناس وعدم تفرقهم.

ومع هيبته وحزمه كان على خلق عالٍ ، أخبرنا شيخنا عبد الله بن عقيل ، قال : كان الشيخ محمد بن إبراهيم على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وإنصاف تلاميذه وجلسائه ، فلم يُعرف عنه أن تكلَّم بكلمة نابية ، ولا أنه أساء الأدبَ مع أحد ، ولا مدَّ رجله أمام الناس .

وكان محبّاً للعلماء متواضعاً لهم ، ولا سيما كبارهم ، أخبرني شيخنا عبد الله بن عقيل أن الشيخ عبد العزيز ابن المترجَم أخبره ، قال : لم يقُم والدي من مجلسه لأحد إلا لشيخين؛ ابن سعدي والعنقري. وقال الشيخ حمد الحمين : إنه رأى الشيخ يقوم من مجلسه للعلامة محمد بن مانع. كما كان يدعو العلماء ويكرمهم.

وكان فيه ذكاء وفِراسة وبديهة عجيبة ، وله قصصٌ كثيرة في هذا ، وله صفاتٌ أخرى كثيرة ، ولكننا نكتفي بما سبق اختصاراً.

آثاره العلميَّة :

نظراً لانشغاله التام بالأعمال العظيمة فقد قل تصدِّيه للتأليف ، ولكن قام أحد تلامذته الأبرار وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم بجمع فتاويه ورسائله في 13 مجلداً ، كما قيَّد تقريراته على عدد من المتون وأخرجها حواشيَ لها ، وظهر فيه تحقيقه وتحريره الدقيق ، ونفع الله بذلك نفعاً عظيماً.

وأخبرنا شيخنا عبد الله بن جبرين أنه كان قد كتب عن سماحة الشيخ شروحاً لعدد من الكتب ، ولكنها عدمت في سيل دخل بيته قديماً ، كما ذكر لنا أن أحدهم يمتلك تسجيلاً خاصّاً لشرح سماحته على كتاب التوحيد ، ويصف الشرح بالنفاسة ، ولكن الرجل لم يخرجه للناس ، والله المستعان.

وللمترجَم كتاب مهم لم يُطبع بحسب علمي ، اسمه : تحفة الحفَّاظ ومرجع القضاة والمفتين والحفَّاظ ، ذكر حفيدُه معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز أنه في مجلد متوسط ، ويحتوي على ألف حديث ، وفرغ منه في مكة أواخر سنة 1373هـ ، كما ذكر له نَظماً لمقدمة الإنصاف للمرداوي. كما أن له قصائدَ وأشعاراً رائقة.

من أقوال أهل العلم فيه :

إن حصرَ ثناء العلماء عليه أمر يطول ، وأقتطف بعضاً منها :

• أخبرني شيخنا عبد الله بن عقيل غير مرَّة أن شيخه العلامة **عبد الرحمن بن سعدي**قال في بعض المناسبات : إن الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن حميد ، والشيخ عبدالله القَرعاوي : لا يوجد لهم مثيل في تصدِّيهم لنفع الناس ودعوتهم وإرشادهم.

• وقال الشيخ إبراهيم بن محمد السيف في تاريخه : حدثني الشيخ عبد الله الصانع الذي كان سكرتيراً للشيخ العلامة **عبد الله العنقري** ، ومن تلاميذه أيضاً ، قال : إنه سمع الشيخ عبد الله عدة مرات يدعو للشيخ محمد بعد صلاته آخر الليل ، ويقول : إنني أرجو الله أن يبقيه لنصرة هذا الدين وحماية هذه الدعوة السلفية التي قام بها مجدد القرن الثاني عشر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

• وقال أيضاً : كنت جالساً عند شيخنا قبل وفاته بأحدَ عشرَ يوماً ، وعلى وجه التحديد في الساعة الرابعة من يوم 23 من المحرم 1373هـ ، وقد اشتد به المرض رحمه الله ، فتأوَّه وقال : إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد كادت تنمحي ، ولكن نسأل الله أن يُبقي لها هذا الكهفَ الظليل ، وهو الشيخ

محمد بن إبراهيم لحمايتها والذود عن حياضها ، ويجب على المسلمين عامةً وعلمائهم خاصَّة أن يدعوا له بالتثبيت والقوة.

• وقال العلامة العَنقري في إجازته للمترجَم : أخونا العلامة الأصيل ، وكهف المجد الأثيل ، حائز قصب السبق في المضمار ، وأفق مجده قد أضاء بطالع سعده واستنار ، الشيخ المحقق ، والحبر المدقق ، ذو الرأي الصائب ، والفهم الثاقب : محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف.

• وقال العلامة **محمد البشير الإبراهيمي** مخاطباً إياه ضمن أرجوزة بعنوان إلى علماء نجد منها :

يا شيبةَ الحمدِ رئيسَ الرُّؤَسا

وواحِدَ العَصرِ الهُمامَ الكيّسا

ومُفتيَ الدِّين الذي إن نَبَسا

حَسِبتَ في بُردَته شيخَ نَسا

• وقال شيخ المترجَم في الإجازة العلامة **عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي :** وأكرمني هؤلاء الأفاضلُ الأماجد الكرام نفع الله المسلمين بهم ، وهم المفتي رئيس القضاة محمد بن إبراهيم ، ورئيس الهيئات الآمرة بالحجاز الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، والأخ الكريم الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز ، فكلُّ هؤلاء من إخواني السلفيين قرابتي في الدين ، وفئتي في السنة المطهَّرة ، رزقهم الله تعالى من الحسنات في الدنيا والآخرة ، آمين .كتبه في ربيع الآخر 1382هـ ضمن ترجمته الذاتية.

• وأما تلميذه الأجلّ سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز** فكثيراً ما كان يبكي إذا ذَكَره ، وقال في بعض اللقاءات المسجَّلة المشهورة وهو يبكي : كان من أعلم الناس في زمانه ، ومن أحسنهم تعليماً وتفقيهاً وعناية بالطالب وإلقاء الأسئلة وحرصاً على استنباط ما عند الطالب ، وبيان الجواب ، والتنبيه على الخطأ ، وكان مَهيباً رحمه الله ، قوياً في التعليم ، وكان حريصاً على حفظ الطالب وتأديبه بالكلام الذي يناسب إذا حاد عن الطريق السوي ، وجزاه الله خير الجزاء ، ورحمه رحمة واسعة ، له فضل كبير علينا رحمة الله عليه وعناية عظيمة بالطالب بتفقيهه وتوجيهه في جميع الأوقات ، رحمه الله ، وأصلح الله ذريته وإخوانه ، واللهِ لا أعلم رأت عيناي قبل ذهاب البصر ، ولا وقع في قلبي من هو أحسن منه تعليماً وأكثر فقهاً رحمة الله عليه.

• وقال أيضاً في كتابه تحفة الأعيان : وكان رحمه الله باذلاً وسعه من حين مات عمُّه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عام (1339هـ) في التعليم والتوجيه والفتوى ، وكان لديه حلقات كبيرة في مسجده وبيته في أنواع الفنون ، وتخرَّج عليه جمعٌ كثير من العلماء من القُضاة وغيرهم ، وكان ذا غيرة عظيمة ، وهمَّة عالية رفيعة ، وكان كهفاً منيعاً لأهل الحق من دعاة الهدى ، وكان ذا حزم وصبر وقوة في الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم تولَّى رئاسة القضاء ، والنظر في مشاكل الدولة والمسلمين ، فلم يألُ جهداً في إجراء الأمور على السداد والخير ، وبذل الوسع في حل المشاكل وإيصال الحق إلى مستحقه.

وقد أسندت إليه الحكومة الفتوىٰ ، فقام بأعبائها مع قيامه برئاسة القضاء ، وكان قد قسم وقته بين محل رئاسة القضاء ودار الإفتاء ، علاوة على ما ينظر فيه من المشاكل في البيت.

وكان يعتني بالدليل ، ويرجّح به ما اختلف فيه العلماء من المسائل ، وكان ذا حكمة في توجيه الطلبة وتعليمهم ، وكان يرفق بهم في محل الرفق ، ويقوى عليهم في محل القوة ، ويوجههم إلى الآداب الصالحة والأخلاق المرضية ، فجزاه الله عن الجميع خيراً ، وأكرم مثواه ، ورفع منزلته في دار الكرامة ، إنه جواد كريم.

• وقال شيخي بالإجازة الشيخ **عبد الفتاح أبو غدة** في تراجم ستة من الفقهاء : هو سليل العلماء الأكابر ، ومن بيت العلم المعروف ، العلامة الحجة ، والفقيه المحقق الحنبلي الضليع ، الأصولي المتمكن ، المحدّث المفسّر ، المطّلع النسّابة البحّاثة ، مفيد الطالبين ، ومرجع القضاة والمفتين ، وشيخ كبار العلماء في الديار السعودية غير منازع.

أيامه الأخيرة ، ووفاته :

نسوق في ذلك ما أملاه أكبر تلامذته ، وهو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، فقال في كتابه تحفة الأعيان : في ذي الحجة من عام (88) أو أواخر ذي القعدة أصيب شيخنا العلَّامة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، بمرض خفيف في الوجه يسمى اللَّقْوَة ، وهو ميل الحنك الأسفل ، وعالجه بعض العلاج المعتاد ، وحضر الحجَّ هذا العام والمرض لم يزل ، ثم رجع إلى الرياض ، وفي المحرم (89) أشار عليه بعض الأعيان بالسفر إلى لندن للعلاج وإجراء بعض الفحوص ، فسافر إليها وبصحبته ابنه الشيخ عبد العزيز ، ومكث هناك قريباً من شهر ، ثم رجع إلى الرياض من طريق جُدة في ليلة الثلاثاء (26) صفر وصحته متحسنة ، ولم يبقَ من المرض إلا الشيء اليسير ، وأجرى عملية جراحية هناك في المثانة ، وقد نفع الله بها ، وشُفي من المرض المشار إليه ، أما أثر اللَّقْوة فلم يزل له بقية ، ولكنها خفيفة ، وقد واصل سيره إلى الرياض في الليلة المذكورة ، ولم يُقم بجدة إلا مدة يسيرة أقل من ساعتين ، أسبغ الله عليه لباس العافية. حرر 2/27 سنة 89 .

ثم قال : في شعبان من عام (89) ألَمَّ به رحمه الله مرض في المعدة ، ولم يزل به حتى أُدخل المستشفى المركزي بالرياض للفحص والعلاج في أول رمضان ، ثم في (4) منه سافر إلى لندن للعلاج ، واشتدَّ به المرض هناك ، ورأىٰ الأطباء أنه لا مصلحه في إجراء العملية ، فرجع إلى الرياض في ليلة الجمعة الموافق (89/9/19) وهو ثقيل جداً وضعيف الشعور ، ولم يزل في غيبوبة إلى أن وافته المنية في ضحوة يوم الأربعاء الموافق (89/9/24) ، رحمه الله رحمة واسعة.

وقد عُدْتُه يوم السبت الموافق (20) رمضان ، وسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ ردًّا ضعيفاً ، ثم لم يزل في غيبوبة ، وأخبرنا أخوه فضيلة الشيخ عبد الملك وابناه الفاضلان الشيخ عبد العزيز والشيخ إبراهيم أنه لم يزل في غيبوبة من حين وصل من لندن إلى أن توفّي ، **إلا أنه قد يتكلَّم بكلمات قليلة مضمونها طلب المغفرة والعفو والمسامحة ونحو ذلك.**

وكان لمرضه ثم موته رحمه الله الأثر العظيم في نفوس المسلمين في المملكة وغيرها ، وقد حزن المسلمون عليه حزناً عظيماً ، وصُلّيَ عليه رحمه الله بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور في الجامع الكبير ، وكنت أنا الذي أممتهم في الصلاة عليه ، وحضر الصلاة عليه جلالة الملك فيصل ، والأعيان من الأمراء و العلماء وغيرهم ، وامتلأ المسجد الجامع بالناس على سَعَته ، وصَلَّى الناس عليه من خارج المسجد ، وتبع جنازته إلى المقبرة الجمُّ الغفير.

نسأل الله أن يتغمَّده برحمته ورضوانه ، ويُسكِنه فسيح جنانه ، ويصلح عقبه ، ويجبر مصيبة المسلمين فيه ، ويحسن لهم الخلف .

قلت : وكُتبت عنه كتاباتٌ كثيرة في الصحف والمجلات ، ورُثي بقصائد عدة ، أفردها بعضهم بالجمع ، ولعل من أجملها قصيدة شيخنا المعمَّر عبد الرحمن بن أبي بكر الملا الأحسائي في خمسة وثمانين بيتاً ، وأقتطف أبياتاً منها أرويها عنه إجازة ، فقال رحمه الله تعالى في مطلعها :

إلى الله ما نَشكُوهُ من نَكبةِ الدَّهرِ ومن فَجعةٍ هزَّت قُلوبَ ذَوي القَدرِ

وقال :

رُزئنا بفَقْد الشيخِ أعني محمَّداً وذا نَجلُ إبراهيمَ ذو المجدِ والفَخرِ
رُزئنا بفَقْد العالمِ العاملِ الَّذي به يَقتدي مَن وفَّق اللهُ للخَيرِ
رُزئنا بفَقْد الحَبرِ ذي الحِلمِ والتُّقى وبحرِ عُلومِ الدِّين حدِّث عن البَحرِ
نَعَم إنهُ بَحرٌ منَ العلمِ زاخِرِ وما كان يُمليهِ من اللفظِ كالدُّرِّ
إمامٌ هُمامٌ قُدوةٌ لمنِ اهتَدى حَليفٌ لتَقوى اللهِ في السرِّ والجهرِ
فضائلُه يَروي لها كلُّ صادِرٍ ومَجلِسُه في كلِّ حفلٍ منَ الصَّدرِ

إلى أن قال :

حَسيبٌ نَسيبٌ عاليَ الأصلِ والذُّرى ومَنْ جَدُّه ذاكَ المجدِّدُ والمُقْري

إلى آخر الأبيات.

وخلَّف رحمه الله أبناء من أهل العلم والفضل ، وكلهم تبوَّأ مراكزَ عالية ، وفي ذريته خيرٌ وبركة ، نسأل الله لهم التوفيقَ في دينهم ودنياهم ، وأن ينهَجوا نهج أجدادهم ، وأن ينفع الله بهم.

رحم الله سماحة الشيخ رحمةً واسعة ، وأخلف على المسلمين من أمثاله.

من مصادر ترجمته :

ممن أفرد ترجمته : الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل ، ونبذة من إملاء الشيخ حمد بن حمين بن حمد الفهد على ولده ناصر ، كما جمع الشيخ إسماعيل بن عتيق ديواناً في مراثي الشيخ ، وجمع الأستاذ محمد الرشيد عدة مقالات في ترجمة الشيخ ورثائه ، وكلها مطبوعة.

وللباحث الشيخ عبد الحميد بن عبدالعزيز الغليقة رسالةٌ جامعية في منهج الشيخ محمد بن إبراهيم في الدعوة إلى الله. ولحفيده : معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ محاضرة في سيرة جَدِّه ، مسجلة في شريطين ، وكذلك لشيخنا عبد الله بن جبرين محاضرتان عنه ، كما أصدرت مكتبة الإبانة السمعية بجدة شريطاً في سيرته؛ تضمّن خطبتين بصوته رحمه الله.

وأصدرت قناة المجد الفضائية سنة 1428هـ برنامجاً مرئيًّا عن حياته ضمن سلسلة : حياة إنسان . انتهى [2]

---

[2] وانظر : الأعلام (306/5)، ومعجم المؤلفين (32/3)، ومشاهير علماء نجد (169)، وتراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر (255292)، والمجموع في ترجمة حماد الأنصاري (637/2 و815)، وتحفة الأعيان لابن باز (خ)، وجوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز (450)، وعلماء ومفكرون عرفتهم (247/2)، وذكريات علي الطنطاوي (183/8)، ومذكرات سائح في الشرق العربي (44)، ومقدمة فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (9/1)، والدرر السنية (475/16 الطبعة الثانية)، وعلماء نجد (242/1)، والبيان الواضح (ص10)، وروضة الناظرين (316/2)، والموسوعة في تاريخ نجد (159)، ومن أعلام الحركة الإسلامية (283)، والمبتدأ والخبر (74/5)، وأعلام وعلماء عايشتهم (19)، وقادة الفكر الإسلامي عبر القرون (403)، ومعجم مؤلفات الحنابلة (94/7)، والمنهج الفقهي العام

قلت : من خلال تتبع تاريخ ولادته ووفاته نعلم أنه ولد بعد ولادة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله ـ بثمان سنين. وتوفي بعد وفاة الشيخ محمد إلياس ب 26 عام رحمها الله جميعا

وتوفي بعد وفاة العلامة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي أيضا بخمس سنين فقط لأن الشيخ محمد يوسف توفي عام 1384 هجري .

## ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بقلم عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل :

**وهذه نبذة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بقلم الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل حفظه الله ، نُشر ضمن كتاب (مجموع فيه من آثار سماحة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل في الذكريات والتاريخ والتراجم)** وقد **نُشرت بإذن خاص من مؤلف المجموع**

**(بسم الله الرحمن الرحيم ، طلب مني فضيلة الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة كلمة عما أعرفه عن شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، فأجبتُه بما يلي :**

شيخنا العالم العلامة عبد العزيز بن باز لا يحتاج إلى تعريف بل هو يُسأل عن الناس ، ولا يُسأل الناس عنه ، ولكن تجاوباً مع الشيخ السائل أقول حسب معرفتي به :

---

لعلماء الحنابلة (540)، وتكملة النعت الأكمل (440)، ومن مشاهير علمائنا (ص755)، وتاريخ القضاء والقضاة (109/1)، وإتحاف النبلاء بسير العلماء (77/1)، ومعجم المعاجم والمشيخات (549/2)، وفرجة النظر (26/1)، وفتح الجليل (331)، وزهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين (133/3)، وعلماء وأعلام وأعيان الزلفي (19)، ومقال للشيخ عبدالمحسن العباد في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (العدد 6، شوال 1389 ص710)، ورواد في تاريخنا الحديث : عدد تذكاري من مجلة الدارة (19)، والشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير : جوانب من سيرته الشخصية (ص67)، والدعوة الإصلاحية (284)، ولقاء في مجلة الدعوة مع فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع (27 المحرم 1425 عدد 1934)، والمقالات المنشورة (74)، ومن أعلام السلف (134/1)، والموسوعة الحركية (227/1)، ومعجم الكتاب والمؤلفين في السعودية (88)، والآثار المخطوطة لعلماء نجد (65)، وأعظم عظماء المسلمين في كل قرن (517)، وشذرات البلاتين من سير العلماء المعاصرين (7)، تراجم لتسعة من الأعلام (369)، ومجلة العدل (207/1)، وموسوعة أسبار (952/3).

هو أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز.

وُلد رحمه الله في الرياض أواخر سنة 1330 ، ولما بلغ سن التمييز دخل الكتاب وتعلم مبادئ الدروس ، وبدأ بحفظ القرآن ، كان بصيراً في أول الدراسة ، ثم أصابه مرض غي عينيه عام 1346 ، فضعف بصره بالتدريج حتى ذهب بصره بالكليّة عام 1350 ، ولكن عوّضه الله بنور البصيرة ، كما يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول بعد ما عمي بصره في آخر عمره :

إن يأخذ اللهُ من عينيَّ نورَهما

فإن قلبي مضيءٌ ما به ضررُ

أرى بقلبَي دنيايَ وآخرتي

والقلبُ يُدركُ ما لا يُدركُ البصرُ

تلقى العلم على كبار العلماء في بلده ، ومنهم : الشيخ حمد بن فارس ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، وشيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وهو عمدته. وبَرَع وعُرف بالفضل والعلم والتقى مبكراً.

أول ما لقيتُه في شعبان سنة 1364 في الرياض ، حين مررتُ بها راجعاً من جيزان بطريقي إلى وطني عنيزة ، ودعانا رئيس الهيئات الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ، ومعنا الشيخ ابن باز وجماعة ، فلما اجتمعنا عند الشيخ عمر عَرَضَ علينا برقية وردته من أخيه رئيس القضاة بمكة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ يُعَمِّدُه بأن يُجري اختبار المدرسة التابعة للمعارف التي بالرياض ، وليس في الرياض تلك السنة إلا مدرسة واحدة

يُديرها أحمد عبد المالك الطرابلسي ، فقال الشيخ عمر للشيخ ابن باز : من ترى نبعث لهم؟ فقال الشيخ ابن باز : هذا الشيخ عبد الله بن عقيل حاضر.

فأخذ الشيخ عمر بترشيح الشيخ ابن باز وعمّدني بذلك ، ثم أعطاني سماحةُ الشيخ ابن باز بعض التعليمات والنصائح ، وقد كان عندي إلمامٌ بهذا حين كنت قاضياً بأبي عريش ، وكنا نختبر مدارسهم ، ثم أجرينا اختبار الطلاب لتلك المدرسة سنة 1364 ، ومن ضمن التلاميذ الشيخ عبد الله بن غديان ، وضحيان العبد العزيز ، وعبد العزيز الحزيمي ، وغيرهم.

ثم جاورتُه في سنة 1365 حينما عُيِّنتُ قاضياً في «الخَرْج» ، وكان يُسمَّى »السَّيْح «إذ ذاك ، وسماحته إذ ذاك قاضٍ في »الدِّلَم «قصبة الخرج ، وجميع قرى الخرج ترجع إلى سماحته ، والمسافة بيننا قريبة ، نحو 20 كيلاً ، ولما قدمتُ الخرج قمت بزيارته ، فأكرمني هو وكاتباه الشيخ راشد بن خنين ، والشيخ صالح بن حسين جزاهم الله عني خير الجزاء ، فقد كانوا لنا نعم الجيران ، ورأينا في بيته عدداً من المستفتين عن الطلاق وغيره ، ولم يكن في البلد إذ ذاك فنادق ولا دور ضيافة ، فكان يُضيفهم ويُفتيهم.

وكان قد انفرد عن علماء بلده أو عن أكثرهم بأنه يرى الطلاق الثلاث واحدة ، ويرى عدم وقوعه في الحيض أو في طُهر وطئها فيه ، ويرى عدم وقوع طلاق السكران ، ويرى الحلف بالطلاق يمينا مكفرة ، وغير ذلك ، فلهذا كثر المستفتون عن هذه المشاكل ، ورحلوا إليه من أجلها ، وكان رحمه الله يُفتيهم بالأسهل؛ موافقاً في اجتهاده شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من محققي العلماء ، وأنقذ الله بفتواه أسراً كثيرة كادت أن تتهدم بيوتهم ويتشرد أطفالهم وتأيم نساؤهم ، فجزاه الله عن الجميع أفضل الجزاء ، وطالما نهاه شيخه محمد بن إبراهيم ، بل نهاه الملك عبد العزيز عن هذه الفتوى فلم ينته ، يرى أن هذا هو القول الصحيح ، وأنه من العلم الذي لا يحل له كتمانه.

ولما استقر بي القرار بالخرج ، وكان أصل تعييني قاضياً لقرية السَّيْح فقط ، فلم أشعر إلا وقد جاءني خطاب من الملك عبد العزيز بتكليفي بقضاء ثلاث قرى من القرى التابعة لعمل الشيخ ابن باز ، وهي : »اليمامة ، والسلمية ، والهياثم «وهذا نصُّه :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبد الله بن عقيل سلمه الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بعد ذلك :

من طرف أهل اليمامة وأهل السلمية وأهل الهياثم فقد عرّفناهم أن قضاياهم عندكم ، لا يروحون للشيخ ابن باز ، فأنتم من ورد عليكم منهم : إن شاء الله تخلّصون دعواهم ، وتحرصون في ذلك ، هذا ما لزم بيانه ، والسلام. الختم 1365/10/13 .

ثم ورد إليّ خطاب من الشيخ عبد العزيز بن باز برقم 1034 في 1365/10/23 يخبرني بذلك ، ويدعو لي بالعون والمساعدة ، ويحثني على الصبر والاحتساب ، ويبلغني أنه بعد هذا لن ينظر في أي شيء من قضاياهم ، وأنه لو جاءه أحد منهم فسيرده إلينا [3] فلم يسعني إلا الامتثال.

---

[3] وهذا نص خطابه : بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم المحب الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل أصلح الله لي وله القول والعمل آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

فقد سبق لكم منا كتاب بتاريخ [فراغ بالأصل] نرجو أنه وصل، وقد سرّني ما ذكرتَ في كتابك المشار إليه من ترتيب مجالس القراءة، أعانك الله ووفقك، ورزقني وإياك وجميع إخواننا الفقه في دينه، والقيام بحقه، وحسن الدعوة إليه، آمين.

وقد نسيت إجابتك على هذه البشارة، فلذا أجبتُك بهذه الكلمة كراهةً لترك الجواب عن مثل هذا المهم، أصلح الله لي ولك النية والعمل، آمين.

ثم يا أخي قد جاءنا كتاب من الإمام يذكر فيه أن قضاء اليمامة والسلمية والهياثم قد حُوِّل إلى جنابكم، فحمدت الله على ذلك، ودعوت لكم بالتوفيق والإعانة، فاتق الله يا أخي، واصبر واحتسب الأجر، واستعن بالله على ما حُمِّلْتَ، وأكثر من التضرع إليه أن يعينك ويسدد نظرك، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين، وعليك بالتثّبت ومطالعة كل ما يُشكل، وإذا علم الله من العبد النصح والصدق في اللجاء إليه أعانه ويسّر أمره، وعلى كلٍّ منا النصيحة لأخيه، والدعاء له بظهر الغيب، يسّر الله ذلك، وأعاننا جميعا على ما يرضيه وينفع عباده آمين.

وليعلم المحب أنه لا يمكنني النظر في دعوى أي أحد من أهل البلدان المذكورة بعد الصرف المذكور، فلا تكلّف أحدا منهم بالتوجه إليّ، فإني سأرده إليك بارك الله فيك.

استقر الشيخ ابن باز في الخرج قرابة أربع عشرة سنة ، فكان هو القاضي والمفتي والإمام والخطيب ، وأقبل الناس إليه كأنه أبوهم ، وهو أخلص لهم كأنهم أبناؤه ، يستشيرونه ويستشفعون به ويرجعون إليه في جميع شؤونهم الدينية ، وبقي إلى نهاية 1371.

ثم اختير للتدريس في الرياض في المعاهد العلمية وكلية الشريعة ومعهد القضاء الأعلى ، فنجح في ذلك كله ، وكانت لي معه اجتماعات ولقاءات كثيرة لما تعينتُ في دار الإفتاء سنة 1375 ، فكنا نجتمع معه في مجالس العلماء ودعواتهم ، مثل شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والشيخ عبد الله بن صالح الخليفي ، والشيخ محمد البواردي ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي ، وغيرهم ، فكانت الدعوات اجتماعية فيها درس علمي يُقرأ بأي كتاب يتهيّأ ، ويعلّق سماحته عليه ، وكانت سائر مجالسه معمورة بالخير ، بل كلما حصلت مناسبة لا يفوتها حتى يلقي فيها كلمة نصح وإرشاد ، وأتذكر منها مرة دعاه فيها الشايقي –خادم الملك عبد العزيز وكاتبه الخاص في مزرعته بالخرج ، ودعانا معه في جملة من الإخوان ، وذلك يوم الجمعة الموافق 17 ذي القعدة سنة 1379 ، فصلى بنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في مزرعة الشايقي بالخرج صلاة العصر ، وقصر الصلاة فصلاها ركعتين ، وذكَّر بنا على عادته ، وصلى معنا جميع الذين قدموا من الرياض.

وفي 1379 صدر الأمر باستعراض مقررات ومناهج وأنظمة التعليم في وزارة المعارف ، وقراءتها قراءة دقيقة ، ثم كتابة تقرير بالملاحظات عليها مادةً مادة ، فكتب لي سماحة شيخنا المفتي محمد بن إبراهيم رحمه الله خطابه رقم 570 وتاريخ 1379/3/12 بأن أشترك مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم لهذه المهمة ، وأن يكون الاجتماع في بيت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم

---

هذا ما لزم، مع إبلاغ السلام الأحباب كافة، كما منا الأخوان والعيال والكاتبان وكافة المحبين الجميع بخير ويُسَلِّمون، والسلام. 23/10/1365(الختم).

بعد صلاة العشاء في كل ليلة ، وقد تم الاجتماع ، وأجري المطلوب ، ورُفع به تقرير موقَّعٌ من الجميع إلى سماحة المفتي ، رحم الله الجميع [4]

ولما أُنشئت الجامعة الإسلامية في المدينة اختير سماحته نائباً للرئيس الشيخ محمد بن إبراهيم ، فانتقل إليها سنة 1381 ، واستمر فيها نائباً للرئيس حتى وفاة الرئيس ، وبعد وفاته في رمضان 1389 ، عُيِّن سماحته رئيساً للجامعة الإسلامية ، هناك اتَّسع أفقه ، وتعددت أفضاله ، وتعرف على جملة صالحة من العلماء في داخل المملكة وخارجها ، وتعرفوا عليه ، ونفع الله به في الجامعة الإسلامية ، حتى تخرّج منها ما آلاف الطلاب ، وكانوا بعد تحرجهم يتفرقون دعاة في بلدانهم في كثير من الدول والجمهوريات ، خصوصاً في دول أفريقيا.

وكنت أتردد عليه لما أزور المدينة لغرض تعيين حدود الحرم ، وأصحبه إلى الحرم النبوي ، ومشيتُ معه مرة إلى الحرم النبوي ماسكاً يده ، فلما دخلنا المسجد كبّرنا لتحية المسجد ، وصلينا ركعة واحدة ، فأُقيمت صلاة العصر ، فرمقتُ ماذا سيفعل ، فاكتفى بالركعة التي صلى ، وجلس للتشهد لئلا يفوته شيء من الفريضة ، فصنعتُ مثل ما صنع.

---

[4] وهذا نص خطاب شيخنا محمد بن إبراهيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم 570 التاريخ 1379/3/12

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

فنرغب حضوركم لدى فضيلة الأخ الشيخ عبد اللطيف في بيته لاشتراككم أنتم والشيخ عبد العزيز بن باز مع فضيلته في استعراض مقررات ومناهج وأنظمة التعليم في وزارة المعارف، وقراءتها قراءة دقيقة، ثم إخراج تقرير بملاحظاتكم عليها مادةً مادة، ويكون الاجتماع للغرض المشار إليه ببيت الأخ الشيخ عبد اللطيف بعد صلاة العشاء من كل ليلة حتى تخلصوا من مهمتكم، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان يدعونا إلى بيته بحضور مجالس العلم ، ومنهم الشيخ محمد بن ناصر العبودي وغيره من الإخوان ، كما كنت ألتقي به عندما يأتي الرياض ، وأتشرف بدعوته إلى بيتي هو ومن يصحبه ، فيُكرمني بإجابة الدعوة ، ويُلقي في مجلسنا كلمة وعظ وتذكير في كل مناسبة.

ولما عُيّن مفتياً عامًّا ورئيساً للإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة 1395 ، واستقر في الرياض ، كان يدعونا إلى بيته للمشاركة في بعض الأمور المهمة ، وزاملتُه في مجلس الأوقاف الأعلى فترة حينما كان رئيس المجلس أمين كتبي ، ومن أعضائه الشيخ عبد الله بن منيع ، والسيد حبيب محمود أحمد ، وفي لجنة إعانة المتزوجين منذ تأسيسها سنة 1401 حتى وفاته ، ومن أعضائها الشيخ عبد الله بن غديّان ، والشيخ راشد بن خنين ، والشيخ عبد الله بن فنتوح ، والشيخ عبد اللطيف بن شديد.

استفدت كثيراً من علومه ، وأخلاقه ، وتواضعه ، ولطفه مع الكبير والصغير ، وصبره وتحمّله ، له أخلاقٌ أرقُّ من النسيم ، وأعذب من السلسبيل ، لا يعاتب على الهفوة ، ولا يؤاخذ بالجفوة ، يتودد ويتحبب إلى القريب والبعيد ، يقابل بالبشاشة ، ويعاشر بالحسنى ، ويجالس بالمنادمة ، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود ، ويعطف على الفقير والصغير ، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير ، ويساعد بماله وجاهه ، وينشر علمه ونصحه ، ويُدلي برأيه ومشورته ، بلسان صادق ، وقلب خالص ، وسر مكتوم ، ومهما أردتُ أن أعدد فضائله ومحاسنه التي يتحلى بها فإني مقصّر وقلمي عاجز ، ولا يُدرك هذا إلا من عاشره وجالسه ، هذا مع زهده وورعه ، لا ينهر أحداً ، ولا يعبس في وجه أحد ، وقلَّ ما يصدر منه قاصده إلا وقضى حاجته ، أو أشار عليه بمن يقضيها.

وكنت مرة جالساً عنده في وقت متأخر ، وجاءه رجل يطلب شفاعة لأحد الأثرياء ، وذكر حاجته ، فرَقَّ له ، وقال : تأتي غداً. ثم التفت لي ، فقال : أنا لا أعرف هذا الرجل ولا صاحبه ، ولكن كذا وكذا. ثم قال

يحكي : أن رجلا محتسباً لا يرد من طلب منه شفاعة ، فجاءه أحدهم وطلب منه شفاعة إلى أحد الملوك لإطلاق ولده من السجن ، فكتب هذا المحتسب إلى الملك ، وأورد في كتابه الأحاديث والآثار الواردة في العفو والصفح ، فلما قرأ الملك كتابه قال : من هو هذا الذي لا نعرفه وهو من بلادنا وكتب يشفع لهذا الرجل السجين؟ فقيل له : هذا فلان محتسب لا يرد طلب أحد. فقال : والله لا يكون أرحم منا به ، اقبلوا شفاعته ، وأطلقوا ولده ، وأعطوه راحلة ونفقة توصله إلى أهله.

أعطاه الله علماً لدنيًّا لا يتوقف على مدى ما تعلمه من مشايخه وإن كان طلب العلم على علماء محققين من أبرزهم شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة ونوّر الله بصيرته عوضاً عما فقد من بصره ، فله اليد الطولى في الحديث ، والعقيدة السلفية ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وغيرها ، أخذ من كلّ فن منها بنصيب وافر.

**استحق لقب شيخ الإسلام ،** وأطلقه الناس عليه ، **وكان محل التقديم والإجلال**من ولاة الأمر ومن كبار المشايخ الذين أدركناهم ، فكان شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدي كثير الثناء عليه ، ويأمرني أن أبلّغه سلامه في مكاتباته لي ، وقال في بعض المناسبات : إن الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الله بن حميد ، والشيخ عبد الله القرعاوي : لا يوجد لهم مثيل في تصديهم لنفع الناس ودعوتهم وإرشاده [5]

---

[5] قال محمد زياد : يقصد شيخنا ما قاله العلامة ابن سعدي في كتابه مجموع الفوائد (ص173)، حيث قال : «ثم اعلم أن في هذا القُطر المسؤول عنه [أي : نَجْد] أربعة من أهل العلم، الذين برزوا على غيرهم، وتميّزوا بعِلْمهم وتعليمهم ودعايتهم ونفعهم، وحصل بهم وعلى أيديهم خير كثير ونفع كبير، فميِّزْهم يا أخي بمحبتك، واعرف قدرهم، وأكْثِرْ من الدعاء لهم والثناء عليهم ونشر محاسنهم، وتقرّب إلى الله بذلك، وهؤلاء تعرفهم ويعرفهم غيرك، وذكرُ صفاتهم يُغني عن ذكر أسمائهم، وضم إليهم خامساً جعل الله فيه بركة، فهو وإن كان دونهم في العلم فقد حصل على يديه من النفع التعليمي والديني ما لم يحصل على يد غيره، وقد انحاز إلى بعض أقطار المملكة، فهدى الله به ذلك القطر وانتقل إلى مذهب السلف، وكثر فيهم أهل العلم، فالعلم إذا جعل الله فيه بركة ترتب عليه خير كثير، وهذا الخامس من أكبر الدعاة إلى الله وإلى دينه، فتجب مؤازرته ومناصرته والثناء عليه والذب عنه، كما يجب لهؤلاء الأربعة ولغيرهم من علماء المسلمين.«

ساعد الدعاة في الداخل والخارج ، بل قلَّ أن يُطلب منه دعم لمشروع خيري أو مركز إسلامي إلا دعمهم وشجّعهم ، وأعانهم بالمال والجاه والتوجيه والنُّصح والدعاء الصالح ، وأعرف أخباراً من مساعيه في مثل هذا.

فاق زملاءه في حُسن الخلق والكرم ، قلَّ أن يأكل طعامه وحده إلا ومعه من كان حاضراً في المجلس ، قلُّوا أو كثروا ، من أي طبقة كانوا ، كلما جاء مستفت وقت غداء أو عشاء قال له : تفضل معنا.

أعطاه الله جَلَداً على التعليم ، فلا يمل مهما طال المجلس ، ولم أر مثله في بذله نفسه للناس ، وفي سعة الصدر ، ذو غيرة على محارم الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يؤلف الردود على كل من يُظهر أي شيء مخالف للشرع ، قوي في دين الله ، ليّن متواضع لعباد الله ، خصوصاً صغار الطلبة وجفاة المستفتين ، صبورٌ على ما يتعرض له مثله من جهلة الناس وعوامهم ، من نوادر علماء عصرنا في هذا العصر علماً وسلوكاً وحرصاً على الازدياد من مسائل العلم ، خصوصاً الحوادث المستجدة.

بلغت فتاواه أكثر من ثلاثين مجلداً ، مطبوعة متداولة مبذولة لطلبة العلم مجاناً ، وأما الأشرطة )الكاسيت (فيمكن أن تبلغ الآلاف كما حدثني سكرتيره بذلك ، انتشرت فتاواه في الإذاعة وفي نور

---

قلت : حصلت مناقشة في مجلس شيخنا حفظه الله في تحديد هؤلاء الأربعة، إذ أشكل ما ورد آخر المطبوع من كتاب الفوائد أنه تم سنة 1343، وفي ذلك الوقت كان الشيخان ابن باز وابن حميد في أوائل الطلب، ولكن ظهر بالتأمل والبحث في ذلك المجلس وبعده أن تاريخ كتابة الكلام الآنف متأخر يقينا، فلا نزاع في أن الخامس هو الشيخ عبد الله القرعاوي، وما ذهب إلى جنوب المملكة إلا بعد هذا التاريخ بمدة طويلة، فالظاهر أن التاريخ المثبت هو للفائدة الأخيرة فيه وحسب، وهي جواب عن سؤال، ونص المحقق في مقدمته (هامش ص5) أنه سؤال وجده بآخر الكتاب فألحقه به، وبذلك يزول إشكال التاريخ، وأكّد شيخنا (من قبل ومن بعد) أن المستقر والثابت عنده من قديم أن الثلاثة هم المشايخ : محمد بن إبراهيم، وابن باز، وابن حميد، وشيخنا من أعرف الناس بكلام شيخه ابن سعدي ومقاصده، ولكن يبقي معرفة الرابع : فيرى شيخنا أن المقصود به هو الشيخ ابن سعدي ذاته، لكنه ما أحب أن يسمي نفسه تواضعاً، فكأنه لذلك أبهم الكلّ، وردّ إلى ما يعرفه السائل والناس، والسائل ما سأل الشيخ إلا لمعرفته بفضله ومكانته الرفيعة، وهذا كلمة إجماع عند الناس، وما كان رحمه الله دون من أشار، بل هو شيخ خامسهم، رحمهم الله جميعاً.

ذكرتُ مختصر هذا البحث والتحقيق –المستفاد من شيخنا حفظه الله– لأهميته، ولتعلقه المباشر بهذه الترجمة، فضلا عن أهميته في ترجمة بقية الأعلام المذكورين، والله أعلم.

على الدرب ، واستفاد منها من لا يحصيهم إلا الله في شتى البلدان ، ولديّ مجموعة من رسائله ومكاتباته الخاصة ، وسبق ذكر رسالته إليّ وهو في الخرج بشأن ضم بعض قرى الخرج.

ما يُعلم أنه قابل أحداً على سوء أدبه إلا بلطف وأدب ، يرد على أهل الباطل ويوضّح لهم أخطاءهم برفق ولين ، وله في هذا المجال العدد الكثير من الردود شفهياً وخطياً وهاتفياً.

وأخبرني سكرتيره إبراهيم الحصين رحمه الله أنه كثيراً ما إذا تحقق عنده حاجة بعض المناطق إلى داعية؛ ووجد من يقوم بهذه المهمة أمر بتسجيله ، فإذا قال : البند لا يتحمّل ، أو قالوا : العدد قد استغرق. قال : سجّلوه على حسابي الخاص. أو قال : قيّدوه على حساب البيت. وإن أكثر رواتبه يُصرف للدعاة ، حتى إنه في بعض الأشهر يستقرض للشهر القادم.

وذكر لي بعضهم أنه سافر بالقطار من إحدى ولايات أوروبا ، فصادف امرأة متدينة ، فتكلم معها ، وقالت : رحم الله الشيخ ابن باز. فقال لها : من أين عرفت الشيخ ابن باز؟ فقالت : كنت أعمل في مؤسسة كذا وكذا ، فأوقفوا راتبي ، فاشتكيتُ له ، فقال : أَجْروا راتبها من حسابي.

أعطاه الله حافظة وبديهة ، فكان يحفظ أسماء الذين يدخلون عليه ، فإذا دخلوا وسلموا عليه وعرّفوه بأسمائهم وتكاملوا جلوساً : أعاد عليهم أسماءهم بسؤالهم عن أحوالهم بأسمائهم التي سمعها منهم ، فيقول : كيف حالك يا فلان بن فلان؟ وأنت يا فلان بن فلان؟ حتى يأتي على آخرهم.

وبالجملة فإن سيرته طيبة عطرة ، وذكرياتنا معه كثيرة ، لا تفي بها هذه الكلمات ، فقدناه أحوج ما كنا إليه ، وترك فراغاً لا يسدّه غيره ، نسأل الله أن يُخلفه على المسلمين بخير ، وأن يتغمده برحمته ، فقد اجتمعنا في الله وتفرقنا عليه ، واستمر الوداد والإخاء بيننا من سنة 1364 إلى وفاته سنة 1420 ، وترك بوفاته فراغاً عظيماً في كل أبواب الخير ، وما زالت حسناته جارية عبر علمه المدوَّن ، وعبر تلاميذه النجباء الذين

يُعتبرون من أحرص الدعاة إلى الله ، وعبر نتائج أعماله في الخير في جميع جهات العالم ، وقلَّ أن يوجد عالم له محبة وقبول في الناس مثله ، سواء في الداخل أو في الخارج ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا به في دار كرامته ، وأخلف على المسلمين من أمثاله.

توفي في الطائف فجر الخميس 27 محرم 1420 ، وصُلّي عليه في الحرم الشريف بمكة المكرمة ، وحضر جنازته والصلاة عليه ودفنه جمع كثير من الناس ، قدموا من الرياض والقصيم وغيرهما ، ودُفن في مقبرة العدل ، لم يُدفن في مقبرة الحُجون.

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنّا بعده ، واغفر لنا وله ولوالدينا ولجميع المسلمين ، واجمعنا بهم ووالدينا في عليين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله : **عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ،** حامداً لله ، مصليًّا مسلّماً على عبده ورسوله نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، تحريراً في 22 ذي الحجة 1427.

### ترجمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :

هو سماحة الشيخ الإمام العلامة القدوة فقيه العصر ، أبو عبدالله ، محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان (الملقب بـ عثيمين) بن عبدالله ، من آل وهبة من تميم. وأمه هي ابنة الشيخ الصالح عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ ، من أسرة معروفة بتعليم القرآن في عنيزة.

النشأة وطلب العلم :

وُلد رحمه الله في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من رمضان سنة 1347 ، ونشأ في بيئة صالحة ، فقرأ القرآن في الكتّاب على جده لأمه الشيخ **عبدالرحمن الدامغ** إمام مسجد الخريزة ، وبعد هذه القراءة يقول المترجَم : وبعد أن أنهيت هذه القراءة انتقلت إلى مدرسة أخرى ، هي أيضاً يدرس فيها ابن عم جدي رحمه

الله ، واسمه **عبدالعزيز بن صالح بن دامغ** ، يدرّس فيها القرآن ، وشيئاً من الأدب ، وشيئاً من علم الحساب ، وبقيت هناك حتى أدركت منها ما شاء الله ، ثم بدا لي أن أقرأ القرآن عن ظهر قلب ، فدخلت مدرسة يدرّس فيها **علي العبدالله الشحيتان** أحد المدرسين في عنيزة ، وحفظت القرآن فيها عن ظهر قلب ، وذكر أنه أتمَّ حفظه وعمره أحد عشر عاماً تقريباً.

وحبب الله إليه العلم مبكراً ، فالتحق بتوجيه من والده بحلقة الشيخ **محمد بن عبدالعزيز المطوع** وقد ناهز الحلم ، فدرس على يديه المتون المختصرة ، مثل منهج السالكين ومختصر الواسطية كلاهما للعلامة ابن سعدي ، والآجُرُّومية والألفية ، وحفظهما ، ويقول عن شيخه : كان جيداً في علم العربية ، أدركتُ منه كثيراً .

ثم ارتقى إلى حلقة علامة عنيزة الشيخ **عبدالرحمن بن سعدي** وبينهما قرابة وعمره 16 أو 17 سنة كما يقول ، فلازمه ملازمة تامة ، وبرَّز على أقرانه ، وأدرك من سبقه ، وبه تخرج.

يقول المترجم : وهو الذي أدركت عليه العلم كثيراً ، لأنه رحمه الله له طريقة خاصة في تدريسه ، وهو أنه يجمع الطلبة على كتاب واحد ، ثم يقوم بشرحه ، أي مادة كانت ، حتى أحياناً نقرأ عليه في التفسير فيفسر لنا القرآن الكريم ، ما يعتمد على كتاب آخر ، يفصِّله ، ويحلل ألفاظه ، ويستنبط ما يستنبط منه من فوائد ، درسنا عليه رحمه الله ، وكان مركّز دروسنا عليه في فن الفقه وقواعده وأصوله ، وقد حصّلنا ولله الحمد عليه شيئاً كثيراً ، بالإضافة إلى ذلك كان يدرّسنا في التوحيد ، ويدرّسنا في النحو ، وبقينا على هذا مدة معه رحمه الله ، وفي الحقيقة أن له علي فضلاً كبيراً من الله سبحانه وتعالى ، ذكر لي أن والدي رحمه الله وكان في الرياض أول ما بدأ التطور في الرياض أحب والدي أن أنضم إليه هناك ، ولكن شيخنا رحمه الله عبدالرحمن بن سعدي كتب إليه يقول : دعوا لنا هذا يكون من نصيبنا ، هذا الولد يكون من نصيبنا ، فجزاه الله عني خيرا .

وقال الشيخ في مكان آخر : والحقيقة أن انتقال والدي رحمه الله إلى الرياض كشف لي مدى الحب الذي يكنّه لي الشيخ السعدي رحمه الله ، إذ أصر في طلب بقائي بجواره في عنيزة للاستزادة من العلم ، وكاتب والدي فوافق ، فبقيت بجوار الشيخ السعدي .

ثم يواصل الشيخ كلامه الأول قائلا : بقيت عنده مدة ، ثم انقطعتُ عن الدراسة لأنه حصل عند الناس نشاط في الأراضي في عمارتها في الغرس ، في مكان يقال له الوادي ، وكنا نحن من الذين اشتغلوا في ذلك مدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى منَّ بفضله فعدنا إلى الدراسة على الشيخ رحمه الله .

قلت : ذكر الشيخ علي الشبل أن هذا الانقطاع دام ثلاث سنوات ، وأن عودة المترجَم للعلم كانت بسبب العلامة المربي ابن سعدي ، حيث افتقده ، فسأل والده عن سبب تخلفه عن الدراسة ، فأعلمه بالسبب ، فطلب العلامة ابن سعدي من والد المترجم أن يرجعه للحلقة ، وكان ذلك ولله الحمد[1].

فكانت استفادته الكبرى من العلامة ابن سعدي ، واستفاد كذلك من بعض مشايخ عنيزة ، مثل قاضيها الشيخ **عبدالرحمن بن عودان** في الفقه والفرائض ، والشيخ علي بن عبدالله الشحيتان في مبادئ العلوم كما تقدم ، والشيخ **علي بن حمد الصالحي** ، وشيخنا **عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل** ، والشيخ **عبدالله بن عبدالرحمن البسام**.

وكان إلى ذلك كثير القراءة والمطالعة ، ويستفيد ويستعير الكتب من مكتبات عنيزة ، مثل مكتبة الجامع ، ومكتبة قاضيها الشيخ عبدالله بن مانع رحمه الله ، ومكتبة قاضيها شيخنا ابن عقيل ، فقد رأيت في مكتبته بعض المطبوعات القديمة كتب على غلافها استعارة المترجَم لها.

وكانت له عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، رحم الله الجميع[2].

وأخبرني شيخنا العلامة عبدالله بن عقيل أنه كان إبان توليه قضاء عنيزة (سنة 1370 وما بعدها) ينفرد كل ليلة مع المترجَم لتحضير دروس شيخهما العلامة ابن سعدي من الغد ومراجعتها ، كما أخبرني أن الشيخ المترجَم كان متوقد الذكاء جيد الذهن نجيباً منذ صغره ، معروفاً بذلك عند مشايخه وأقرانه.

ومع تقدم الشيخ ابن عثيمين في العلم لم تقف همته عند ما استفاده في بلده ، بل كان أفقه أسمى من ذلك ، يقول رحمه الله : وفي عام 1372 للهجرة أشار علينا بعض الإخوان[3] أن نلتحق بالمعاهد العلمية التي فُتحت بالرياض ، واستشرت شيخنا عبدالرحمن في ذلك ، وأشار عليّ أن أدرس فيها ، ووافق على ذهابي لأنني سأذهب إلى طلب العلم وفعلاً ذهبت إلى هناك ، ودرست في المعهد ، واتصلت بشيخنا الثاني **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** ، وكان لي عليه دروس في بيته خاصة ، وكذلك أيضاً في المسجد ، قرأنا عليه في علم الحديث ، لأنه كان وفقه الله وأمد في حياته على خير الإسلام والمسلمين كان له إلمام كبير في علم الحديث ورغبة أكيدة ، وفتح لنا جزاه الله خيراً أبواباً جيدة في هذا الموضوع ، فقرأنا عليه من صحيح البخاري ، وقرأنا عليه أيضاً في مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولا يحضرني الآن كل ما قرأت عليه[4] ، المهم أنني انتفعت بقراءتي عليه من حيث التوجيه والانتقال من العكوف على الكتب الفقهية وتمحيص الأقوال وتلخيصها؛ انتقلت من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث ، ولست من الذين يصح أن يُنسبوا إلى علم الحديث ، ولكنني اتجهت إلى علم الحديث. في الرياض ما اتصلتُ بغيره ، وكان الأثر المباشر من الشيخ نفسه ، وأيضاً الإنسان إذا تذوق العلم وعرف فائدته يكون له حافز من نفسه .

ويقول : كان تأثري بالشيخ عبدالعزيز لعنايته بالحديث ، وأخلاقه الفاضلة ، وبسط نفسه للناس .

ويقول : بقيت في الرياض إلى سنة 1373 أتممنا الدراسة في المعهد لأننا درسنا من السنة الثانية ، وفي ذلك الوقت كان نظام القفز ، أن الطالب يدرس في الفترة الصيفية دروس السنة المستقبلة ، ثم يمتحن فيها

في الدور الثاني ، ويرتقي إلى السنة الثالثة ، فأنا قفزت ، قرأت الثانية وتخرجت منها طبيعيا ، ثم قفزت ، وأدركت الثالثة ، ثم أخذت الرابعة سنة 74 بالانتساب ، لأن المعهد العلمي كان قد فُتح في عنيزة ، وكان محتاجاً إلى المدرسين ، فرجعت في عام 74 إلى عنيزة ، وابتدأت التدريس في معهد عنيزة من عام 1374 ، وأخذت السنة الرابعة بعد ذلك بالانتساب ، وبقيت هكذا منتسباً؛ حتى أتممت ولله الحمد كلية الشريعة .

قلت : وكان تخرجه سنة 1377 مع الدفعة الثانية من الكلية ، وكان يذهب للرياض للاختبار نهاية كل سنة دراسية.

ومن مشايخه في الدراسة بالرياض : العلامة **محمد الأمين الشنقيطي** ، وكان المترجَم يقول عنه : إنه من جهابذة العلماء وفحولهم ، والشيخ **عبدالرزاق العفيفي** ، والشيخ **مناع القطان** ، وغيرهم. ويقول الشيخ عبدالله الداود عضو الإفتاء : إن الشيخ عندما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم ، وكان يشير إليه الطلاب بالتميّز.

وهكذا نجد أن المترجَم تأصّل علماً وتربية على يد إمامين كبيرين ، فتأثر بشيخه ابن سعدي في التوسع والترجيح في الفقه ، وتأثر بابن باز في الحديث والتجرد له ، وكان أثرهما فيه واضحاً ، فجمع بين منهج الفقه ومنهج الحديث.

مرحلة التدريس والإفادة :

بعد التضلُّع من العلوم استقر المترجَم في عنيزة مطلع سنة 1374 مدرّساً في المعهد العلمي ، ثم إماماً وخطيباً ومدرساً في الجامع الكبير سنة 1376 ، فاستفاد منه أهلها. وذُكر أن الشيخ درّس في الجامع سنتين في حياة الشيخ ابن سعدي[5]. كما درّس في جامع الضليعة بعنيزة مدة ، من سنة 1390 إلى 1406 تقريباً.

وكان سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قد أصدر أمراً بتعيين المترجَم رئيساً لمحكمة الأحساء ، ولكنه بذل الجهود والمساعي لإعفائه ، فتم له ذلك ، ولم يتولَّ القضاء.

وبقي الشيخ ابن عثيمين مدرساً في المعهد العلمي إلى أواخر سنة 1395 حيث فُرّغ سنتين لأجل إعداد المقررات والمناهج ، ثم في نهاية 1397 عيّن مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم ببريدة[6] ، واستمر فيها إلى وفاته ، فيكون مجموع ما درّس يزيد على سبع وأربعين سنة ، فحصرُ تلامذته متعذر ، ولا سيما أنه كان كثير التدريس في الحرمين ، ويتنقل بين المناطق لإلقاء الدروس والمحاضرات والمؤتمرات.

وآتاه الله بياناً عجيباً في تدريسه وتقريره وفتاويه ، فهو ييسِّر المسائل ويسهلها ، ويبيّن الدليل والتعليل والترجيح بأسلوب واضح يفهمه معظم الناس ، ولذلك قيل فيه إنه كسر طوق الفقهاء في عباراتهم وطرائقهم ، بل كثيراً ما سمعت شيخنا العلامة عبدالله بن عقيل حفظه الله يضرب فيه المثل بأنه أُلين له الفقه ، كما سمعت شيخي العلامة عبدالكريم الخضير يثني ثناء عالياً على فقهه.

وكان رحمه الله في تدريس طلبته يعتني بحفظ المتون ، ويعد من لا يحفظ أصولها ليس بطالب علم ، كما كان يتابع طلبته ، ويراجعهم ، ويمتحنهم في الدرس ، ويبذل لهم الجوائز المحفزة. أذكر في أحد دروس الشيخ عبدالله الطيار حفظه الله وهو من أبرز أصحاب المترجَم في شرح المناسك من العمدة بمكة أنه سأل الحضور سؤالاً فيه صعوبة ، وأخرج خمسين ريالاً ، وضحك ، وقال : كان شيخنا ابن عثيمين يُخرج خمس مئة ريال لمن يجيب ، ولكن ذاك ابن عثيمين! فمن يجب يأخذ الخمسين!

وقد تخرّج على يد الشيخ المترجَم أجيال من المشايخ وطلبة العلم البارزين ، من القصيم وغيرها ، نفع الله بهم.

ونفع الله بدروس الشيخ –المسجَّلة بعد وفاته نفعاً عظيماً ، مع أنها لم تسجَّل بانتظام إلا في آخر حياته؛ فتداولها طلبة العلم في الداخل والخارج؛ لوضوحها مع ما تحتويه من علم جمٍّ ، وفُرِّغ كثير منها وطبعت ، وانتشرت كذلك عبر الأقراص الحاسوبية وعلى المواقع الإسلامية على الشابكة (الإنترنت) ، وعمَّ بها النفع ، وبقيت حسنات جارية له إن شاء الله.

وكذلك نفع الله به عبر إذاعة القرآن الكريم ، ووصل صيته ونفعه إلى مختلف البلدان ، ولا سيما برنامجَي الفتاوى : نور على الدرب ، وسؤال على الهاتف الذي بدأ سنة 1409 وبرنامج أحكام القرآن بدأ سنة 1408 ، مع أحاديث أخرى غير ثابتة في الإذاعة ، وشارك في الرائي (التلفاز) ببرنامج دين ودنيا بالصوت دون الصورة.

ناهيك عن فتاوى المترجَم ورسائله المطبوعة في حياته ، والتي انتشرت في كل مكان ، وكثر طبعها وتوزيعها. وكان له نشاط في وسائل الإعلام المقروءة والمجلات في الفتاوى والإرشادات والنصح.

وكان المترجَم ممن حباه الله قبولاً واسعاً في العالم الإسلامي ، وكانت فتواه مصدر ثقة واطمئنان لخلق كثير ، بل إذا عُدّ كبار علماء الأمة عند الخاصة والعامة في وقتنا كانت الأصابع تتجه إلى عدد منهم : سماحة الشيخ ابن باز ، والإمام الألباني ، والمترجَم رحمهم الله جميعاً ، وجزاهم عن السنّة وأهلها خيراً بل إن عامة الناس في نجد وما حولها يسألون : ماذا قال ابن باز وابن عثيمين في هذه المسألة؟ وإذا سمعوا فتوى لأحدهما يقنعون بها ولا يكادون يجاوزون لغيرها ، قَبولٌ غريب! وحدثني شيخي الحافظ ثناء الله بن عيسى خان المدني مفتي أهل الحديث في باكستان الآن غير مرة في الرياض والكويت أنه كثير المراجعة لفتاوى الشيخين ابن باز وابن عثيمين.

محطات من حياة المترجم :

في 1407/7/11 صدر القرار السامي بتعيين الشيخ ابن عثيمين عضواً في هيئة كبار العلماء بالسعودية ، وبقي فيها إلى وفاته ، وكان من أبرز أعضاء الهيئة ، بل كان المرجعَ بعد وفاة سماحة الشيخ ابن باز.

وكان للشيخ جهود عظيمة في شتى مجالات العمل الخيري ، فكانت توكل إليه الصدقات والزكوات والإعانات ، ويتحرى في إيصالها لمستحقيها ، ويدعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية ويتعاون معها ، مثل مؤسسة الحرمين ، ومن مآثره في هذا الباب تأسيس صندوق الزواج في مدينة عنيزة ، ناهيك عن شفاعاته الكثيرة لمن يحتاج إليها في شتى المجالات.

إضافة إلى أنه كان يُنفق على طلبة العلم الذين تفرغوا للدراسة عنده ، ويؤمِّن لهم السكن وخلافه ، وكان عنده في السكن طلبة من مختلف دول العالم.

وكان رحمه الله غيوراً على الحرمات ، منكراً للمنكرات ، وله رسائل في ذلك ، كما كان مناصراً لقضايا المسلمين بالكلمة والجاه والمال في شتى بقاع العالم ، مثل فلسطين ، وأفغانستان ، والشيشان ، والبوسنة ، وله مواقف وكلمات معروفة في هذا ، بل إن رئيس المحاكم الشرعية ومفتي المجاهدين في الشيشان كان أحدَ تلامذته ، وله مقال منشور عن دور الشيخ في دعم قضايا المسلمين هناك.

وكان له جهود عظيمة في الدعوة إلى الله ، ويستغل جميع أوقاته لذلك ، ففضلاً عن الدروس والإذاعة كان يحاضر ويشارك في الندوات والمناشط العلمية في شتى أنحاء المملكة ، حتى في مرضِ وفاته ، وكان يُلقي المحاضرات أواخر عمره لأوربا وأمريكا وغيرهما عبر الهاتف[7] ، إضافة إلى نشاطه في توزيع الكتب والأشرطة في الداخل والخارج عبر تلامذته.

وأما في موسم الحج فكان الشيخ عجباً في إفادة الناس ونفعهم والصبر عليهم وعلى الزحام. وللمناسبة : فقد حج المترجَم للمرة الأولى سنة 1367 ، وواصل الحج من سنة 1392 إلى 1420 ، ولم ينقطع عن ذلك إلا عاماً واحداً ، فمجموع حجاته إحدى وثلاثون حجة.

ومن جهود الشيخ الدعوية مساهمته في تأسيس جماعة تحفيظ القرآن الكريم في عنيزة سنة 1405 ، وكان الداعم الأول لها ، ويُشرف على مناشطها وأمورها التنظيمية والعملية ، وبسبب المترجم كثر التبرع للجماعة والوقف لها ، ومن ثمارها أن حفظ القرآن كاملاً أكثر من مئة وستين حافظاً هناك.

كذلك كان المترجَم المشرف الرسمي لمكتب دعوة الجاليات في عنيزة ، وذلك سنة 1407 ، وكانت له جهود في دعم المكتب والقائمين عليه ، ومن نتاج ذلك هداية مئات الناس إلى الإسلام ، جزى الله هؤلاء الدعاة خيراً.

وكان الشيخ اجتماعياً ، يجيب دعوات الناس ومناسباتهم ، ولا يرضى أن يمر المجلس بلا فائدة ، ولست أنسى عندما تشرفت بزيارة الشيخ مع بعض الزملاء في منزل أخيه بالرياض ، قبيل وفاته بأشهر ، فكان وهو في شدة مرضه يبادر بإفادة الحضور ، ويتخلل المجلس رنين الهاتف للفتاوى ، فإذا كان المتصل رجلاً جعل صوت الهاتف مسموعاً للجميع لنشر الفائدة ، وإذا كانت امرأة رفع السماعة وأجابها عن سؤالها ، ثم إذا انتهت المكالمة بادر مرة أخرى بإفادة الحضور ، ويجيب عن أسئلتهم ، ولما طال المجلس وقلّت الاتصالات قال الشيخ مراراً : ما أحد عنده سؤال؟ أو إشكال؟ اسألوا استفيدوا لا يريد أن يضيع شيء من المجلس إلا في فائدة ونفع ، مع مرضه وتعبه.

وإنني على كثرة من لقيت من المشايخ بحمد الله تعالى ومنّه قلّ أن رأيت من يحفظ مجلسه هكذا ، ولعلي أذكر ممن تميز في هذا الباب : سماحة الشيخ ابن باز ، وفضيلة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ، رحمهما الله تعالى ، وفضيلة المربي الشيخ عبدالرحمن الباني حفظه الله وأطال عمره على الخير والعافية.

وإضافة للمجالس العامة اهتمَّ المترجَم بالمجالس الخاصة لبعض الشرائح ، ففي سنة 1407 ابتدأ بعقد مجلس خاص لقضاة القصيم ، تكون فيه قراءة لكتب تهمهم ، ويجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم ، واستمر المجلس إلى 1421/4/29.

وكان للشيخ مجالس أخرى ، أحدها خاص لكبار طلابه ، ومنها مجلس خاص بأعضاء هيئة التدريس بقسم العقيدة في الجامعة ، وآخر للدعاة في بريدة ، وآخر لخطباء عنيزة ، وآخر لأعضاء الحسبة ، وآخر لطلاب السكن ، وآخر لطلاب المعهد العلمي.

صلى الشيخ إماماً للتراويح في المسجد الحرام في العشر الأواخر من رمضان سنة 1403 ، ونبّه في مكبر الصوت على عدم جواز تكرار الوتر في الليلة الواحدة كما كان يحصل سابقاً ، ويوجد تسجيل متداول لمقطع من قراءته في الحرم.

أول صلاة صلاها إماماً في جامع عنيزة صلاة الظهر يوم الأحد 1376/6/26 ، وآخر صلاة كانت للاستسقاء بتاريخ 1421/8/3 ، وأول خطبة جمعة ألقاها في الجامع في غرة رجب 1376 وآخر خطبة في 30 رجب 1421.

في سنة 1404 أثير بعض الكلام عن تقرير الشيخ في مسألة المعية ، مما جعله يؤلف رسالة مختصرة نافعة في العقيدة ، وقرَّظها سماحة الشيخ ابن باز مؤيداً لها ، وقد نفع الله بهذه الرسالة ، وشرحها كبار المشايخ ، منهم شيخنا عبدالله بن جبرين حفظه الله.

في سنة 1414 مُنح المترجَم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ، اعترافاً بفضله وتكريماً لجهوده ، ولم يحضر الحفل ، بل أرسل نائباً عنه.

وبعد وفاة الشيخ عمر بن محمد فلاتة رحمه الله في 1419/11/19 مدير دار الحديث في المدينة وناظرها الشرعي ، تشكل مجلس استشاري من العلماء يتولى النظر في شؤونها ، وكان المترجَم من بينهم.

لم يكن الشيخ رحمه الله معتنياً بالرواية والإجازات تبعاً لشيخيه ابن سعدي وابن باز[8] بل كان يعتني بالأهم وهو الدراية ، ولا أعلم له رواية عامة أو إجازة حديثية من أحد من شيوخه ، لكن وقعت له رواية مسلسل المد بالوجادة ، كما ذكر في كتابه الشرح الممتع.

قصص وعبر من شمائله :

الحكايات والمواقف ذات العبر عن المترجَم كثيرة ومشتهرة ، ولا تزال بين طلابه وعارفيه ومحبيه غضة طرية ، وأفرد شيئاً منها بالجمع بعض المشايخ ، وأسوق فيما يلي ما تيسر منها على عجالة ، للدلالة عبرها على بعض خصاله رحمه الله.

في الإخلاص :

ذكر معالي الشيخ عبدالله التركي أنه لما كان مديراً لجامعة الإمام صدر نظام للجامعة بشأن تصنيف المدرسين وترفيعهم حسب الأبحاث والدراسات ، فكان الشيخ ابن عثيمين لا يقدّم شيئاً ، وحينما فوتح في ذلك قال : إن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات ، وأن أهل العلم ينبغي لهم الاحتساب والعمل لوجه الله ، وما يجيء تبعاً فلا بأس به.

وذكر الشيخ وليد الحسين أنه قُدِّم للمترجَم مبلغ من المال مقابل محاضرات ألقاها في كلية التربية للبنات في عنيزة ، فرفض وقال للمحاسب : هل تريدني أن أتقاضى راتباً إزاء واجباتي تجاه بناتي وأخواتي في الدين؟

وذكر الدكتور عبدالله الموسى أن المترجَم أخذه مرة إلى مختصر في بيته ، وقال له : يا عبدالله! أنا وأنت هنا ، ولا يرانا إلا الله ، خذ هذا المال يقول : وكان المبلغ كبيراً وهو من مالي الخاص ، واشتر به مصاحف ، ووزعها على المحتاجين في السجون الأمريكية ، وأنت مسؤول عن الشراء وعن التوزيع ، وأسألك بالله ألا تبلغ بهذا أحداً. يقول الموسى : ولم أبلغ بهذا أحداً منذ وقته إلى الآن ، أما وقت انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى فلا أرى بأساً أن أذكر أنه كان من المنفقين في السراء والضراء ، وكان لا يريد علم الناس بذلك.

في الورع :

ذُكر عن الشيخ أنه كان قبل أن يخرج من الجامعة يفرّغ قلمه من الحبر ، ويقول : هذا الحبر للجامعة وأمورها ، ولا يحق لي استخدامه في أموري الخاصة خارجها.

ومن صور ورعه ما اشتُهر عنه أنه كان إذا غاب عن التدريس أو الإمامة ، يحسب نسبة الانقطاع ويخصمه من راتبه ، ولا يقبل أخذه ، مهما كان الغياب أو الانقطاع قصيراً! بل كان إذا تأخر عن الدوام في المعهد بضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور ، وكتب أمامه : بغير عذر!

ويذكر الشيخ عبدالرحمن النهابي أنه وصل لجمعية تحفيظ القرآن بعنيزة مبلغ مئة ألف ريال من الزكاة ، فأمر الشيخ بردّ المبلغ ومراجعة أصحابه ، لأنه يفتي بعدم جواز صرف الزكاة لجمعيات التحفيظ.

في الزهد :

قال الوزير السابق الدكتور محمد عبده يماني : كنا نلاحظ عفة الرجل وترفعه عن الدنيا ، فلم يكتب في طلب لجاه أو مال ، فعندما عرض عليه الملك خالد رحمه الله أن يشتري له منزلا اعتذر ، وفضّل أن يبقى في منزله قانعاً محتسباً ، واستأذن أن يدفع المال لبناء المسجد إلى جانب مرفق خيري ، كمكتبة في جوار المسجد بدلاً من أن يبني منزلا .

ومنزل الشيخ القديم متواضع جداً مبني من الطين ، زاره فيه الملوك ، منهم الملك سعود ، والملك خالد ، والملك فهد ، ولم ينتقل منه إلا بإلحاح شديد من أبنائه ، وبيته الجديد كان (فيلا) من النوع السكني المعتاد ، ومجلسه متواضع ، وزاره فيه الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد ، والأمير سلطان ، وكبار المسؤولين ، ومع زيارة الملوك والكبار له في بيته ما كان يطلب شيئاً خاصاً لنفسه ، بل يطلب ما فيه منفعة لعموم الناس في دينهم ودنياهم ، مع المناصحة الخاصة والطاعة بالمعروف.

ومرة أهدى له أمير القصيم سيارة أمريكية جديدة ، فشكره الشيخ ، ثم ردّها إليه قائلا : إنه لا حاجة له بها ، وإن سيارته القديمة وهي من النوع الرخيص تفي بأغراضه ، وكان يمشي دائماً من بيته لمسجده لجميع الفروض ولا يركب سيارة ، مع أن المسافة نحو ألف متر ، ويجعل طريقه لمراجعة القرآن وللأوراد والأذكار وإلقاء السلام ، وأحياناً يُقرأ عليه في الطريق.

في تحري السنّة والالتزام بها :

حدثني شيخي المحدّث سعد الحميّد ، قال : كنا مرة في أحد المجالس بالرياض ، وكنت أنا الأول من جهة اليمين في المجلس ، والشيخ في صدره ، فلما أعطوه فنجان القهوة أصر أن آخذ أنا أولاً بحكم أني الأول من جهة اليمين ، فأبيت أن آخذ قبل شيخنا؛ لأنه الأكبر علماً وقدراً وسنّاً ، فاستدل بالأحاديث الواردة في فضل الأيمن ، ومنها حديث أنه أعطى مَن على يمينه ، فقلت له : لكن النبي صلى الله عليه وسلم أُعطي أولاً مع أنه لم يكن هو الأول في المجلس ، فقال : إنما بُدئ به لأنه الطالب للشراب. فقلت : هما حديثان أحدهما فيه أنه طلب الشراب ، وليس في الآخر أنه طلب ، وأنا أعني حديث أنس في الصحيح : أَتَانَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في دَارِنَا هذه فَاسْتَسْقَى فَحَلَبْنَا له شَاةً لنا ثُمَّ شُبْتُهُ من مَاءِ بِئْرِنَا هذه فَأَعْطَيْتُهُ وأبو بَكْرٍ عن يَسَارِهِ وَعُمَرُ تُجَاهَهُ وَأَعْرَابِيٌّ عن يَمِينِهِ فلما فَرَغَ قال عُمَرُ هذا أبو بَكْرٍ فَأَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ فَضْلَهُ ثُمَّ قال الْأَيْمَنُونَ الْأَيْمَنُونَ أَلَا فَيَمِّنُوا قال أَنَسٌ فَهِيَ سُنَّةٌ فَهِيَ سُنَّةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

والحديث الآخر : حديث سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه قال أُتِيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ فَشَرِبَ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ هو أَحْدَثُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاخُ عن يَسَارِهِ قال يا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لي أَنْ أُعْطِيَ الْأَشْيَاخَ فقال ما كنت لِأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا يا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ .

فحديث أنس فيه أنه صلى الله عليه وسلم طلب السقيا (استسقى) ، وأما حديث سهل فقد أتي صلى الله عليه وسلم بالشراب ، ولم يُذكر فيه أنه طلبه.

يقول شيخي الحميد : لم تنته القصة هنا ، فلما رجع الشيخ لعنيزة اتصلت به كعادتي للاستفادة منه ، فعرفني ، وقال : انتظر! فإذا به أعد العدة ، وأحضر فتح الباري وقرأ الموضع ، وقال : اسمع ما يقول الحافظ. وكان الموضع يدعم وجهة نظره ، والشاهد : حرصه رحمه الله على السنّة والفائدة.

في تحري العدل :

ذكر الشيخ القاضي أحمد بن سليمان العريني أن الشيخ المترجَم لما درّسهم مادة العقيدة في كلية الشريعة بالقصيم : أجرى لهم امتحان أعمال السنة ، وبعد أيام جاء بالأوراق مصححة ، وسلّم الأوراق للطلاب الذين يزيدون على الثمانين ، وقال لهم : اقرؤوها ، ومن وجد أني ظلمته في شيء من الدرجات عند التصحيح فليراجعني. يقول : فأذكر أن أحد الزملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له!

في الدقة والأمانة :

تدل عليها القصة السابقة ، ويقول الشيخ عقيل بن عبدالعزيز العقيل : سلمني الشيخ كيسا كبيرا فيه أموال جُمعت لصالح المسلمين خارج المملكة ، ولما خرجت من بيته وأردت أن أركب السيارة؛ إذا بالشيخ يُقبل علينا قائلاً : في الكيس نصف ريال ، انتبهوا إليه لئلا يقع!

في عفة اللسان :

اشتهر أن الشيخ رحمه الله لم يكن يرضى بالغيبة في مجلسه لا تصريحاً ولا تلميحاً ، يقول الشيخ أحمد العريني : في يوم من الأيام كنا في درسه في الجامع الكبير بعنيزة ، فقام أحد الطلاب الخليجيين يسأل الشيخ ، فذكر في سؤاله أن أناساً في جامعة كذا في دولة كذا يفعلون كذا. وقبل أن يكمل سؤاله قاطعه الشيخ وزجره ، وقال له : لولا أنك غريب علينا ولا تعرف منهجنا لأخرجناك من الدرس ، ولكن لا تعد لمثل هذا.

في الحرص على نفع الناس :

إن الناظر إلى جدول المترجَم اليومي والأسبوعي يعجب من أنه يشغل وقته كله من الفجر إلى الليل في منفعة الناس ، وإذا كان في بيته يستقبل الفتاوى على الهاتف ، إذا كان في الطريق فهو في خير وعلم وذكر تقول زوجته : إن نومه المتصل كان ثلاث أو أربع ساعات ، ومجموع نومه في اليوم لا يصل إلى ست ساعات ، هذا جدوله العادي ، فكيف في أيام المواسم؟ لقد كان ينشط في رمضان والحج أكثر من سائر العام ، ولا يبالي بمشقة الصيام والحج في سبيل الدعوة إلى الله وإفادة الناس. ففي رمضان ذكر تلامذته أنه لا ينام إلا أربع ساعات فقط من كثرة اجتهاده في العبادة والخير والفتوى والتدريس.

أما في الحج فهذه قصة حدثنيها شيخي د. سعد الحميّد ، فقال لي : أكثر ما شدني في الشيخ صبره وحرصه على تعليم الناس وتربيتهم ، لاحظته سنة 1404 في المركز رقم (1) من مراكز التوعية في الحج ، منذ أن نزلنا من الحافلة وقبل أن ندخل الخيام توجه الشيخ إلى المصلى وأمسك بمكبر الصوت ، وجلس للناس ، وابتدأ الحديث ، واجتمع عليه الناس ، وأخذ في الفتوى والتذكير ، ولم يزل هذا ديدنه أكثر الوقت ، ونحن نرى أن له حقاً في الراحة ، لكنه رحمه الله كانت راحته في نفع الناس ، ولا شك أن المشاركين في مخيم

التوعية ما أتوا إلا لهذا الغرض ، لكن الشيخ فاقهم بصبره وجَلَده وتضحيته براحته ، فكنا إذا تعبنا نرتاح في الخيام ، وما يزال صوت الشيخ يجلجل في الآفاق ، فنعجب من قوة صبره وتحمله الساعات الطويلة التي لا يستطيعها الشباب!

وذكر الشيخ عبدالمحسن العباد أشياء من حرص الشيخ في توعية الحج ، وذكر من حرصه أنه خصص أوقاتاً للإفتاء عبر الهاتف وهو في منزله بعنيزة ، وإذا سافر جعل تسجيلاً على الهاتف يُرشد لرقم الهاتف في البلد الذي سافر له.

وذكر الأستاذ عبدالكريم المقرن المذيع المعروف أنه في إحدى مرات تسجيل فتاوى نور على الدرب أحس الشيخ بالنعاس ، وبدأ يدافعه ، ثم أوقف التسجيل ، وطلب أن يمد سلك اللاقط ليجيب عن الأسئلة وهو واقف ، وبعدها بدأ يجيب ويفتي وهو يمشي في المجلس ذهاباً وإياباً ليطرد النوم ، حتى أكمل تسجيل الحلقات.

ويقول : اتصل بي في صيف 1419 ليخبرني أنه في المدينة المنورة ، وزودني برقم الهاتف حتى نتمكن من الاتصال به عبر برنامج سؤال على الهاتف في وقته المحدد ، كي لا تفوت الفائدة.

وحقاً لم يشعر الناس بعظم المهمة التي كان يسدها المترجَم هو وشيخه ابن باز في الإفتاء إلا بعد وفاتهما!

في الحرص على دقائق أعمال الخير :

ذكر الأستاذ عبدالكريم المقرن أنه في إحدى مرات تسجيله لبرنامج نور على الدرب كان للشيخ محاضرة في فرع الجامعة ببريدة ، فطلب الشيخ منه أن يذهب في سيارته بعد التسجيل للمحاضرة ، فلما ركب في السيارة حاول الشيخ إنزال زجاج النافذة بجانبه ، يقول : فأخبرت الشيخ أن الزجاج به خلل ولا ينزل ، فقال الشيخ رحمه الله : لا بد من إنزاله يا عبدالكريم ، لأنني أريد أن أسلم على من أقابله من الناس. فرأيت

من حرص الشيخ وتحمسه ، فحاولت إنزال شيء من زجاج السيارة الذي عن يمين الشيخ ، ثم فتحت زجاج السيارة الخلفي ، فكنا أثناء مرورنا عند الإشارة والسوق كان يرفع صوته بالسلام على الصغير والكبير والماشي والقاعد ، ثم قال : يا عبدالكريم لا تحرمنا من الأجر!

ويذكر المقرن أنه كان يرى الشيخ إذا تناول معه الغداء بعد التسجيل يلعق الصحفة ، ويشرب ثلاثاً ، ويحرص على كل ما فيه تطبيق للسنة.

وحدثني الشيخ عمر الحفيان : أن الشيخ لما صار يزور مبنى إدارة مكتبة العبيكان لأجل طبع كتابه الشرح الممتع حان وقت الصلاة ، فسأل عن المسجد ، فقيل له : هنا مصلى يصلي فيه العاملون في الإدارة ، وهم جماعة كبيرة ، فسألهم : هل تُصلى فيه جميع الفروض؟ فقالوا : إلا الفجر ، فقال : لا حاجة لي في الصلاة فيه ، دلوني على أقرب مسجد ، فصار يمشي للمسجد كعادته على قدميه.

في مدى النفع والقَبول :

ذكر الشيخ الداعية أحمد بن عبدالعزيز الحمدان أنه رافق المترجَم سنة 1416 في سلامه المعتاد على الحجاج القادمين إلى مطار جُدة ، ودخلوا صالة استقبال كانت تضم حجاجاً من بعض جمهوريات آسيا الوسطى التي كانت تحت الحكم الشيوعي الروسي ، وكان جميع الحجاج من المسنين فوق الستين ، ثم بدأ الشيخ يتكلم عبر مكبر الصوت ويترجم لهم مرشد الحملة وهو الشاب الوحيد ، فلما فرغ الشيخ من حديثه جاء المرشد ليسلم عليه ، فأُخبر أنه الشيخ ابن عثيمين ، فإذا بالشاب ينظر للشيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه ، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ؟! فقالوا : نعم. فإذا به يحتضن الشيخ وعيناه تدمعان ، ويكرر اسم الشيخ فرحاً ، ثم أخذ مكبر الصوت ، ونادى في أفراد الحملة بكلام يقول الراوي : لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشيخ ، وكانت المفاجأة الكبرى عندما أخذ أفراد الحملة يبكون ، وارتفعت

أصواتهم وهم يرددون اسم الشيخ العثيمين ، فقال الشاب : يا شيخ هؤلاء كلهم طلابك! هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في الأقباء تحت الأرض لما كان تعليم الإسلام ممنوعاً عندنا ، وهم في شوق للسلام عليك ، فهل تأذن لهم؟ فأذن لهم الشيخ ، فأقبلوا يقبّلون رأسه ويديه وهم يبكون ويرددون اسمه. قال الراوي : فكان من أشد المواقف تأثيراً ، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلا وبكى تأثراً بما رأى وسمع.

وقال الشيخ محمد بن عبدالجواد الصاوي أحد مرافقي الشيخ وقارئ الأسئلة عليه في المسجد الحرام : في إحدى المرات كان ذاهباً فيها إلى البيت من الحرم بعد إلقاء دروسه ، وكنت كما هي العادة أذهب معه وأوصله إلى البيت : استوقف أحدَ المدخنين وهو يمسك دخينته ، ونصحه بلطف وهدوء حتى رمى هذا المدخن الدخينة من يده لما رآه من هيبة هذا الرجل الذي نصحه ، ورأى الناس خلفه بأعداد هائلة كلهم يريد سؤاله واستفتاءه ، فسألني وأنا أسير خلف الشيخ : من هذا؟ فقلت له : الشيخ محمد بن عثيمين ، فلم أكمل كلمتي إلا وصرخ من شدة دهشته للموقف ، وقال : والله لا أشرب الدخان بعد هذه المرة أبداً!

في التواضع :

يذكر الأستاذ محمد المشوح أنه لما استضاف المترجَم في برنامجه الإذاعي المعروف : في موكب الدعوة صدّر اللقاء بتقديم مختصر ، يقول : أثنيت فيه على الشيخ رحمه الله بما هو أهل له من الأوصاف العلمية والمديح الصادق ، فأوقفني وأوقف التسجيل ، وطلب حذف تلك المقدمة ، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح أو إطراء وثناء.

وفي لقاء آخر في الإذاعة بدأ المذيع في الثناء على الشيخ ، قائلا : فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، من أبناء عنيزة ، ومن علماء المملكة ، لكم تاريخه المعروف ، فما كان من الشيخ إلا أن قال بصوت ظهر في التسجيل : أستغفر الله وأتوب إليه .

وكان الشيخ رحمه الله يكره أن يُمدح ، ولا يرضى أن تُضفى الألقاب على اسمه ، وحدثني الشيخ عمر بن سليمان الحفيان أنه لما أراد طبع المجلد الأول من الشرح الممتع قام الشيخ وشطب بيده الألقاب من صفحة العنوان ، وأبقى اسمه مجرداً ، وقال : هكذا تطبعونه.

وهناك مقطع متداول للشيخ يمنع فيه أحد الطلبة بإصرار من أن يكمل قراءة قصيدة فيها مدح له.

وذكرت أم إبراهيم أنها وقفت في طريق الشيخ في الحرم أواخر حياته لتسأله عن فتوى ، فوقف مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقف حوله جمع غفير من الرجال يسمعون فتواه ، فقالت له : لا أستطيع الكلام وهؤلاء يحيطون بنا. فالتفت إليهم وأمرهم بالانصراف ، تقول : ثم انضم إلي مجموعة من النساء ، فاستمع الشيخ إلى استفتاءاتهن حتى فرغن.

وحدثني الشيخ عمر الحفيان أنه خرج مع الشيخ مشياً إلى المسجد القريب من مكتبة العبيكان في الرياض ، فمر في طريقه ببعض عمال النظافة ، فاقترب منهم ، وصافحهم مسلّماً عليهم بوجه بشوش ، وسألهم عن أحوالهم ، ويقول : لم يترك أحداً في طريقه إلا ويسلم عليه ، وكان يسلم على الأطفال الذين يلعبون الكرة في الشارع ، ويرشدهم بلطف للذهاب إلى المسجد!

وذكر الأستاذ سامي العزيّز أن ابنه أحمد وعمره ثمان سنوات قام بسحب الشيخ من بين تلاميذه إلى خارج المسجد قائلاً له : تعال سلّم على بابا سامي! يقول : وكنت خارج المسجد ، فرأيت الشيخ الجليل يخرج مع ابني أحمد بهيبته وهو يبتسم ، فقبّلت رأسه ، وشكرته ، واعتذرت منه على تصرف الولد ، ولكنه كان مسروراً جداً ، ولم يبد أي تضايق!

في عدم التكلُّف :

كان الشيخ رحمه الله مجانباً للتكلف في ملبسه ومظهره ، وكان مشلحه (البشت) من الأنواع العادية الرخيصة ، ويبتعد عن الأبَّهة والمظاهر ، كما كان سهلاً ليناً في تعامله ، ومن هنا توجد قصص كثيرة وطريفة عن عدم معرفة بعض الناس له ، وعدم توقعهم أن يكون هذا الشيخ ذو المظهر العادي هو الشيخ ابن عثيمين!

ومن أغرب هذه المواقف أن المترجَم كان عائداً من المسجد إلى بيته مشياً كالعادة ، فإذا حشد من الناس وطوق من الجنود حول منزله يمنعون أي شخص من الاقتراب ، فأراد الشيخ أن يخترق الجموع ليصل إلى منزله ، فمنعه الجنود بحجة أن الملك فهد يقوم بزيارة الشيخ ابن عثيمين! فقال لهم : أنا ابن عثيمين! وأكّد لهم ذلك؛ حتى وافقوا على دخوله منزله ، ليجد الملك ينتظره في المجلس!

في رقة القلب :

ذكر الشيخ خالد الحمودي أنه قُبيل وفاة الشيخ كان في مجلس وتليت قصيدة فيها ذكر الموت ، فبكى الشيخ بكاء شديداً ، وهو يسأل الله قائلاً : اللهم أعنّا على الموت اللهم أعنا على الموت!

في الصبر على الأقدار :

تقول زوجة الشيخ أنه لما علم بإصابته بمرض السرطان تلقى الخبر بالصبر والاحتساب ، وتقول : حتى إنه رحمه الله حمل همّ تلقينا نحن للخبر ، وقد ذكر لي أحد أبنائي بعد ذلك بأن الوالد رحمه الله طلب منهم عدم ذكر شيء لوالدتكم وأخواتكم ، واتركوا ذلك لي ، وقد قام رحمه الله بنقل الخبر لنا بالتدريج ، نسأل الله تعالى أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته.

وتقول : أما صور صبره رحمه الله فقد تجلت أثناء مرضه ، فقد كنت أعلم أنه يعاني آلاماً شديدة ، وقد كان

الألم يوقظه من نومه عدة مرات في الليل ، ولكنه عندما يُسأل عن الألم كان يرد بوجود ألم ، ولكنه يضيف : بأنني أقول ذلك من باب الإخبار ، وليس من باب الشكوى ، لأنه رحمه الله يعرف جزاء الصابرين.

في العبادة :

ذكر الشيخ حمد العثمان الكويتي أحد أصحاب المترجَم أن الشيخ كان لا يترك قيام الليل حتى في السفر ، ومرة سافر مع الشيخ للعمرة بالسيارة ، وعند العودة استسلم الجميع للنوم لشدة التعب ، يقول : واستيقظت من النوم في منتصف الليل ، وإذا بالشيخ قائم يصلي ، فقلت في نفسي : يا سبحان الله! أنا شاب أستسلم للنوم ، وهذا شيخ كبير يستسلم للصلاة والعبادة؟ فتوضأت ثم شرعت في الصلاة اقتداء بالشيخ ، فحاولتُ أن أصارع النعاس وأغالبه ، فلم أتمكن من ذلك حتى صرعني النعاس ، فخلدت إلى النوم ، وتركت الشيخ يصلي!

في الرحمة :

ذكر الشيخ أيمن أبانمي حادثة شهدها فيها عبرة وطرفة ، قال : كان في أحد دروسه في سطح الحرم ، فأتت هرة بين الصفوف ، والشيخ كان يلقي الدرس ، فأوقف الشيخ الدرس وقال : ماذا تريد هذه الهرة؟ لعلها تريد ماء ، اسقوها ماء. فسقوها ، ثم ذكر الشيخ فائدة عن حكم سؤر الهرة ، ثم قال بعد ذلك : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرة! فضحك الجميع.

في إنكار المنكر :

يقول الدكتور سعود مختار : من مواقفه التي لا أنساها أنه دعي إلى إلقاء محاضرة في إحدى المؤسسات الرسمية ، وكانت ثمة صور كبيرة في المنصة بشكل فيه تعظيم لا يليق ، فأمر الشيخُ مسؤولَ المؤسسة أن ينزلها ، فأبى ، فأصر ورفض أن يبدأ محاضرته قبل إنزال الصور ، ولما رفض هذا المسؤول أخذ الشيخُ

طلابه الذين كانوا بالآلاف وانتقل بهم إلى مسجد قريب ، حيث أقام المحاضرة! مما اضطر هذا المسؤول للحاق به والاعتذار.

وذكر الشيخ ناصر القفاري أن المترجَم لما سمع بمظاهرة بعض النسوة في الرياض لأجل قيادة المرأة للسيارة وبعض المطالب التغريبية : اتصل الشيخ بأمير الرياض في منزله ، فأخبروه أنه نائم ، فطلب إيقاظه وأن يبلَّغ أن ابن عثيمين يريده في أمر ضروري ، فلما كلمه أخبره الشيخ بما حصل ، وأوصاه أن يتدخل بنفسه في وضع حد لذلك.

ومن الجدير بالذكر أن منهج الشيخ في إنكار المنكرات العامة كان عبر مناصحة المسؤولين بالإسرار ما استطاع ، بعد التأني والتثبت ورؤية الطريقة الأنسب ، وكان يُنكر الأساليب غير المنضبطة مثل التشهير والتهييج العام.

في دقة المواعيد والمحافظة على الأوقات :

يذكر الشيخ عبدالله الطيار وفقه الله موقفا عجيباً ، يقول : إن الشيخ دعاه دعوةً خاصة للغداء أواخر سنة 1403 ودعا معه عميد كلية الشريعة ووكيلها فقط ، وطلب منه الحضور الساعة الثانية ظهراً ، وأكّد عليه بعدم التأخر. ويقول : إنه تأخر في الخروج مع العميد لبعض الأشغال في الكلية ووصلا بعد عشر دقائق (فقط!) من الموعد ، يقول : فتفاجأنا بأن الشيخ راكب في سيارته! فنزلت وقلت له : أين تذهب يا شيخ؟ فقال : الأولاد عندكم تغدوا معهم! فقلت له : ما جئنا من أجل الغداء ، جئنا لنجلس معك ، ووالله إن ذهبت لن ندخل! فضحك الشيخ ، وقال : لا بأس ، بشرط ألا تتأخر مرة أخرى! فقلت : إن شاء الله ، ولكن السبب كذا وكذا. فأعطانا الشيخ درساً عملياً في دقة المواعيد والاهتمام بها والحرص عليها.

ومن أجلى صور محافظة الشيخ على وقته أن عدداً من المتون قرئت عليه في طريقه وممشاه الدائم من بيته لمسجده ، وكذا صححت عليه مجموعة من المذكرات ، وكانت الجموعُ تمشي معه وتستفتيه. وذكر الشيخ وليد الحسين أن الشيخ كان يجيب على الفتاوى وهو يأكل طعامه ، يقول : وكان يغتنم الوقت في سفره ، فكنت كثيراً ما أراجع معه مذكرات الدروس التي كتبتها عنه ، وإذا كان السفر بالسيارة مسافات بعيدة تزيد على خمس ساعات يملأ الطريق فائدة ما بين قراءة للقرآن أو مراجعات أو قراءة في كتاب ، أو يخلو بنفسه في مراجعته.

ولما سئلت زوجة الشيخ : لماذا لم يكن الشيخ يحنّي لحيته أجابت : لم يكن لديه الوقت!

في سعيه في منفعة الناس :

لن أتكلم عن شفاعته ومساعدته للمحتاجين أو مساعيه الخيرية ، ولا سعيه لنفع الناس في دينهم ، فكل ذلك كثير مشتهر ، ولكني أتناول سعيه في مساعدة الناس في أمورهم الدنيوية ، يحكي الشيخ عبدالرحمن النهابي أن الشيخ كان يتحدث كثيراً مع من يزوره من المسؤولين في مختلف الموضوعات والمشاريع التي تهم عامة البلد وتنفعه ، ومن ذلك لما عانى أهل عنيزة نقص المياه سعى لدى المسؤولين لإيجاد حل ، ولما علم أن من الأسباب حاجة المدينة إلى مزيد من الآبار شجع الأهالي لزيادتها ، وقال إنه سيتولى جمع المبلغ المتبقي لاستكمال التكلفة المتوقعة ، وفعلاً استطاع جمع مليوني ريال قبيل مرضه ، وحصل النفع والصدقة الجارية بإذن الله على بلده.

ويذكر الأستاذ عبدالكريم المقرن أن الشيخ كانت تأتيه مهاتفات للسلام والاطمئنان عليه من بعض مناطق المملكة ، فكان يسألهم أيام المواسم عن هطل الأمطار ، وكان يسر بسماع خبر وفرتها ، ويحمد الله ويشكره.

في عنايته بأسرته وصلة أرحامه :

مع ازدحام وقت الشيخ بالأعمال الجليلة يذكر ابنه الأستاذ عبدالرحمن أن أباه خصص ليلة الجمعة كل أسبوع لزيارة عمته في عنيزة ، وكان حريصاً ألا يفوّت فرصة زيارتها. وتقول زوجة الشيخ : كان للعائلة رحلة أسبوعية وهي يوم الجمعة بعد الصلاة ، حيث نخرج إلى منطقة برية قريبة ونتناول طعام الغداء ، وكان يستغل ذلك الوقت في مشاركة أبنائه في بعض المسابقات ، كالجري ، وحل الألغاز ، وكان يصطحب معه بندقية صغيرة ، ويتبارى مع أبنائه في الرماية ، وغير ذلك.

وتقول : إن سعادته في منزله كانت تتجلى في جلساته مع أبنائه كباراً وصغاراً ، وبعد ذلك كنت تلحظ علامة السعادة والفرح عند استقباله لأحفاده ، فكان رحمه الله يفتح عباءته (بشته) ، ثم يدخلهم ، ويبدأ بالسؤال عنهم ، ثم يفتح (بشته) ، ويكرر ذلك عدة مرات ، بعدها يأخذهم إلى مكتبته ، وكان يحتفظ بها بنوع معين من الحلوى كنا نحرص على ألا يجدوه إلا عنده رحمه الله ، فيعطيهم منها ، وكانوا يسمونها : حلاوة أبوي ، كما كان رحمه الله برغم مشاغله يعودهم في منازلهم إذا سمع بمرض أحدهم ، وكذلك يذهب لزيارتهم في المستشفى إن كانوا هناك ، وكان لذلك أكبر الأثر في نفوس الأحفاد وآبائهم وأمهاتهم.

وقالت : وكان رحمه الله ينظم وقته ويهتم بذلك كثيراً ، فللتدريس والفتوى والدعوة وقت ، وللعبادة أوقات ، وللأسرة والأبناء وقت ، وكذلك للالتزامات العائلية وصلة الرحم أيضاً وقت ، وكان رحمه الله عندما لا يستطيع الوفاء بالالتزامات الأسرية حضورياً كان يحرص على المشاركة ولو هاتفياً ، حتى لو تغيب رحمه الله عن المنزل سواءً في ارتباطاته العلمية والتدريسية داخل عنيزة أو إذا كان مسافراً : كان رحمه الله متابعاً لأبنائه ، بالسؤال عنهم هاتفياً ، وكذلك بتفقدهم عند عودته ، ودوري لا يُذكر ، فقد كان حسه معنا دائماً ، وفي العموم كنت أُشعر الأبناء بأن والدهم مسؤولياته كبيرة وأعماله كثيرة ، وأصبّرهم بذلك ، وكان رحمه الله يعوضهم عن ذلك حال عودته.

في حسن الخلق :

القصص في حسن خلق الشيخ كثيرة جداً ، من ذلك ما يحكيه الأستاذ عبدالله بن إبراهيم السلوم : أن أحد فنيي الكهرباء الهنود من غير المسلمين كان عمل في منزل الشيخ مدة ، يقول : ثم عمل عندي ، وقال لي : أسلمت. فقلت له : كيف؟ فقال : أسلمت بسبب تعامل الشيخ اللطيف معي. ويقول السلوم : كان يتعامل مع الجميع بالحسنى.

ومرة كان الشيخ عائداً من المسجد الحرام إلى مقر إقامته ، فإذا ثلة من الشباب يلعبون الكرة وقد انشغلوا عن الصلاة ، فوقف الشيخ ينصحهم ويذكرهم ، ولم يعرفوه ، فقام أحدهم ورفع صوته على الشيخ وجعل يسبّه ، فأخذ الشيخ يلاطفه ، وقال له : تفضل معي إلى السكن لنتحدث ، وأقنع من بجانب الشيخ الشاب أن يسمع كلام الشيخ ، فلما دخل مقره استضافه ، ثم غاب عن المجلس لدقائق ، فقال الحاضرون للشاب : هل تعرف من هو هذا الشيخ؟ فقال : لا! فقالوا : هذا الشيخ ابن عثيمين فتغير وجه الشاب ، فما إن دخل الشيخ حتى قام إليه الشاب منكباً على رأسه يقبله وهو يبكي ، وكان هذا الموقف سبباً في هداية هذا الشاب واستقامته.

في الديانة والورع في الفتوى :

كان الشيخ رحمه الله لا يستنكف عن التراجع عن رأيه إن ترجح له خلافه ، ولهذا تراجع عن عدد من المسائل ، منها ما أخبرني الشيخ عمر الحفيان أنه راجع المترجَم في مسألة كون الحيض ينقطع في الحمل ليكون غذاء للجنين كما ذكر بعض الفقهاء ، وأحضر له مراجع طبية ، فرجع عن القول بذلك.

وذكر الأستاذ عبدالكريم المقرن أنه في أثناء تسجيل برنامج سؤال على الهاتف مع المترجَم جاءه سؤال عن صحة حديث ، فتوقف وقال : الله أعلم ، وأرجو أن تحيلوا هذا السؤال بخصوص هذا الحديث إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

كما ذكر أن الشيخ كان يقول في برنامج نور على الدرب : أرجو من الأخ السائل ألا يطرح السؤال بهذه الصيغة : ما حكم الشرع في المسألة الفلانية ، بل يجب أن يصحح سؤاله ويقول : ما حكم الشرع في نظركم في المسألة الفلانية ، أو : ما رأيكم في المسألة الفلانية؟ لأن العالم قد يُخطئ ، فيُنسب القول إلى الشرع ، والأمر خلاف ذلك.

مؤلفاته :

كان الشيخ محباً للتأليف ، يقول : إنه تشجع عليه لأمرين ، أولهما : أن المؤلف يحرص غاية الحرص أن يتعمق في المادة التي يريد التأليف فيها ، فهذه فائدة عظيمة للمؤلف ، أضف إلى ذلك أنه تعمق فيها وقيّد ما تعمق به في هذه المؤلفات ، فستمكث في نفسه أكثر ، والأمر الآخر لتشجيع شيخه ابن سعدي كما تقدم.

ولكن نظراً لانهماك الشيخ في التدريس والفتوى والإرشاد غالب وقته لم يتمكن من الإكثار في التأليف ، فكانت غالب مؤلفاته التي حررها إما من المذكرات الدراسية ، أو رسائل ضئيلة الحجم غالباً ، لكنها محررة ومفيدة[9] ، وجُلّ آثاره التي بين أيدي الناس الآن هي مما فرّغه وجمعه تلامذته ومحبّوه من الدروس والفتاوى.

وقد نهض الشيخ آخر عمره لتحرير بعض كتبه المهمة ومراجعتها ، وعلى رأسها كتابه العظيم : الشرح الممتع ، ولكن توفي دون إتمامه ، فتولى الأمر بعض تلامذته وغيرهم ، والغالب خرج بإشراف اللجنة العلمية لكتب سماحته.

وساق الشيخ وليد الحسين أكثر من مئة عنوان من تآليف المترجم ، غالبها كتيبات صغيرة وفتاوى ، وأما كتبه الكبيرة المطبوعة فمن أهمها :

مجموع الفتاوى ، في بضع وعشرين مجلداً.

الشرح الممتع على زاد المستقنع.

شرح رياض الصالحين.

شرح كتاب التوحيد.

شرح الواسطية.

شرح عمدة الأحكام.

شرح بلوغ المرام.

لقاء الباب المفتوح.

فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، وهو من أقدم مؤلفاته ، طبع سنة 1380.

تفسير القرآن.

شرح البخاري.

ونظراً لحسن تآليفه درّس بعضها كبار المشايخ ، وفيهم من مشايخ المترجم ، مثل سماحة الشيخ ابن باز ، وشيخنا عبدالله بن عقيل ، وكذلك بعض أقرانه ، مثل شيخنا ابن جبرين ، وأما من بعدهم فكثير ، وأما كتابه مجالس رمضان فلا تُحصى المساجد التي قرئ فيها هذا الكتاب النافع.

وتُرجمت بعض رسائله لعدد من اللغات ، وطبع منها نسخ كثيرة على نفقة المحسنين.

مرضه ووفاته :

كانت سنة 1420 سنة وفاة العلماء الكبار ، وعلى رأسهم ابن باز والألباني ، وكنت كغيري من محبي أهل العلم نعقد الآمال بأن يكون في بقاء الشيخ المترجَم عوض وجبران لفقد أولئك.

ولكن قدر الله غير ذلك ، ففي تلك السنة بدأ الإعياء يظهر في سماحة الشيخ ، وفي سنة 1421 تبين أنه مصاب بسرطان القولون ، وبدأ يسري في جسده ويفتك به سريعاً.

ولما علم الشيخ بمرضه صبر واحتسب ، ولم يغيّر شيئاً من نشاطه في التعليم والفتوى والخير ، ثم لما علم ولاة الأمر بما أصابه ألحوّا عليه بالسفر إلى أمريكا للعلاج ، فوافق الشيخ على طلبهم ، وسافر.

وكانت أيام الشيخ العشرة التي قضاها في أمريكا عجيبة من حرصه على الوقت والإفادة لجموع المسلمين هناك.

رجع الشيخ إلى بلده للعلاج ، ولم يتوانَ برغم المرض والتعب والنصب عن أمور الخير والإفادة ، ذكر الأستاذ عبدالكريم المقرن أن الشيخ واصل تسجيل حلقات سؤال على الهاتف وهو في سرير المستشفى ، وذهب في رمضان إلى مكة ، وواصل دروسه ، إلى أن اشتد عليه التعب في التاسع والعشرين منه ، وقال في ختام درسه ذلك اليوم : لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا. فذرفت العيون.

ومن الدرس نُقل الشيخ للعناية المركزة في جُدة ، وما إن شعر ببعض التحسن حتى عاد ليلقي الدرس في الحرم عبر مكبر الصوت ، وهو محمول وجهاز الأُكسجين على فمه ، ثم صلى العيد في الحرم ، وبعد الظهر رجع للعناية المركزة ، وقال الأطباء الذين أشرفوا عليه إنه كان كثير الصلاة ، ولا ينقطع عن الذكر والدعاء حتى دخل في غيبوبة الموت ، وتوفي رحمه الله تعالى عصر الأربعاء 15 شوال 1421 في المستشفى التخصصي بجدة.

وكانت وفاته مصيبة عظيمة حلّت بالمسلمين وأصابهم من جرائها من الحزن والأسى ما أصابهم ، وصدر بيان من الديوان الملكي بوفاته ، وتحديد الصلاة عليه في الحرم المكي عصر الخميس 16 من شوال.

وكانت الجنازة عظيمة مشهودة قدم لها الناس من مختلف مناطق المملكة ، بل من خارجها أيضاً ، وقُدّر المشيعون بنصف مليون إنسان ، يتقدمهم كبار العلماء والمسؤولين ، وصلى عليه الشيخ محمد السبيّل ، ودُفن الفقيد في مقبرة العدل بجوار شيخه سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز ، رحم الله الجميع.

وصُلّي على الشيخ صلاة الغائب في جميع أنحاء المملكة يوم الجمعة 17 من شوال ، وفي عدد من البلدان ، وفي عامة المراكز الإسلامية في أوربا وأمريكا.

وصارت وفاته حديثَ الناس والإعلام مدة ، وكُتب عنه ورثي بالكثير والكثير ، مما كان له أكبر الدلالة على ما حباه الله من قبول.

رحمه الله تعالى ، وأخلف في المسلمين أمثاله ، ونفع بعلومه.

من ثناء العلماء عليه :

قال شيخه سماحة الشيخ **ابن باز** في تقريظه لرسالة المترجَم في العقيدة : أخونا العلامة فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين . ومضى الكلام على تقديره له ، وتلقيبه له بسماحة الشيخ.

ولما سئل الإمام **الألباني :** من تعرف من العلماء الفقهاء المجتهدين في هذا الزمان؟ بدأ بسماحة الشيخ ابن باز ، ثم ذكر ابن عثيمين ، وشمس الحق العظيم آبادي ، والمباركفوري ، ولم يسمِّ غيرهم ، وهذا مسجَّل متداول.

أما شيخنا **عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل** فقد سمعت منه ثناء كثيراً على المترجم ، فسمعته يصفه بالشيخ العلامة ، ويستشهد ببعض اختياراته وفتاويه ، ويضرب به المثل بالفقه قائلاً : أُلين لعبدالرحمن العثيمين التاريخ والتراجم كما ألين لابن عمه الفقه.

ولما سألته عن تلمذة المترجَم عليه قال لي : من جهة أنا شيخ له ، ومن جهة هو شيخ لي ، فقد كنا نجتمع ونتباحث كل ليلة للتحضير لدروس شيخنا ابن سعدي ، فأفيده ويفيدني ، وهو كان ذكيا نبيهاً منذ صغره.

وسمعت شيخنا لما سئل عمن ينصح بالقراءة له من المعاصرين نصح بأربعة من كبار العلماء : ابن سعدي ، وابن باز ، وابن عثيمين ، والألباني.

وقال سماحة المفتي الشيخ **عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ :** الشيخ محمد غفر الله لنا وله لا تخفى على الجميع مكانته وآثاره العلمية كان نعم الزميل ، فقد كان رجلاً ذا علم وفضل ومناقشة وعدم اعتداد بالرأي إذا رأى الصواب .

وقال شيخي سماحة الشيخ **عبدالله بن جبرين :** نرجع نحن وغيرنا إلى مؤلفاته القيمة التي تعب فيها وحققها وجمع فيها كل ما حضر إليه ، وكل مسألة كتبها تدل على عمق اختياره .

وقال الشيخ **عبدالمحسن العباد :** عَلَم من أعلام العالم الإسلامي ، له جهود كبيرة في العناية بالعلم ونشره وبذله وإفادة طلبة العلم ، ألا وهو الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين والشيخ ابن عثيمين رحمه الله قد أخذ من العلم بحظ وافر ، وبذل جهوداً عظيمة في نشره وإفادة طلاب العلم . وقال : إنه لما كان يأتي المسجد النبوي ويلقي الدروس كان الطلاب يطلبون مني أن أوقف الدرس ليحضروا دروسه ، فكنت أوقفها ليتمكنوا من الاستفادة منه ، وكنت أحضر دروسه معهم في بعض الأحيان .

وقال : للشيخ رحمه الله مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة ، فقد رُزق القبول ، وأحبه الناس ، وحرصوا على سماع دروسه وفتاويه ، واقتناء آثاره العلمية ، وأشرطة دروسه ومحاضراته ، وهو عالم كبير ، وفقيه متمكن ، وهو محل التوقير والإجلال من الولاة والعلماء وطلبة العلم ، وكان من تقدير الولاة في هذه البلاد له أنهم عندما يزورون القصيم يزورونه في منزله ، فقد زاره الملك خالد ، والملك فهد ، والأمير عبدالله ، والأمير سلطان ، وهو أهل للتوقير والاحترام ، وهو مع ذلك من أشد الناس تواضعاً ، ومحبة للخير ، ونفعاً للناس ، وإشفاقاً على الطلبة ، وحرصاً على إفادتهم وتحصيلهم للعلم ، وجمعهم العلم والعمل .

وهذا ضمن محاضرة مفردة عن حياة المترجم.

ويذكر الشيخ **أحمد بن عبدالعزيز الحمدان** أن جماعة من الشباب ذهبوا إلى مصر في مهمة رسمية ، واختلفوا بينهم في بعض المسائل ، فذهبوا إلى الشيخ **عبدالحميد كشك** رحمه الله ، يقول : فلما عرف أنهم من السعودية قال لهم : تسألونني وعندكم الشيخ محمد العثيمين ؟! قالوا : يا شيخ تعرفه؟ قال : أنا أستمتع بسماع تأصيله العلمي في دروسه .

وقال الشيخ **يوسف القرضاوي** : رحل عن عالمنا العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، وقد شيعتُ جنازته مع الوفد الذي أوفدته دولة قطر ، وكان رحمه الله من كبار علماء المملكة العربية السعودية ، وكان له دوره في الإفتاء والتعليم والدعوة والإرشاد ، وكان منهجه رحمه الله اتباع الدليل من الكتاب والسنة ، وفقاً لمنهج السلف الصالح ، سواء في أمور العقيدة ، أم في أمور الشريعة وعرفت فيه حسن الخلق ، وسماحة النفس ، وتواضع أهل العلم إن وفاة الشيخ العثيمين يمثل خسارة كبيرة للعلم والعلماء في هذه المرحلة التي فقدت فيها الأمة عدداً من الأعلام ، ابتداء بالعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وقد ختمت اليوم بالشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعوض هذه الأمة الإسلامية عامة ، والمملكة العربية السعودية خاصة عن هذا العالم الكبير ، الذي نسأل الله له المغفرة والرحمة والرضوان ، وأن يجزيه عن العلم

والإسلام والمسلمين خير ما يجزي به العلماء العالمين والدعاة الصادقين .

وقال أيضاً : الأمس ودعت المملكة العربية السعودية أحد علمائها الكبار ، بل هو أكبر عالم فيها ، وهو الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، عضو هيئة كبار العلماء ، وأحد رجال العلم والفتوى المعدودين في عصرنا ، وقد ذهب وفد من قطر شاركتُ فيه لتقديم العزاء لأسرة الفقيد وللمشايخ وللعلماء وللحكومة السعودية ، وصلينا عليه في المسجد الحرام وتجاه الكعبة المشرفة ، فرحم الله الشيخ ابن عثيمين ، لقد عاش هذا الرجل للعلم وللدين ، لم يجر وراء المناصب ، بل عاش مدرّساً ومعلماً ومفتياً ومرشداً .

وسمعت شيخي الحافظ **ثناء الله بن عيسى خان** ، مفتي أهل الحديث في باكستان ، في محفل ختم صحيح البخاري في الكويت سنة 1428 ، بعد أن تطرق لحديث : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن ينزعه بقبض العلماء ، فقال بعده عبارة أثرت في كثير من الحضور : أين ابن باز؟ أين الألباني؟ أين ابن عثيمين؟ أين شيخنا الحافظ عبدالله الروبري؟ كان عديم النظير في زمانه؟ أين الحافظ الغوندلوي؟ أين حماد الأنصاري؟ لقد صار العلماء كما قال الحافظ الذهبي : كدت ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت التراب . هذا أو معناه.

وقال الشيخ **عبدالمجيد الزنداني** : رأيت عالماً متمسكاً بالكتاب والسنة ، حريصاً على الدليل بسيطاً مع تلاميذه ، حريصاً على إفهام الفكرة وتوضيحها ، محباً للناس الخير كنا نجد الشيخ ابن عثيمين متابعاً لقضايا الأمة ، متفهماً للصور المستجدة في عصرنا لقضايا الناس ، خبيراً في إعادة الأمور إلى أصولها الشرعية ، ولذلك كان يفتي الناس عن علم بحقائق الأمور التي هم عليها ، وعلى علم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعُرف عنه الصدق ، وفعل الخير ، والشجاعة ، والحمد لله كان محل ثناء وتقدير من أبناء الأمة وعلمائها ، كان الدليل حاضراً معه ، وكذلك كان يستحضر أقوال العلماء وما وصلوا إليه ، وكان يسير على منهج سليم في إعادة الأمور إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لفتاواه أثر كبير خارج إطار المملكة

العربية السعودية أرى أن الشيخ ابن عثيمين كان يكن كل محبة لعلماء عصره ، ويتعاون معهم . وذكر أنه حضر دروسه في الحرم.

ووصفه شيخي **د. سعد بن عبدالله الحميّد** ، وهو تلميذه ، بقوله : هو الإمام ، شيخ الإسلام ، فقيه هذا الزمان ، الورع ، العابد ، الزاهد.

وقال الشيخ **عبدالرحمن السديس** إمام المسجد الحرام وخطيبه ضمن كلام طويل عال ومؤثر : العلامة الجهبذ إنه أنموذج شامخ في التقوى والصلاح والزهد والورع ، وعلم بارز في السنة ، وقمة سامقة في العلم ، وآية وحجة من حجج الزمان ، وأئمة هذا العصر والأوان بفقده وأمثاله تنقص الأرض من أطرافها كما قال حبر الأمة ابن عباس لقد كان الشيخ رحمه الله مرجعية عالمية في الفقه والفتوى والنوازل ، ولقد شهدت ذلك عن كثب إبان زياراتي الدعوية المتواضعة لأمريكا وأوربا ، فقد كتب الله له القبول يعد الشيخ رحمه الله من بقية السلف الصالح ، وإماماً من أئمة أهل السنة والجماعة ، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ، فهو ممن قل نظيره ، وممن جل أن ترى العيون مثله بلا مبالغة ، لما حباه الله عز وجل ، فهو موسوعة علمية وأخلاقية ودعوية ومنهجية يقل نظيرها ، فهو أئمة في إمام ، وأمة وحده ، ونسيج بمفرده ، وطراز مستقل ، طالما نفع الله به ، وذاع صيته وعلا قدره ، واستفاد منه القاصي والداني ، متميز المنهج ، فذ العبقرية ، معتدل الرؤى ، متماسك الشخصية ، متوازن النظرة .

هذه بعض النصوص المختارة في الثناء عليه.

**ذريته وعقبه :** تزوج المترجَم ثلاث مرات ، الأولى ابنة عمه ، توفيت على إثر ولادة ، ثم تزوج ابنة الشيخ عبدالرحمن الزامل العفيسان ، لكن لم يستمر الزواج ، ولم تنجب منه ، وتزوج بعدها أم عبدالله بنت إبراهيم التركي ، وأنجبت له خمسة من البنين ، كما أن له ثلاث بنات.

وأبناؤه : عبدالله ، وعبدالرحمن ، وإبراهيم ، وعبدالعزيز ، وعبدالرحيم.

وزوّج ثنتين من بناته لطالبين من أبرز أصحابه ، وهما الشيخ سامي الصقير ، والشيخ خالد المصلح.

نسأل الله أن يبارك في ذريته ، ويصلحهم ، آمين. ، انتهى [6]

## ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله :

### ترجمته بقلم متعب بن سعد السلمي :

### اسمه وكنيته ونسبه :

هو الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن جبرين.وكنيته : أبو محمد.

---

[6] من مصادر ترجمته : أذكر فيما يلي أهم المصادر التي رجعت إليها في هذه الترجمة :

1) لقاء مع المترجَم في الإذاعة سنة 1403، وأعده أهم المصادر في الترجمة.

2) برنامج مرئي في القناة السعودية الأولى عن حياة المترجم، ومقابلات مع بعض تلامذته وعارفيه.

3) محاضرة للشيخ عبدالمحسن العباد من أقران المترجم، وطُبعت في كتيب بعنوان : الشيخ محمد بن صالح العثيمين من العلماء الربانيين .

4) الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين : للشيخ وليد الحسين من أصحاب المترجم ولعله أجود ما قرأته عن الشيخ، واستفدت منه الكثير، وفي آخره جمعٌ حافل للمراثي التي قيلت فيه.

5) ابن عثيمين الإمام الزاهد : للشيخ الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني، ويمتاز بجمع كثير من المقالات التي كتبت في المترجم، وبعضها متميز ومهم، استفدت منها كثيراً، إضافة لجمع المراثي.

6) مواقف وذكريات مع كبار العلماء : للأستاذ عبدالكريم بن صالح المقرن.

7) لقاء مطول مع أم عبدالله زوج الشيخ، في مجلة المتميزة العدد 45 سنة 1427.

8) لقاء مع المترجم ضمن سلسلة : على طريق الدعوة ، من إنتاج تسجيلات التقوى، والفائدة المتعلقة بالترجمة فيه قليلة.

وهناك كتب استفدت منها فوائد عارضة، مثل :

9) جوانب من سيرة الإمام ابن باز.

10) مراسلات العلماء مع ابن باز.

11) في وداع الأعلام : للشيخ يوسف القرضاوي.

12) وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم : للشيخ يوسف الصبحي.

إضافة إلى المشافهات والمذكرات الشخصية.

من آل رشيد وهم فخذ من عطية زيد وبنو زيد قبيلة مشهورة بنجد , كان أصل وطنهم مدينة شقراء ثم نزح بعضهم

إلى بلدة القويعية في قلب نجد. ولد الشيخ عبدالله ابن جبرين في سنة ١٣٤٩ هـ في إحدى قرى القويعية ونشأ في بلدة الرين.

من العلماء الذين أخذ منهم العلم : أولهم والده فقد بدا بتعليمه القراءة والكتابة وكان رحمه الله من طلبة العلم وأهل النصح والإخلاص والمحبة.

من أكبر المشايخ الذين تأثر بهم : شيخه الكبير عبدالعزيز بن محمد أبو حبيب الثري رحمه الله تعالى.

ومن العلماء الذين قرأ عليهم واستفاد من مجالستهم : فضيلة الشيخ صالح بن مطلق رحمه الله تعالى.

ومن أشهر المشايخ الذين قرأ عليهم وتابع دروسهم : سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمة الله تعالى.

وقرأ في الدراسة النظامية على جملة من العلماء : كالشيخ إسماعيل الأنصاري وعبدالعزيز بن ناصر بن رشيد ومحمد الأمين الشنقيطي.

من أبرز طلاب الشيخ الذين أخذوا منه العلم :

الشيخ سعد بن عبدالله الحميد وفقه الله.

الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم وفقه الله

الشيخ إبراهيم عبدالله الغيث وفقه الله.

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد وفقه الله.

الشيخ غبدالعزيز بن محمد السدحان وفقه الله.

الشيخ فلاح بن مطلق العطري وفقه الله.

**من أعماله ومناصبه :**

أولها إنه بعث مع الدعاة إلى الحدود الشمالية في اول عام ١٣٨٠ هـ بأمر الملك سعود.

ثم تعين مدرسا في معهد إمام الدعوة في شعبان عام ١٣٨١ هـ

عين خطيبا في جامع والدة الأمير عبدالرحمن المقرن بالسويدي حتى مات رحمة الله

قام بالتدريس في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك في عام ١٤٠٨ هـ حيث أسند إليه درس الفقه.

والشيخ رحمه الله من المكثرين من التدريس فالكتب التي يشرحها في الأسبوع الواحد تقارب السبعين وهو مع ذلك محتسب لا يأخذ على تدريسه أجرة رحمه الله.

**من أخلاق الشيخ :**

كان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول تأبى القلوب للأسخياء إلا حبا وإن كإنو فجارا وللبخلاء إلا بغضا

وإن كانوا أبرارا قلت : وكيف إذا جمع الله بين الكرم والبر فهو خيرا على خير وقد جمع الله لشيخنا الكرم

وبذل المال والبر وكيف إذا جمع الله بين الكرم والبر فهو خيرا على خير وقد جمع الله لشيخنا الكرم وبذل المال والبر والتقوى نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحد.

كان عالما ورعا تقيا فاضلا خمائل الصلاح عليه لائحة وأنوار الهدى والتقى فيه واضحة مع مكارم أخلاق وطيب أعراق.

كان كثير الذكر والتلاوة للقران لاسيما في الليل.

كان متواضعا عند العامة وأوقع الله محبته في قلوب الخلق وكان كثير الدعاء والابتهال.

من اختيارات الشيخ العلمية والفقهية :

في كتاب العبادات.

المعاملات.

الدعاء.

## الكتب التي شرحها الشيخ :

في التفسير : مثل كتاب الطبري , تفسير أحكام القران , تفسير البغوي , ابن كثير , الشوكاني.

في الحديث : شرح كتاب صحيح البخاري , مسلم , أبي داوود , الترمذي , النسائي وانتهى منهم عدة مرات.

في كتب العقيدة : شرح كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة , كتاب السنه للخلال , كتاب السنة للصابوني , كتاب العظمة لأبي الشيخ , كتاب الشريعة للآجري.

أفردت كتب شيخ الإسلام ابن تيميه لأن الشيخ رحمه الله تعالى يحب كتبه

شرح كتب شيخ الإسلام ابن تيميه ماعدا درء تعارض العقل والنقل وبيان تلبيس الجهمية لأنه لم يطبع إلا متأخرا وكتاب الرد على المنطقيين.

كتب الفقه الحنبلي.

كتب أصول الفقة.

كتب القواعد الأصولية والفقهية.

كتب النحو.

كتب السيرة.

**من مؤلفات الشيخ المطبوعة :**

المجلدات ومنها تخريج أحاديث شرح الزركشي.

الكنز الثمين.

أخبار الآحاد.

حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

العذب الزلال.

شرح أصول السنة.

السبك الفريد.

شرح كتاب التوحيد.

**الكتب :**

الحلول الشرعية للخلافات الزوجية.

السراج الوهاج للمعتمر والحاج.

تربية الأجيال وتنشأة الأطفال.

الصيام آداب وأحكام.

الجواب الفائق لمن بدل الحقائق.

**الرسائل :**

ومنها : سبعون مخالفة تقع فيها النساء.

الآداب والأخلاق الشرعية.

الأمانة.

التدخين.

الحسد.

الدعوة إلى الله.

السحر.

الشباب والفراغ.

الصلاة والحج.

العمل الصالح.

الوصايا العشر.

### من مواقفه المضحكة :

اشتكى إليه رجل أن إمامه في الصلاة يطيل يقرأ سورة عبس (٤٢) اية فقال الشيخ اجعله يقرأ سورة الحشر (٢٤) آية.

كنت مرة عند الشيخ فرن الهاتف فرد الشيخ وأطال المتصل فعندما أغلق الشيخ الهاتف قال ياأبى سعد اتصلت فتاة تقول إن شابا خطبها وهو من أهل الباديةويبدو أنها من أهل الحاضرة فرفض أبوها فطلبت مني أن أقنع أباها بزواجها منه والشيخ يبتسم ويقول كذا يصنع العشق , متعجبا.

### الشيخ وبذله للعلم :

يهتم بنشر علمه ليس هناك مدينة في بلاد الحرمين إلا دخلها ولم يخرج من البلاد البته ومن قال أنه خرج فقد أخطأ.

وكان يذهب إلى القرى من أجل تعليم الناس دين الله.

### من عبادة الشيخ :

كثير العبادة حج لبيت الله ما يقارب خمسين مرة والعمرة في السنة لا تقل عن خمس مرات.

الشيخ كثير الصيام لنوافل يومي الإثنين والخميس والأيام البيض.

الشيخ كثير الصدقة ما يسأل عن شيء إلا أعطاه يخرج ما في جيبه ولا ينظر إليه فإذا ذهب كل ما عنده طلب من بجانبه من طلابه فحثه على الصدقة فاذا لم يعطه أحد أخبر الفقير أن يأتيه في بيته فيعطيه.

**خاتمة :**

هذه بعض سيرة شيخنا العلامة عبدالله بن جبرين رحمه الله وذكر بعض مؤلفاته وشروحه وقد اختصرت كثيرا

فليعذرنا المحب.

وقد قيل فيه عندما مات :

ياسائلي عن الشيخ ابن جبرين رزق الهدى من للهدى يسال

حب المشايخ كلهم لي مذهب وإنما ابن جبرين منهم أفضل

وأخيرا أسأل الله أن يغفر لشيخنا عبدالله ابن جبرين ويسكنه الفردوس الأعلى

وأن يبارك الله في علمه وصلى الله على محمد.

من كتاب مختصر رياض المحبين

في سيرة الشيخ ابن جبرين رحمه الله

١٣٤٩ هـ ١٤٣٠ هـ

تأليف : متعب بن سعد السلمي الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ

ترجمة الشيخ ابن جبرين ، بقلم عبدالوهاب الزيد

هذه ترجمة لشيخنا العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله قلت عنها إنها موثقة لأن شيخنا رحمه الله قرأها وعدل فيها وأقرها. وقد كتبها فضيلة الشيخ المحدث عبد الوهاب بن عبد العزيز الزيد صاحب موقع جامع أهل السنة والحديث وهي منقولة منه وهذا رابطها :

### ترجمته بقلم عبد الوهاب بن عبد العزيز الزيد :

قال فضيلة الشيخ المحدث عبد الوهاب بن عبد العزيز الزيد حفظه الله مترجما لشيخنا العلامة الجبرين رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

### رحيل فقيه العلماء ابن جبرين

وفاة سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمة الله تعالى عليه.

فُجعت أُمَّةُ مُحمدٍ صلى الله عليه وسلَّم بعد ظهر يوم الإثنين ٢٠/رجب/١٤٣٠ هـ بوفاة سماحة الإمام الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأعلى منزلته في عليين وجعل مأواه جنات الفردوس.

وأقل حقوق شيخي علي أن أذكر شيئاً من ترجمته وسيرته المليئة بالعظات والعبر ، وهي ترجمة كتبتها في حياة شيخنا ـ رحمه الله وعرضتها عليه وصوبها بخط يده ، أعرضها بنصها ، ولم أضف عليها ماتجمع لدي فيما بعد ، وسأضيف كل ذلك في الترجمة التي ضمنتها كتابي (المغني في تراجم وأسانيد أهل السنة والحديث) وهذه مقدمات مهمات بين يدي هذه النرجمة :

أولاً : إن وفاةَ عالمٍ ربَّانيّ من علماء أهل السُّنَّة ليس بالأمر الهيّن على المسلمين ، إذ هؤلاء العلماء الربانيون هم نورُ هذه الأمَّة وطريقُ هدايتها وسبيلُ رشادها ، وهم ورثةُ الأنبياء. وبوفاةِ هؤلاء العلماء تنقصُ الأرضُ

من خيارها وهداتها كما فسَّر بذلك بعض أهل العلم قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد : ٤١] .

ثانياً : سماحةُ شيخنا رحمه الله تعالى قد زكَّى علمَه الذين حواه قلبُه وعقلُه ، فقد كان يعطي من العلم لطلاَّبه وعامةِ الناسِ ما لا يقوى عليه الكثير من أهل العلم ممن سبقه أو أدركه ، فقد كان يدرّس في الأسبوع أكثر من أربعين درساً لطلاّب العلم في عدّة مساجد في مدينة الرياض وحدها؛ في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، هذا غير المحاضرات التي كان يلقيها في المساجد ولا تحصر ، بل غير الكلمات الوعظيّة التي يلقيها في المحافل وغيرها. بالإضافة إلى الرحلات الدعوية السنوية التي يزور فيها كثيراً من مدن وقرى المملكة ويلقي فيها الدروس العلمية ، والمحاضرات والكلمات الوعظية ، وقلَّ أن تجد ناحيةً من نواحي البلاد إلاَّ وللشيخ ابن جبرين تلاميذ فيها ، بل له في كثيرٌ من الأقطار العربية والإسلامية تلاميذ يدينون له بالفضل في تعليمهم.

ثالثاً : حوى شيخنُا علماً كبيراً ، وحفظاً غزيراً ، إذا تكلَّم في مسألةٍ كأنما يَغرفُ من بَحْرٍ؛ لكثرة علمه وسعة محفوظاته ، وقد كان في قوّةِ علمِه رحمةً للسُّنَّةِ وأهلها ، شديداً على أهل الأهواء والبدعِ وأهلها ، ناصحاً لله ولرسوله ولعامةِ المسلمين ، وكان مقصداً للمستفتين من المسلمين ، وكان رحمه الله إماماً فقيهاً له فتاوى مهمة في النوازلِ كفتواه في جواز الرمي قبلَ الزوالِ ، وجواز توسعة المسعى ، وغيرهما من فتاواه المهمة التي يستشهد بها أهل العلم.

رابعاً : اقتضاء العِلْمِ العَمَل؛ فسماحةُ شيخنا رحمه الله تعالى عالمٌ جمع بين العلمِ والعمل ، والصلاح والعبادة ، وقد كانت أوقاته مليئة بالطاعات ، وقلَّ أن رأينا أو رأى الناسُ مثله ، وكان رحمه الله قُدوةً حسنةً مثالاً للعالمِ الصالح المُوافق قوله عمله وهذا ظاهر لكل من خالط الشيخ.

خامساً : لِينُ سماحةِ شيخنا رحمه الله تعالى للناس عانة ولطلاَّب العلم خاصة ، فلم نرَ بعد سماحة الإمام شيخنا عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى في هذا مثله ، فقد كان غايةً في التواضعِ والمباسطةِ ، وقد كانت له أيادٍ بيضاء لكل من عرفه أو لجأ إليه في حاجة يحتاجها في أيّ مكانٍ وعند أيّ شخصٍ ، وشفاعاتُ شيخنا لا يمكن عدّها وحصرها ، وابتسامته للناسِ كلهم لا يفرّق بين رفيعٍ أو وضيعٍ ولا كبيرٍ أو صغير ، وكذلك مجلسه في بيته يَغصُّ بالناسِ والمحتاجين؛ فيشفع لهذا ويعطي ذاك ويزكّي الآخر ، وهكذا دأبه رحمه الله مع المحتاجين ، ولشيخنا اهتمامٌ خاص بطلاَّب العلم وتحبيبهم إلى العلم.

سادساً : إمامةُ شيخنا ابن جبرين رحمة الله عليه ومنهجه العلمي المتميز :

سأوجز بيان ذلك من جهات سَبْع ، وإلا فالمقام يحتاج لبسط وبيان يطول :

الأولى : تميّزُ شيخنا بأنه عالِمٌ يذكرك بعلماء السلف؛ لايقول أو يعمل إلا بما أدى إليه اجتهاده ونظره العلميّ ، مع الورع في الفتوى ، وهذا ممَّا لفت نظري منذ أن ابتدأتُ الدراسة على يديه.

الثانية : تميّزُ شيخنا بإتقانه لعلومِ الشريعةِ والآلةِ بما هو مشهودٌ له فيه من كبار أهل العِلم ، بل يُعدُّ شيخنا أحدُ أركان العِلْم في هذا العصر ، وإمامٌ لأهل السُّنَّةِ ومرجعٌ لأهل العِلمِ من أقرانه وطلاَّب العِلم في سائر الأقطار الإسلامية.

الثالثة : قوّةُ شيخنا العلميّة ونظرته الأصولية بما يُراعي المصالحَ العامّة للمسلمين حيث أفتى في نوازِلَ عِلميّة بما أدى إليه اجتهاده كما سبق ذكره ، وسعة فقهه ممّا أحجمَ عنه الكثيرُ من أهل العِلم.

الرابعة : التيسيرُ في الأحكام هو سبيلُ شيخنا في فتاواه ولكن بضوابط سيأتي بيانها في الفقرة التالية ، وهذا أمر ظاهرٌ لمن تأملَ فقه وأحكام وفتاوى شيخنا.

الخامسة : حِرْصُ شيخنا على تقرير رأي الجمهور في المسائل العلميّة دون التقيّد بمذهبٍ معيّنٍ لايتجاوزه ، وهذا إذا لم يؤدي إلى التشديد في المسألة أو يُخالفُ دليلاً مُحْكمُ الدِلالة.

السادسة : الأدبُ التربويُّ الجمُّ الذي تميَّز به شيخنا مع تلاميذه ومحبّيه ، وهذا لاشكَّ أمر واضح في منهج شيخنا ، وكم من شيخ قل عنده هذا الجانب التربوي المهم فذهبت بركة علمه ونفر عنه الناس.

السابعة : تميّزُ شيخنا بالحفظ للمسائل وأدلتها وأقوالِ أهلِ العِلم فيها بما يَنْدرُ وجوده في كثيرٍ من أهل العِلم اليوم ، وقد بهرَ شيخنا كلَّ من رآه أوسعع كلامه ، فرحمه الله ورفع مقامه.

وهذا أوان الشروع في ترجمة شيخنا وإمامنا العلاَّمة عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين عليه من الله الرحمة والرضوان.

ترجمة سماحة الإمام الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين رحمه الله تعالى.

(١٣٤٩ هـ ١٤٣٠ هـ)

**اسمه ونسبه :**

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين بن محمد بن عبدالله بن رشيد ، من بني زيد القبيلة المشهورة ، وكان أصلهم في شقراء ، ثم تفرقوا إلى كثير من القرى ومنها القويعية بلدة الشيخ. وأخواله هم آل مسهر المشهورون هناك ، وجدُّه لأمه يلقب بمسهر ، واسمه عبدالرحمن بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن رشيد ، فعثمان أخو جبرين.

**مولده :**

ولد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية ، في بلد محيرقة ، وهي إحدى قرى القويعية.

نشأته وطلبه للعلم :

نشأ الشيخ حفظه الله تعالى في قرية الرّين ومحيرقة ، وقرأ القرآن وتعلَّم العلم على والده ، وعلى عمه إمام جامع المحيرقة الشيخ سعد بن عبدالله بن جبرين بن فهد ، وعلى قاضي الرين فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري أبو حبيب الداعية المعروف رحمه الله ، وكان عمره في بداية طلبه للعلم عشر سنوات.

وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً عند ما كان عمره سبعة عشر عاماً ، وأول متن حفظه عن ظهر قلب هو ثلاثةُ الأصول ، ومتن الأربعين النووية ، والرَّحبية في الفرائض ، والآجرُّومية في النحو.

وحصل لشيخنا من التفوق والنجاح ما يرجع إلى أمرين هامين :

أولا : توفيق الله سبحانه وتعالى له ، حيث هيأ له سبل العلم والفهم ، وجعله ممن يقدِّمون العلم على كل شيء ، فهو الموفق لكل خير ، وبيده مفاتيح العلم والفهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانيا : إنكبابه على العلم والمذاكرة والبحث والاطلاع ، مع انشغال غيره بما لا يعود نفعه إلا لنفسه ، فهو أعطى وقته كله للعلم ، فوصل بإذن ربه عز وجل إلى ما وصل إليه.

وطلبُ العلم في القِدَم في زمن الشيخ لا شك أنه كان من الصعوبة بمكان ، حيث لا اتصالات ، ولا تقنيات ، ولا مواصلات سريعة ، فكان الذي يطلب العلم يطلبه بصدق وصبر وتحمل مشاق ، وقد تحمل الشيخ في ذلك مشقة عظيمة ، إذ كان يسافر من بلد إلى آخر مشيا على الأقدام ، وإن وجد راحلة فهي الإبل ، ومن المعلوم أن الركوب على الإبل لا فرق بينه وبين المشي على الأقدام إلا الشيء اليسير من الوقت ، بل قد لا تتحصل الرواحل لكل أحد.

**ومما ذكره الشيخ في سفره قديماً :**

أولا : سفره إلى بلدة محيرقة سنويا في الغالب وقت الصيف ، للقراءة على إمام جامع محيرقة سعد بن عبدالله بن جبرين رحمه الله تعالى ، وبالأخص في القرآن الكريم ، وكان سفره على الرواحل من المطايا ، والمسافة بين الرين ومحيرقة نحو خمس وستين كيلاً ، وتقطع في يومين قاصدين ، لكن السير يكون نهاراً ، مع إراحة الرواحل وقت القيلولة ، والاستظلال تحت شجر العضاه حتى تنكسر حرارة الشمس.

ثم يواصل السير مع من معه آخر النهار مع أول الليل ، ثم ينزل وقت العشاء ، ويبيت إلى الصباح ، ويتعاقب الاثنان أو الثلاثة على بعير يركب كل واحد عقبه ، ويسير الآخر إذا كان قادراً على المسير كما هي عادة المسافرين منذ القدم.

ثانياً : ذهابه للعَالِمِ في المكان البعيد سيراً على الأقدام ، فهناك عالمٌ كبيرٌ وهو الشيخ صالح بن مطلق عليه رحمة الله ، وكان إماماً في إحدى قرى الرين ، فكان يذهب إليها راجلاً بصحبة والده رحمه الله ، وبعض زملائه للتزود من علم الشيخ صالح رحمه الله ، والاستفادة منه يوماً أو نصف يوم ، وإن تيسر ركوب حمار فهو من وسائل التنقل ، وهي تبعد عن قرية الشيخ ثمان كيلو متر وكان يقطعها في ساعتين تقريباً.

وكثيرا ما يقدم الشيخ صالح إلى القرية التي فيها الشيخ رغم كونه ضرير البصر تواضعاً منه واعترافاً بفضل الشيخ عبدالعزيز الشثري ، فيتحمل مشقة السير راجلاً ذهاباً وإياباً ، ولمدة ساعتين في الطريق للسلام والإفادة والاستفادة رحم الله الجميع ، فهنالك يستقبل الشيخ صالح بالحفاوة والاحترام ، ويلقي على الحاضرين أنواعا من الفوائد في الآداب والأحكام والغرائب ، ويودع بمثل ما استقبل به من الإكرام رحم الله الجميع.

## انتقال الشيخ للرياض لطلب العلم :

وبعد انتقاله إلى الرياض عام ١٣٧٤ هـ التحق بمعهد إمام الدعوة واستمر فيه دارساً إلى أن انتهى من القسم العالي في عام ١٣٨١ هـ.

وكان حفظه الله تعالى متفوقاً في المراحل الدراسية كلها ، وكان الأول بين الطلاب الناجحين.

قلتُ : وقد حدَّثني الشيخ العلامة القاضي عبدالرحمن بن سحمان أن الشيخ ابن جبرين والشيخ ابن فوزان كانا يفتيان أيام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى.

**مشايخه :**

وأما مشايخه الذين قرأ عليهم فمنهم :

١ سماحة الشيخ المفتي العام للمملكة محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ.

٢ فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ الفَرَضيّ المعروف رحمه الله.

٣ سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز. المفتي العام للملكة رحمه الله.

٤ فضيلة الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» رحمه الله.

٥ فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد. رئيس مجلس القضاء الأعلى رحمه الله.

٦ فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي. نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد رحمه الله.

٧ فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري. العلامة المحدّث والأستاذ بالجامعة الإسلامية رحمه الله.

٨ فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد. الفقيه الفَرَضيّ رحمه الله.

٩ فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري. العلامة المحدّث والباحث في إدارة الإفتاء رحمه الله.

١٠ فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن هويمل.

١١ فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم المهيزع.

١٢ فضيلة الشيخ عبدالحميد عمار الجزائري.

١٣ فضيلة الشيخ محمد البيحاني.

١٤ فضيلة الشيخ محمد الجندي المصري.

١٥ فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد أبو حبيب الشثري. وقد قرأ عليه شيخنا «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم».

١٦ فضيلة الشيخ صالح بن مطلق رحمهم الله جميعاً.

**تدريس شيخنا لطلبة العلم :**

في عام ١٣٨١ هـ درَّس شيخنا في معهد إمام الدعوة.

وفي عام ١٣٩٥ هـ درَّس شيخنا في كلية الشريعة.

وفي عام ١٤٠٩ هـ درَّس شيخنا في المعهد العالي للقضاء.

وفي عام ١٤٠٢ هـ باشر شيخنا العمل في دار الإفتاء وهي برئاسة شيخه المفتي العام سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله حتى عام ١٤١٧ هـ حيث تقاعد الشيخ بعد أن مُدِّدَ له.

أما ابتداء شيخنا التدريس للطلبة ففي سنة ١٣٨١ هـ وذلك في معهد إمام الدعوة ، ثم في بيته عام ١٣٨٧ هـ ، وأول مادة ألقاها على طلابه في البيت متن الرَّحبية في الفرائض ، وكان عدد الطلاب ما يقارب أحد عشر طالباً أغلبهم من اليمن.

وفي عام ١٣٨٩ هـ جلس لطلاب العلم في مسجده لما عُيّن إماماً فيه ، وهو مسجد آل حماد قرب دخنة ، ودرَّس كما هي عادة المربين من أهل العلم بالمتون المختصرة كثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، والعقيدة الواسطية ، وغيرها.

ثم نقل الدَّرس من مسجده إلى المسجد الواقع بحلة الحمادي بسبب هدم المسجد ، وجاهد هناك في استمرار الدرس بكرةً وعشياً ، مع إقبال طلبة العلم لحضور دروسه.

وفي عام ١٣٩٨ هـ بدأ بدرس في العقيدة تخصص به بعض الطلاب ، وذلك لمدة يومين في الأسبوع بعد العشاء ، وكان ابتداؤه في المنزل في حلة الحمادي ، ونقلهم إلى منزله الحالي في شبرا ، وما زال يتزايد العدد حتى نقل الدرس إلى المسجد المجاور لمنزله.

وقد أنابه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى كي يدرّس في الجامع الكبير وذلك بعد المغرب لمدة أربعة أيام في الأسبوع.

وفي عام ١٤٠٨ هـ أقام شيخنا درساً في مسجد (السالم) في العليا في العمدة في الفقه ، وغيره في الاعتقاد.

وفي عام ١٤٠٩ هـ أقام درساً في مسجد الراجحي بالربوة ، يشرح فيه كتاب «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي رحمه الله. ثم تعددت دروس الشيخ في عدد من المساجد ، وحتى الآن وللشيخ دروسٌ في مختلف أنحاء الرياض.

**صفاته :**

والشيخ حفظه الله تعالى له خصال عديدة يتميز بها.

منها : سماحته لطلاب العلم ورفقه بالطلبة والحرص عليهم. وكذلك قيامه بتسهيل أمور العامة من المسلمين والشفاعة لهم عند المعنيين من ولاة الأمر والوجهاء وأهل الخير والاحسان. فشيخنا حفظه الله له اعتناء بهذا الشأن من البذل والعطاء ما يفوق الوصف ، ويشبه في هذا بشيخه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

ومنها : أنه حفظه الله أكثر العلماء بذلاً للعلم في الوقت الحاضر ، تجد مثلاً يشرح كتباً عديدة تصل أحياناً إلى عشرة أو تزيد في وقت واحد ، كبعد الفجر مثلا أو بعد العشاء. وأيضاً فقد تعددت الأماكن التي يدرس فيها الشيخ في أنحاء متفرقة خلال أيام الأسبوع بكامله.

### تلاميذُ شيخنا ابن جبرين :

وتلاميذُ شيخنا كُثُر لا يمكن حصرهم ، وفيهم العلماء والقضاة وطلبة العلم ، ومنهم :

١ الشيخ القاضي محمد بن عبدالله العمار.

٢ الشيخ صالح بن غانم السدلان. أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام.

٣ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز المهنا. العضو القضائي بالمحكمة الكبرى الرياض.

٤ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن عبدالله بن ناصر الوشقيري. العضو القضائي بالمحكمة الكبرى الرياض.

٥ الشيخ القاضي عبدالله بن إبراهيم بن عبدالكريم العريني. العضو القضائي بالمحكمة الكبرى بالرياض.

٦ الشيخ القاضي عبدالله بن عبدالرحمن بن عثمان الدهش. العضو القضائي بالمحكمة الكبرى الرياض.

٧ الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن جارالله الجار الله. العضو القضائي بالمحكمة الكبرى الرياض.

٨ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبداللطيف العجلان. العضو القضائي بالمحكمة المستعجلة بالرياض.

٩ الشيخ القاضي عبدالله بن ناصر بن محمد السليمان. قاضي محكمة الضمان والأنكحة بالرياض.

١٠ الشيخ القاضي سعد بن عبدالعزيز العسكر. العضو القضائي بمحكة الخرج.

١١ الشيخ القاضي عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن سلمة. قاضي محكمة الدرعية.

١٢ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن المشعل. قاضي محكمة مرات.

١٣ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن زيد العميقان. قاضي محكمة القويعية.

١٤ الشيخ القاضي محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله الهويمل. قاضي محكمة الرين بمحافظة القويعية.

١٥ الشيخ القاضي مسعود بن عبدالرحمن بن عمار الحقباني. رئيس محاكم وادي الدواسر.

١٦ الشيخ القاضي عبدالرحمن بن سعد بن عبدالرحمن بن الشيخ حمد بن عتيق. القاضي بمحكمة وادي الدواسر.

١٧ الشيخ القاضي عبدالعزيز بن سعود بن عبدالعزيز العمار. قاضي محكمة الأرطاوية.

١٨ الشيخ القاضي عبدالرحمن بن محمد المغامس. كاتب عدل الحوطة.

١٩ الشيخ القاضي إبراهيم بن محمد بن علي العسكر. قاضي محكمة الأفلاج.

٢٠ الشيخ القاضي سعد بن ناصر بن سالم الفريدي. قاضي محكمة الفيضة بالسر.

٢١ الشيخ القاضي سعد بن عبدالله بن حميميد الهويمل. مساعد رئيس محكمة ساجر.

٢٢ الشيخ عبدالعزيز بن محمد السدحان.

٢٣ الشيخ بدر بن ناصر البدر.

٢٤ [الشيخ] سعد بن فلاح العريفي.

٢٥ [الشيخ] أحمد بن عبدالرحمن بن مهنا.

٢٦ [الشيخ] إبراهيم بن عبدالله بن غيث. الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٧ [الشيخ] عثمان بن عبدالرحمن بن شعلان.

٢٨ [الشيخ] عبدالله بن عبدالرحمن الشثري.

٢٩ [الشيخ] عبدالإله بن سالم الشمري.

٣٠ [الشيخ] محمد بن أبكر بن معيض رحمه الله.

٣١ [الشيخ] عبدالعزيز بن عبدالله الجهني.

٣٢ [الشيخ] سعد بن عبدالله بن حُمّيد. أستاذ الحديث بجامعة الملك سعود ، .

٣٣ [الشيخ] سعد بن عبدالله البريك. الداعية المعروف.

٣٤ [الشيخ] عبدالله بن علي بن عامر.

٣٥ [الشيخ] يوسف بن زين الله بن محمد العطير.

٣٦ [الشيخ] عصام بن عبدالعزيز العويد.

٣٧ [الشيخ] خالد بن محمد الحمود.

٣٨ [الشيخ] تركي بن عبدالعزيز العقيل.

٣٩ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد. المحدث المشهور.

٤٠ كاتب هذه الأسطر عبدالوهاب بن عبدالعزيز الزيد.

٤١ [الشيخ] عبدالرحمن بن عبدالعزيز أبا نمي.

٤٢ [الشيخ] عبدالله بن ناجي المخلافي.

**وألف شيخنا عدداً من المؤلفات ، منها :**

١ أخبار الآحاد في الحديث النبوي.

٢ الشهادتان معناهما ومدلولهما.

٣ الجواب الفائق في الرد عل مبدل الحقائق.وسيأتي نص الكتاب بكامله في عقيدة شيخنا.

٤ التدخين مادته وحكمه في الإسلام.

وأيضاً فقد جمع بعض تلاميذ الشيخ بعض فتاويه ودروسه ، ومنها :

الكنز الثمين في فتاوى الشيخ ابن جبرين.

الثمرات الجنية شرح المنظومة البيقونية. اعتنى بإخراجها الأخ الشيخ أبو أكثم سعد بن عبدالله السعدان.

الدرر المبتكرات في شرح أخصر المختصرات.

السبك الفريد في شرح كتاب التوحيد.

إعداد : الشيخ محمد أمان الجبرتي. وقد عمل جزاه الله خيراً ترجمة مطولة في أول كتابه لشيخنا ابن جبرين ، وقد استفدت منها في ترجمتي هذه. وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه.

شرح القواعد الأربع ، اعتنى به الأخ الشيخ عبدالله بن ناجي المخلافي وهو قيد الطبع.

وللشيخ دروس كثيرة في كتب الفقه والحديث والاعتقاد واللغة وغير ذلك وهي لا زالت في أشرطة مسجلة. أسأل الله أن يقيض لها من يخرجها. إنه سميع مجيب.

وقد حقق شيخنا حفظه الله كتاب «شرح الخرقي». للفقيه شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد الزركشي (٧٧٢ هـ) . وكان تحقيق شيخنا له لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وأشرف شيخنا حفظه الله على طبع كتاب «حاشية الروض المربع».

صلتي بشيخي ابن جبرين [رحمه الله تعالى] :

هو شيخنا العلامة الفقيه المجتهد المفتي سماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابن جبرين.

وهو شيخي الذي تعلمت العلم على يديه ، وأخذت عنه القرآن والفقه والاعتقاد والحديث وفنون العلم وكان جامعاً حافظاً بارعاً مفتياً إذا تكلم في شيء فهو عَلَم فيه.

وقد انتفع طلبة العلم من دروس شيخنا حفظه الله وانتفعوا بعلمه وسعة اطلاعه ، ورسوخ قدمه في النظر والتحقيق ، والجرأة العلمية التي تميز بها دون كثير من أقرانه.

ولا زال شيخنا يدرّس ويعلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فلا يكلّ ولا يملّ في ذلك ، فله دروس بعد الصلوات طيلة أيام الأسبوع حتى بلغت أكثر من (٣٠) ثلاثين درساً نفع الله بعلمه.

وشيخنا ابن جبرين هو أول شيخ لازمه منذ أن بدأت بطلب العلم وكان ذلك في عام ١٤٠٥ هـ ولأكثر من ثلاث سنوات متواصلة وكانت دراستي على شيخنا ابن جبرين قبل دراستي عند شيخنا ابن باز بأشهر ، فلازمت حلقة شيخنا في الجامع الكبير خاصة وفي بعض دروسه في بعض المساجد عامة ، فدرست عنده واستفدت منه الكثير الكثير ، والعلم الأصيل. بحمد الله تعالى.

وإن أهم ما استفدته من شيخنا أمران :

الأول : أخذت عنه صحة الاعتقاد مما هو مقرر عند أئمة الإسلام حتى أئمة الدعوة في نجد.

الثاني : وقلّ وجوده عن كثير من المشايخ في العالم الإسلامي وهو فتح الباب في النظر في آراء العلماء فقهاء الملة في الحدود المطلوبة شرعاً ، وأن كلام الفقهاء ليس شرعاً وإنما الشرع هو أدلتهم . ، وكان الشيخ في درسه يتكلم على المسائل الفقهية بطلاقة فتراه يبسط الأقوال لأئمة الفقه ويعرض الأدلة ، ويرجح منها ماكان على أصول الفقهاء وهي معرفة القرآن ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس ثم المصالح وغير ذلك من القواعد المعروفة عند الأئمة فلم أجد شيخنا يتقيد بمذهب الإمام أحمد ويتعصب له ، ولا لمذهب آخر ويدلّل له ، بل كثيراً ما أجده ينحو لرأي الجمهور سواء وافق قول أحمد أم خالفه ، ويعتمد الدليل في ذلك بحسب قوة دلالته ورجحانه.

وهذا كله أوجد عندي بحمد الله أن الحُجَّة في العلم هو الفهم الصحيح للأصول والقواعد قبل النظر في الأقوال وحججها ، وأن رأي الرجال له قيمته وأهميته لكن في حدود الموافقة أو المخالفة لحجج أهل العلم ،

وفوق ذلك كله قوة الدلالة ورجحانه ولهذا لم يستغرب فتوى شيخنا في مسائل لم يقل بها إلا القليل من السابقين ، ومنها فتواه في الرمي في الحج ، وفتاواه مشهورة ومعروفة.

وبحمد الله تيسر لي الاستفادة من شيخنا ما تقدم ذكره ، وكتبت في مسائل فقهية من ذلك الوقت وهي لا زالت عندي ، ولم أطبع منها سوى «الاستسقاء» فحمده المشايخ وأهل العلم. والحمد لله أولاً وآخراً.

الكتب التي درسناها على الشيخ :

بحمد الله لازمت شيخنا كما تقدم من عام ١٤٠٥ هـ وقل أن انقطعت عن دروسه إلا ما ندر لأكثر من ثلاث سنوات متواصلة ، وحتى الآن وأنا أحضر دروس شيخنا حفظه الله.

انتهت الترجمة التي قرأها شيخنا رحمه الله بنفسه وصحَّحها ، وكما تقدَّم سيضاف إليها ماعندي من الزيادات والتوسّع السابقِ ذِكره ، وكذا إضافة أسماء تلاميذ شيخنا وهم كُثُر من العلماء والقضاة وطلبة العِلم حيث لم يذكر في النُّسخة الأولى التي قرأها شيخنا سوى عدد قليل منهم.

**وفاة شيخنا ابن جبرين رحمه الله تعالى :**

أُجريَ لشيخنا عملية في القلب قبل ستة أشهر في مستشفى الملك فيصل التخصصي ، وتعرَّض بعدها بأسبوع إلى مضاعفات وصعوبة في التنفّس أدت إلى إصابته بالتهاب رئويّ ، ممّا استدعى عمل فتحة للأكسجين في القصبة الهوائية ، وسافر إلى المانيا وبقيَ هناك لمدة شهر ، ثم عاد وبقيَ في العناية بمستشفى التخصصي حتى قُبضت روحه بعد ظهر الاثنين ٢٠/ ١٤٣٠/٧ هـ ، وصُليَ عليه في الجامع الكبير؛ جامع الإمام تركي بن عبدالله بالرياض بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء ٢١/ ١٤٣٠/٧ هـ وحضر الصلاة جمعٌ غفيرٌ من المشايخ وطلاب العلم وجماعة المسلمين حتى امتلأة بهم الشوارع والطرقات ، وكان عددهم بالآلاف.

أسأل المولى الرحمن الرحيم أن يلحق شيخنا {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) } .

والحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه تلميذه الباحث العلميّ بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ، عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن زيد الزيد بالطائف

٢١/ ١٤٣٠/٧ هـ

## فصل في ذكر جهود الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وفتاواه في التبليغ :

### الحال الدعوية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود:

كانت حالة المملكة العربية السعودية فى عهد الملك عبدالعزيز[7] رحمه الله حالة متواضعة من كل جوانبها ، فمن الناحية الاقتصادية كانت المملكة فى حالة يرثى لها ولم تكن فى الرخاء والسعة التى تعيشها اليوم وكذلك من الناحية السياسية الدولية لم تكن ذات كلمة ونفوذ وكذلك لم تكن ذات شأن كبير فى مجال الفتوى والعلم إلا ما كان من شأن مكة ونزول العلماء فيها ومجاورتهم لبيت الله الحرام ! ولذلك كانت المملكة بيئة خصبة لدعوة البسطاء والفقراء والجهلاء ! ولم يكن هناك ما يدفع الطامعون فى السياسة ولا المتهافتون على بلاط الحكام أن يزيلوا كل مظهر من مظاهر المنافسين حتى ولو لم ينافسوهم على وجه الحقيقة !

وظهر وتبين للجميع صدق هؤلاء الدعاة القادمون من خارج المنطقة بفكر جديد على الجميع ! المضمون معروف لديهم ولكن الطريقة جديدة عليهم غير مألوفة ! واستمرت الدعوة فى المملكة وترسخت وذاع صيتها لدى القريب والبعيد وعرفت لدى الحكام حتى إن الملك عبد العزيز رحمه الله أثنى عليها وعلى نشاطها وطلب من المفتي أن يدعمها فى حركتها لأنه تيقن من أنها لا تعمل لمأرب سياسي ولا لمطمع دنيوي ! وكتابته معروفة وقد أقرها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فى بعض رسائله .

ولما كان الحال هكذا كانت الدعوة سائرة فى هذه الحقبة بلا منغصات ولا مشاكل من العامة ولا من العلماء المقربين من السلطان حتى تغيرت الحياة وتغير وضع المملكة ودخلت الافكار الجديدة على المملكة وتخرج من رحم السلفيين أفكارا متشددة أكثر من ذي قبل أو أفكارا تطبق بعض ما تقرأ فى الكتب فلم تعد تقرأ

---

[7] عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، ( ذو الحجة 1292 هـ/يناير1876 م ربيع الأول 1373 هـ/نوفمبر1953 م) هو مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة وأول ملوكها، والحاكم الرابع عشر من أسرة آل سعود. تولى الحكم بعد وفاة الملك عبد العزيز ابنه سعود بن عبد العزيز آل سعود في الطائف 2 ربيع الأول 1373 هـ الموافق 9 نوفمبر 1953 ، وبويع ملكًا في 4 ربيع الأول 1373 هـ الموافق 11 نوفمبر 1953، وأعلن أخاه فيصل بن عبد العزيز ولياً للعهد.

وتعتقد فقط بل سعت لتطبيق بعض ما تعتقد ظنا منهم أن ذلك سيقرب البعيد ويطبق لهم الشرع لأن بعضهم ظن أن المملكة لا تطبق شرع الله فى بعض النواحي وأن القائمين عليها عملاء وغير ذلك من الأمور !! فحدثت فتن فى المملكة أدت لبلبلة كبيرة ومنغصات على كل عامل فى حقل الدعوة وضيق على كثير من الدعاة وكان من ضمن هؤلاء دعاة التبليغ حفظهم الله مع أنهم كانوا بمنآى عن كل هذه الصراعات والمناوشات غير أن لفحة نار السلطان أصابتهم أيضا بالتضييق وما شابه ذلك . ومع أن السلاطين والأمراء هناك على يقين من أن التبليغيين لا يسعون لرغبة سياسية أبدا ولا يطمعون فى نوال دنيوي ولا مناوئة الحكومات إلا أن ذلك لم يشفع لهم فى ذلك . وضيق عليهم ولم يعد الباب مفتوحا كما كان من قبل . وذلك قدر الله وما شاء فعل .

## دخول دعوة التبليغ إلى المملكة العربية السعودية :

لقد دخلت دعوة جماعة التبليغ والدعوة إلى المملكة العربية السعودية في منتصف القرن الرابع عشر الهجري تقريبًا (الستينيات الميلادية) ، وذلك بعد أن انتشرت دعوتهم في الهند وباكستان وبنغلاديش ، ثم انتقلت إلى البلاد العربية عبر بعض الأفراد الذين تأثروا بأسلوبهم الدعوي القائم على الترغيب والزهد والتجوال.

ولقد كان المدخل الأساسي لهذه الحركة الدعوية عبر الحجاج والمعتمرين من شبه القارة الهندية ، حيث كان بعضهم يخرج في سبيل الدعوة أثناء وجوده في مكة والمدينة ، مما لفت أنظار بعض الشباب السعوديين الذين تأثروا بأسلوبهم.

ثم بسبب بعض طلاب العلم السعوديين الذين درسوا في الهند أو احتكوا بالدعاة التبليغيين خارج المملكة عادوا متأثرين بأسلوبهم ، فبدأوا في تنظيم الخروج داخل المملكة.

وقد البيئة الدينية في المملكة آنذاك كانت منفتحة نسبيًا على النشاطات الدعوية غير السياسية ، مما سمح بانتشار دعوة الجماعة في بعض المناطق ، خصوصًا في الحجاز والمنطقة الشرقية.

ولم يكن للجماعة في بداياتها طابع تنظيمي ظاهر ، بل كانت تتحرك بأسلوب غير مركزي ، مما جعلها تتوسع دون أن تُواجه في البداية اعتراضًا رسميًا.

ولكن السلطات الدينية والعلمية في المملكة بدأت لاحقًا في مراجعة منهج الجماعة ، خاصة بعد زعم ملاحظات على بعض ممارساتها العقدية والمنهجية ، مثل اعتمادهم على كتب معينة دون غيرها ، وتجنبهم مسائل التوحيد والتحذير من الشرك !. وهذا كله بتوجيه من علماء مقربين من السلطان والحاكم وبتنسيق كامل مع جهاز أمن المملكة ، فالقرار سياسي أمني في المقام الأول .

وفي السنوات الأخيرة ، اتخذت المملكة موقفًا رسميًا أكثر حزمًا تجاه الجماعة ، واعتبرتها من الجماعات المحظورة ، وأُمر أئمة المساجد بالتحذير منها علنا على المنابر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد دخلت دعوة التبليغ إلى المملكة العربية السعودية فى وقت كانت المملكة بحالة يرثى لها من الناحية الدينية بحيث ان البلد كانت بحاجة ماسة لدعاة متحركين ينشرون الخير فى الناس ويذكرونهم بالله ويحثونهم على الطاعة والعبادة ويساعدونهم فى الثبات على الدين ، ولما كان حال الناس والمجتمع بحاجة لمن يذكرهم ويعظهم ويدعوهم استوعب المجتمع هذه الفكرة الجديدة فى الدعوة ولم تكن منفرة بل أقبل عليها الكثيرون من العلماء وطلبة والعلم والدعاة والعوام وحصل بذلك خير كثير ونفع الله بهذه الدعوة الوليدة فى المملكة جموعا كثيرة وتبدلت أحوالهم مائة بالمائة وصاروا دعاة متحركين في بلادهم بل وفي العالم كله .

فحينما دخلت دعوة التبليغ إلى المملكة كانت تهدف إلى نشر الفكرة عالميا من بلد الله الحرام لأنها مهوى أفئدة المسلمين ومحط أنظارهم وقبلة العالمين ، فمنها ينتشر الخير فى موسم الحج المبارك وقد نفع الله بذلك الأمر كثيرا من المسلمين .

### نصرة شيوخ المملكة الرسميين السلفيين لهذه الدعوة وعلى رأسهم المفتى محمد بن إبراهيم رحمه الله:

حينما دخلت دعوة التبليغ أرض السعودية كان الناس منها على حذر حتى عرفوا حقيقتها وما تدعوا إليه ، وكانت المملكة حينئذ تحت فكر واحد لا اختلاف فيه وهو الفكر السلفى الذى أرساه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى المملكة ، وكان على رأس الإفتاء فى المملكة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، فلما تبين للشيخ حال هذه الدعوة الوافدة لم يكن منه إلا أن شجعها ونصح الناس بمعاونتهم وفتح أبواب المساجد لهم وقال إن مهمتهم هى الوعظ فى المساجد ، ولم يرى الشيخ حينئذ على هؤلاء الدعاة ما يريبه منهم حتى يحذر منهم ، ولو رأى منهم شيئا مخالفا للسنة لم يكن له أن ينصرهم ولا أن ينصح الناس بمعاونتهم وفتح المساجد لهم ، فضلا عن أن يرى عليهم البدع والمحدثات والشركيات ثم يسكت على تبيينها ! وقد اتفق جميع شيوخ المملكة على ما قرره الشيخ محمد بن إبراهيم ولم يعترض معترض على فتوى الشيخ ولو رأو عليهم ما يستنكر لتوافرت الهمم لنقلها للشيخ المفتى ، ولكنه لم يحدث ، وكان الاتفاق فى المملكة على رأى واحد وهو تزكية أهل التبليغ ومدحهم ونصحهم والتواصى بالحق والصبر معهم والتعاون معهم .

### فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الأولى المشهورة فى عمل التبليغ الدعوي الشهير :

أول فتوى للشيخ المفتي – وليست فتوى واحدة إنما هى فتاوى كثيرة بهذا الصدد ولكننا نعنى موقفه الذى لا مخالف له – هى فتوى تزكية أهل التبليغ والتوصية بدعمهم وتذليل الصعاب لهم ، وتوقيت هذه الفتوى

قديم وقد أخذها عنه تلامذته ، وكانت موجهة منه رحمه الله إلى المنطقة الشرقية وعلماءها وإليكم نص الفتوى الصحيحة للشيخ رحمه الله .

( خطاب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتى الديار السعودية إلى علماء الأحساء والمقاطعة الشرقية فى تاريخ 19 / 5 / 1373 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن إبراهيم إلى من يراه من علماء الأحساء والمقاطعة الشرقية جعلنى الله وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى ومن المعينين المساعدين لمن على الدعوة إلى الله ينشط ويقوى آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فحامل هذا الكتاب سعيد محمد على الباكستانى ورفقائه من أهل الدعوة والتبليغ فى الباكستان .

ومهمتهم العظة فى المساجد والإرشاد والحث والتحريض على التوحيد وحسن المعتقد والحث على العمل بالكتاب والسنة مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات .

كتبت عنهم بذلك طلبا لمساعدتهم من إخوانهم بالتمكين لهم من ذلك سائلا الله تعالى أن يرزقهم حسن النية والتوفيق للنطق بالحق والسلامة من الزلل وأن ينفع بإرشادهم وبيانهم إنه على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .) انتهى

قلت : يتبين للقارىء صراحة تزكية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي عام المملكة العربية السعودية آنذاك لأهل التبليغ والدعوة وذكره لمهمتهم من غير مواربة وذلك لأن منهجهم واضح أمامه وقد زكاه لديهم علماء كثر ولم يزكهم الشيخ من غير دراية

## التحقيق في فتوى الشيخ بن إبراهيم الأولى الموجهة إلى الإحساء :

من الملاحظة العلمية الدقيقة التي لابد منها في أثناء البحث استحضار فتوي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله كانت موجهه منه إلى علماء الاحساء يحثهم على التعاون مع التبليغ

فقد وردت رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ إلى علماء الأحساء ، يُفهم منها في ظاهرها حثٌّ على التعاون مع جماعة التبليغ ، وقد استُدل بها من قِبل بعض مناصري الجماعة على أن الشيخ كان يُثني عليهم أو يُجيز طريقتهم.

ولكن من المهم جدًا أن نُحلل هذه الرسالة في سياقها الزمني والواقعي ، ونُوازن بينها وبين الفتوى الصريحة الأخرى التي كتبها بعد ذلك بسنوات ، والتي حذّر فيها من جمعية ! ومن كلية ! ومن كتب فيها بدع وضلالات.

## بين الرسالة الأولى (إلى علماء الأحساء) ورسالة مجهولة :

يُفهم من هذه الرسالة أن الشيخ رحمه الله كان يرى في الجماعة نشاطًا دعويًا ظاهريًا محمودًا ، وربما لم يكن قد اطّلع بعد على تفاصيل منهجهم العقدي أو كتبهم. وأما الرسالة الثانية (إلى الأمير خالد بن سعود - 1382هـ) فهذه رسالة رسمية موثقة ، وفيها تحذير صريح من الجمعية ، واتهامها بالدعوة إلى الشرك والبدع.

## العبرة بآخر القولين قاعدة أصولية:

من المعلوم لدى الأصوليين أنه عند تعارض قولين لعالم في مسألة واحدة ، فإن الراجح هو الأخذ بآخرهما إذا ثبت تغير اجتهاده ، خاصة إذا كان مبنيًا على مزيد من العلم أو الاطلاع.

وهذا لا ينطبق على الشيخ محمد بن إبراهيم في مسألتنا ! ، إذ إن التحذير المتأخر مع أنه الأوضح والأصرح ، ويُعد ناسخًا لما قبله من مواقف عامة أو مجملة ، ولكنه وللأسف لا يتكلم عن جماعة وحركة ودعوة إنما يتكلم عن جمعية وكلية ! وهذا مناط مختلف ومسألة أخرى غير السابقة تمام !

ولذلك يحاول الغلاة من المبدعة تنزيل تلك الفتوى الصريحة على فئة أخرى لمجرد تشابه في الاسم !

ومما سبق نتوصل إلى أن وجود رسالة سابقة فيها نوع من التوجيه بالتعاون لا يُنافي صدور فتوى لاحقة بالتحذير إذا حدث بالفعل ، بل يُظهر تطور الموقف العلمي بناءً على تغير المعطيات ، وهو من سمات العلماء الربانيين الذين لا يتعجلون في الحكم ، ولا يترددون في الرجوع إلى الحق إذا تبيّن لهم ، ولكن الواقع أن الفتوى الثانية والأخيرة هي الأكثر غرابة وجهالة ولا يعلم فيمن خرجت ولا من تقصد !

## اتفاق كلمة شيوخ المملكة دون مخالف ومنكر على التبليغ أيام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله :

لعلك أخي القارىء تلحظ أن فتوى أو تزكية أو خطاب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فى حق دعوة التبليغ آنذاك كان فريدا فى هذا الوقت ولم يوجد أي فتوي تعارضه أو تناوئه ولم تخرج أي كتابات تبين خطأ الشيخ ولم يوجد فى المملكة بطولها وعرضها وكثرة العلماء فيها أي رأي مخالف للمفتي العام للملكة بل كان الجميع متفق علي هذا القول حتى إن السلطان فى المملكة على علم بما يدور تحت ولايته فهو يزكيهم أيضا ولذلك لم يتجرأ أحد من العلماء أو أنصاف العلماء أو لابسي زي العلماء أن يتجرؤوا على مخالفة المفتي العام أو مخالفة ما لم يخالفه الملك !

ولو كان هناك فتوى واحدة قبل تزكية أو خطاب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ لظهر لنا في كتاب من الكتب أو ديوان من الدواوين ، ولو كان هناك رأي في حركة التبليغ وقتئذ مخالف للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله لكتب فى الكتب ولنقل إلينا ، ولكن الرأي كان مجمعا عليه بلا مخالف ، وقد حفظ الناس كلهم هذه الفتوى عنه ومنهم الشيخ بن باز والشيخ بن جبرين ، وقد خصصنا هذين الشيخين بالذات لأنهما قد صرحا بأنهما تلقيا تلك الفتوى عنه وأثبتا أن الشيخ قالها ويقصد ما فيها ويعلم لوازمها ، ولم يتراجع عن شيء منها حتى وفاته ، فتنبه .

حتى تغيرت الظروف السياسية في المملكة فتغيرت الفتاوى من الشباب الصغار فى حق التبليغ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وتولي تلميذه بن باز رحمه الله الافتاء :

لقد وافته المنية في الساعة الرابعة صباحاً من يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من عام 1389 ، وذلك بعد مرضه قرابة شهرين وفقدت الأمة رجلا من أعقل علماءها وأحسنهم حديثا فرحمه الله رحمة واسعة .

لما توفي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تولى بعده أمر الإفتاء تلميذه النجيب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، فكان هو الأحق بها والأجدر ، لرسوخ قدمه فى العلم وطول باعه والثقة التي يحظى بها لدى القاصي والداني ! وهو الوحيد الذي تولي الإفتاء من خارج عائلة آل الشيخ ، وكان من عادة السلطات فى المملكة أن يتولى أمر الافتاء عالما من ذرية آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ولكن حدث أمر مختلف مع الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وذلك لما له من يد طولى فى العلم والدعوة ولثقة العلماء والأمراء به ولحكمته وفطنته تولى الافتاء بعد شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

في عام 1395 هـ صدر أمر ملكي بتعيين ابن باز في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وهذا المنصب برتبة وزير ، وظل في هذا المنصب مدة ثمانية عشر عامًا ، حتى عام 1413 هـ حيث صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب مفتي عام المملكة السعودية بالإضافة إلى رئاسة هيئة كبار العلماء ، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، وظل في هذا المنصب مدة سبع سنوات ، حتى وفاته في عام 1420 هـ

## فتوي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وقت دخول دعوة التبليغ إلى المملكة :

أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم فتاوى عن أهل التبليغ حينما دخلوا المملكة وزاروه كعادتهم من احترام علماء كل بلد وتوقيرهم وتبجيلهم وإنزالهم منازلهم وعدم مخالفتهم وعدم مناقشتهم في المسائل العلمية التى توافقوا عليها أو اعتادوها والمنع من مناوئتهم بالفتوى أو الاختيارات العلمية أو الفقهية ! ، فلما زاروه وبينوا له منهجهم وطريقتهم وتبين له حالهم وعرف أنهم يدعون للسنة والتوحيد إجمالا ويسلكون في هذا سبيل الوعظ والارشاد الأمر الذي يتناسب تناسبا كبيرا مع البادية وعوام الناس ، ولم يكن الشيخ بالرجل الذى يُخدع من بضع رجال يزورونه ، ثم إن طلبة العلم فى المملكة كانوا حريصين جدا على نقل كل صغيرة وكبيرة إلى الشيخ وإلى تلامذته الكبار ، فلم يؤخذ على أهل التبليغ مأخذ طيلة حياة الشيخ بن إبراهيم رحمه الله ، حتى وشى بعض صغار طلبة العلم إلى الشيوخ بأن التبليغ كذا وكذا فبدأ الشيوخ يفتون فتاوى تحذر من أهل التبليغ أو على الأقل تحذر من الأخطاء التى تنقل إليهم عن التبليغ ، ولكن كل هذا على استحياء من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

## ظهور فتوى منسوبه للشيخ بن ابراهيم رحمه الله تحذر من التبليغ ، ومناقشة عدم قصدها التبليغ :

حينما توفى الشيخ بن باز رحمه الله ظهرت أقاويل بأن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تراجع عن فتواه فى أهل التبليغ والدعوة وأنه حذر منهم فى فتوى ذكر فيها اسم جامعة او كلية التبليغ والدعوة! وهذا فيه تدليس على جمع الناس وذلك لأمور :

مات الشيخ بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ولم تظهر هذه الفتوى .

كان عمل التبليغ والدعوة يعمل فى المملكة حتى عام ١٤٠٨ من غير نكران .

لو كانت فتوى الشيخ بن إبراهيم صحيحة وموجوده لما خفيت على شيوخ تلك الفترة ولبادروا بنشرها والتحذير من التبليغ ولكن كل هذا لم يكن مما يدل على أن الفتوى لا تقصدهم .

ظل الشيخ بن باز رحمه الله شهيرا يقول بفتوى شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه سنوات طويلة حتى ظهرت نابتة من الشباب يريدوم الظهور فخالفوا الشيخ بن باز فى الفتوى وبدأوا يشيعون أنه مخطىء .

حتى النابتة التى خالفت الشيخ بن باز رحمه الله لم تنكر موقف الشيخ بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله بل ذمت موقفه ونسبته للخلط أو ما شابه ذلك .

## فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله فى جمعية أخرى والتدليس بها على دعوة التبليغ المشهورة :

وقد أرسل بعض العجم للشيخ رسائل وطلبوا منه تقريظها وإبداء الرأى فيها لكى ينشئوا جامعة باسم التبليغ والدعوة ، غير أن هذا كله لم يكن لأهل التبليغ والدعوة المعروفيين ، هذا كل ما ثبت ووثق حول هذه الحادثة ، فأفتى الشيخ بن إبراهيم ردا على تلك الرسائل بالرفض وحذر منها أيما تحذير ، ولكن هذا التحذير لم يكن من جهد أهل التبليغ ولا من دعوتهم ، والدليل على ذلك أن جهد التبليغ ظل سائرا فى المملكة بعد

هذه الفتوى سنوات طويلة لم يحذر منها أحد ولم يمنع من المملكة حتى عام 1400 هـ ، الأمر الذى يدل على أن فتوى الشيخ بن إبراهيم لم تكن بخصوص أهل التبليغ ، وأكد ذلك ما تلا ذلك من مواقف لكبار العلماء فى المملكة وعلى رأسهم الشيخ بن باز والشيخ بن جبرين .

## نص فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله التي لا تخص دعوة التبليغ المعروفة :

ونص فتواه المشهورة في الخطاب الرسمي الموجّه إلى الأمير خالد بن سعود بتاريخ ١٣٨٢/١/٢٩هـ ، قال الشيخ محمد بن إبراهيم: هذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة ، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم؛ وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك ، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه .

وقد أشار إلى ما سُمّي حينها بـ كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية ، ورفض دعمها ، بل وعد بالرد على ما فيها من ضلالات.

وهذه الفتوى تُعد من أول الوثائق الرسمية التي صدرت من مرجعية عليا في المملكة ضد الجماعة. وقد مهّدت الطريق لمواقف العلماء اللاحقين ، مثل الشيخ ابن باز واللجنة الدائمة ، الذين ساروا على نهجه في التحذير ، مع تفاوت في الأسلوب والتفصيل. وموقفه هذا يُظهر الوضوح العقدي والمنهجي الذي كان عليه علماء المملكة في تلك المرحلة ، خاصة في مواجهة الجماعات ذات الخلفيات الصوفية أو الحركية.

وقد كان أبرز مشايخ المملكة بعد تلك الفترة: الشيخ عبد العزيز بن باز (ت. 1420هـ) ، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز ثم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت. 1421هـ) والشيخ عبد الله بن جبرين (ت. 1430هـ)

فتاوى تلميذه الأول والأكبر (عبد العزيز بن باز رحمه الله) وأخذه عنه :

ولما مات الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله جلس على كرسيه فى الإفتاء تلميذه الأكبر والأنجب عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وكان يفتي بفتوى شيخه وأنه كان يثني على عمل التبليغ ، وكان الشيخ بن باز صارما جدا مع الشباب المتهوريين وقاسيا فى الرد عليهم ولم يلن فى ذلك الموقف ، فلم يكن جاهلا بحقيقة موقف شيخه ولم يكن مدلسا عليه ولم يكن كاذبا عليه ، بل كان ينطق بما يعلم ، ويستحيل أن يكون الشيخ بن باز جاهلا بموقف شيخه محمد بن إبراهيم !!

ويستحيل أن يكون الشيخ بن إبراهيم قد أفتى وحذر من جماعة التبليغ قبل وفاته بسنوات طويلة وخفى هذا الأمر عن الشيخ بن باز !

ويستحيل أن يصر الشيخ بن باز على موقفه إن كان عرض عليه بأن الشيخ بن إبراهيم تراجع عن موقفه ، فلو أن سعد الحصين وفالحا الحربي قد راجعا الشيخ بن باز وتطاولا على مقامه فذب الشيخ بن باز عن شيخه – فى فتواه المنسوبة إليه وأنه على رأي شيخه لما كان منه إلا الانسياق ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم تظهر تلك الفتاوى إلا بعدما مات الشيخ بن باز رحمه الله .

ولو أن هذه الفتوى المنسوبة للشيخ بن إبراهيم قد ظهرت فى حياته فإما أنه قد اطلع عليها أو أنها لم تبلغه ! وافتراض أن تلك الفتوى لم تصله أم لم يعلم بها بعيد جدا ، وكذلك بعيد جدا إن كانت الفتوى موجودة فى تلك الأثناء أن لا يعرضها أحد الطلبة على الشيخ بن باز ! بقى أن يكون الشيخ بن باز قد اطلع على الفتوى ومع ذلك ظل يفتي بفتوى شيخه الأولى ، هذا معناه أن الشيخ بن باز قد عرف أن الفتوى الثانية من الشيخ بن إبراهيم لم تكن فى أهل التبليغ والدعوة ! إنما كانت فى أخذ رأيه فى إنشاء جامعة معينة وفى كتب معينة !

## تأييدات وشهادات مشايخ كثيرون وتأكيدهم أن الشيخ باز رحمه الله كان يؤيد التبليغ :

ذكر جلة من الشيوخ أن الشيخ بن باز رحمه الله كان ينصر ويؤيد دعوة التبليغ ومنهم الشيخ بن عثيمين والشيخ بن جبرين والشيخ عبدالله المصلح والشيخ عبدالعزيز الفوزان والشيخ محمد حسان وغيرهم كثيرون من المعاصرين الذين سمعوه مرارا وتكرارا يثني علي جهد التبليغ وينصح بمناصرتهم ومخالطتهم وإفادتهم والاستفادة منهم .

وبمجموع هذه الشهادات فإنه يستحيل الكذب على الشيخ بن باز ونسبة التحذير من التبليغ إليه لمجرد كلمة عامة موهمة غير مفسرة مجهولة المصدر !! بل يجب الأخذ بالموقف المتواتر المتفق عليه بين علماء ومشايخ العصر .

## التعديل المفسر لا ينسخه الجرح المبهم :

من المعلوم أن الشيخ بن باز رحمه الله مدح التبليغ مرارا وفى أماكن متعددة ومتفرقة وفصل القول فيهم وذكر أنه اللتقى بهم فى الحج فى أعوام مختلفه وأنه تناقش مع شيوخهم وحصل بينهم من التفاهم ما يثلج الصدور ، وهذا كله تعديل مفسر لانه فى أماكن مختلفة وأوقات مختلفة والفاظ مختلفة وفتاوى مختلفة ومناسبات مختلفة والموقف واحد وخو النصح والمؤازرة والمؤاخاة والحب فى الله والتناصح فى الخير والتواصي بالبر وحب الخير للغير ! كل هذا التعديل لا ينسخه كلمة واحدة عامة فى فتوى مجهولة متأخرة غير مفسرة ولا مبينة !

## من الصادق ومن الكاذب ؟! :

إما أنكم كذبة والشيخ بن باز رحمه الله صادق ، وإن صدقتم فلازمه أن يكون الشيخ ابن باز رحمه الله إما جاهل أو كذاب ! فمن خلال العرض التفصيلي بالتسلسل الزمني نصل إلى حقيقة ثابتة ، وهي أنه ورد عن الشيخ محمد بن إبراهيم فتوى فى عام 1376 هجرية تؤيد وتدعم دعوة التبليغ ، وهذه هي الفتوى الشهيرة

والثابتة عنه ، وهي التي تلقاها عنه تلامذته المقربون ، وعرفها القاصي والداني ، وكانت موجهة لأهل الإحساء لفتح الأبواب للجماعات الخارجة المتحركة للدعوة . هذا ثابت لا خلاف فيه .

ثم ظهرت فتوى أخرى مزعومة بعد وفاة الشيخ بن باز رحمه الله رحمه الله مفادها بأن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تراجع عن قوله فى التبليغ وأنه يوصي بعدم تمويل جامعتهم فى الهند !

مع العلم أن الشيخ بن باز لم يعرف شيئا عن هذه الفتوى مطلقا ويكأنها من الأسرار الحربية أو من دقائق دقائق العلوم التي لا يتوصل إليها إلا النحرير من بين السطور !

وظل الشيخ بن باز يفتي طيلة حياته بفتوى الشيخ محمد بن إبراهيم ولم يتراجع عن قوله هذا ، ولم يتراجع عن قول شيخه !

وهنا نحن بين أحد أمرين لا ثالث لهما ! إما أن الشيخ بن باز رحمه الله صادق فى كلامه وشيخه محمد بن إبراهيم لم يتراجع عن فتواه ! وهذا هو الأظهر والأوضح ، لأنه لا يصدق أن يجهل مثل بن باز فتوى شهيرة في مسألة شائكة عظيمة شهيرة كمسألة التبليغ !! هذا محال ، ومن قال بأن بن باز جهلها فقد أبعد النجعة ! ولازم هذا أن تكونوا كذبة افتريتم على الشيخ بن إبراهيم ودلستم فتوى تؤيد مذهبكم !

أو أن الشيخ محمد بن إبراهيم فعلا تراجع عن فتواه ويلزم من هذا أن بن باز ظل طيلة حياته لم يعرف بفتواه ولم يخبره أحد بها ، ولم يراجعه أحد بأن شيخه محمد بن إبراهيم غير موقفه ! وهذا يدل على أن بن باز كان جاهلا بأشهر المسائل وأكثرها شيوعا فى العصر ! وهذا بعيد .

وأما أن يزعم البعض أنه يسوغ أن تغيب مثل هذه الفتوى عن بن باز ! فهي نظريا لا تمتنع عن بشر ولكنها في حالة الشيخ بن باز ممتنعة وفي هذه المسألة أشد امتناعا وغرابة ، لأنه تلميذ الشيخ ومن المقربين له وكلمته مسموعة وفتواه ثابتة مؤثرة ، ومعنى كونه يخالف شيخه فى مسألة شهيرة كثر فيها اللغط ليس بالأمر

الهين أبدا ! خاصة أن الشيخ بن جبرين رحمه الله وهو تلميذ للشيخ محمد بن إبراهيم وملازمه حتى وفاته وتلميذ الشيخ بن باز أيضا قد صرح بأن الشيخ بن إبراهيم مات وهو على موقفه لم يتغير وأن الشيخ بن باز كذلك !

فاعلم رحمك الله وبارك فيك أن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ بن باز ماتا وهما يؤيدان الدعوة ويدعمانها ، وما انتشر بعد وفاة الشيخين محض كذب وافتراء عليهما ، فتنبه .

### أخفيت فتوى تراجعه ولم تظهر إلا بعد وفاة الشيخ بن باز رحمه الله! :

ومن أهم أسباب رد دعوى تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم هو أن فتواه هذه لم تظهر إلا بعد وفاة الشيخ بن باز !

فلماذا لم تظهر في حياته إن كان لها أثر من صحة ؟!

ولما لم يعلم بها الشيخ بن باز وهو شيخ شيوخ المملكة وكبيرهم ومفتيهم ؟!

فإن قيل بل ظهرت في حياته ، نقول فلماذا لم يعلم بها ولماذا لم تصل إليه ؟!

فإن قيل بل علم بها ووصلت إليه ، نقول فلماذا لم يقل بها ؟! هل ردها وهو يعلم أنها صحيحة النسبة إلى شيخه أم ردها لأنها فى أناس آخرين غير دعوة التبليغ ؟! أم ردها وهي حق معروف ظاهر ؟! فإن قيل ردها وهي صحيحة النسبة لشيخه فهذا قدح صريح برجل عالم فاضل لم يؤثر عنه مثل هذا أبدا ، وإن قيل ردها لأنها فيأناس آخرين فهذا هو مربط الفرس وغاية الأمر !

### ظل الشيخ بن باز رحمه الله طيلة حياته يعدلها مفصلا ثم اخترعتم جرحا مجملا :

وأما عن موقف الشيخ بن باز رحمه الله طيلة حياته فواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، هو الدعم والتأييد والمناصحة ، فقد اجتمع بهم كثيرا فى مواسم الحج واستقبل زياراتهم وأرسل إلهيم طلبته وتلامذته

مندوبين عنه وبث فيهم عيونا تكتشف أمرهم ، حتى عرف الشيخ أمرهم تماما وسبر أحوالهم وأفتى بالبصيرة فيهم فلم يكن كلامه فيهم عن جهل بهم ولا عن تضليل بعض تلامذته ، وكانت فتاواه كلها وسط لا إطراء ولا مغالاة وكذلك لا تشدد ولا تعنيف ولا تساهل فى بيان الحق .

وإن سبرت فتاواه تجده أحيانا يغلطهم وأحيانا يمدحهم وهذا بناءا على السائل نفسه ، فبعض السائلين يريدون أن يستخرجوا من الشيخ دعما وتأييدا فتراه يمدح الناس ويذكر محاسنهم فقط ! فيخرج اللجواب من الشيخ بالدعم والتأييد والمباركة !! وتارة يكون السائل متحامل عليهم متشدد فيهم يسرد طوام مهلكات ربما لم يرها أصلا ولكنه يريد أن يخطئهم ويستخرج من كلام الشيخ ما يدينهم ، فيفتي الشيخ بخطئهم وينصحهم بالبعد عن كل هذه الأخطاء ! وهكذا .

ولكن الأمر المستقر هو أن الشيخ رحمه الله قد مدحهك طويلا وفصل في مدحهم وكان يُسأل يوميا فى الحرم المكي فى دروس الفجر والعصر عن أهل التبليغ وجل جواباته دعم وتأييد ونصح ومناصحة ! ولم يؤثر عنه أن بدعهم قولا واحدا أو أخرجعم من السنة إجمالا وتفصيلا أو أنه أخرجهم من الجماعة ، أو أنه وصفهم بالجماعة الضالة البدعية ! إلا مقطعا صوتيا قبل وفاته بقليل مشكوك في نسبته إليه أصلا فيه كلمة واحده وهي : ( هل جماعة التبليغ من الثنتين وسبعين فرقة ، فقال نعم ) وهذا إن سلمنا بصحة نسبته للشيخ وهو بعيد فإنه إجمال يحمل على التفصيل الوارد عن الشيخ طيلة حياته .

ولو سلمنا جدلا أن الشيخ بن باز تراجع عن فتواه طيلة حياته وهذا عقلا وشرعا غير مقبول ولكنها مجرد مجاراة فى الحديث – فإنه يتحدث عن موقفه هو ولا دخل له بموقف شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي لطالما بين ووضح أنه يقول بقول شيخه فيهم وأن شيخه مات على ذلك !! فتنبه بارك الله فيك .

## هل يصح أن يجهل بن باز رحمه الله فتوى شيخه رحمه الله بخصوص مسألة عظيمة الشأن كهذه ؟!

في الحقيقة ، لا يُمكن الجزم بأن الشيخ ابن باز رحمه الله لم يكن على علم بفتوى شيخه محمد بن إبراهيم ، بل الأقرب – بحسب السياق التاريخي والعلمي – أنه كان يعلم بها ، أو أنها لم يكن لها وجود أو أساس أو أنها لم تكن في جماعة التبليغ الحركية المعروفة ، وهذا هو التحقيق ، ولكن:

فلماذا لم يعرف الشيخ بن باز بتلك الفتوى ما دام يزعم أنها رسمية ومشهورة ؟! وهل يعقل أن يجهلها تلميذه الأنجب والأكبر بن باز ؟! هذا سؤال دقيق وهو في غاية التثبت والتحقيق .

لقد كانت فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم المذكورة صريحة وشديدة ، وقد صدرت في وقت مبكر (1382هـ) ، وكان الواقع الدعوي حينها محدودًا ، ولم تكن الجماعة قد انتشرت في المملكة كما حصل لاحقًا. وقد تعامل الشيخ ابن باز مع الجماعة في مراحل لاحقة ، وكان يرى أن بعض أفرادها فيهم خير ، وأنه يمكن الخروج معهم بشروط ، خصوصًا لمن كان عنده علم يرد به على المخالفات.

## إن جهِل الشيخ بن باز رحمه الله موقف شيخه فمن ذا يعلم ؟! :

هل من العقل أن يزعم صغار الفكر السلفى المعاصر جهل الشيخ بن باز رحمه الله بموقف شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه فى فكر الدعوة والتبليغ ؟! هذا من العجب الذي لا يصدقه عقل لأمور كثيرة منها :

معاصرة الشيخ بن باز رحمه الله لشيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله لفترة طويلة .

تتلمذ الشيخ بن باز رحمه الله على يد شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه لفترة طويلة .

طول اللقيا بين الشيخين لفترة طويلة .

فتوى الشيخ بن باز رحمه الله بفتوى شيخه فى وجوده وبعد وفاته .

عدم وجود مخالف للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فى وجوده وبعد وفاته لفترة طويلة.

عدم ظهور الفتوى المزعومة المنسوبة للشيخ بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله إلا بعد وفاته بفترة طويلة ، بل وبعد وفاة تلميذه بن باز رحمه الله.

عدم وجود اي سؤال استفساري موجه للشيخ بن باز رحمه بخصوص تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله عن موقفه وفتواه ولو كانت تلك الفتوى ظاهرة وشائعة آنذاك لتواتر الاستفسار عنها وعن مضمونها ومفهومها من شيوخ العصر وعلى رأسهم بن باز وبن عثيمين وبن جبرين وغيرهم .

كل هذه الشواهد تؤكد أن الشيخ بن باز رحمه الله هو اعلم بموقف شيخه ورأيه .

**جزم الشيخ بن باز رحمه الله بأن شيخه بن إبراهيم رحمه الله مات وهو يناصر دعوة التبليغ :**

الراجح لدي أن الشيخ ابن باز كان يعلم بفتوى شيخه محمد بن إبراهيم رحمه الله وينزلها تنزلا صحيحا ، ولكن الآخرين اجتهدوا في تنزيلها على واقع مختلف ، وقد تعامل الشيخ بن باز مع الجماعة بميزان التفصيل لا التعميم ، وهو ما يُظهر المرونة المنهجية التي كان يتحلى بها ، دون أن يُخالف الأصول العقدية التي سار عليها شيخه.

وما يؤيد ذلك هو أن بن باز كان يجزم جزما تاما بأن شيخه بن إبراهيم كان يناصر دعوة التبليغ ولم يكن يعارضهم مطلقا وقال بالنص إنه مات على ذلك ؟! فالامر مجزوم به من طرف التلميذ ( الشيخ بن باز ) وتلك ملاحظة دقيقة جدًا ، لا يجوز إغفالها وتستحق الوقوف عندها بتأمل علمي وتاريخي.

ففي الواقع ، نُقل عن الشيخ ابن باز رحمه الله في بعض المواضع أنه كان يعتقد أن شيخه محمد بن إبراهيم لم يكن يعارض جماعة التبليغ ، وأنه كان يراهم على خير ، أو على الأقل لم يُعرف عنه موقف صريح في التحذير منهم.

وهذا الثابت عنه يتعارض تمام مع الوثيقة الرسمية المؤرخة في 1382/1/29هـ ، التي كتبها الشيخ محمد بن إبراهيم بنفسه ، وفيها تحذير صريح من جمعية باسم التبليغ والدعوة ! وكلية تابعة لهم ، واتهامها بالدعوة إلى الشرك والبدع. فلماذا يتم تحريف جمعية إلى جماعة ؟! ومعلوم أنه لا جمعيات لدى حركة التبليغ الدعوية ! ولا كليات لديهم ! ولا يطلبون دعما من أحد إلا من الله الأحد ! كل هذا يبين أن الفتوى الأخيرة ليست في تلك الدعوة الحركية بل في آخرين !

## التدقيق في موقف الشيخ باز رحمه الله من فتوى شيخه محمد بن إبراهيم رحمه الله المزعومة :

لابد من النظر الدقيق في بعض المزاعم حول معرفة الشيخ بن باز بفتاوى شيخه ! ومن خلال هذا النظر نستطيع تصور المسألة تصورا صحيحا . فإليكم بعض التساؤلات الهامة :

### هل يجوزاحتمال عدم اطلاع الشيخ ابن باز على تلك الفتوى الشهيرة ؟!

لقد كان الشيخ بن باز على قرب من شيخه ، وكانت الفتوى موجهة إلى جهة رسمية (الديوان الملكي) ، وحتى لو لم تُنشر على نطاق واسع في حينها ، أو لم تكن متداولة بين طلاب العلم ، خاصة أن وسائل النشر والتوثيق لم تكن متاحة كما هي اليوم ، إلا أن احتمالية جهل الشيخ بن باز بها أضعف من أن يذكر ! خاصة وأن هذه الجماعة المتحركة منتشرة في كل مكان وكانت حديث الساعة حينها لما لها من تأثير كبير في المجتمع ، والحاجة ملحة للنقاشات بين طلبة العلم وبين أفراد تلك الدعوة وهو الواقع فعلا .

**هل يجوز احتمال أن الشيخ ابن باز رحمه الله كان يتحدث عن مرحلة سابقة من حياة شيخه ؟!**

ولقائل أن يقول : - ربما كان يقصد الشيخ ابن باز رحمه الله أن الشيخ محمد بن إبراهيم لم يكن يعارض الجماعة في بداياتها ، حين كانت تُعرف بالدعوة إلى الله والتجوال ، قبل أن تتضح بعض انحرافاتها ، ثم تغيّر موقفه لاحقًا بعد اطلاعه على كتبهم أو ممارساتهم.! وهذا بعيد أيضا وذلك لتصريح الشيخ بن باز بأن شيخه مات وهو على موقفه الداعم لحركة التبليغ ! وذلك في رده على فالح الحربي ومراجعته له ولغيره من طلبة العلم !

**وأما من يزعم بأن :- الشيخ ابن باز رحمه الله لم يكن معصومًا من الخطأ في النقل .**

فنقول نعم ، فهو نفسه كان يُقرّ بذلك ، ويقول: إذا خالفتُ الدليل ، فاضربوا بقولي عرض الحائط . ولكن من العيب أن يقال عن أكبر رأس علمية في المملكة وأعلى قامة فيها والرجل المجمع على حكمته ورزانته ووسطيته وعلمه واطلاعه وتثبته بكل هذه السذاجة واللامبالاة أنه أخطأ في نقل موقف شيخه ، أو ظنّ أنه لم يُعارضهم ، بناءً على ما بلغه من ظاهر حاله ، دون أن يطّلع على تلك الفتوى المكتوبة ! هذا بعيد كل البعد ، فلقد كان للشيخ بن باز فريق علمي كبير وجل طلبة المملكة تتهافت لخدمته ولسؤاله ولخذ رأيه ومشورته والاقتداء به ولمراجعته ! وكثير منهم يريدون استخراج فتاوى تؤيد مذاهبهم ومناهجهم ! وهذا أدعى لأن يراجعوه في تلك المسألة مرارا وتكرارا ! ليستخرجوا منه ما يؤيد مواقفهم ، فمن المحال أن يظل الشيخ رحمه الله تعالى بعد وفاة شيخه ثلاثة عقودا ( ما يقارب ثلاثين عاما كاملة بعد وفاة شيخه ) يجهل فتوى شيخه في مسألة عظيمة كهذه !

هذا التحقيق الدقيق يُظهر أهمية النظر والتدقيق في المصادر الأصلية ، وعدم الاكتفاء بالنقل المجمل الذي يشيعه ويعتمد على ظاهره عامة غلاة التبديع من المداخلة والجامية ومن لف لفهم .

**الادلة القاطعة على تلفيق فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم الأخيرة في جماعة التبليغ :**

إن الفتوى الاخيرة هذه والتي نحن بصددها لا تتكلم عن جماعة التبليغ المعنية ولكنها تتكلم عن جامعة التبليغ في الهند - ومعلوم ان التبليغ ليس لهم جامعة بل لهم حركة ، فلماذ حملت فتوى بن ابراهيم على الجماعة الدعوية وهم ليس لديهم كتب اصلا فيها مخالفات

**التعليق على نسبة الفتوي للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله :**

ولا يخفى على فطن أوجه الكذب والزور والغش والخداع التي وردت في هذه الفتوى المذكورة في كتاب التويجري والمنشورة في مجموع فتاوي الشيخ . فنقول مستعينين بالله تعالى :

**1ـ الأسماء الأربعة المذكور أسماؤهم في مذكرة الأمير للشيخ محمد بن إبراهيم. مذكورين بالاسم الصريح وهم :**

محمد عبد الحامد القادري و عبد السلام القادري و شاه أحمد نوراني و سعود أحمد الدهلوي ، هؤلاء الأربعة. معهم جمعيه تسعى جمعيتهم لبناء كلية الدعوة والتبليغ في ديارهم

وهم يطلبون مساعده ماليه من المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت من الملك سعود بن عبد العزيز الحاكم آنذاك ، ومن المعروف والمشهور وما لا يقبل جدالا أن أهل التبليغ والدعوة لا يطلبون مساعدات عينية ولا مادية ولا مالية ولا لوجستية أبدا من أهل الثراء والغنى أو السلطة ! وإنما يجتهدون بأموالهم وأنفسهم وبالبساطة الشديدة فهذا يدل دلالة قاطعة أن هؤلاء المراسلون للملك عبدالعزيز ليسوا من دعوة التبليغ المشهورة ولكنهم أناس آخرون ، والدليل على ذلك أن دعوة التبليغ ظلت سارية فى المملكة من دون نكير لا من الحكومة ولا من الافتاء ولا من الداخلية ولا من طلبة العلم الحريصين كل الحرص على الوقوف على فتاوى شيوخهم .

ولكن مدير الديوان الملكي الأمير خالد بن سعود أحال الطلب مع الأوليات للمفتي لإبداء اقتراحه حول الموضوع بالمساعدة من عدمها. فكان الجواب الرفض من المفتي بشده كما سوف نبين. وبتاريخ محرم 1382 هجري بعد انقضاء موسم حج عام 1381 هجري.

وهذه أسئلة هامة مشفوعة بالجواب التالي :

أولا : أين الجمعية من أهل الدعوة و التبليغ ؟؟ ولم يذكر الجماعه بالإسم ولا شيخها الكاندهلوي. ولا مركزهم بنظام الدين ولا رايوند حتى نسقط كلام الشيخ عليها هذا يدل دلالة صريحة أن هذه الجمعية غير دعوة التبليغ المعروفة آنذاك .

ثم من يستطيع من الجن كانوا أو من الإنس أن يثبت أن أهل الدعوة والتبليغ تتسول على أبواب الملوك والرؤساء أو الهيئات الحكوميه أو القطاع الخاص, لجمع المال لتمويل مشاريعهم الدعويه أو العلميه ؟؟ وهم القوم الذين لا يسألون أحدا دينارا ولا درهما ولا يطلبون من أحد دعما ولا مساندة ! بل يتوجهون فى كل طلباتهم إلى الله تعالى .

فبناءا على هذا البرهان القاطع نحن نسلم بأن هذه الفتوى تنص حرفيا على أهل الدعوة و التبليغ في زمان الشيخ محمد يوسف ابن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي كانت تطلب المعونات المالية للدعم وهذا مستحيل لم يحدث قبل ذلك أبدا ، فلا مجال لنا بالتغطية على الشمس بغربال

ولو علمنا أن أهل الدعوة و التبليغ لا يفعلون ذلك قديما أو حديثا. وهم أبعد من التسول كبعد عين الشمس منا . فلنا إذن وقفه تأمل .

ثانيا : من يستطيع إثبات أن هؤلاء الأربعة المذكورين بالنص. ينتمي واحد منهم لمشايخ التبليغ في الهند أو الباكستان؟؟ فلا مجال لنا أن نكذب ما ورد في رسالة الشيخ محمد للأمير خالد .وكل الأحباب يعلمون أن من كبار مشايخ التبليغ في ذلك الزمان هم :

الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي . والشيخ محمد إنعام الحسن والشيخ محمد عمر البالمبوري والشيخ عبيد الله من الهند.

والشيخ بشير. والشيخ عبدالوهاب والشيخ جمشيد والشيخ مشتاق من الباكستان ـ عليهم رحمة الله جميعا ـ وأمر مثل هذا لا يمكن أن يكون أحد غيرهم يوكل له أمر مثل هذا .!!

فهذا يدل على أن هذا الخطاب مقصود للتشنيع والتشويه وليس خطابا صحيح النسب . وإلا فليحقق من يحقق فى شخصيات الراسل حتى يعرف من هم وإلى أى منهج ينتسبون ؟

ثالثا : وإذا أثبتنا لكم أن هؤلاء الأربعة الوارد أسماؤهم هم قادة لمجموعة صوفيه لا علاقه لهم بالدعوة والتبليغ . لعرفتم مدى تمادي الباطل على أهل الحق . الأبرياء من هذه الفرية الكبرى.

فهم ينتسبون للبريلويه الصوفيه الخرافيه وهم أشد عداء لأهل الدعوة والتبليغ من أي فصيل دعوى بل يصل الأمر بهم باتهام أهل الدعوة بالوهابية

## 2 ـ إثبات أن الشيخ توقف عن الفتوى فيهم قبل عشر سنين .

قال الكاتب وقد ورد قبل عشر سنين من هذه الفتوى أن الشيخ توقف عن القول الفصل في جماعة التبليغ فتبين له لاحقا حقيقتها فأصدر فتواه هذه عام 82 هجري

قبل وفاته بسبع سنين فهي المعول عليها

الجواب : يعني أن الكاتب قرأ عام 1372 هجري . فتوى التوقف عنهم ؟؟ فمطلوب إبراز هذه الفتوى إن كانوا صادقين ؟؟ ومن المعلوم أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ليس له فتوى توقف فيها !!! بل له فتوى نصرة ودعم لهم !

فلن تجد إلا فتوى منه بتأييد أهل الدعوة وطلب من عامة الناس بالإحساء التعاون معهم. وليس له منشور غير ذلك .

وهنا ملمح هام وهو تدليس الشيخ التويجري على فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله! لأنه لا يريد أن يصرح مرة فى حياته بأن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه كان يدعم وينصر أهل التبليغ والدعوة! فأظهر أنه يظهر الحقيقة والحقيقة أنه يدس السم فى الدسم ! فقال التوقف !

ثم كيف يفهم التويجري من تلك الفتوى التوقف ولم يفهم بن باز ذلك التوقف ؟! وكذلك الشيخ بن جبرين وغيرهم من المشايخ لم يفهموا ما فهمه هذا الكاتب !

### 3 ـ انتبه هنا لهم (كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية)

والجواب : أولا : لا يوجد لأهل الدعوة والتبليغ كلية بهذا الإسم في دول شبه القاره الهندية كلها ومن وجد للأحباب كلية بهذا الإسم فيحق له مصادرتها بكل ما تحويه من كتب ومستلزمات وحتى مباني وكلام الشيخ محمد في أهل الدعوة بحق وليس فئة أخرى كما ندعي

ثانيا : أهل الدعوة و التبليغ ليسوا بالسذاجة حتى يبحثون عن المال لإقامه مدرسة دينيه أو معهد علمي. من بلاط الملوك والأمراء بالسعودية. أو دول البترول العربية. هذه عند مشايخ التبليغ جريمة عظمى. أو خيانة كبرى ليس بالمعنى المشهور بل بمعنى قلة اليقين على الله ، تهدم أسس عمل الدعوة من جذوره القائمة على

الإخلاص والاستخلاص. فلو يريدوا معهد أو كليه لاتخذوها تحت الأشجار إن لم يجدوا مالا .فيا ليت قومي يعلمون

وأهل الدعوة إن أرادوا إنشاء مسجد أو مركز يحتوي مرافق للاستقبال والتوديع أو معهد ديني تقتضى الحاجة له فلديهم من المال الكثير ما يغنيهم عن مال حكام العرب والعجم

فمنهم كبار تجار كراتشي ونيو دلهي وكلكتا وبمبي وإسلام آباد فخزائن الله لهم ممدودة ومع ذلك يرفض مشايخ التبليغ الأخذ من القدماء فى عمل الدعوة ـ إلا بقدر الحاجه فقط ـ وبعد سلسلة من المشاورة ترهق من يسعى منهم لتقديم المال لبعض المشاريع الدعويه. فيا ليت قومي تتضح لهم الحقيقة .

ثالثا : لو كان هذا المرسول صحيح لكانت الكلية قائمة لأن كتبها ارسلت بالفعل ! وبما أنه لا توجد كلية بهذا الاسم على ظهر الكوكب إلى الآن إذن يكون هذا المرسول مفتعل لاستخراج فتوى معينة ضد أناس معينين . وهذا ما حدث بالفعل . والخلاصة أنه لا توجد كلية بهذا الاسم ولا يوجد أشخاص بهذه الأسماء وإنما الأمر كذب وافتعال .

### 4 ـ ورد في كلام الشيخ محمد أن لهؤلاء الأربعة ثلاث كتيبات تشرح منهجهم.

يتضح منها أنها تحتوي على الشرك والبدع .

الجواب : أولا : هل أهل الدعوة و التبليغ من السذاجة بحيث تقدم أدله الإدانة لأناس يعرفون منهجهم وتوجههم وعقيدتهم وتشرحها في ثلاث كتيبات في تمجيد البدع والأضرحة والشرك والبدع لقاضي المحكمة ؟؟؟

ثم يطلب المتهم من القاضي الحكم بالبراءة وبالمساعدة المالية لكي ينشر الباطل بمال القاضي؟؟؟؟ هل سمعتم بهذا الفلم الخيالي ؟؟

ثانيا : نطلب الخصوم إن كانوا صادقين إبراز تلك الكتيبات الثلاثة المرفقة بطلب المساعدة ليعلم الجميع بعدها عن أهل الدعوة بعد الثرى عن الثريا !!!

ثالثا : لم يظهر رد من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله الى الان عن هذه الكتب كما وجد فى الرسالة . فلا يقال انشغالات شغلتهم عن الرد على تلك الكتب ! فهيئة كبار العلماء كثيرون وطلبتهم أكثر فكيف لم يتفرغ أحد منهم فى جلسة للرد على تلك البدع والشبهات كما ذكر فى الرسالة !

رابعا : ظلت دعوة التبليغ منتشرة فى المملكة بعد هذا الخطاب المزعوم سنوات طويلة ! ومع ذلك لم يحذر منها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ولا أحدا من طلبته ولا من أفراد هيئة كبار العلماء ولم يخرج رد منهم على الكتب الثلاثة المذكورين سلفا . كل هذا يؤكد أن هذا المرسول مفتعل لغرض إبليسي . نعوذ بالله من مكايد الشياطين.

والسؤال لماذا لم يبرزوا الكتب المشفوعة فى الرسالة خاصه وهي موجوده في خزانة الشيخ محمد بن إبراهيم يمكن لأولاده استخراجها ونشرها. حتى يلجموا الدجالين والكذابين المفترين على تاريخ والدهم .خاصه وقد وعد الشيخ أنه سوف يوضح ما تحتويه تلك الكتب من شرك وبدع وضلالات كما ورد نصا

رابعا : ولا يبعد أنه تم طبع فتاوي الشيخ محمد من أناس نزع من قلوبهم الأمانة العلميه

فجعلوا فتواه السابق ذكرها في أهل الدعوة ، فخدعوا كل مخدوع ، وغشوا جموعا من طلبة العلم الجاهلين بحال أهل الدعوة وحال الشيخ محمد وغيرته الإسلامية وحبه وتعظيمه لأهل الدين والدعوة

**5 ـ من خلال نص الفتوى كان كلام الشيخ محمد قوي جدا في محاربة الشرك والبدع والقبوريه لا يمكن السكوت عنه كما قال**

والجواب : أولا : توفي الشيخ محمد عام 1389 هجري. وأهل الدعوة في المملكه في كل منطقة ومحافظه . ولها مركز مفتوح على مدار الساعة في المدينة المنوره ، ومكة بالحفائر ، والنور بالخبر ، وعموم البلاد. وبعد مرور 7 سنين على التأكد من حالها البدعي القبوري. فكيف يسمح مفتي المملكه لجماعة بهذا الوصف تعمل ؟؟

وكيف تسمح الدولة السعوديه لأهل الدعوة تقوض دولة التوحيد ولا يجرأ سعودي الاعتراض عليها مده سبع سنين ؟؟

ثانيا : والمصيبة على رأس الكذابين أن أهل الدعوة استمروا في العمل في جميع أرجاء المملكة مده 11 عام,, بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ حتى عام 1400 هجري. عام المهدي المنتظر الذي أحدث فتنه الحرم فمنعت الدولة الجميع من الدعوة وليس التبليغ فحسب

مع أن جهيمان العتيبي والقحطاني خرجا من عباءة التشدد السلفي وليس من سماحة ووسطية الدعوة والتبليغ ، فكيف يستمر أهل الدعوة و التبليغ في العمل 18 عام من يوم أصدر الشيخ محمد فتواه فيها ؟

إلا إذا كانت الفتوى تخص آخرين وليس أهل الدعوة

ثالثا : وأخيرا : كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله قوي الشخصية غيور لا يجرأ أمير أو ملك الوقوف أمام قوله ـ هكذا قرأنا عنه ـ فكيف يقبل أولاده وذويه أن يكون كلامه محل تجاهل من قبل ولاة الأمر في جماعة وصفها كما هو أعلاه ؟؟ وتظل جماعة التبليغ تؤتي أكلها وتنشر دعوتها في ربوع المملكه 18 عام استخفافا بفتوى الشيخ .؟؟؟

هكذا يريد المخدوعون تصويره للناس فليرتدع المتعصبين عن نشر الباطل .فالعيب الأسود تزوير فتوى شيخ فاضل لخدمة خداعهم وكذبهم في أهل الدعوة

نقوم بالعمل (الدعوة إلى الله) ولا نهتم بالقيل والقال و نقوم بالعمل ولا نتأثر بالغمز واللمز

نقوم بالعمل ولا يردنا الصد والإعراض نقوم بالعمل ولا نلتفت إلى عوائق الطريق ومطباته

نقوم بالعمل ، لأنه أعظم عمل وأشرف عمل وأغلى عمل ولم لا وهو عمل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؟

نقوم بالعمل لأن الله اختارنا بمحض فضله كنتم خير أمة أخرجت للناس نقوم بالعمل ونحن نخاف من العزل أو الاستبدال نقوم بالعمل بالشفقة والرحمة على الأمة نقوم بالعمل مع اليقين أن الله هو الفاعل لكل شيء نقوم بالعمل مع اليقين بأن الله بقضي جميع حوائجنا من الإبرة إلى الفردوس الأعلى

## حقيقة واقع فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في جماعة التبليغ :

ولابد لنا أن نُدرج تحليلا دقيقا حول تحرير محل النزاع: وهل كانت فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم بحق جماعة التبليغ فعلًا؟ فهناك احتمالات واردة قد تكون هي التي دفعت إلى هذا الخلط ، وأرى أنه ربما أحد احتمالين لا ثالث لهما :

## الاحتمال الأول : انتحال اسم التبليغ والدعوة :

هناك احتمالًا بأن تكون بعض الأفراد أو الجهات في الهند أو باكستان قد أنشأوا مؤسسات تعليمية أو دعوية تحت اسم التبليغ ، مستغلين شهرة هذا الاسم لأغراض دعوية أو تمويلية خاصة بهم. والفكرة هنا هي أن هذه الجهات ليست بالضرورة جزءًا أصيلًا من جماعة التبليغ الدعوية المعروفة ، بل ربما استعاروا الاسم دون تفويض أو ارتباط حقيقي بالجماعة الأم.

وهذا احتمال وارد الحدوث مع ضعفه ، والرد على هذا الاحتمال يؤكد على نقطة جوهرية أنه لا توجد أي علاقة بين هذه الجمعيات أو الكليات المزعومة -إن كان لها وجود أصلًا- وبين جماعة التبليغ المعروفة والمشهورة.

فعندما أصدر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فتواه ، حكم على ما وصله من كتب ومضامين محددة ، وليس على جماعة التبليغ ككيان دعوي معروف عالميًا. ما يعني أن الفتوى كانت ردًا على محتوى معين وصل إليه ، بغض النظر عن مصدره أو الجهة التي تبنت تسمية التبليغ لنفسها. ويؤكد عدم وجود هذه الجمعية والكلية هو التالي:

- غياب الاعتراف من جانب جماعة التبليغ : فجماعة التبليغ الدعوية المعروفة لم تعترف بأي من هذه الكليات أو الجمعيات المزعومة كجزء من هيكلها التنظيمي أو الدعوي حتى اليوم ، وليس بضائرهم موافقة موافق أو مخالفة مخالف .
- اختلاف المنهج والكتب: فالمنهج الدعوي والكتب المعتمدة لدى جماعة التبليغ المعروفة واضحة ومحددة. وأي كتب أخرى أو مضامين غريبة أو تخالف هذا المنهج لا يمكن نسبتها للجماعة الأم ، وعليه نجزم بأن من راسل الملك خالد ليس هو من جماعة التبليغ .
- تاريخ التأسيس والانتشار: فتاريخ تأسيس جماعة التبليغ معروف وخط سيرها الدعوي موثق. وأما هذه الكليات أو الجمعيات المزعومة لا تتناسب مع هذا التاريخ مطلقا ولا مع الانتشار الواسع للجماعة.
- غياب الشخصيات القيادية في المراسلات : فلقد كانت الشخصيات القيادية والمحورية في جماعة التبليغ معروفة آنذاك . ولا يوجد أي ارتباط بينهم وبين القائمين على هذه الكيانات المجهولة. ولا بتلك المراسلات .

وبناءً على ذلك ، فإن وجود كيانات تستغل اسم التبليغ لا يعني بالضرورة أنها جزء من جماعة التبليغ الكبرى. وعليه فإن الفتوى كانت ردًا على محتوى محدد وليس على الجماعة الدعوية المشهورة بحد ذاتها ، مما يقطع أي صلة بين محتوى الفتوى والجماعة الأم إذا ثبت أن مصدر تلك الكتب والكيانات كان مجهولًا أو مختلقًا.

**الاحتمال الثاني : افتعال القصة والسيناريو والحوار :**

ولعلنا نثير تساؤلات جدية حول صحة ملابسات الفتوى المنسوبة للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، التي يُزعم أنها متعلقة بجماعة التبليغ. يكمن محور هذه التساؤلات حول فرضية أن تكون هذه الفتوى قد صدرت بناءً على معلومات مضللة أو مفتعلة ، وليست مبنية على واقع حقيقي.

فهل تم افتعال السؤال الموجه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم في التبليغ ؟

أرى أنه غير مستبعد أن تكون الفتوى نتيجة مؤامرة قام بها أشخاص مجهولون ، انتحلوا شخصية هنود وراسلوا الملك خالد في ذلك الوقت ، طالبين الدعم باسم جهات غير موجودة فعليا على أرض الواقع . ثم أرفقوا مع رسالتهم كتبًا مجهولة تحتوي على مخالفات شرعية ، هدفها الأساسي هو إثارة الشبهات حول جماعة التبليغ العاملة في المملكة حينها.

وعندما وصلت تلك المراسلات والكتب إلى الملك خالد ، قام بتحويلها تلقائيا إلى سماحة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ لإبداء الرأي الشرعي فيها ، الذي قام بدوره بالرد عليها بكل صراحة وبضوح ، بناءً على ما رآه في تلك الكتب . ولكن النقطة الجوهرية هنا ، هي أن هذه المعلومات كانت ملفقة منذ البداية.

والأدلة على هذا الطرح في عدة نقاط ، كلها تؤكد دعم فرضية التلفيق من أشخاص من قلب السعودية :

- أولا : الأشخاص المذكورون مجهولون: نؤكد أن الأشخاص الذين يُزعم أنهم راسلوا الملك هم في الأصل مجاهيل وحيث أنه يقال أنهم من الهند ، فهم غير معروفين لدى جماعة التبليغ نفسها في الهند ، وهذا يثير الشك حول هويتهم ومصداقيتهم.
- ثانيا : الكتب المرفقة غير معروفة: مما يجرد الإشارة إليه أن الكتب المزعومة التي أُرفقت مع الرسائل لا تزال مجهولة وغير معروفة حتى اليوم ، ولا يوجد لها وجود أو انتشار في الأوساط العلمية ولا حتى لدى جماعة التبليغ.
- ثالثا : غياب المؤسسات المذكورة: يدّعي أنصار الفتوى أن الكلية والجمعية المزعومتين في الهند ، واللتين ورد ذكرهما في المراسلات ، وهما في الواقع لا وجود لهما على أرض الواقع حتى يومنا هذا. ولو كانتا موجودتين ، لكان لهما آثار باقية ، أو ظهر لهما تأثير مجتمعي ، أو كتب منشورة ، أو جهود مرئية ، أو خريجون معروفون. فإذا عدم كل ما سبق علم أنه لا وجود لتلك الجمعية ولا لتلك الكلية .

وبناءً على هذه النقاط ، فإننا نرى أن القصة برمتها مختلقة ومفتعلة بهدف استصدار فتوى ضد أهل التبليغ المشهورين بعملهم في وضح النهار وعلى مرآى ومسمع من الناس . ولتحقيق هذا الغرض ، تم اختلاق أسماء وهمية وإرفاق كتب غير معروفة ، كل ذلك بهدف تشويه صورة جماعة التبليغ والحصول على فتوى تجرمهم.

## علماء المملكة في عهد الفتوى المزعومة :

لسائل أن يسأل ، من كان أمير التبليغ في هذه الأثناء حينما جاء طلب الدعم من حكومة السعودية ؟ ومن كان الملك في السعودية ؟ ، ومن كان المفتى ساعتها ؟ ومن هم كبار العلماء في المملكة في هذا الوقت ؟

سؤال محوري يُساعد على ضبط السياق التاريخي بدقة ، وهو ما يحتاجه الباحث المنهجي عند تحليل الفتاوى والمواقف.

لقد كانت الفترة الزمنية: مطلع عام 1382هـ (الموافق تقريبًا لـ 1962م)

وكان الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود هو ملك المملكة العربية السعودية آنذاك (تولى الحكم من 1373هـ / 1953م حتى 1384هـ / 1964م)

وكان في تلك الفترة يُمارس سلطاته ، رغم وجود بعض التحديات السياسية والإدارية التي أدت لاحقًا إلى عزله.

وكان المفتي العام للمملكة في تلك الحقبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت. 1389هـ / 1969م) وكان يشغل منصب المفتي العام للمملكة ، ورئيس هيئة كبار العلماء ، وهو الذي أصدر الفتوى الشهيرة بتاريخ 1382/1/29هـ بشأن كلية التبليغ .

وأما كبار العلماء في المملكة في تلك الفترة فلم تُنشأ هيئة كبار العلماء رسميًا إلا في 1391هـ ، لكن كان هناك مجلس علمي شرعي غير رسمي يضم بعض العلماء ومن أبرز العلماء الذين كانوا فاعلين في الساحة العلمية والدعوية: الشيخ عبد العزيز بن باز ، كان قاضيًا في الخرج ثم رئيسًا للجامعة الإسلامية لاحقًا ،

والشيخ عبد الله بن حميد كان رئيس محاكم مكة ، ثم رئيس المجلس الأعلى للقضاء . والشيخ عبد الرزاق عفيفي كان عضو اللجنة الدائمة ، ومن كبار علماء المملكة لاحقا . والشيخ عبد الله بن قعود كان من العلماء البارزين في الفتوى ساعتها . والشيخ عبد الله بن جبرين كان في بداياته العلمية ، ولم يكن بعد من كبار المفتين .

## أمير جماعة التبليغ في عهد الفتوى المزعومة :

ولقد كان أمير الجماعة بعد وفاة المؤسس الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (ت. 1363هـ) هو ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (ت. 1384هـ / 1965م) وهو الذي تولّى قيادة الجماعة من 1363هـ حتى وفاته في 1384هـ ، وكان يُعدّ المرجع الأعلى للجماعة في الهند وخارجها.

فعند صدور طلب الدعم المزعوم في 1382هـ ، كان الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله هو أمير الجماعة في الهند ، ولكنه لم يُعرف عنه أنه خاطب الحكومات أو طلب دعمًا رسميًا ، مما يُرجّح أن الخطاب لم يكن صادرًا عن القيادة المعتمدة للجماعة.

## هل الفتوى تتعلق بـ جامعة التبليغ أم بـ جماعة التبليغ؟

إن الفتوى التي أصدرها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بتاريخ 1382/1/29هـ كانت ردًا على طلب دعم لما سُمّي بـ كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية في الهند ، وقد جاء فيها: هذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة ، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك .

فظاهر الخطاب أنه موجّه إلى جهة تعليمية ، لكن:

## لماذا فُهمت الفتوى على أنها ضد جماعة التبليغ الحركية المعروفة؟

فليست الكلية المذكورة ممثلة بحال من الأحوال للواجهة لجماعة التبليغ في الهند ، وقد أسسها ودعمها شخصيات غير معروفين نهائيا في أوساط أهل التبليغ مثل شاه أحمد نوراني وسعود دهلوي.

وكذا الكتيبات التي أُرفقت مع الطلب لم تكن تحمل فكر الجماعة ولا تعبر عن منهجها ، وقد قرأها الشيخ محمد بن إبراهيم بنفسه ، وعلّق على ما فيها من مخالفات عقدية.

ولذلك ، فإن التحذير لم يكن من فكر جماعة التبليغ بل من الكيان الأكاديمي المتمثل في هذه الكلية المزعومة .

## هل لجماعة التبليغ كتب منشورة فيها مخالفات؟

ورغم أن الجماعة الحركية لا تعتمد على كتب مؤسسية رسمية ، إلا أن لها مصادر دعوية متداولة ، منها: كتاب حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله ، وهو من أكثر الكتب تداولًا بينهم ، وقد نُقِد من قِبل علماء المملكة لمجرد ما فيه من روايات ضعيفة وهذا أمر وارد في كل دوواين الإسلام . وكذا كتبا رياض الصالحين الشهير للإمام النووي رحمه الله تعالى ، وهذه الكتب خالية تماما من المخالفات العقدية والمنهجية ، بل هي من الكتب المقبولة قبولا عاما لدى الأمة .

ولذلك فإن الفتوى لم تكن ضد فكر جماعة التبليغ المعروفة ، بل ضد الفكر الذي تمثله مؤسسة تعليمية وهي تلك الكلية المزعومه وما أرفق مع الرسالة من كتب .وقد كان التحذير مبنيًا على قراءة كتبهم وكتيباتهم ، لا على مجرد الانطباع.

وعلى فرض صحة الفتوى ونسبتها فإن الشيخ محمد بن إبراهيم لم يكن ليُصدر حكمًا بهذا الوضوح على تلك الجمعية والكلية المزعومة لولا اطلاعه المباشر على محتوى منهج تلك الكلية .

## ما هي الكتيبات أو الكتب التي أُرفقت مع خطاب كلية التبليغ إلى الملك سعود؟

من المجهول حتى اليوم نص المراسلة الأصلية التي وُجهت من أصحاب الكلية إلى الديوان الملكي ، ولا أسماء الكتب المرفقة ، ولا عنوان الراسل !

وكل ما نعرفه من المصادر المتاحة أن الشيخ محمد بن إبراهيم أشار في فتواه المؤرخة في 1382/1/29هـ إلى أنه اطّلع على كتيبات مرفقة مع خطاب طلب الدعم ، وقال تعليقا عليها : وبقراءة الكتيبات المرفقة

بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك . ولكن لم يُذكر في الفتوى أسماء تلك الكتيبات ، ولا مؤلفوها ، ولا محتواها التفصيلي.

كما أن الخطاب الأصلي الموجّه إلى الملك سعود من أصحاب كلية التبليغ لم يُنشر نصه الكامل في المصادر المتاحة ، وإنما نُقل مضمونه من خلال رد الشيخ محمد بن إبراهيم.

ما يُحتمل بحسب السياق أن تكون الكتيبات من تأليف بعض الدعاة الصوفيين – وهذا لا شك الأرجح - أو منسوبين إلى التبليغ – وهو ما لا نرجحه - ، وربما احتوت على قصص كرامات ، أو توسلات ، أو مفاهيم شركية ، مما دفع الشيخ إلى التحذير منها.

ولكن لا دليل على أن هذه الكتيبات تمثل جماعة التبليغ الدعوية المعروفة ، بل قد تكون من إنتاج أفراد أو جهات استثمرت اسم التبليغ لأغراض أخرى.

ولذلك نقول انه لا يمكن الجزم بنسبة تلك الكتب إلى جماعة التبليغ دون الاطلاع على النصوص الأصلية التي تقطع الشك باليقين بأن تلك الكتب تابعة للجماعة وفكرها ،

ومنهج التحقيق العلمي يقتضي التمييز بين ما نُسب إلى الجماعة من تلك الفتوى وهو ما أبطلناه من خلال التتبع والتحليل ، وما صدر عنها فعلًا وهو الثابت عنها .

ولذلك ، فإن الاستدلال بفتوى الشيخ محمد بن إبراهيم على الجماعة الدعوية نفسها يحتاج إلى تحرير دقيق لا مجرد التوهمات التي يعتمد عليها غلاة التبديع لخدمة مآربهم .

**جماعة التبليغ لا تتعامل مع الحكومات مباشرة .**

من المعروف والمتفق عليه أن جماعة التبليغ في كل العالم تتجنب العمل السياسي وتتحاشاه ولا تتعامل مطلقا مع السياسيين ، ولا تُخاطب الحكومات أو تطلب منهم دعمًا رسميًا ، بل تعتمد على التمويل الذاتي الشخصي والتواصل الشعبي.

ولذلك ، فإن من المؤكد أن مخاطبة الملك خالد السعودي لم تكن من صلب الجماعة ، ولا من أفراد مقربين من كبار شيوخ الجماعة أو حتى من جهات هندية ادّعت تمثيلها أو حتى استلهمت اسمها لأغراض تعليمية أو دعوية. كل هذا فروض غريبة وبعيدة !

فالشيخ محمد بن إبراهيم لم يذكر في فتواه أنه يرد على جماعة التبليغ تحديدًا ، بل على جمعية أو كلية أُرفقت معها كتيبات فيها مخالفات عقدية.

وهذا يُرجّح أن التحذير كان من الكيان الذي استغل اسم التبليغ ، لا من الجماعة الدعوية نفسها ، التي لم تكن تُصدر كتبًا أو تُنشئ جامعات.

ولذلك فالرسالة التي وُجهت إلى الملك كانت مبادرة فردية من أفراد مجهولين ، وليست صادرة عن القيادة الفعلية لجماعة التبليغ. وهؤلاء المجهولين لجئوا لاستخدام اسم التبليغ في عنوان الكلية فلا يعني هذا أنها تمثل الجماعة ، بل ربما كان استثمارًا دعائيًا لجذب الدعم.

وما خرج من الشيخ محمد بن إبراهيم حُكْم على ما وصله من كتب ومضامين ، لا على الجماعة ككيان دعوي معروف.

### دعاة التبليغ وشيوخها لا يطلبون دعما ماديا من أحد مطلقا :

سؤال لابد منه ، هل أثر مرة منذ هذا الحين أو قبله أو بعده إلى يومنا هذا عن جماعة التبليغ الدعوية - التي تلزم أتباعها بالخروج في سبيل الله بالمال والنفس - طلب دعم مادي من كائن من كان في الهند أو باكستان أوحتى في بلاد العرب ؟!

وإذا لم يؤثر عنهم ذلك فلماذا يتم الجزم بأن طالبي هذا الدعم للكلية المزعومة بأنهم جماعة التبليغ الحركية الدعوية المعروفة .

هذا السؤال في غاية الأهمية حيث يُسلّط الضوء على إشكالية الخلط بين الأفراد المنتحلين شخصيات معينة أو الزاعمين اتصالا بالدعوة وبين الجماعة الدعوية من جهة أخرى ، وهو خلط وقع فيه كثير الباحثين والمتعجلين في نسبة الفتاوى.

فبحسب ما هو مستقر في أدبيات تلك الجماعة وسلوكها العملي انها لا تطلب دعمًا ماديًا من الحكومات أو الأفراد خارجها ، بل تُلزم أتباعها بتمويل الخروج في سبيل الله من مالهم الخاص ، وتُعدّ هذه من السمات المميزة للجماعة.

ولم يُعرف عنهم في الهند أو باكستان أو البلاد العربية أنهم أنشؤوا مؤسسات تعليمية رسمية باسم الجماعة ، أو سعوا إلى تمويل خارجي لدعوتهم. بل إنهم يتجنبون العمل المؤسسي والسياسي ، ويُعرف عنهم التحفظ الشديد من التعامل مع الحكومات.

وهذا ما يجعل نسبة طلب الدعم المادي إليهم أمرًا مستبعدًا جدًا من حيث المنهج والسلوك.

### لماذا نُسب طلب الدعم إلى جماعة التبليغ؟

إن الخطاب الذي وُجّه إلى الملك خالد بن عبد العزيز في أوائل الثمانينات الهجرية كان من أشخاص استخدموا اسم كلية التبليغ ، ولكن لم يُثبت أنهم من القيادة الفعلية للجماعة بل ولم يثت أنهم من أتباع دعوة التبليغ أصلا .

فالشيخ محمد بن إبراهيم لم يذكر في فتواه أنه يرد على جماعة التبليغ الدعوية ، بل على جمعية أو كلية أُرفقت معها كتيبات فيها مخالفات.

ومن هنا ، فإن الجزم بأن هذه الكلية تمثل الجماعة الدعوية المعروفة هو تعميم غير دقيق ، ويحتاج إلى تحقيق علمي وتاريخي.

من خلال هذه المحاورة تبين لدي بما لا يدع مجالا للشك أن هناك ملابسات خفية حول موقف الشيخ بن إبراهيم من جماعة التبليغ ، ولذلك فإن فتواه الأولى الموجهه الى الاحساء قد تم إخفاؤها قصدا وتم تضخيم فتواه الثانية التي ليست في جماعة التبليغ الدعوية ! وذلك لقصد متعمد ، وهذه الخلاصة التي توصلتَ إليها في حقيقتها فرضية علمية قوية تستحق النظر والتحليل ، لا التسرع في تأييدها أو رفضها دون تمحيص. سوف نتناولها بهدوء علمي:

## هل هناك ملابسات حول موقف الشيخ محمد بن إبراهيم من جماعة التبليغ؟

وبلا شك فإن المعطيات غير مكتملة ، وهناك عدة مؤشرات تدل على وجود غموض أو اختزال في نقل المواقف:

فرسالة الشيخ إلى علماء الأحساء التي يُفهم منها الإذن بالتعاون مع التبليغ ليست منشورة على نطاق واسع رغم قيمتها المرجعية ، وهذا يثير التساؤل. بينما فتوى 1382هـ التي لا تتحدث صراحة عن الجماعة ، بل

عن كلية مشبوهة ، أصبحت النص الأكثر استحضارًا في الحوارات الفقهية حول التبليغ ، رغم أن محلها مختلف على الأرجح.

فإذن ، من الجانب المنهجي: نعم ، هناك مؤشرات لوجود غياب للتوازن في عرض الموقف التاريخي الكامل.

### هل تم إخفاء الأولى و تضخيم الثانية عن قصد؟

هنا نحتاج إلى التمييز بين الحكم على الظاهرة التي نشاهدها وهي وجود فتوى مضخمة ، والحكم على القصد:

حيث إن نية الإخفاء المتعمد والتضخيم لغرض غير علمي: فهذا لا يُجزم به ما لم يثبت عبر قرائن أو اعتراف صريح وقد يكون السبب في ذلك تراكم النقولات الانتقائية من خصوم الجماعة أو المتحفظين عليها ، فشاع ما يُعزز موقفهم ، وأُغفل ما قد يُضعفه.

فالذي نستطيع أن نقوله بيقين: ما وصلنا عن موقف الشيخ محمد بن إبراهيم من جماعة التبليغ منقسم وغير متوازن ، مما يدعو إلى إعادة التحقيق في تسلسل الفتاوى وتحرير محل النزاع بدقة.

ولذلك فإن تتبع المواقف المنسوبة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم يظهر تباينًا يستلزم المراجعة العلمية؛ إذ نُشرت فتوى التحذير من جهة مجهولة الهوية ، وغُيّبت – أو قلما تُستحضر – الرسالة التي وُجِّه فيها بالتعاون مع جماعة التبليغ ، مما يُشير إلى حاجة ملحة لإعادة تحرير الموقف في ضوء النصوص المؤصلة لا في ضوء النقل الانتقائي.

### قراءة نقدية للموقف المنسوب إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من جماعة التبليغ :

المنهج العلمي الرصين يدعونا إلى التوقّف في تعميم فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم على جماعة التبليغ الدعوية ، نظرًا لتغيّر السياقات ، وغموض الجهة المخاطِبة ، وجهالة مصادر الكتيبات المرفقة. بل إن ما ورد عنه

من توجيه للتعاون معهم – في رسالة أخرى – يعزز فرضية أن الموقف يحتاج إلى إعادة تحرير شاملة ، لا التسليم بنقولات انتقائية.

بعد تتبّع السياق الزمني للفتاوى ، ومقارنة ما نُقل عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بشأن جماعة التبليغ ، يترجح للباحث أن ثمة تباينًا ظاهرًا في الوثائق المنقولة عنه ، يستوجب إعادة التحقيق وتحرير محل النزاع بدقة.

أولًا: الفتوى المحذِّرة (1382هـ) :

وُجهت إلى جهة رسمية بخصوص كلية التبليغ الإسلامية ، ووصفها الشيخ بأنها تحتوي على ضلال وبدع ، واستند إلى كتيبات مرفقة لم تُحدّد أسماؤها ولا مؤلفوها. لكنها نُسبت بعد ذلك إلى جماعة التبليغ الدعوية ، رغم عدم ثبوت الصلة المباشرة بينهم وبين تلك الكلية.

ثانيًا: الرسالة الموجَّهة لعلماء الأحساء (تاريخ سابق للفتوى) :

نُقل أن الشيخ نفسه أوصى فيها بالتعاون مع جماعة التبليغ ، وهي رسالة لم تُنشر على نطاق واسع ، وتندر الإشارة إليها في السجالات الفقهية المعاصرة ، مما يوحي باختلال في عرض الصورة الكاملة للموقف.

ثالثًا: التحليل الموضوعي للمسألة :

فالخطاب الذي وجّه إلى الملك لم يثبت أنه من قيادة جماعة التبليغ ، بل يحتمل أن يكون من جهة أخرى استثمرت اسمهم حيث أنه لم يُؤثر مطلقا عن الجماعة قديما وحديثا طلب دعم مادي في أي مرحلة من مراحلها ، بل هي تُلزم أفرادها بالإنفاق الذاتي وتتحرّز من التعامل مع الحكومات خاصة حال غياب النصوص الأصلية للكتيبات المرفقة مع خطاب الكلية يجعل البناء على تلك الفتوى في الحكم على الجماعة أمرًا فيه تسرع ، بل تعميمٌ من غير نص ولا ضبط.

## الاعتذار عن فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم وحملها على أحسن المحامل :

ولدينا سؤال في غاية الإنصاف ، ويجدر بالعقول المنهجية أن تقف عنده طويلًا. ونحن هنا لا نسلط الضوء على فتوى واحدة فقط ، بل نفتح بابًا مهمًّا في فقه التعامل مع الفتاوى التاريخية في ضوء المعطيات المعاصرة. فنقول :

ألا يسعنا الاعتذار عن فتوى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ التي تتحدث عن أناس مجاهيل وكلية مجهولة وكتب مجهولة ! أم نجزم بكل هذه المجاهيل ونقف في وجه دعوة مشاهدة مدروسة معلومة ظاهره واضحة ؟! دعنا نُفكّك المسألة تأصيليًا وعقليًا:

### أولًا: هل يجوز شرعًا الاعتذار عن فتوى صدرت عن عالم معتبر؟

نعم ، يجوز بل يُطلب ذلك شرعا إذا ثبت أن الفتوى بُنيت على معطيات غير دقيقة أو ناقصة ، أو تم تأويلها في غير محلها ، بشرط أن يتم هذا الاعتذار بعلمٍ وفهم ، لا بهوى أو تعصب مع التحقيق العلمي الرصين ، لا بمجرد الانطباع أو الإعجاب بالأشخاص.

وقد جاء في كلام العلماء أن من علامات الإنصاف: أن تعرف ما قيل ، ولماذا قيل ، وفي أي سياق قيل ، ومتى يمكن أن لا يُعمل به.

### ثانيًا: ما هي مواطن الإشكال في فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم؟

لقد وضعنا أيدينا على مواطن الضعف في الفتوى وملابساتها :

فالمخاطبون مجهولون: إذ لا يُعرف ما إذا كانوا يمثلون فعليًا جماعة التبليغ الدعوية المعروفة ، أم مجرد أفراد يستخدمون الاسم لأغراض أخرى.

وكذا الكلية المزعومة غامضة النسب والهوية: فليس من عادة جماعة التبليغ إنشاء جامعات ولا مخاطبة الحكومات ، وهو ما يجعل نسبة المشروع لهم مشكوكًا فيه.

وكذلك الكتب المرفقة في الرسالة غير معلومة المصدر أو المؤلف: والتحذير منها لا يُلزم الجماعة الدعوية إلا إذا ثبت أنها تتبناها رسميًا.

وأيضا غياب التوثيق للنصوص الأصلية: فلا نملك اليوم الخطاب المرسل ولا الكتب المرفقة ، إنما نملك فقط رد الشيخ.

### ثالثًا: ماذا عن تلك الجماعة اليوم؟

إن الجماعة محل الفتوى اليوم معلومة ، مرصودة تحركاتها ، كتبها معروفة ، ومسلكها ظاهر. وبالتالي فإن نقدها أو تزكيتها يجب أن يتم بناءً على واقعها الحقيقي لا على نسبتها إلى مجهولات. ومعلوم ان المنهج السلفي لا يقوم على ردود الأفعال ، بل على العدل والتمييز بين الخطأ والصواب دون إسقاط أحكام مطلقة.

### رابعًا: ما هو الموقف المنهجي العادل في تلك القضية الشائكة ؟

نستطيع القول: إن فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم كانت مبنية على معطيات وصلته آنذاك ، وربما لو عُرضت عليه الوقائع بدقّتها المعروفة اليوم لما أصدر ذات الحكم. لذلك ، لا يجوز تعميم فتواه على جماعة التبليغ دون تحرير دقيق لمحل النزاع.

وهذا ليس انتقاصًا من مكانة الشيخ ، بل هو توقير له بوضع كلامه في سياقه الصحيح.

كما قال الإمام مالك رحمه الله: كلٌ يُؤخذ من قوله ويُرد ، إلا صاحب هذا القبر – وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

ولذلك يسعنا أن نتوقف عن إسقاط فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم على جماعة التبليغ المشاهدة اليوم ، لأنها ليست عين من خرجت الفتوى فيهم. بل يجدر بنا نقد الجماعة – إن وُجد فيهم خطأ – من خلال أقوالهم وسلوكهم المعلومين لا عبر اتهامات مبنية على مجاهيل.

**موقف علماء المملكة بعد هذه الأثناء من دعوة التبليغ:**

كان للشيخ ابن باز رحمه الله له موقف متدرج؛ فقد أفتى في بعض المواضع بجواز الخروج مع الجماعة إذا كان الخارج طالب علم يُعلّمهم ويوجههم ، بشرط ألا يقرّ ما عندهم من مخالفات. ولكنه في مواضع أخرى حذّر من بعض ممارساتهم وهذا طبيعي على طبيعة السؤال المطروح عليه من السائل ، واعتمادهم على كتب معينة دون غيرها.

وقد أشار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله إلى أن الجماعة فيها خير كثير كما ألمح إلى وجود بعض المخالفات من بعض الأفراد ، وأنه لا يُنصح بالخروج معهم إلا لمن كان عنده علم يميز به بين الحق والباطل. وكان يرى أن المنهج السلفي أولى بالاتباع ، وأن جماعة التبليغ في الهند أي في بلد المنشأ فيها خلل في العقيدة والمنهج.

وأما الشيخ ابن جبرين رحمه الله فقد كان له موقف أَكثر لينًا نسبيًا ، حيث أجاز الخروج معهم لمن كان قويًا في العقيدة ، بشرط أن يُعلّمهم ويوجههم. ولكنه أيضًا نبّه على بعض أخطائهم .

ويتلخص الموقف العام من جماعة التبليغ في المملكة كان تحذيريًا في الجملة ، مع وجود تفصيل في بعض الفتاوى بحسب حال الشخص الخارج معهم.

فقد راعى العلماء في فتاواهم تغير الأحوال ، فبعضهم أجاز الخروج معهم في وقت معين ، ثم تغيرت الفتوى لاحقًا مع تغير حال الجماعة.

## التزوير الفاضح لفتوى مفتي السعوديه السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في أهل التبليغ والدعوة :

فليعلم القارىء الكريم بادىء ذي بدء أننا بمناقشتنا هذا الموضوع بالتفصيل لسنا بحاجة لفتاوى فلان أو فلان لتصحح لنا فكرة التبليغ الحركية والدعوة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم التي تيقنا منها بأعيننا وخالطنا أهلها سنوات طويلة وظهر لنا من حالهم ما ينفي كل ما يثار حولهم من شبهات ، فليست الفتاوي المؤيدة تزيدنا معرفة بما نحن به أعرف من المؤيد ولا الفتاوي المعارضة صادة لنا عن منهج تيقنا من صحته ونحن أعلم بما نفعل ممن قدح ، فنحن في الميدان معهم منذ عقود وذهبنا معهم فى كل مكان ومنا من سافر لعقر دارهم فى الهند والباكستان وبنجلاديش ورأينا بأعيننا حالهم وحياتهم وخالطنا علماء الدعوة والتبليغ وخرجنا معهم ودخلنا مدارسهم والتقينا بالطلاب المتخرجين على أيديهم والعلماء الذين يعلمونهم ووالله الذي لا إله إلا هو ما رأينا ولا سمعنا ولا علمنا منهم إلا كل خير وأبعد ما يكونون عن الشرك والبدعة ، فقد تفانوا في التضحية في سبيل نشر الإسلام وتبليغه ، وهم أصحاب عقائد صحيحة مقبولة فى طول التاريخ الإسلامي وإن كان ثم خلاف فخلاف علمي ميدانه الكتب وليس الفجور فى الخصومة ، وهم ذوو إيمان راسخ ويقين قوي وعلم وعمل وصفات وأخلاق والتزام بالسنة تذكرك بسلف الأمة الصالحين من الصحابة والتابعين. فليس من رأى كمن لم ير. فلا تنسوا الهجمة على الإسلام وتبليغ الإسلام من أعداء الإسلام. شهادة أسأل عنها أمام الله يوم القيامة.

تزوير بلا حياء من الله ولا عباده . فإقرأ بتمعن أخي القاريء ولا تعجل لتتضح لك حقائق هامه. يستفيد منها أهل الدعوة وهم يشقون طريقهم بعون من الله لا يعبؤون بمن يضع أمامهم ويشبك حولهم خيوط العنكبوت ليقف مدهم المبارك حول العالم .

فلم يجد المناوؤون إلا افتراء الكذب والزور حولهم . دون إعمال الفكر والعقل ، ودون حتى طلب الحقيقة الجلية من مشايخ الدعوة الكبار. ولا احتراما لمفتي المملكه بمقام الشيخ محمد بن إبراهيم.

## الفتوى الظالمه والمزوره على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله :

لا نستبعد التزوير والاعتداء على فتوى الشيخ مفتي المملكه السابق ( محمد بن ابراهيم آل الشيخ) ، فقد أورد الشيخ حمود التويجري في كتابه الحافل عن هؤلاء الضلال : ( وهو يقصد بالضلال جماعه التبليغ العالميه).

وأما ما ذكره السائل أنه قرأ فتوى من الشيخ محمد بن إبراهيم تتضمن التوقُّف في أمر التبليغيين.

فالجواب عنه أن يقال : إن للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى جواباً صدر منه قبل وفاته بسبع سنين ، وقد صرح فيه أن جمعية التبليغيين جمعية لا خير فيها ، وأنها جمعية بدعة وضلالة ، وهذا نص جوابه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن إبراهيم إلى حضرة السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد تلقَّيت خطاب سموكم رقم (37/ 4/5/د) في 21/ 82/1 هـ وما برفقه ، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبد الحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها (كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية) ، وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم.

وأعرض لسموكم أن هذه جمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة ، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة. والدعوة إلى عبادة القبور. والشرك ، الأمر الذي لا يسع السكوت

عنه ، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها ، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ص/م/ 405 في 29/ 1/82هـ))

هذا الجواب مذكور في (ص 267 268) من الجزء الأول من (فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى).

وإذا علم ما في جواب الشيخ محمد بن إبراهيم من الرد على التبليغيين والذم لجمعيتهم والتصريح بأنه جمعية بدعة وضلالة وأنه لا خير فيها ، فليعلم أيضاً أنه لم يأت في (مجموع فتاوى الشيخ محمد) شيء يخالف هذا الجواب.

وقد ذكر لنا أنه قد سئل عنهم قبل جوابه الذي تقدم ذكره بعشر سنوات ، فأجاب بأن أمرهم لم يتبين له ، ثم لما تبين له أنهم أهل بدعة وضلالة ؛ صرح بأنه لا خير فيهم ، وأن جمعيتهم جمعية بدعة وضلالة.

فهذا هو الثابت عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ، والعمدة عليه لا على ما كان قبله. انتهى المراد من كلام الشيخ حمود رحمه الله تعالى من القول البليغ ص 19.

## فصل في ذكر جهود الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وفتاواه في حركة التبليغ :

قد علم القاصي والداني بأن الشيخ محمد بن إبراهيم قد مدح جهد التبليغ مدحا واضحا من غير ريبة ولا شك ، وقد تحمل عنه هذا الأمر تلامذته وعلى رأسهم الشيخ العلامة بن باز وهو من أجل تلامذته وأعلاهم شأنا بعده ، وكذا أثبته الشيخ بن جبرين رحمه الله تعالى ، ولذلك فإن تعديله ليس مبهما ولا خافيا ولا ناقصا .

### نصائح الشيخ بن باز رحمه الله لجميع طلبته ومناصحته للمداخلة :

وقد ناصح الشيخ بن باز رحمه الله رحمة واسعة ثلة الشباب صغار السن الذين راجعوه في المسألة وتطاولوا عليه وعلى شيخه بن إبراهيم ، وقد حفظت لنا هذه المراجعات ، ما يدل على أن هذه الثلة من الشباب كانت تتمتع منذ صغرها ببذور فتنة الصدام والتعالي والتطاول على الأكابر والعلماء ، بدليل أنهم لم ينساقوا لنصيحة الشيخ الأول في المملكة ساعتها ، وهم الذين يتمسحون به في كل موقف ، وأدى بهم المآل إلى حروب طويله بينهم وبين جميع فصائل المسلمين في كل البلاد ، فهم المخالفون لجمع أمة الإسلام سلفيهم وغير سلفيهم ، فبدعوا القاصي والداني ولم يسلم من لسانهم أحد من العلماء ولا الدعاة ، ثم تطور الأمر بهم حتى بدع بعضهم بعضا ، وأفنوا أعمارهم في الرد على بعضهم البعض ردودا سخيفة تافهة لا تقدم للإسلام نقيرا ولا قطميرا ، وقضى من قضى منهم نحبه على هذا المنهج الضال ، ومن بقي منهم فهو مصر على غية وضلاله ! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

### الشيخ بن باز رحمه الله رجل عاقل حصيف :

إن سماحة الشيخ المفتى عبد العزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة رجل عاقل ، لأنه نطق بالحق الذي بلغه من الثقات تلامذته وأصدقاءه وتكلم بالصدق الذى علمه من أهل العلم وطلبته ، فلم يداهن فى كلامه أحدا من الحكام ولم يخف من انفضاض الشباب المتهور من حوله ولم يخف عليه حال أهل التبليغ ولم يُستغفل

من بطانته ! بل كان رجلا صالحا ذا بطانة صالحة ، وكذلك لأنه واجه كثيرا من طلبة العلم فى زمانه بغير ما يحبون ، ولأنه نصحهم مرارا وتكرارا بالعدول عن منهجهم الهجومي التبديعي التفسيقي لكل مخالف لهم .

إن الشيخ بن باز رحمه الله حينما مدح جهد أهل التبليغ لم يمدحهم مدحا عاما مطلقا بلا قيد ولا شرط ، بل مدح ما عندهم من خير وحذر مما بلغه عنهم من شر ، وهذا هو محض العقل والحكمة واتباع الدليل وإنصاف الناس ، فلم يحمله شيء فى قلبه للتقول على من ليسوا أتباع منهجه ولا أبناء بلدته !

## لا يخاف فى الله لومة لائم :

إن كثيرا ممن كان ينصر أهل التبليغ ويمدحهم ممن تراجعوا عن مواقفهم لم يتراجعوا عن قناعة ولكن كما يقول المصريون فى أمثالهم ( ريح دماغك ، الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح ) فلم يكن تراجعهم من قبيل أنهم رأوا أو سمعوا أو شاهدوا ما ينقمون ، ومن أشهر هؤلاء خالد بن عبد الرحمن المصري الذى كان يخرج مع أهل الدعوة وسافر إلى بلاد الهند والباكستان وقابل كثيرا من شيوخ التبليغ هناك وناقشهم وحاورهم فلم يجد في كلامهم مغمزا ولم يرى بعينه هناك ما ينكر أبدا فتحمس للكتابة عنهم وبالفعل كتب عنهم كتابه وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومنهاج جماعة التبليغ فى ذلك منتصرا لمنهج التبليغ ومبينا أنهم على السنة أو على الأقل أنهم ليسوا على البدعة !! ولكنهم سريعا ما تراجع لأن الشيخ مقبل الوادعى قابله فى مرة وقال له تراجع عن ذلك ، فتراجع الرجل عما كتب من غير بينة ولا برهان ، وكانت حجته التى سطرها فى كتابه الذي تراجع فيه حجة واهية ساذجة تافهة لا يجوز أن تخرج من طالب علم فضلا عن رجل يراه البعض عالم ! قوله : ( إننى لم أرى ما كتبت واقعا ملموسا فى واقع الجماعة ) أو قريبا مما قال . فالله المستعان .

وأبرز ثاني تلك الأمثلة هو سعد بن عبد الرحمن الحصين الذي خرج مع أهل التبليغ لمدة ثمان سنوات جاب فيها أقطارا كثيرة ودعا إلى الله تعالى وأفاد واستفاد ، ثم فجأة تراجع عن كل ذلك وأصبح عدوا لدودا لهم

يقدح فيهم ويذم ويسب ويشتم بل ويؤلف فيهم الكتب التى تحذر منهم ، والدافع إلى انتكاسته – سميتها انتكاسة لأنه تراجع من غير سبب وإلا لسميت قوله تراجع تلك هو أنه قال : ( أخبرني من هو أسبق منى فى الجماعة أنهم طلبوا منه أن يبايع على طرق صوفيه فجاءني بذلك الخبر اليقين ) وياللعجب ! ظل ثمان سنوات معهم فلم ير شيئا حتى أخبره هذا الصديق !! ونحن نقول وماذا علينا نحن إذ لنا معهم عشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة ولم يطلب منا شيئا من ذلك ؟! أنظل على ما نحن عليه أم ننتكس مثلك ثقة فيك ؟! كما انتكست أنت ثقة في صديقك !!! ثم إنك إن كان هذا دافع رجوعك عن موقفك فما الداعى لأن تكيل لهم الاتهام فى كل موقف وموضع ؟! وما الدافع لأن تشهر بهم فى موطن ومقال ؟! الأمر الذي يثبت أن موقفك هذا ليس إلا موقفا سياسيا بحتا إذ لا يقبل من سفير مبتعث من المملكة العربية السعودية إلى دولة الكويت الشقيقة أن يكون ذا انتماء للتبليغ مثلا أو لغيره ! بل لابد أن يكون منهجه فى غاية الوضوح والظهور من اللهج بالثناء على الملك وحاشيته والتسبيح بحمده وتمجيده ، لا جرم يا سعد ، لقد عرفنا أن الريال غيرك .

## رد الشيخ بن باز رحمه الله واستدلاله بفتوى شيخه بعد وفاته بثلاثين سنة :

وهذا رد من الشيخ بن باز رحمه الله على بعض من يسأله بخصوص دعوة التبليغ ، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم بثلاثين سنة تقريبا ، وما زال الشيخ بن باز رحمه الله يستشهد بفتوى شيخه ويستدل بفهمه .

(خطاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله) تعالى إلى حضرة الأستاذ / عوض بن عوض القحطاني حفظه الله ، برقم 1155 /خ في تاريخ 1399/9/5هـ
بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم عوض بن عوض القحطاني زاده الله من العلم والإيمان, وجعله مباركاً أينما كان, آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته, أما بعد :

فقد وصلني كتابك الكريم, وفهمت ما شرحتم فيه وما تضمّنه السؤال عن جماعة التبليغ وهل طريقتهم صحيحة ؟ وهل هناك مانع من مشاركتهم فيما يقومون به من الدعوة والخروج معهم إلى آخره ؟

والجواب :

قد اختلف الناس فيما ينقلون عنهم فمن مادح وقادح, ولكننا تحققنا عنهم من كثير من إخواننا الثقات من أهل نجد وغيرهم الذين صحبوهم في رحلات كثيرة وسافروا إليهم في الهند والباكستان,فلم يذكروا شيئاً يُخِلّ بالشرع المطهر أو يمنع من الخروج معهم ومشاركتهم في الدعوة.

وقد رأينا كثيراً ممن صحبهم وخرج معهم قد تأثر بهم وحسنت حاله كثيراً في دينه وأخلاقه ورغبته في الآخرة .

فعلى هذا لا أرى مانعاً من الخروج معهم ومشاركتهم في الدعوة إلى الله ، بل ينبغي لأهل العلم والبصيرة والعقيدة الطيبة أن يشاركوهم في ذلك, وأن يُكملوا ما قد يقع من بعضهم من نقص, لما في سيرتهم وأعمالهم من التأثير العجيب على من صحبهم من المعروفين بالانحراف أو الفسق.

وإليكم برفقه صورة من كتاب كتبه شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله يثني عليهم فيه, ويشجع على مساعدتهم في الدعوة وعدم منعهم, وذكر فيه : أن مهمتهم العظة في المساجد, والإرشاد, والحث على التوحيد وحسن المعتقد ، والحث على العمل بالكتاب والسنة, مع التحذير من البدع والخرافات إلى آخر ما ذكر في كتابه المشفوع بهذا . , وتجدون أيضاً برفقه نسخة من تقرير كتبه بعض إخواننا الثقات عنهم وهو فضيلة عميد كلية الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام الماضي, وفضيلة الشيخ عبد الكريم مراد الأستاذ بالجامعة الإسلامية وهو معروف لدينا بحسن المعتقد ويجيد لغتهم مع العربية لحضور مؤتمرهم السنوي الذي يقام في الباكستان كل سنة.

وخلاصة التقرير الثناء عليهم والدعوة إلى مشاركتهم في دعوتهم واجتماعهم واستمرار الصلة بهم. وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه, وأن ينفع بهم وبأمثالهم المسلمين, إنه سميع قريب, والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد )

### قائمة بأسماء من راجعهم الشيخ بن باز رحمه الله فى تلك المسألة :

وقد كان من مميزات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ومناقبه أنه كان لا يخاف فى الله لومة لائم – نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله – فكان فى غالب أحواله ينكر على كل مخالف مخالفته ، والقائمة تطول بأسماء كثير من طلبة العلم الذين سألوا الشيخ بن باز عن التبليغ ولكنه نصحهم وراجعهم وأفتى بحقيقة منهج التبليغ ومنهم :

### مراجعة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله أحد تلامذته :

وهذه موعظة بليغة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وجّهها لأحد طلبة العلم الذي سعى بكل قوته أن يستصدر فتوى من الشيخ عبدالعزيز بن باز بتبديع أهل الدعوة و التبليغ ، وقطع نشاطهم وإغلاق مساجد الله في وجوههم ففي الخطاب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى إلى فضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين حفظه الله تعالى تبين أن الشيخ يقف مع التبليغ وينافح عنهم ويقف في وجه المجرحين والناقمين والشباب الأهوج .

علماً أن هذا الطالب كان عاملاً معهم لمدة ثماني سنوات ، ودافع عنهم يوم كان معهم بكل ما أوتي من قوة ، وكتب للشيخ ابن باز الرسائل الكثيرة في تزكيتهم ، وحث الشيخ على تأييدهم ، ثم بعد أن انقلب عليهم أراد من الشيخ عبدالعزيز بن باز أن يفتي بتبديعهم ومنعهم فكتب له الشيخ موعظته البليغة هذه :

برقم 414 / خ المؤرخ : 11 / 4 / 1408 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ سعد ابن عبدالرحمن الحصين ووفقه الله لكلمة الحق فى الغضب والرضا ، وأعاذنا وإياه من شرور النفس والهوى آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فقد وصلنى كتابك المؤرخ 3/ 3 / 1408 هـ ومشفوعاته ، كتابك لفضيلة الشيخ أبى بكر الجزائرى وفضيلة الشيخ يوسف الملاحى ، وما أرفقت بهما ، واطلعت عليها كلها .

ولا أكتمك سرا إذا قلت إنى لم أرتح لها ولم ينشرح لها صدرى ، لأن هذه الطريقة التى سلكت لا تفيد الدعوة شيئا ، لأنها تهدم ولاتبنى وتفسد ولا تصلح ، وضرها أقرب من نفعها ، ولم يعد ضررها إلا على الدعوة وعلى إخوانك فى الله من خيرة المشايخ وطلبة العلم نشأوا على التوحيد والعقيدة الصحيحة علما وتعليما ودعوة وإرشادا وقد إستغلها من لا بصيرة له فى مناصبتهم العداء وتكفير بعضهم لهم ، وإستباحة بعضهم لدمائهم ، والعياذ بالله ! مع الوشاية بهم واستعداء المسؤلين عليهم ، وتهويل أمرهم عندهم وتخويفهم منهم ورميهم بالعظائم ، وإلصاق التهم بهم مماهم برآء منه ، حتى حصل على الدعوة والدعاة من الضرر ما الله به عليم ، أما من أقمتم الدنيا وأقعدتموها من أجلهم فينطبق عليكم قول الشاعر .

وناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

لكونهم بمنأى عنكم فى بلادهم سائرين فى دعوتهم فى حماية من دولتهم لإحترامها لهم ، لأنك ذكرت فى بعض كتابتك لنا أن رئيس الحكومة يحضر إجتماعاتهم ويشجعهم ، كما ذكر لنا هذه الأيام بعض أبنائنا المتخرجين من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ممن شاركهم فى الدعوة سنين طويلة ، أن مركزهم فى رائيوند مفتوح

24 ساعة وجماعات تخرج فى سبيل الله ، وجماعات ترجع ، فما دام الأمر هكذا فلن تخضعهم كتاباتك وكتابات أمثالك المشتملة على الفظاظة والغلظة والسب والشتم بل أن هذه الكتابات ستكون سببا فى نفرتهم من الحق وبعدهم عنه ، لقول الله سبحانه لنبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه :

( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك )

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ( إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ) ( وإن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شأنه ) ( وإن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ولا على ما سواه )

والله سبحانه وتعالى نهى عن سب الكفار إذا كان يفضى إلى سب الله فكيف بسب المسلمين إذا كان يفضى إلى تنفيرهم من الحق وبعدهم عنه وعن الداعين إليه ؟

فالواجب أن تسعوا فى الإصلاح ، لا فى الإفساد وأن تخالطوهم وتنبهوهم على ما قد يقع من بعضهم من الخطأ بالرفق واللين ، لا بالعنف والقسوة ، أما تشديدك فى إنكار البيعة على التوبة فقد إقترحت على قادتهم لما إجتمعت بهم فى موسم الحج الماضى بمكة ، وحصل بينى وبينهم من التفاهم ما نرجو فيه الفائدة ، أن يكون عهدا بدل بيعة ، فقبلوا ذلك ولعلهم تعلقوا بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الجزء 28 ص 21 من الفتاوى من عدم إنكار ذلك . وكذلك تشديدك النكير عليهم فى إبقائهم أحد الدعاة فى المسجد للدعاء لهم ، ولعل قصدهم الإقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم حين بقى فى العريش يوم بدر مع الصديق يناشد ربه النصر حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فرده الصديق وقال : يا رسول الله ! ( كفاك مناشدتك ربك ، فإن الله سينجز لك ما وعدك )

وقد تمنيت أنك قبلت نصيحتى المتكررة لك ، وما أشرت به عليك سابقا ولاحقا فى كتبى المرفق بعضها مع بعض صور ، مما صدر منك فى الموضوع لأنى كتبتها عن بصيرة وتأنى ونظر فى العواقب وموازنة بين جلب المصالح ودفع المضار ، وخبرة تامة بهم لتكرر إجتماعى بهم فى مكة والمدينة والرياض مع ما إستفدته من ثقاب المشائخ الذين سافروا إليهم وحضروا إجتماعاتهم ، واطلعوا عليها من كثب وأعجبوا بها ، وكنت نصحتك بما نصحت به محمود إستانبولى لما تهجم عليهم على غير بصيرة كحال أكثر من شن عليهم الغارة فى هذا الوقت بدافع الجهل والهوى ، نعوذ بالله من ذلك ، وقد قلت في رسلتك المذكورة لمحمود :

( وصلتنى رسالة منك حول أهل الدعوة و التبليغ ويؤسفنى أن ينهج أحد الدعاة إلى الله هذا المنهج المخالف ، لشرع الله فى سب أقرانه فى الدعوة إلى الله وشتمهم وتضليلهم وإتهامهم بتنفيذ مخططات أعداء الله فى الكيد للإسلام والمسلمين ، كل ما فى الأمر أن جماعة التبليغ نهجت فى الدعوة إلى الله منهجا ، أخطأت فيما نرى فى بعض جوانب منه ، ونرى من الواجب أن ننبههم على هذا الخطأ ، كما نرى من الواجب الإعتراف بما فى منهجهم من صواب ، وليت أخى ! يخرج معهم ليتعلم منهم اللين بدل القسوة ، والدعاء للمسلمين بدل الدعاء عليهم ، والجدل بالتى هى أحسن بدل الجهر بالسوء ، وكلنا محتاج لتفقد نفسه وتصحيح منهجه والرجوع إلى الله وإلى سنة رسوله فى طاعة الله والدعوة إليه ) انتهى كتابك بحروفه .

وقد كتبته بعد اختلافك معهم فى الرأى ولكن الله أنطقك بالحق فالحمد لله على ذلك . وإليك رسالتك المذكورة مع شكرنا لك عليها برفقه ، وربما إغتر بكتاباتك القاسية ثقة بك ، من لم يخالطهم فى عمره ولم يخرج معهم ولم يعرف عنهم شيئا إلا من كلامك فيكون عليك وزرك ومثل أوزار من إنخدع بما كتبت إلى يوم القيامة . فاتهم الرأى يا بنى ! وأعلم أن الله عند لسان كل قائل وقلبه ، وأن الله سيحاسب الإنسان عما يلفظ به أو يعمله ، والجأ إلى ربك واضرع إليه أن لا يجعلك سببا فى الصد عن سبيله وأذية المسلمين ،

وأسأل الله عز وجل أن يشرح صدرك لما هو الأحب إليه والأنفع لعباده وأن يختم لى ولك بالخاتمة الحسنة أنه جواد كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

**مراجعة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تلميذا من تلامذته هو الشيخ فالح بن نافع الحربى :**

وفي خطاب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله إلى فضيلة الشيخ فالح بن نافع الحربى برقم 889 / خ المؤرخ 12 / 8 / 1406 هـ جاء فيه : )

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ فالح بن نافع الحربى ، منحه الله البصيرة فى الدين وشرح صدره لما يرضى رب العالمين آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فقد وصلنى كتابك المؤرخ 26 / 7 / 1406 هـ وفهمت ما تضمنه من النيل من أهل الدعوة والتبليغ واستنكارك لما كتبت بشأنهم وما كتبه قبلى شيخنا العلامة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية فى زمانه قدس الله روحه ونور ضريحه من الثناء عليهم ، ولقد ساءنى كثيرا تنقصك وحطك من قدره بقولك ( ابن ابراهيم ) وأن الأشخاص الذين أشرت إليهم يخالفونه فى الرأى فيهم .

ولقد عجبت مما ذكرت فأين يقع علم هؤلاء ورأيهم من علم شيخنا وبصيرته وبعد نظره وسعة اطلاعه وتأنيه وحكمته ، ونحن بحمد الله على بصيرة من ديننا ونوازن بين المصالح والمضار ونرجح ما تطمئن إليه قلوبنا ،

وقد تأكدنا من أخبارهم ما يطمءننا إلى الوقوف بجانبهم مع مناصحتهم فيما يحصل من بعضهم من النقص الذى هو من لوازم البشر كلهم إلا من شاء الله .

ولو أن إخواننا من المشايخ وطلبة العلم الذين أشرت إليهم خالطوهم وشاركوهم فى الدعوة إلى الله ووجهوهم وكملوا ما يحصل منهم من النقص وأرشدوهم فيما يخطئون فيه لحصل بذلك خير كثير ونفع عظيم للإسلام والمسلمين ، أما النفرة منهم والتخلى عنهم والتحذير من مخالطتهم فهذا غلط كبير وضره أكبر من نفعه .

فاتهم الرأى ياأخى واضرع إلى ربك أن يشرح صدرك لما هو الأحب إليه والأنفع لعباده وأن يهديك لما أختلف فيه من الحق بإذنه .

أما مانسبت إلى فضيلة الشيخ محمد أمان الجامى من رجوعه عن الثناء على الجماعة المذكورة وإنه يقول إنهم خرافيون ومبتدعة فقد أنكر ذلك واستغربه جدا وأخبر أنه لازال على ماكتب عنهم لأنه كتبه عن مشاهدة ويقين وأنه يحيل كل من سأله عنهم على ماكتبه فى ذلك .

وأسأل الله عز وجل أن يرينا وإياكم الحق حقا ويمن علينا باتباعه ، والباطل باطلا ويمن علينا باجتنابه ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

## تأييد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وتأكيده موقفه ورسالته للشيخ يوسف الملاحي :

وفي تلك الرسالة التي أرسلها له تلميذه يوسف الملاحي تأكيد للموقف المنتشر والمشهور عن الشيخ بن باز وليست رسالة عابرة ، جاء في تلك الرسالة القيمة : ( الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد ، فقد اطلعت على هذه الرسالة بما سماها له صاحبها فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى الملاحى ( إصلاح وإنصاف لا هدم ولا اعتساف ) . فى بيان حال أهل الدعوة والتبليغ ومالهم وما عليهم فألفيتها رسالة قيمة جديرة بما سماها به صاحبها وذلك أوضح فيها حال الجماعة ونفعهم الكبير فى الدعوة إلى الله سبحانه وتوجيه الناس إلى الخير وبين أنهم غير معصومين كغيرهم من الدعاة وأهاب بإخوانهم القائمين بالدعوة إلى الله سبحانه وغيرهم من أهل العلم أن ينصفوهم ويشكروهم على ما قاموا به من الخير وعلى صبرهم العظيم وتحملهم المشاق الكبير فى سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وأن يتعاونوا معهم فى ذلك وينبهوهم على ما قد يقع من بعضهم من الأخطاء عملا بقول الله سبحانه : ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على افثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ) .

وقوله عز وجل : ( والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين ءمنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصو بالصبر ) .

وقوله سبحانه : ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ( الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ) وشبك بين أصابعه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى )

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن مرآة أخيه ) .

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة قد دلت على وجوب التعاون بين المؤمنين والتناصح وأن يكون كل واحد عونا لأخيه فى الخير ومرآة له يرشده إلى ما ينفعه وينهاه عما يضره .

وهؤلاء الجماعة قد عرفناهم من دهر طويل واجتمعنا بهم غير مرة فى مكة والمدينة والرياض وسرّنا ما سمعنا منهم من النصح لله ولعباده ودعوة الناس إلى الخير وإلى إيثار الآخرة وعدم الركزن إلى الدنيا والإشتغال بها عما أوجب الله عليهم من الحق ،

وقد سبقنا إلى تزكيتهم والثناء عليهم سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية ورئيس القضاة فى زمانه رحمه الله فيما كتب به إلى علماء الإحساء والمقاطعة الشرقية مع مسئول أهل الدعوة والتبليغ بالمدينة الشيخ سعيد بن أحمد وجماعته من المرافقين له أوصاهم فيها بهم خيرا وذكر أن مهمتهم العظة فى المساجد والإرشاد والحث على العمل بالكتاب والسنة مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات ،

ثم قال رحمه الله : كتبت عنهم بذلك طلبا لمساعدتهم من إخوانهم بالتمكين لهم من ذلك سائلا الله أن يرزقهم حسن النية والتوفيق للنطق بالحق والسلامة من الزلل وأن ينفع بإرشادهم وبيانهم إنه على كل شىء قدير .

كما شهد عندى كثير من إخواننا الثقات الذين خالطوهم وسافروا معهم إلى بلدان كثيرة بالصبر والنشاط فى الدعوة إلى الله وتأثر الناس بهم وكثرة من يهديه الله على أيديهم .

فالواجب على أهل العلم والإيمان والدعاة إلى الحق إنصافهم والتعاون معهم على الخير وتنبيههم وغيرهم من الدعاة على ما قد يقع الخطأ عملا بالآيات والأحاديث السابقة .

والله المسئول أن يوفق الجميع لما يرضيه وأن يصلح أحوال المسلمين جميعا وأن يوفق الدعاة إلى الله سبحانه أينما كانوا لمعرفة الحق واتباعه والتعاون فى ذلك إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 17 / 8 / 1407 هـ )

## استقرار الأمر فى بداية عهد الشيخ بن باز رحمه الله على تزكية التبليغ :

لقد استقر الأمر في عهد الشيخ بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله على نصرة منهج التبليغ والدعوة ومطلع عهد الشيخ بن باز رحمه الله حتى خرجت نابتة من طلبة العلم تتهارش مع بعضها وتتصارع على الزعامة الفكرية وكل منها يزعم أن غيره مخطئ وأنه مبتدع وأنه مخالف لمنهج السلف حتى وصل الأمر إلى إصدار الفتاوى وتأليف الكتب وتسارع هؤلاء الشباب إلى استصدار فتاوى من الشيوخ المعتبرين آنذاك وهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وغيرهم ولكن خابت جهودهم بالفشل ولم يفلحوا فى أخذ ما يريدون فتركوا طريق شيوخهم وأخذوا طرقا جديدة .

وقد ناصحهم الشيوخ كثيرا وراجعوهم حتى لا يحدث شرخ في الأمة ولكن الشباب لم يرعووا ولم يستجيبوا لنصح شيوخهم فحدثت الفتنة التي لم تخبوا من ساعتها وصارت الحزبيات حتى اليوم لم تهدأ نارها .

وقد أرسل الشيخ بن باز رحمه الله رسائل عديدة لكل من خالفه في مسألة التبليغ مناصحا ومراجعا له ولكن الكثيرين لم يستجيبوا لهم وعلى رأسهم فالح الحربي وسعد الحصين وربيع المدخلي وغيرهم ، وبدلا من استجابتهم للشيخ ولنصحه كذبوا عليه وزعموا أنه تراجع عن فتواه قبل موته ، وزعم ربيع أن الشيخ جهل

فتوى شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله!!! ويا عجبا كيف يجهل الشيخ بن باز فتوى شيخه فى مسألة مشهورة كهذه ويتفطن ربيع لها ؟!

## الجواب من الشيخ بن باز رحمه الله يكون على ما تضمنه السؤال :

لقد نقل الكثيرون للشيخ بن باز رحمه الله نقولا منها ما يمدح أهل التبليغ ويزكيهم ومنها ما يقدح فيهم ويجرحهم ، فكان ديدن الشيخ رحمه الله أن يكون جوابه على نحو من السؤال ، فحينما يسأله سائل ويذكر فى السؤال مخالفة شرعية أو عقلية يحذر الشيخ من هذا المنهج وينصح طلبة العلم بنصحهم وتصحيح ما عندهم ويحذر العوام من مشاركتهم حتى لا يضلوا ، وحينما يسأله سائل ويذكر فى السؤال مدحا واتباعا للسنة ومنافع من هذا الخروج فإن الشيخ رحمه الله يمدح هذا المنهج ويباركه وينصح بمعاونتهم ومشاركتهم من طلبة العلم وغيرهم ، وإنه أحيانا كان يراجع بعض طلبته المتشددين على أهل التبليغ بغير حق ويناصحهم ويطلب منه الترفق والعدل والقسط فى أهل التبليغ كما حدث مع طلبته فالح الحربى وسعد الحصين وغيرهم من الشباب .

## لم يتراجع الشيخ بن باز رحمه الله عن قوله وإن أدمنتم الكذب عليه :

إننا نقول للجميع إن فتاوي الشيخ بن باز رحمه الله مبثوثة فى كل مكان وموجودة ، وردوده على الشباب المتهوريين – فقد كانوا ساعتها شبابا متهوريين يردون على الشيخ بن باز وهو فى ذلك الوقت أكبر شيوخ المملكة أمثال سعد الحصين وفالح الحربي وغيرهم ممن سألوه وراجعوه فى تلك الفتوي مثبوتة مسطورة .

وقد أثني الشيخ على أهل التبليغ فى مواقف عديدة لا يكاد يحصيها العاد ، وقد أثبت ذلك كل من لقى الشيخ أو استمع إليه أو جالسه أو حتى استمع إلى أشرطته فنذكر منهم على سبيل المثال أكبر تلامذته وأشهرهم وهو أشهر من نار على علم وهو الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله ، فقد صرح فى لقاء مصور – منشور على موقع اليوتيوب – قبل وفاته بأشهر قليلة أن الشيخ بن باز رحمه الله مات وهو ينصر أهل التبليغ ويمدحهم وكذلك كان شيخه محمد بن إبراهيم رحمه الله وأنه كان يناصح المشايخ المعارضين للتبليغ وخاصة الشيخ حمود التويجري عفا الله عنه.

وقد أسلفنا القول بأن الشيخ رحمه الله كان يجيب على أسئلة السائلين بنحو مما سألوا ، فمن ذكر فى سؤاله خيرا أجابه الشيخ بالثناء والتشجيع ، ومن ذكر فى سؤاله غير ذلك حذر الشيخ ونصح ووجه ، فلما اشتهرت آخر فتوى للشيخ – وهى مشكوك فى نسبتها للشيخ أصلا ولكن على فرض ثبوتها عنه – يحذر فيها من أهل التبليغ فإن محملها لا يخرج عما قلنا ، لأن عادة الشيخ أنه يجيب السائل بما يتناسب مع سؤاله ، ولذلك لا يحكم على الشيخ بأنه تراجع ، ولكن يجمع كل فتاواه ويستخرج من مجموع فتاواه موقفه ورأيه ، وإلا فلا يصح أن يمحى من تاريخه عشرات الفتاوى الكبيرة المفصلة فى تزكية أهل التبليغ بسطرين مجملين مشكوك فى نسبتهما إليه .

## الجرح المجمل لا ينسخ التعديل المفصل :

القصة من مبدأها فى نقاط :

وصلت جماعات دعوية من الهند والباكستان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة يدعون إلى الله ويذكرون الناس بالله وقابلوا عبد العزيز الملك حاكم البلاد آنذاك فرحب بهم وفتح لهم البلاد .

لم يخفى على مشايخ المملكة آنذاك حال أهل التبليغ أبدا ومعنى أنهم لم يعارضوهم أنهم لم يروا منهم ما يريبهم ففتحوا لهم البلاد وعاونوهم .

كان موقف المفتى آنذاك منهم أيضا حسنا فكتب إلى الأمصار التابعة للملكة بمعاونة هؤلاء الدعاة ليؤدوا دعوتهم على أكمل وجه .

بتغيير الحكام وانفتاح المملكة أكثر وأكثر على العالم الخارجي وكثرة طلبة العلم صار التهارش بين الطلبة على القرب من الملك ، فوشى البعض للملك وللحاشية بأن هؤلاء يهددون الملك ويزعزعون الأمن فى البلاد ، قالوا ذلك إظهارا لمودتهم للحكام رغبة فى القرب منهم ، فكان نتيجة ذلك أن منع جهد التبليغ فى المملكة من ساعتها ، وكان الدافع للأمر سياسي بحت ، ولكن الطلبة الذين أفتوا بذلك غلفوا كلامهم ببعض المحسنات البديعية حتى ينطلى على العوام ، فاتهموا التبليغ بأنهم عباد قبور وأنهم صوفية وأنهم كذا وكذا مما هم منه براء .

كان موقف الشيخ محمد بن إبراهيم ثابتا منذ البداية وحتى النهاية ، فقد كان يدعمهم ويوافقهم وينصحهم ويناصحهم وربما يلتقى ببعضهم ، فلم يخفى عليه حالهم ، وهو مفتى المملكة العام ! وإن خفى عليه حالهم فلم يخفى على من تحت إمرته من العلماء وطلبة العلم على كثرتهم ، ولكن الصمت كان سائد الموقف ، وهذه فتاوى ومؤلفات الشيخ محمد بن إبراهيم بين أيدينا تخلوا تماما من ذكر التبليغ إلا من المدح فيما ذكر ، فلو كان يعارضهم لكان ذلك موجودا فى فتاويه ، وليست مسألة التبليغ بالمسألة التافهة حتى لا يتناولها الشيخ فى فتاواه !

راسل بعض الهنود الشيخ بن إبراهيم مخترعين جمعية باسم التبليغ وأرسلوا إليه بعض كتيباتهم راجين منه الثناء عليهم وتمويلهم ، فكان الموقف من الشيخ هو الرفض للكتيبات وللجمعية لما في تلك الكتب من

مخالفات شرعية وشركيات ، وهنا نثبت أن هذه الجمعية وهؤلاء المراسلون إلى الآن مجهولون ، فلا يدري من هم ، ولا من الراسل ، ولا مكان تلك الجمعية .

لم يثبت فى تاريخ أهل التبليغ والدعوة أن لهم مؤلفات خاصة بهم ، ولم يثبت عنهم منذ بداية حركتهم الدعوية أن قاموا بتأسيس جمعية بأي اسم كان ! وعليه فأهل التبليغ الذين نحن بصددهم أناس مختلفون عن أصحاب تلك الرسالة المردود عليها بلا شك .

الثابت عن الشيخ محمد بن إبراهيم أنه مات على موقفه من الثناء على أهل التبليغ والدعوة ، وهذا ما يثبت أيضا أن أهل التبليغ والدعوة ليسوا هم أصحاب الجمعية الذين راسلوه قبل ذلك ورد عليهم بالرفض الشديد ، وإلا لكان حذر أيضا من أهل التبليغ هم الآخرين .

درج تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم على ذلك الموقف ومنهم أكبر تلامذته الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، فأخذ عنه موقفه وتعلم من حكمته وعلم أن شيخه يوافقهم ويؤازرهم ولا يعترض على جهدهم ولا يبدعهم ، والشيخ بن باز هو أخص تلامذة الشيخ بن إبراهيم ويستحيل أن يخفى عليه مسألة بهذا الحجم أبدا .

لما ولى الشيخ بن باز الإفتاء خلفا لشيخه محمد بن إبراهيم كانت الأسئلة عليه تترى بهذا الخصوص ، فكان يسئل عنهم يوميا فى منبر الحرم المكى ! ولقد حدثنى شيوخي أنهم سمعوه فى منبر الحرم مرات لا تحصى يسئل عن أهل التبليغ ثم يمدحهم ولا يقدح فيهم ، وقال أيضا لى شيخ من شيوخي لا أتذكر أن الشيخ بن باز لم يسئل يوما عن أهل التبليغ فقد كان هذا السؤال دارجا فى كل يوم إلا فيما ندر وكان يثني عليهم ، وقد أثبت ذلك أيضا الشيخ محمد حسان المصري عن الشيخ بن باز وعن الشيخ بن عثيمين رحمه الله .

ظل الشيخ بن باز رحمه الله يفتي بالثناء علي أهل التبليغ وينسب تلك الفتوي لشيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وكثيرا ما كان يستشهد به ولا أدل على ذلك من مراسلاته لفالح الحربي ولسعد الحصين حينما انتقداه – بقلة أدب ووقاحة وتهور – وانتقدا شيخه وسلفه محمد بن إبراهيم ، حتى إنه حزن من فعلهم ونصحهم وتعجب من تجاسرهم علي القول بخلاف شيخه محمد بن إبراهيم ، مما يدل على أنه على ثقة تامة من موقف شيخه ، وأن شيخه لم يغير موقفه أبدا ولم يبدله ، ولو كان المقصود بأن الجمعية التى انتقدها الشيخ محمد بن إبراهيم هى أهل التبليغ المعنيون المقصودون لكان الشيخ بن باز أول العارفين بذلك ، أو على الأقل لراجعه فى ذلك سعد الحصين وفالح الحربي وغيرهم من هؤلاء الشباب !!!

فى آخر أيام الشيخ بن باز وتحديدا قبل وفاته بعامين سئل عن أهل التبليغ سؤالا عاما فأجاب جوابا عاما ، وقد استمعت إلى التسجيل وهو مسجل فى عام 1418 – على ما أتذكر – فوجدته تسجيلا رديئا جدا فاسدا لا يصلح للاستدلال ولا يثبت فى نسبة مسألة كهذه للشيخ مع أن باقى تسجيلات الشيخ كلها واضحة ، مما يجعلنا نشك فى نسبة ذلك إلى الشيخ واحتمال تزويرها وتزييفها عليه ، خاصة مع أن صوت الشيخ يحتمل التقليد من البعض ، هذا أولا ، ، ثانيا كلمة الشيخ التجريحية التى قالها أن أهل التبليغ من الفرق الثلاث والسبعين لا تحمل فى طياتها تراجعا عن كل ما قاله الشيخ فى حق التبليغ من مدح على مدار أربعين عاما !!! إذ كيف يعقل أن تنسخ كلمة موهمة ألف معنى ألف جملة وبيان واضح صريح ؟! لا يصح هذا فى عالم العقلاء أبدا ، ثم على فرض تنزلا – أن هذه الجملة يفهم منها تراجع الشيخ عن موقفه وأن يقدحهم ! فإن هذه الكلمة لا تثبت تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم عن موقفه منهم ! فمقولة الشيخ إن كانت تحتمل تراجعه هو فإنها لا تحتمل بحال تراجع الشيخ بن إبراهيم عن موقفه !

ومما سبق يتبين للجميع أن الشيخ بن باز مات وهو ثابت على موقفه من نصرة أهل التبليغ والدعوة وأنه غير متذبذب .

## ثبات الشيخ بن باز رحمه الله فى وجوه المخالفين وتزكيته لمنهج التبليغ :

كان الشيخ رحمه الله ثابت الجأش فى مسائل كثيرة ومنها فتواه حول منهج التبليغ ، فكان مرارا يسأل عنهم فى دروسه فى الحرمين وفى الدورات العلمية التى يقيمها والندوات التى يلقيها وكذلك فى اللقاءات الدعوية فى المساجد !

فقد ثبت عنه رحمه الله رحمة واسعة وغفر له واسكنه فسيح جناته مراجعته لكثير من مدعي العلم ومنتحليه فلم يكن يسكت عن منكر يراه ولم يكن يلين جانبه تجاههم بل كان يناصحهم صراحة وتلميحا . وقد أثبت ذلك فى فتاواه وفى مؤلفاته الموجودة .

ومن العجيب فى كثير من مشايخ العصر رضوخهم لما يطلق عليه ما يطلبه المستمعون ! فتراهم يرضخون لتوجه المجتمع العام أو لتوجه الشيوخ العام أو لتوجه الحكومات العام أو لتوجه أكثر التجمعات الطلابية !!! فلا يصرحون بما يجب عليهم التصريح به من مواجهة التوجهات الخاطئة والمخالفات التى عمت بها البلوى وغير ذلك . وغالب تلك المثالب تكون من دقائق الأمور لا يميزها إلا من رزقه الله العلم والفهم والبصيرة معا . ونحسب الشيخ بن باز منهم ولا نزكيه على الله .

## ذكر الشيخ بن باز رحمه الله لفتوى شيخه المؤيدة طيلة حياته ولم يذكر ابدا انه تراجع :

ومن الجدير بالذكر والهام جدا أن يؤخذ فى الاعتبار كون الشيخ عبدالعزيز بن باز ذكر موقف شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فى كل موقف وهذا دليل صريح منه بأن هذا هو موقف شيخه رحمه الله وأن مات على هذا الموقف ولو كان موقفه غير ذلك لبلغه ذلك ولكن موقفه هو نصرة الدعاة ودعمهم وهذا هو الثابت عنه رحمه الله .

وأما ما ينسب إليه من الإنكار على جمعية تنتحل هذا الاسم فهى فتوى أخري فى كيان آخر لا علاقة له بدعوة التبليغ المنسوبة للشيخ إلياس رحمه الله أو أنها فتوى مزورة على الشيخ رحمه الله .

ومن الكذب على الشيخ أن ينسب له ذمه للتبليغ مع أن تلميذه ينكر هذا الذم وينسب له موقفا آخر .

وهذا الذي لا نشك فيه البتة ! وشهادة الشيخ بن باز رحمه الله أوثق عندنا وأصدق من شهادة غيره ، خاصة وهو أعلم الناس بشيخه . وقد شهد بشهادة الشيخ بن باز أيضا الشيخ عبدالرحمن بن جبرين رحمه الله وأقر بأن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مات وهو ينصر دعوة التبليغ وأن الشيخ باز رحمه الله أيضا مات وهو ينصر دعوة التبليغ وأن الشيخ حمود التويجري عفا الله عنه عرض كتابه القول البليغ على الشيخ بن باز طمعا فى تقريظه والتقديم له لينال حظوة ومكانة وقبولا وسندا ودعما فكريا فرفضه ونصحه بعدم نشره ولم يستطع نشر كتابه إلا بعد وفاة الشيخ بن باز . ولو كان ما كتب فى كتاب القول البليغ صحيحا لقبله الشيخ بن باز ! ولو كان موقف الشيخ بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله هو ما يزعمه صاحب القول البليغ لأقره الشيخ بن باز رحمه الله. ولو كان الشيخ التويجري عفا الله عنه صاحب موقف قوي لراجع الشيخ بن باز رحمه الله فى موقفه ولكنه لم يؤثر عنه أنه راجع الشيخ بن باز فى ذلك ولم يناقشه فيه أبدا بل ظل ساكتا حتى مات الشيخ بن باز وهنا ظهر موقفه .

### تأكيد الشيخ بن باز رحمه الله أن شيخه كان يزكيهم حينما روجع فى فتوى شيخه :

هل ينكر أحد من المنصفين أن موقف الشيخ بن باز رحمه الله حينما راجعه شباب طلبة العلم فى موقفه وفتواه عن التبليغ ؟!

الحق أنه لا أحد ينكر من المنصفين هذا الموقف منه أبدا ، لأنه مثبت في سجل مراسلاته وردوده ، فقد راجع الشيخ رحمه الله طلبة العلم من تلامذته بالمدينة المنورة حينما راجعوه فى فتواه حول مشاركة أهل

التبليغ فى دعوتهم ، وذكر أحد التلامذة (الشيخ بن إبراهيم ) بطريقة غير لائقة مما يوحي بأن الشاب يضع نفسه فى مرتبة الشيخ بن إبراهيم فى مجال الردود ، فأثارت هذه الطريقة حفيظة الشيخ بن باز رحمه الله ونصح التلامذة نصيحة كي يستفيدوا منها .

فالأمر ليس مجرد رد من الشيخ بن باز على سؤال طلبته ! بل تعنيف وتأنيب ونصح وإرشاد وتوجيه للطريق الصحيح الذي يجب أن يكون مع العلماء !

ومن هنا بدأت الفتنة تنتشر من هذه الثلة من الطلبة الأثمة ! الذين وضعوا أنفسهم فى مصاف كبار العلماء وهم حدثاء الأسنان لم يبلغوا المقام بعد !

وخرجت من رحم هذه الفئة ثلة من الناس أذاقوا الأمة ويلات الخلاف والشقاق !

هؤلاء الشباب الذين راجعهم الشيخ بن باز رحمه الله ورد عليهم أقوالهم ونصحهم هم الذين رفعوا راية الجرح والتعديل فيما بعد وظنوا أنفسهم ذهبيوا العصر وأبناء معين ! فسلوا سيوفهم وسلطوا ألسنتهم على العلماء كبارا وصغارا جرحا وتجريحا ذبا منهم – زعموا وكذبوا – عن منهج السلف ! والمنهج منهم بريىء !

فهذا شيخهم الأكبر بن باز رحمه الله هو أول من رد عليهم ونصحهم بالعدول عن هذا المسلك مع الناس عامة ! فكيف بالخاصة من خيرة المشايخ ؟!

هذه الثلة من الشباب فى هذا الوقت لم تكن شوكتهم قويت بعد ! وكانوا فى العشرينيات والثلاثينيات من أعمارهم ، فجمعوا حولهم بعض الشباب المغرر بهم ! وبحنكة شديدة وشعارات براقة ، وتمحك بألفاظ صحيحة فى ظاهرها لها ما بعدها ! استطاعوا شق الصفوفو وتفرقة المنهج الواحد إلى مناهج متعددة كلها متناحرة ، شغلهم الشاغل الرد على بعضهم البعض وتبديع من اتبع الآخر وإخراجه من السلفية ! ويكأن الله كلفهم بالحكم على الناس ! نسأل الله السلامة من الفتن .

وعود على بدء نؤكد بأن الشيخ بن باز رحمه الله قال صراحة بأن شيخه المفتي الأسبق محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله كان يؤيد دعوة التبليغ الحركية من باب أنها دعوة حيادية لا دخل لها بالسياسة ولا تفرق الناس بل تجمعهم وتذكرهم بالله وهي دعوة وعظية فى المجمل لا تدعوا إلى منكر بل تدعوا إلى التوحيد وإلى مكارم الأخلاق ! وهذا الأمر مستقر فى المملكة منذ بداية دخول الدعوة إليها فى عهد الشيخ رحمه الله !

ولذلك حفظ الشيخ بن باز رحمه الله وهو أعلم أهل المملكة في عصره ! لا يفوقه شيخه ولا يرتفع عليه عالم فهو أعلمهم وأفضلهم وأورعهم وشيخهم وأحفظهم ومفتيهم الأكبر ، ولا يظن بأن هذه القامة الكبرى تجهل موقف شيخها الأول والمقرب فى مسألة كبيرة عظيمة شائكة كهذه ! فمن زعم أن الشيخ بن باز يجهل موقف شيخه بن إبراهيم فقد أبعد النجعة ! وكذب كذبة لا تغطيها الشمس ! فليراجع عقله وما يتعاطى من المسكرات !

## غضب الشيخ بن باز رحمه الله من كلام فالح الحربي عن الشيخ بن إبراهيم رحمه الله وتأكيد مدح دعوة التبليغ :

وهذا خطاب من الشيخ العلامة بن باز رحمه الله وهو فى منصب المفتى العام للمملكة ، وكان ذلك بعد تولي الشيخ إفتاء المملكة بعقود ! وهو ما يبين أن الأمر مستقر طيلة هذه الفترة من لدن وفاة الشيخ محمد بن إبرايهم آل الشيخ رحمه الله .

(خطاب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله إلى فضيلة الشيخ / فالح بن نافع الحربي

برقم 889/خ المؤرخ 1406/8/12هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن بازإلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ فالح بن نافع الحربي أمدّه الله البصيرة, وشرح صدره لما يرضى رب العالمين, آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد وصلني كتابك المؤرخ 1406/2/26هـ , وفهمتُ ما تضمّنه من النيل من جماعة التبليغ,واستنكارك لما كتبتُ بشأنهم ، وما كتبه قبلي شيخنا العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية في زمانه قدّس الله روحه, ونور ضريحه من الثناء عليهم.

ولقد ساءني كثيراً تنقُّصُك وحطُّك من قدره بقولك : ابن إبراهيم , وأن الأشخاص الذين أشرتَ إليهم يخالفونه في الرأي فيهم.

ولقد عجبتُ مما ذكرتَ فأين يقع علم هؤلاء ورأيهم من علم شيخنا, وبصيرته, وبُعد نظره, وسعة اطلاعه, وتأنّيه, وحكمته.

ونحن بحمد الله على بصيرة من ديننا, ونوازن بين المصالح والمضار ، ونُرجح ما تطمئن إليه قلوبنا, وقد تأكّدنا من أخبارهم ما يطمئننا إلى الوقوف بجانبهم, مع مناصحتهم فيما يحصل من بعضهم من النقص الذي هو من لوازم البشر كلهم إلا من شاء الله.

ولو أنّ إخواننا من المشايخ وطلبة العلم الذين أشرتَ إليهم خالطوهم وشاركوهم في الدعوة إلى الله ، ووجّهوهم وكملوا ما يحصل منهم من النقص, وأرشدوهم فيما يخطئون فيه ، لحصل بذلك خير كثير, ونفع عظيم للإسلام والمسلمين.

أما النُّفرة منهم والتخلّي عنهم والتحذير من مخالطتهم فهذا غلط كبير وضررُه أكبر من نفعه.

فاتهم الرأي يا أخي, واضرع إلى ربك أن يشرح صدرك لما هو الأحب إليه والأنفع لعباده, وأن يهديك لما اختلف فيه من الحق بإذنه,

وأسأل الله عز وجل أن يُرينا وإياكم الحق حقاً ويمنّ علينا باتباعه ، والباطل باطلاً ويمنّ علينا باجتنابه, ولا

يجعله ملتبْساًعلينا فنضل, إنه ولي ذلك والقادر عليه, والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ) انتهي .

فانظر بارك الله فيك كيف يتلطف الشيخ وهو المفتي العام للمملكة بتلميذ من تلامذته وينصحه بأدب جم ويعامله معاملة الأقران ويناديه بفضيلة الشيخ ! وهو لما يبلغ مرتبة تلامذته بعد !! فما قبل فالح الحربي قوله وما انتصح بنصحه وركب رأسه وسار في طريقه التجريجي ! حتى نالت لفحة حقده إخوانه من منهجه فثارث الثورات بينه وبين ربيع المدخلي وبدع كل منهما الآخر وصارت فتنة عظيمة تفرق فيها السلفيون فى المملكة إلى فرق وأحزاب ، وما زالت لها آثارها إلى يومنا هذا ، بل وتعدت المملكة وطارت الفتنة إلى بقاع كثيرة فى الأرض ! فما وجد السلفيون فى بقعة إلى وتجدهم أحزابا وفرقا متناحرة فيما بينها يبدع بعضها بعضا ! كل هذا جراء تذبب هؤلاء الشباب وتنطعهم وتشدقهم وتدخلهم في مسائل الكبار ! نسأل الله العافية .

## رسالة الشيخ بن باز رحمه الله إلى عبدالسلام السليماني ، وتواتر تزكية التبليغ لدى الشيخ :

وهنا تجد خطابا واضحا من الراسل ومن الشيخ ب باز رحمه الله فيه تأكيد على موقف الشيخ بن باز المتواتر عنه بالتفصيل ، وهذا من باب التعديل المفصل وهو التعديل الذي لا ينقضه ولا ينسخه إلا الجرح المفصل .

(خطاب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله إلى حضرة الأستاذ / عبد السلام بن محمد أمين السليماني حفظه الله برقم 325 /خ في تاريخ 1406/3/20هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم عبد السلام بن محمد أمين السليماني زاده الله

من العلم والإيمان, وجعله مباركاً أينما كان ، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم, واطلعت عليه كله, وفهمت ما شرحتم فيه من سفركم إلى الباكستان لتعلم الطب هناك ، وأنك تعرفت على جماعة التبليغ ودرست أحوالهم وعرفت محاسنهم ومساوئهم, وأنك اجتمعتَ ببعض الناس ، وجرى الحديث فيهم فنالوا منهم تارة بالاستهزاء ، وتارة بالطعن والتنقيص ورميهم بالصوفية ، وصاروا يضحكون منهم ، وأنك أنكرت عليهم ذلك, وأخبرتهم أن هذا لا يجوز ، ونقلتَ لهم ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم في اختلاف هذه الأمة ، فقال لك أحدهم : إنهم لم يُحققوا توحيد الألوهية, فأجبتَهَ بما يردّ كلامه . إلى آخر ما استدللتَ به, ومن ذلك قول الفضيل بن عياض رحمه الله : إن الله لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأصوبه أخلصه : أن يكون خالصاً لله, وأصوبه : أن يكون على طريقة رسول الله ، وأنّ هذه الجماعة من مبادئهم الستة إخلاص النية لله والعمل على طريقة رسول الله ، وأخبرتَهم أنك جالستَ هذه الجماعة, وعرفتَ أحوالها فما رأيتَ أحداً منهم يخالف كلمة التوحيد في قوله ولا عمله ، بل هم يُخرجون الناس من الكفر والشرك الأكبر إلى عبادة الله وحده ، حتى إن القبوريين يُحذرون أتباعهم منهم ، ويقولون لهم إجلسوا مع جميع الطوائف إلا جماعة التبليغ, فإنهم يخرجونكم من الإسلام, وإنهم وهابيون نجديون ، وأنك سمعتَ ذلك بنفسك ، فقالوا لك : إن جماعة التبليغ يحققون توحيد الألوهية في أنفسهم ، ولكن فيهم عيوب كثيرة منها كتاب (تبليغي نصاب) وفيه بدع كثيرة وتصوف ، ومنها أنهم جهلة بعلم الشرع وغير ذلك.

فنقلت لهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الموازنة بين المنافع والمضار ، وترجيح المصلحة على المفسدة ، وقلتَ : يلزم أن يُطبق هذا على جميع الطوائف الإسلامية.

فإذا أردنا أن نحكم على جماعة وازنّا بين حسناتهم وسيئاتهم ، ثم نحكم عليهم بما يرجح عندنا ، هذا إذا سلمت الفرقة أو الطائفة من الشرك ، ثم علينا أن نجمع كلمة المسلمين, ونحاول الإصلاح قدر المستطاع,

وإذا وجدنا فيهم عيوباً نذهب إليهم, ونكلمهم, ونوضح لهم ذلك, ونجادلهم بالتي هي أحسن ، وندعو الله أن يصلح المسلمين ، فالعمل مع الدعاء له نتائج حسنة.

وأما عن كتاب (تبليغي نصاب) فأخبرتَهم أنك ذهبت إلى جماعة التبليغ أنت وبعض إخوانك من السلفيين, وتكلمتم معهم بشأنه وبيّنتم لهم عيوبه فتركوه, ووضعوا بدلاً عنه كتاب فضائل الأعمال, وأن تجاوبهم معكم كان جيداً ولله الحمد ، وأنهم كانوا يقولون لكم : نأخذ من كتاب تبليغي نصاب فضائل الأعمال فقط . وأنك ذكرتَ للمجادلين لك أنك لم تر أحداً من الجماعة أخذ بشيء من بدع تبليغي نصاب ، لا أفرادا ولا جماعات ، مع أن هناك بدعة منتشرة في جميع بلاد المسلمين, وتجدها عند معظم المسلمين ، وهي بدعة إحياء مولد النبي ولم تجدها فيهم ، لا أفراداً ولا جماعات ، مع أن لك أصدقاء كثيرين منهم زملاء في الدراسة وجيران. وأنك قلتَ أيضاً لمجادليك فيهم أمّا زعمكم أنهم صوفية فليس بصحيح, لأن الإنسان إذا سألهم عن مسألة طلبوا منه أن يسأل العلماء والمشايخ الذين أعرف منهم ، والصوفية تمنع مريدها أن يذهب إلى غير شيخه بل تُحرم عليه ذلك.

وأخبرتهم أن كثيراً منهم يبحثون عن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله, وأن أحد الإخوة الباكتسانيين أخبرك أن هناك أكثر من مائة شاب منهم جاءوا إليه يطلبون كتاب التوحيد المترجم إلى اللغة الأردية ، وأنك سبق أن أهديتَ لبعضهم نسخة من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وقلتَ لهم أنها من مكتب الدعوة في الباكستان فقبلوها ، وظنوا أنّا قد أرسلناها إليهم وشكرونا كثيراً, وأنهم فيهم لين ولديهم إستجابة لمن يدعوهم, هذا ملخص ما ذكرتَ في رسالتك.

وإننا بعد شكرنا لك على ما شرحتَ عنهم, نفيدك بأنه قد تواتر لدينا من ثقات من مدرسي التوحيد في

الجامعة الإسلامية بالمدينة وغيرهم ممن اختلط بهم وسافر معهم من أهل نجد وغيرهم ، نحو ما ذكرتَ من اللين, والاستجابة, والصبر على الدعوة إلى الله, وتحمل المشاق في ذلك ، وكم هدى الله بهم من منحرف, وأسلم على أيديهم من كافر . وكنتُ دائماً أوصي إخواني من أهل العلم والبصيرة بمشاركتهم في الدعوة حتى يعاون بعضهم بعضاً . وقد سبقنا إلى الثناء عليهم والوصية بهم خيراً سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة في زمانه رحمه الله في كتاب منه لأهل المنطقة الشرقية في عام 1373هـ , ذكر فيه : أن مهمتهم العظة في المساجد, والإرشاد, والحث على التوحيد وحسن المعتقد, والحث على العمل بالكتاب والسنة, مع التحذير من البدع والخرافات .

وإليكم برفقه صورة من جواب منّا للأخ عوض بن عوض القحطاني بشأنهم ، وأوراقاً أخرى . ولا شك يا أخي أن النقص من لوازم البشر إلا من شاء الله ، ولكن لا ينبغي أن يحكم على طائفة أو جماعة بما قد يحصل من بعض أفرادها من النقص ، بل الواجب على المسلم مناصحة أخيه المسلم بالرفق واللين ، وعدم النفرة منه والتنفير عنه ، فهذا طريق الرسل وأتباعهم ، ونسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا إتباعه والباطل باطلاً, ويمن علينا باجتنابه ، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل ، كما نسأله سبحانه أن يجعلنا جميعاً من دعاة الهدى وأنصار الحق مع من كان ، إنه جواد كريم, والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)

ولاحظ بارك الله فيك قول الشيخ بن باز السابق : (وقد سبقنا إلى الثناء عليهم والوصية بهم خيراً سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة في زمانه رحمه الله في

كتاب منه لأهل المنطقة الشرقية في عام 1373هـ , ذكر فيه : أن مهمتهم العظة في المساجد, والإرشاد, والحث على التوحيد وحسن المعتقد, والحث على العمل بالكتاب والسنة, مع التحذير من البدع والخرافات .

) واعلم أن الشيخ محمد بن إبراهيم توفي بعد فتواه هذه بما يقارب ستة عشر سنة ! وكانت فتوى الشيخ بن باز هذه ورسالته للسليماني فى عام 1406 هجرية أي بعد فتوى الشيخ بن إبراهيم بثلاثة وثلاثين سنة ! أي بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم بسبعة عشر سنة !

فهل يعقل يا مسلمون أن يظل الشيخ بن باز رحمه الله يفتي بفتوى شيخه بعد وفاته بسبعة عشر سنة من غير أن يعلم أنه تراجع عنها ؟! ومن الجدير بالملاحظة أن الشيخ بن باز رحمه الله قال بصريح لفظه : (نفيدك بأنه قد تواتر لدينا من ثقات من مدرسي التوحيد في الجامعة الإسلامية بالمدينة وغيرهم ممن اختلط بهم وسافر معهم من أهل نجد وغيرهم ، نحو ما ذكرتَ من اللين, والاستجابة, والصبر على الدعوة إلى الله, وتحمل المشاق في ذلك ، وكم هدى الله بهم من منحرف, وأسلم على أيديهم من كافر . وكنتُ دائماً أوصي إخواني من أهل العلم والبصيرة بمشاركتهم في الدعوة حتى يعاون بعضهم بعضاً ) فالأمر ليس مجر فتوى برأي منفرد بل تواتر النقل لدى الشيخ بصحة طريقتهم ومنهجهم ! فافهم بارك الله فيك وخذ الأمر من أهله.

**تأكيد الشيخ بن باز رحمه الله أنه ما زال على رأيه فى تزكية دعوة التبليغ وعدم معارضتها :**

وما زالت التأكيدات تتوالى بلسان الشيخ بن باز رحمه الله ، بلسان سلسال وحجة ثابتة وموقف صارم لا يتزحزح ، لا يتراجع عن موقفه مع كثرة المعارضين وظهور ثلة من المجرحين الذين يريدون بالدعوة انحرافا عن الجادة ، فوقف الشيخ لهم موقفا صارما ولم يتنازل ولم يعطهم من فتاواه كلمة واحدة يستندون إليها فى تجريحهم .

(خطاب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى إلى الشيخ / إبراهيم عبدالرحمن الحصين حفظه الله تعالى بالمدينة المنورة

المؤرخ 1407/1/27هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته, أما بعد :

فأخبركم أنيلا زلت على رأيي في الجماعة المذكورة فيما كتبته عنهم قديماً وحديثاً من الكتابات الكثيرة ، وما كتبه سلفي شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قدّس الله روحه ونور ضريحه, وما كتبه غيرنا من العلماء, وأيده جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وجلالة الملك فهد وفقه الله فيما كتبه إليّ, لأنهم قد نفع الله بهم نفعاً كبيراً, وهدى بهم جمعاً غفيراً ، فالواجب شكرهم على عملهم وتشجيعهم وتنبيههم على ما قد يخفعليهم ، وذلك من باب التعاون على البر والتقوى والتناصح بين المسلمين, إلا أني أنصحهم وجميع المسلمين لا سيما الشباب أن لا يسافر منهم إلى بلاد الكفار إلا أهل العلموالبصيرة ، لما في ذلك من الخطر العظيم على كل من ليس له علم بالشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة التي بعث الله نبيه محمداً ودرج عليها سلف الأمة ، أما ما نسبه المعارضون لهم عني من الرجوع عن رأيي فيهم فهو كذب علي ، بلإني نصحتهم ووبّختهم على عملهم ، وقلت لهم فيما قلت متمثلاً بقول الشاعر :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سَدُّوا

وحرّضتُهم على كثرة الاجتماع بهم والخروج معهم ، وأوضحتُ لهم ما فيه من الفوائد ، وطلبتُ منهم أن يتهموا الرأي وينظروا في العواقب ، وبينتُ لهم ما في انشقاقهم وخلافهم من الشر العظيم, وسوء العواقب في الدنيا والآخرة ، وأن ذلك من الشيطان ، أعاذنا الله منه ليصرف الناس عن الدعوة إلى الله ويشغلهم عنها بفساد ذات البين, وكثرة القيل والقال.

هذا ما أدين الله به وأعتقده, وأسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويمنحنا الثبات عليه والباطل باطلاً ويمن علينا بإجتنابه ، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل ، إنه ولي ذلك والقادر عليه, وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عبد العزيز بن عبد الله بن باز 27/1/1407 هـ )

**عدم ظهور فتوى الشيخ بن ابراهيم رحمه الله الثانية طيلة حياة الشيخ بن باز رحمه الله :**

ثم بعد كل هذا يزعم الزاعمون – وهم شيوخ كبار وأسماؤهم براقة ولكن دعواهم فارغة – بأن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد تراجع عن فتواه فى التبليغ وأصدر فتوى أخرى يحذر الناس من دعوة ومنهج التبليغ فى المملكة كلها !

وهذا كذب أصلع ، لا يصدقه طفل صغير فضلا عن طالب علم نبيه أو عالم نحرير !

كيف للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يصدر فتوى تحذيرية شديدة اللهجة من جماعة بدعية صوفية قبورية تدعوا غير الله وتستغيث بالأموات وتدعوهم وتدعوا للشرك الصريح ، ثم تظل هذه الجماعة بكامل قوتها ورجالها وعدتها وعتادها تصول وتجول فى البلاد كلها لا ينكر عليها منكر ولا يقف فى وجهها أحد ولا يعترض على كلامها ولا حركتها ولا دعوتها أحد من الناس ، والدوافع كلها متوافرة من طلبة علم بمئات الآلاف وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كانت تعمل في ذلك الحين بكل قوة وشدة وصرامة وصلاحيات متناهية ! والسلطة الحاكمة تؤيد الشيوخ آنذاك وتقف معهم وتدعمهم وتنفق عليهم ! ثم لا تظهر فتوى الشيخ بن إبراهيم ولا يسمع لها صدى !! أي هراء هذا ؟!

والأنكى من ذلك أنه بعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله – فى 24 من رمضان 1389 هجرية ، الموافق 1969 ميلادي – أي قبل حادثة فتنة الحرم بإحدى عشرة سنة تقريبا وتولي تلميذه الأنجب والمقرب عبد العزيز بن باز رحمه الله إفتاء المملكة العامة خلفا لشيخه المقرب ، لم تظهر أيضا فتوى الشيخ الراحل رحمه الله ! إلا بعد ما يقارب ثلاثة عقود من الزمان ! الأمر الذى يؤكد بالريبة وأن الأمر فيه لعبة كبيرة وتدليس وكذب !

فقد بدأت فرية الفتوى المزعومة وسحبها على منهج التبليغ كله بعد عام 1400 من الهجرة تقريبا ، وهذا مما يدل على أن الأمر مكذوب ، ونحمد الله تعالى أن أبقى الشيخ بن باز رحمه الله عقدين كاملين بعد ظهور هذه الفرية والكذبة المزعومة يفتي بفتاواه القديمة التى تواترت عنه ! وهذا كله مدح وتعديل مفصل لا يجوز البتة الرجوع عنه إلا بقدح وتجريح مفصل ! فالإجمال فى هذا لا يجوز شرعا ولا عقلا ، فتنبه .

## جانب من فتاوى الشيخ بن باز رحمه الله المفصلة حول منهج أهل التبليغ :

ولعلك إن أردت تتبع فتاوى الشيخ بن باز رحمه الله في التبليغ ومنهجه قد يطول بك المقام ، لأن هذه المسألة شغلت كثيرا من شباب الصحوة آنذك ، وكثيرا ما كان الشيخ يسل عنهم تقريبا في كل محاضرة أو دورة علمية أو شرح كتاب أو مناسبة سنوية !

ولكننا ننقل هنا طرفا وجيزا من فتاواه المؤيدة والتي يظهر منها أنه متوسط في قوله فيهم يميل إلى تأييدهم غير مخالف لهم ولا مانع لجهدهم .

ونحن إذ ننقل هذا الطرف من فتاواه ننقله لنبين للناس بأن هذا التعديل المفصل المفسر لا ينقضه ولا ينسخه إلا جرح مفصل مفسر ، ما سوى ذلك لا يعتد به مطلقا .

يقول العلماء أن الجرح إذا كان مفسَّرا فهو مُقدّم على التعديل إذا كان مفسرا ، وهذا صحيح طالما أن الجارح والمُعدِّل من الأئمة المعتد بهم. والمقصود بالجرح المفسَّر هو تبيين سبب التضعيف ، أما إذا كان التعديل مفسرا والجرح مجملا فلا أخذ بالجرح هنا ، هذا على صحة أن التفسير حقيقي فى الجرح أو التعديل ليس تلفيقا أو كذبا أو اتهاما ! فإن كان شيئا من ذلك فلا عبرة به وهو مردود .

وسوف نبسط القول بجمع كل ما قاله فيهم إن شاء الله وسنحقق في كل ما أثر عنه بالتفصيل حتى لا يكون هناك مخرج لمن يغمز في التبليغ أو يقدح فيهم ويستتر خلف كلام الشيخ بن باز رحمه الله .

## الفتوى الأولى : فتوى عامة عن أهل التبليغ .

(سماحة الشيخ عبد العزيز ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وُجِّه إليكم سؤال في ندوة ليلة الجمعة 1407/1/8هـ عن الجماعات الإسلامية ومنها جماعة التبليغ, وقال لكم السائل ، هل ترون الخروج معهم وتأييدهم ؟ فذكرتم انقسام الناس فيهم بين مادح وقادح وأسباب ذلك, وقلتم انهم يخرجون من دهر طويل إلى البلدان الكافرة وغير الكافرة يدعون إلى الله, ويُزهّدون الناس في الدنيا, ويرغبونهم في الآخرة, ويدعونهم إلى التمسك بالإسلام ، ويحذرونهم من الكفر بالله, ولهم نشاط ملموس, فمن خرج معهم من أهل العلم والبصيرة ليشجّعهم ويعلّمهم ويعينهم على نشر التوحيد والإخلاص وترك البدع فقد أحسن, ومن خرج وهو جاهل فهو على خطر, فإذا خرج معهم صاحب علمٍ وسنّةٍ وتوحيد نفعهم ونفع الناس, فنصيحتي أنهم لا يمنعون ولا يهجرون ولكن يُساعدون ويشجعون ويعلمون ما قد يجهلون, وان يشاركهم أهل العلم والبصيرة حتى تكثر فيهم الدعوة السلفية وعلم السنة, وينفع الله بهم أكثر,فإنهم الآن نشيطون ومن يقوم مقامهم ؟

الدعاة إلى الله قليلون بالنسبة إلى كثرة أهل البدع والشر ، فينبغي تشجيعهم ... انتهى ملخص جوابكم

وقد بلغني أنه صدر فتوى من اللجنة الدائمة تخالف ما ذكره سماحتكم أعلاه مما أوقع الناس في الحيرة والبلبلة فأرجو أن تُوضحوا للسامعين رأيكم الأخير فيهم وما تعتقدون وتدينون الله به, مما يشجع على الدعوة إلى الله ولا يهدمها, وأملنا أن لا تأخذكم في الله لومة لائم لازالت آراؤكم سديد السائل : مسترشد

الجواب : الجماعات التي تدعو إلى الله كثيرة ومتنوعة, وقد سبق السؤال من بعض الإخوان عن جماعة التبليغ, وهي جماعة من الهند والباكستان وغيرها يتجوّلون في بلدان الدنيا في أوروبا وأفريقيا وأمريكا وآسيا وفي كل مكان, ولهم نشاط في البلاغ, ولهذا سموا جماعة التبليغ يُبلغون الإسلام ويبلغون دعوة الله عز وجل

والناس فيهم بين قادح ومادح كما تقدم ، فمنهم من جهل أمرهم فذمّهم, ومنهم من عرف أمرهم ومدحهم وأثنى, ومنهم من توسّط في ذلك, والذي قلنا فيهم أقدم هو الذي نقوله الآن : ليسوا بكاملين,عندهم نقص, وعندهم غلط, وعند رؤسائهم القدامى بعض الأغلاط وبعض البدع, لكن هؤلاء الأخيرون في الأغلب ليس عندهم شيء من ذلك, إن كان فعند رؤسائهم الأقدمين

لكن هؤلاء الذين يتجوّلون الآن ينشدون توجيه الناس إلى الإسلام وترغيبهم في الآخرة وتزهيدهم في الدنيا ، وتشجيعهم على طاعة الله ورسوله, وقد تأثر بهم الجم الغفير, يصحبهم الفُساق والعُصاة, فيرجعون بعد ذلك عُباداً أخياراً قد تأثروا بهذة الدعوة

هذا هو الذي علمنا منهم, وقد صحبهم جمٌّ غفير من إخواننا وعرفوا ذلك, وعندهم بعض النقص والجهل كما سبق, وفيهم جُهال يريدون الخير, فإذا صحبهم أهل العلم والبصيرة وأهل العقائد الطيبة نبّهوهم على بعض الأغلاط, وساعدوهم على الخير, وصارت الدعوة أكثر نفعاً وأكمل بلاغاً ، أما ما صدر من اللجنة الدائمة لدينا في الرئاسة منذ سنين فقد خفي عليهم بعض أمورهم ، فصدر في الفتوى شيء غير مناسب ، وليس

العمل عليها ، بل العمل على ما ذكرناه آنفاً, وإن الواجب على أهل العلم هو التعاون معهم على البر والتقوى وإصلاح ما قد يغلطون فيه

وهكذا غيرهم مثل جماعة الإخوان المسلمين, والجماعة الإسلامية في الباكستان والهند وغيرهم, كلهم عنده نقص, والواجب التعاون على البر والتقوى ، والتعاون على ما ينفع المسلمين, والنقص يجب على أهل العلم أن يتعاونوا على إزالته والتنبيه عليه, حتى تكون الدعوة من الإخوان جميعاً متقاربة ومتعاونة ومتساندة, حتى ينفع الله بهم الجميع, فإذا اضطربت واختلفت أوجبت التنفير والشكوك والبلبلة

فالواجب على كل من لديه علم وغيرة إسلامية من أهل العلم أن يساعد في الخير, وأن ينبه على الخطأ من جماعة التبليغ, ومن غير جماعة التبليغ, هذا هو الذي نعتقده في هذا كله في جميع الجماعات, ما كان عندها من خطأ نُبِّهت عليه وبُيِّن لها خطؤها, وما كان من صواب شُكِرتْ عليه وشُجّعت على التزامه ونشره بين الناس, حتى تستقيم الدعوة إلى الله من جميع الجماعات الإسلامية ، ونسأل الله التوفيق وصلاح النية والعمل, إنه ولي ذلك والقادر عليه, وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، 15/4/1407هـ)

### التعقيب على الفتوى الأولى : فتوى عامة عن أهل التبليغ.

سوف نتناول هنا موقف الشيخ ابن باز رحمه الله من جماعة التبليغ ، مع تعليق شرعي موجز على كل جزء من كلامه ، من خلال منهج يستند إلى أصول الدعوة إلى الله تعالى وأقوال أهل العلم في ذلك. وسوف نرتب المستفاد من فتوى الشيخ بن باز في نقاط :

### 1. إقرار الشيخ بأن جماعة التبليغ ينقسم الناس بشأنها بين مادح وقادح .

فمن الطبيعي أن تختلف الآراء حول المناهج الإصلاحية البشرية وكذلك الجماعات الدعوية ، خاصة إذا لم يكن لها منهج واضح في العقيدة والسلوك وتختلف شيئا من بلد إلى بلد أو كان لها خصوم في شيء من وسائلها أو دعوتها ، ولذلك ينبغي التثبت من حقيقة كل منهج وفئة وجماعة منهم لا من خصومهم ومن ثم الحكم عليها بناءً على أصول أهل السنة والجماعة.

### 2. ذكر الشيخ أن الجماعة لها نشاط في الدعوة إلى الإسلام ، وترغيب الناس في الآخرة ، وتحذيرهم من الكفر.

وهذا اعتراف كبير من شيخ فاضل له وزنه وثقله في مجتمعه ، ولا شك أن الدعوة إلى الله تعالى عمل نبيل بل هو أشرف الأعمال التي يقابل بها الإنسان ربه يوم القيامة ، ولكن يجب أن تكون الدعوة مبنية على المنهج الصحيح وتكون إلى العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم وكذلك تكون إلى السنة الصافية ، مع الحذر والتحذير من أي انحراف عن عقيدة التوحيد والتحذير من الوقوع في البدع.

### 3. إرشاد الشيخ بأن من خرج معهم وكان من أهل العلم والبصيرة نفعهم ونفع الناس ، ومن كان جاهلًا فهو على خطر .

انظر إلى هذا التأصيل المهم من الشيخ رحمه الله وكيف أنه لم يتعصب لجماعته ومنهجه الدعوي بل اعترف بكل شفافية بما لدى القوم من تأثير ونفع وأنهم إذا كان معهم علماء وطلبة العلم لكان النفع منهم وبهم أكثر وأعظم ، بخلاف غيره من أبناء هذا الفصيل ممن ينكرون كل جميل ويقبحون كل حسن ولا يعترفون لأحد من المسلمين بفضل ؛ ولا نخالف كلام الشيخ رحمه الله تعالى في أن الدعوة الصحيحة لا تستقيم إلا بأهل العلم الراسخين ، أما الجهال فقد تؤدي دعوتهم إلى انتشار المفاهيم الخاطئة والابتداع في الدين ولذلك يهتم

أهل التبليغ كثيرا بإقامة ندوات توعوية واستقدامات دعوية لتأصيل تلك المفاهيم لدى الدعاة ، ولربط الدعاة بالعلماء دائما حتى لا يكون هناك مجال للانحراف والخروج عن الجادة .

### 4. تشجيع الشيخ على مساعدتهم وتعليمهم حتى يكثر فيهم علم السنة .

إن التعاون على البر والتقوى مطلوب شرعًا ، ولكن يجب أن يكون ذلك بضوابط واضحة تحفظ العقيدة من أي مخالفة أو انحراف.

فقد كان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ينظر إلى الدعوة الإسلامية بمنهج إصلاحي متوازن ، حيث لم يكن يرى الهجر المطلق للجماعات الدعوية ، بل كان يؤمن بأن التوجيه والتعليم هما السبيل الأمثل لنشر العقيدة الصحيحة وتصحيح الأخطاء.

لذا شجع الشيخ أهل العلم والبصيرة على مساعدة حركة التبليغ وتعليمهم ، حتى تكثر فيهم الدعوة السلفية وعلم السنة ، وذلك من خلال إدخال العلماء في صفوفهم ليكونوا جزءًا من عملية الإصلاح ، وليس مجرد منتقدين من الخارج. فقد كان يرى أن التعاون معهم يساعد في تصحيح المفاهيم ، ويجعلهم أكثر قربًا من المنهج الصحيح ، بدلًا من تركهم دون توجيه.

وهذا يؤدي إلى تقويم مسارها ، بحيث تصبح أكثر نفعًا وتأثيرًا في المجتمع الإسلامي. فبدلًا من التركيز على سلبياتهم فقط ، كما يرى أن هناك فرصة في إصلاح الخلل من الداخل عبر التعليم والتوجيه ، ولا نفع في الإقصاء والهجر الذي قد يؤدي إلى تفويت فرص الإصلاح.

بهذا المنهج الحكيم ، استطاع الشيخ ابن باز أن يقدم رؤية إصلاحية متوازنة ، تجمع بين النقد البناء والتعاون المثمر ، مما جعل موقفه أكثر تأثيرًا في تصحيح مسار الجماعات الدعوية عامة .

### 5. إقرار الشيخ بأن اللجنة الدائمة أصدرت فتوى تختلف عن موقفه ، وأن ذلك كان بسبب عدم الإحاطة الكاملة بأحوال تلك الدعوة الحركية.

لقد كان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله من العلماء الذين امتازوا بالبصيرة النافذة في القضايا الشرعية والدعوية ، وكان يدرك أن الفتاوى الشرعية قد تختلف أحيانًا بسبب تفاوت المعلومات المتاحة للعلماء . فعندما صدر عن اللجنة الدائمة فتوى تخالف موقفه من التبليغ ، أوضح الشيخ أن ذلك كان بسبب عدم الإحاطة الكاملة بأحوال الجماعة ، حيث لم يكن لدى اللجنة تصور دقيق عن واقعهم وتحركاتهم الدعوية.

ولقد كان الشيخ ابن باز يرى أن الجماعة ، رغم ما فيها من نقص وأخطاء ، لها نشاط ملموس في الدعوة إلى الله ، وكان يؤكد أن التعاون معهم وتصحيح أخطائهم هو السبيل الأمثل لنشر العقيدة الصحيحة. أما الفتوى التي صدرت عن اللجنة الدائمة ، فقد كانت مبنية على معلومات غير مكتملة ، مما أدى إلى إصدار حكم لم يكن مطابقًا للواقع الذي كان يعلمه الشيخ عن الجماعة.

وهنا تتجلى حكمة الشيخ ابن باز رحمه الله في التعامل مع الفتاوى الشرعية ، فقد كان يدرك تماما أن الفتوى يجب أن تكون مبنية على التثبت والتحقيق الشرعي الدقيق ولذلك تثبت غاية التثبت بطرق كثيرة ، ولم يعتمد على معلومات ناقصة أو تصورات غير مكتملة تنقل إليه من بعض التلامذة الذين قد يكون بعضهم مؤدلج وموجه بطرقة غير صحيحة إلى اتجاه معين . ولذلك ، كان يؤكد أن الواجب على أهل العلم هو التعاون على البر والتقوى ، وتصحيح الأخطاء بدلًا من الهجر المطلق الذي قد يؤدي إلى تفويت فرص الإصلاح.

بهذا المنهج المتوازن ، استطاع الشيخ ابن باز أن يقدم رؤية إصلاحية حكيمة ، تجمع بين النقد البناء والتعاون المثمر ، مما جعل موقفه أكثر تأثيرًا في تصحيح مسار الجماعات الدعوية.

### 6. إشارته إلى أن جميع الجماعات الدعوية لديها نقص ، والواجب التعاون على إصلاح الأخطاء وتوجيهها للصواب .

إن الإصلاح واجب على أهل العلم ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك وفق أصول العقيدة ، مع الحذر من الانحرافات الفكرية والتنظيمية.

لقد كان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يدرك حقيقة أن كل المناهج العصرية والجماعات الدعوية لديها نقص في جانب من الجوانب ، وأنه لا توجد جماعة كاملة خالية من الأخطاء ، وهذا أمر طبيعي في أي عمل بشري. ومع ذلك فقد كان يرى أن الواجب الشرعي على المسلمين جميعا هو التعاون على إصلاح الأخطاء وتوجيهها للصواب ، وليس الهجر المطلق أو التفسيق والتبديع دون محاولة الإصلاح. ولقد كان منهجه قائمًا على التوازن بين النقد والتوجيه ، حيث كان يرى أن الجماعات الدعوية ، رغم ما فيها من نقص ، يمكن أن تكون وسيلة فعالة لنشر الخير إذا تم تصحيح مسارها ، وكان يؤكد أن أهل العلم يجب أن يكونوا جزءًا من عملية الإصلاح بل قادته والمؤثرون فيه ، بحيث يوجهون المناهج والجماعات والأفكار والجمعيات وعامة المصلحين إلى المنهج الصحيح بدلًا من تركهم دون توجيه.

وعليه فكمال الاستفادة من هذا في جمع كلمة العلماء وتقريب صفوفهم وتقليل الخلاف بينهم خاصة في رؤيتهم للجماعات الدعوية الأخرى ، يكون من خلال :

#### إبراز أهمية التعاون على البر والتقوى :

فيجب أن يكون هناك وعي مشترك بين العلماء في كل المناهج بأن الهدف الأساسي هو نشر العقيدة الصحيحة ، وليس مجرد تصنيف الجماعات أو التركيز على أخطائها دون محاولة إصلاحها.

#### إيجاد أرضية مشتركة للحوار :

ويمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم لقاءات علمية تجمع العلماء من مختلف الاتجاهات ، بحيث يتم مناقشة القضايا الدعوية بروح الإصلاح ، وليس بروح التصادم والاختلاف.

### تفنيد سلبيات التشدد في التبديع والتفسيق :

فمن خلال توضيح أن التشديد في الحكم على الجماعات الدعوية يؤدي إلى تفريق الصف الإسلامي ، بينما التعاون والتوجيه يساعد في تصحيح الأخطاء وتقويم المسار.

### التركيز على القواسم المشتركة :

فبدلًا من التركيز على الاختلافات ، يمكن إبراز المبادئ المشتركة التي تجمع العلماء والجماعات الدعوية ، مثل الدعوة إلى التوحيد والسنة ، والعمل على إصلاح المجتمع.

### تعزيز دور العلماء في التوجيه بدلًا من الهجر :

إذ يجب أن يكون العلماء فاعلين في تصحيح المسار الدعوي ، بحيث يكون لهم دور في إرشاد الجماعات ، وليس فقط انتقادها من الخارج.

### الفتوى الثانية : فتوى الشيخ بن باز لأبي الحارث المنان حول طريقة عمل التبليغ في الدعوة وطرق الأبواب .

( السؤال : أولى رسائل هذه الحلقة رسالة وصلت إلى البرنامج من أحد الإخوة المستمعين يقول : المرسل أبو الحارث علي بن عطا المنان ، يقول : لدينا جماعة تأمر الناس بالخروج في سبيل الله ، ويترتب على هذا الخروج أن يذهبوا إلى مسجد في أي حي ، وبعد ذلك يقضون في المسجد ثلاثة أيام يقرءون في رياض الصالحين بدون شرح أو أي تعليق على الأحاديث ، ثم بعد ذلك يخرجون في العصر يطرقون الأبواب ويقولون لأهلها : تعالوا في المسجد اسمعوا كلام الخير والإيمان ، هل أثر ذلك عن رسول الله ﷺ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وصلى الله وسلم على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه

أما بعد : فالاجتماع على الخير ومدارسة العلم والتفقه في الدين أمر مطلوب ، ينبغي للشباب والشيب والرجال والنساء بذل المستطاع في طلب العلم والتفقه في الدين ، من طريق الكتاب العظيم وهو القرآن والسنة المطهرة؛ لقول النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين متفق على صحته ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وقوله ﷺ : ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يعني : مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده

هؤلاء الجماعة الذين يخرجون في سبيل الله للدعوة إلى الله والتعليم ويجتمعون في بعض المساجد لدراسة رياض الصالحين أو غيره من كتب العلم ، هذا شيء لا بأس به وهو طيب ، لأجل التعاون على طلب العلم والتفقه في الدين ، وهكذا إذا خرجوا إلى قرية من القرى أو قبيلة من القبائل يدعونهم إلى الله ويرشدونهم إلى الخير أمر مطلوب ، قد كان النبي ﷺ يبعث الدعاة ، كان النبي ﷺ يبعث الدعاة إلى القبائل للإرشاد والتعليم ، وبعث مرة سبعين من القراء إلى بعض القبائل للتعليم والدعوة ، فابتعاث طلبة العلم إلى القرى والقبائل والمدن للدعوة إلى الله ، وتعليم الناس العقيدة الصحيحة وتعليمهم ما أوجب الله عليهم ، ويحرموا ما حرم الله عليهم أمر مطلوب ، لكن ضرب الأبواب على الناس هذا محل نظر لا أعلم له أصلاً ، لكن إذا نبههم الإمام في المسجد فيه محاضرة الليلة أو ليلة كذا أو ندوة هذا طيب ، حتى يجتمعوا ويحضروا للفائدة ، من باب التعاون على البر والتقوى ، كما قال تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : 2] ، وقال تعالى : وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

[العصر : 13] ، فالأولى عندي أن لا يضربوا أبواب الناس وأن لا يذهبوا إلى الأبواب ، ولكن إمام المسجد يخبر عنهم أن هناك محاضرة أن هناك ندوة في مسجد كذا بعد صلاة كذا ، هذا يكفي والحمد لله. نعم

المقدم : جزاكم الله خيرًا)

## التعقيب على الفتوى 2 : حول طريقة عمل التبليغ في الدعوة وطرق الأبواب .

هذه الفتوى تؤكد في مجملها على أهمية طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين ، وتشجع على الاجتماع على الخير ومدارسة القرآن والسنة ، لما في ذلك من فضل عظيم. كما تبين أن الخروج للدعوة إلى الله وتعليم الناس أمور دينهم أمر مطلوب ، وهو امتداد لمنهج النبي ﷺ في إرسال الدعاة إلى القبائل لنشر الإسلام وتعليم العقيدة الصحيحة ، كما تركز على أهمية نشر العلم الصحيح ، وتوجيه الناس إلى العقيدة السليمة ، مع التأكيد على أن الدعوة يجب أن تكون منظمة ومبنية على الحكمة ، بحيث تحقق الفائدة دون أن تسبب إزعاجًا أو نفورًا.

وقد كان الشيخ ابن باز رحمه الله يقر بأن اجتماع الجماعات الدعوية في المساجد لدراسة كتب العلم أمر حسن ، لأنه يعزز التعاون على البر والتقوى. ولكنه يرى أن طرق أبواب الناس للدعوة محل نظر ، ويفضل أن يكون الإعلان عن المحاضرات والندوات عبر إمام المسجد ، بحيث يحضر الناس طواعية للاستفادة ، دون الحاجة إلى زيارتهم في منازلهم ، ولكن في تلك الفتوى ثلاث نقاط مهمة لابد من التعقيب عليها .

## النقطة الأولى : الأمر بالخروج في سبيل الله !

ورد في السؤال قول السائل : (لدينا جماعة تأمر الناس بالخروج في سبيل الله) وهذا لا شك مغاير تماما للحقيقة ، فأهل التبليغ لا يأمرون الناس بالخروج في سبيل الله ! بل يدعونهم ويرغبونهم للخروج في سبيل الله ، والخروج ليس مطلوبا لذاته ولكن لما يترتب عليه من غايات وهي دعوة الناس إلى الله وتذكيرهم بالله

وإقامتهم على أوامر الله بالحكمة والموعظة الحسنة واللفظ الرقيق والبسمة الحانية ، أما غير ذلك من الشدة والعنف والزجر والنهر فليس في قاموس الدعاة لأنهم لا سلطان لهم على أحد ولا يملكون سلطة للأمر ولا سيفا للزجر ! فغاية أمرهم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن مواطن الشبهات وعدم التعرض لما يوقف الدعوة والخير الناتج عنها !

فليتنبه القارىء الكريم أن دعوة التبليغ دعوة سلمية هينة ، يستطيعها كل مسلم ، لأن منشأها أن يقوم كل مسلم بدور في هذه الدنيا ، فمن لم يكن عالما فليكن داعيا ومن لم يكن داعيا فليكن في صحبة العلماء والدعاة ، بهذا يعم الخير وتنتشر الدعوة وتعلوا راية الحق .

## النقطة الثانية : ضرب الأبواب على الناس .

وأما النقطة الثانية التي لابد من التعقيب عليها هي قول الشيخ رحمه الله : (لكن ضرب الأبواب على الناس هذا محل نظر لا أعلم له أصلاً ) وهذا صحيح من جانب أنها لم تؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ولكنها أثرت بصفات مغايرة ! فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يغزو أسواق الكفار فيذكرهم بالله ويدعوهم إلى الله ، ويتغشاهم في مجالسهم ونواديهم فيسمعهم دعوة الله ، ومع كرههم لهذا وبغضهم له إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوقف عن هذا مطلقا حتى أوذي في سبيل ذلك أشد الإيذاء ! فطلب الكفار صراحة من أبي طالب أن يكف ابن أخيه عنهم وعن مجالسهم فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك .

فكون ضرب الأبواب محل نظر صحيح ولكن كونها لا أصل لها محل نظر !

فالثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدور على الناس في أماكنهم يدعوهم إلى الله وهذا من باب ضرب الأبواب ! وكان يتغاشاهم في مجالسهم في الكعبة رغما عنهم وهذا نوع من ضرب الأبواب ! وكان يتعقبهم في أسواقهم يدعوهم إلى الله وهذا نوع من ضرب الأبواب ! فتنبه . ولعل الشيخ رحمه الله لم يراجع

في هذه النقطة الدقيقة ولو روجع فيها لرجع إلى الحق إن شاء الله فما علمنا عنه رحمه الله إلا الرجوع إلى الحق .

## النقطة الثالثة : منع ضرب الأبواب على الناس .

وأما النقطة الثالثة هي قول الشيخ رحمه الله : (فالأولى عندي أن لا يضربوا أبواب الناس وأن لا يذهبوا إلى الأبواب ) لعله من قبيل عدم إحراج الناس أو بعدا عن الشبهات أو حتى لا يدخل لقلوب الناس ريبة في عصرنا هذا الذي صار البعد فيه عن الناس هو الأصل وغلق الأبواب هو السائد ، والجار لا يعرف عن جاره شيئا ! بل قد يعيش معه في عمارة واحدة عشر سنوات ولا يعرف من هو ! إلى غير ذلك م الواقع الأليم الذي لابد أن يتغير بشكل من الأشكال لتعود الحياة طبيعية .

وإن كان الشيخ اختار هذا الاختيار فهو وما اختار رحمه الله ، ولكن الحق والأولى في نظرنا وفى نظر علماء آخرين أن يطرق الدعاة الأبواب على الناس في كل مكان ويدعوهم إلى الله ليكون هذا المسلك طبيعيا في بلاد الإسلام ! حتى تنتهي الغربة والتغريب الذي صار سمة أساسية في بلاد المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! وإلا فلا تنتظروا إلى تغريبا أكثر وبعدا عن الدين أكثر مما هو الآن ! نسأل الله تعالى أن يقيض للأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويتاب فيه على أهل معصيته .

## فتوى الشيخ ليست قرآن ولم نخرج من الإسلام بردنا عليه فتنبه :

إن الرد على كلام العلماء هو جزء من منهج البحث العلمي القائم على التدبر والتأمل ، وليس المقصود منه التقليل من شأن العالم أو شخصنة المسائل العلمية. فالشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله هو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة ، وله مكانته العلمية الراسخة ، ولكن كما هو معلوم لدى الجميع بأن كلام العلماء يؤخذ منه ويُترك ، وليس كل ما يقولونه يكون بمنزلة النصوص الشرعية القطعية التي لا تقبل النقاش.

ولقد جاء ردنا على فتوى الشيخ ابن باز في إطار الاحترام الكامل لشخصه الكريم ولمقامه العلمي الرفيع ، مع التأكيد على أن الاختلاف في الرأي لا يعني الانتقاص من العالم ، بل هو جزء من التفاعل العلمي الصحي الذي يهدف إلى تحقيق الفهم الصحيح للنصوص الشرعية. وقد حرصنا في ردنا على أن يكون منضبطًا بأدب الحوار ، بعيدًا عن أي تجاوز أو انتقاص كما وقع من فالح الحربي قديما وأذنابهم حديثا ، بل ردنا قائم على الاستدلال الشرعي والنظر الفقهي المتزن.

إن العلماء القدامى والمحدثين أنفسهم – كانوا وما زالوا يختلفون فيما بينهم في الآراء ، ومع ذلك كان اختلافهم مبنيًا على الأدلة الشرعية ، ولم يكن سببًا في تفريق الصف أو إثارة النزاعات. ومن هذا المنطلق ، فإن تعقيبنا على بعض فقرات من فتوى الشيخ ابن باز لم يكن خروجًا عن أدب الحوار العلمي ، ولم يكن فيه أي محذور شرعي ، بل كان توضيحًا لنقطة اجتهادية قال بها الشيخ رحمه الله يمكن أن يكون فيها وجهات نظر متعددة.

ونؤكد أن مكانة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى محفوظة ، وأن الاحترام له ولعلمه ثابت لا يتغير ، ولكن كما هو الحال مع جميع العلماء ، فإن الاجتهادات الفقهية قابلة للنقاش والتوضيح ، وهذا لا ينقص من قدر العالم ، بل يعزز منهج البحث العلمي الصحيح الذي يقوم على التثبت والتحقيق الشرعي الدقيق.

وبهذا ، فإن ردنا لم يكن معارضة لشخص الشيخ أو انتقاصًا من علمه ، بل كان تفاعلًا علميًا قائمًا على الأدلة الشرعية ، مع حفظ مقامه واحترام علمه ، وهذا هو المنهج الصحيح في التعامل مع أقوال العلماء.

**الفتوى الثالثة : فتوى لأحد سكان الهجر حول جماعات الدعوة التي تتحرك في الصحراء على أهل البادية .**

(فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : نحن سكان في البادية ، منا من هو مستقر في هجرة ومنا من هو يتبع حلاله ، ويأتينا جماعة الدعوة للتبليغ ، منهم من نعرفه شخصيًا ونثق بصدق نيته إلا أنهم ليسوا علماء ، ومنهم علماء ، ويدعوننا للخروج للهجر التي حولنا ،

ويحددون لذلك أيام وأسابيع وأشهر مع ملاحظتنا أن حلق الذكر التي تعمل عندنا ليس عليها أي اشتباه ، هل يجوز الاستماع لهم أو الخروج معهم للهجر المجاورة أو خارج المملكة؟ نرجو من فضيلتكم التوضيح عن ذلك والكتابة لي لكوني مرسول من جماعتي ولا يقتنعون إلا بخطاب من فضيلتكم. جزاكم الله عنا وعن كافة المسلمين خير الجزاء

مقدمه / ف. ص. د

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، بعده

إذا كان المذكورون معروفين بالعقيدة الطيبة والعلم والفضل وحسن السيرة فلا بأس بالتعاون معهم في الدعوة إلى الله سبحانه والتعليم والنصيحة لقول الله وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : 2] وقول النبي ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله وفق الله الجميع 1 ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفتي عام المملكة ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

فتوى صدرت مكتب سماحته في 24 / 5 / 1416 هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 307/9) )

## التعقيب على الفتوى 3 : فتوى لأحد سكان الهجر .

قال السائل : (نحن سكان في البادية ، منا من هو مستقر في هجرة ومنا من هو يتبع حلاله ، ويأتينا جماعة الدعوة للتبليغ ، منهم من نعرفه شخصيًا ونثق بصدق نيته إلا أنهم ليسوا علماء ، ومنهم علماء ، ويدعوننا للخروج للهجر التي حولنا ) اعلم أن الدعوة إلى الله من أعظم العبادات التي تُقرّب العبد من الله ، وقد قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [8] ، مما يدل على أن الدعوة يجب أن تكون

[8](النحل : 125)

قائمة على العلم والبصيرة والرفق بالمدعوين. وقد كان النبي ﷺ كان يرسل الدعاة إلى القبائل والأمم المختلفة لتعليمهم أمور دينهم ، كما فعل مع مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما أرسله إلى المدينة قبل الهجرة لنشر الإسلام بين أهلها ولذلك فما يفعله هؤلاء الدعاة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقول السائل : (**ويحددون لذلك أيام وأسابيع وأشهر**) فتحديد وقت معين للدعوة إلى الله تعالى أو للتعلم أو لغيره مما هو مشروع هو من باب التنظيم وليس من البدع ، فقد ثبت أن النبي ﷺ أرسل الصحابة في مهمات دعوية محددة بوقت معين ، كما أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ليعلّم الناس أمور الدين ، وقال له : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [9] . ولكن ينبغي أن يكون هذا التنظيم مرنًا ومبنيًا على الحاجة الفعلية للدعوة ، وأن لا يلزمه لازم شرعي من اعتقاد فيه وأن لا يكون إلزاميًا بطريقة قد تؤدي إلى ترك مسؤوليات أخرى مهمة.

وأما قول السائل : (مع ملاحظتنا أن حلق الذكر التي تعمل عندنا ليس عليها أي اشتباه ، هل يجوز الاستماع لهم أو الخروج معهم للهجر المجاورة أو خارج المملكة؟) فاعلم أنه إذا كانت حلقات التعليم والذكر التي يقوم بها أهل التبليغ قائمة على ما ورد في الكتاب والسنة ، فلا بأس بالاستماع إليها والاستفادة منها ، فقد قال النبي ﷺ : ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة [10] . والخروج معهم يكون جائزًا إذا كانت دعوتهم صحيحة وملتزمة بالضوابط الشرعية ، مع الحرص على عدم التقصير في الواجبات الشرعية أو الأسرية أو الاجتماعية.

---

[9](البخاري ومسلم)
[10](مسلم)

وأما قول الشيخ رحمه الله : (إذا كان المذكورون معروفين بالعقيدة الطيبة والعلم والفضل وحسن السيرة فلا بأس بالتعاون معهم في الدعوة إلى الله سبحانه والتعليم والنصيحة ، لقوله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [11] ، وقول النبي ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله ، وفق الله الجميع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.) فإن هذه الفتوى تؤكد على أهمية التعاون في الدعوة إلى الله تعالى ، فقد قال النبي ﷺ : بلغوا عني ولو آية [12] ، مما يدل على أن كل مسلم مطالب بنشر الخير والحق بين الناس وفق قدرته وعلمه. كما أن النبي ﷺ قال : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم [13] ، مما يدل على أن هداية الناس من أعظم أعمال البر والقربات.

فالتعاون مع أهل الخير في الدعوة إلى الله أمر محمود ، ما دام وفق الضوابط الشرعية الصحيحة. لذا ، ينبغي للسائل أن يستجيب لنصيحة الشيخ ، ويتأكد من أن الجماعة التي يتحرك معها تلتزم بالكتاب والسنة ، وتحرص على تعليم الناس عقيدة الإسلام الصحيحة دون أخطاء أو انحرافات. وقد قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (البخاري ومسلم) ، مما يدل على أن طلب العلم هو الحصن الأول من الوقوع في خطإ فكري أو عقدي.

ومتى ما كان الخروج في سبيل الله ضمن حدود الشرع ، ولا يؤدي إلى ترك الواجبات الأسرية أو الاجتماعية ، فهو مشروع حيث قال النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته [14] ، فالمسؤوليات الدنيوية لا ينبغي إهمالها بحجة الدعوة لأن تحقق التوازن بين الدعوة إلى الله تعالى والالتزامات الشخصية والاجتماعية مطلب شرعي ، والله أعلم.

---

[11] [المائدة : 2]

[12] (البخاري)

[13] (البخاري ومسلم)

[14] (البخاري ومسلم)

### الفتوى الرابعة : فتوى عامة عن الخروج في سبيل الله للدعوة في مساجد الخليج .

( يوجد بعض الجماعات في بعض مساجد دول الخليج يقومون فيها بالاعتكاف ودعاء الناس ، ويجتمع عليهم الناس من جميع الدول الخليجية وبعض الإسلامية ، ويقومون بدعاء الناس إلى الخروج في سبيل الله ليعلموا الناس الدين ، ومن الأمثلة على ذلك بأنه بعد كل حلقة ذكر يقوم أحدهم ويقول : من يخرج في سبيل الله؟ ويقومون بتسجيل الأسماء للخارجين ، هل ينصح فضيلة سماحتنا بمساعدتهم والقيام معهم؟ ولماذا لا يأتون هنا ويسمح لهم بقيام جماعة إسلامية إلى آخره؟

الجواب : هذه يقال لها جماعة التبليغ ، معروفة من عشرات السنين ، لهم جهود في الدعوة إلى الله ، ويخرجون في سبيل الله إلى بلاد الكفار وغير بلاد الكفار ، إلى أوروبا وإلى أمريكا وإلى كل مكان ، عندهم نشاط إسلامي وعندهم بعض الأغلاط وبعض الخطأ ، فإذا خرج معهم طالب العلم وتعاون معهم طيب ، يعينهم على الدعوة إلى الله ، وإذا أخطأوا يبصرهم

ينبغي أن يصحبهم أهل البصيرة وأهل العلم وأهل التوحيد والعقائد الطيبة لأنهم أصلهم من باكستان ، بدأوا من الهند وكان لهم نشاط كبير في الدعوة إلى الله ، وعندهم صبر على الشدائد وتحمل المشاق ، وذهابهم منهم وطعامهم منهم من عندهم ، لا يرضون أن يستضيفوا الناس بل ينفقون على أنفسهم ، ولهم أعمال جيدة ، ولهم تأثير في الناس ، ويسلم على أيديهم الجم الغفير ، لكن عندهم شيء من الأغلاط وشيء من الجهل ، ينبغي أن يكون معهم أهل العقيدة وأهل العلم حتى يتعاونوا معهم في الخير وهذا عمل صالح )

## التعقيب على الفتوى الرابعة : فتوى عامة عن الخروج في سبيل الله للدعوة في مساجد الخليج .

قول الشيخ رحمه الله (هذه يقال لها جماعة التبليغ ، معروفة من عشرات السنين ، لهم جهود في الدعوة إلى الله ، ويخرجون في سبيل الله إلى بلاد الكفار وغير بلاد الكفار ، إلى أوروبا وإلى أمريكا وإلى كل مكان ، عندهم نشاط إسلامي وعندهم بعض الأغلاط وبعض الخطأ ، فإذا خرج معهم طالب العلم وتعاون معهم طيب ، يعينهم على الدعوة إلى الله ، وإذا أخطأوا يبصرهم.)

اعلم بارك الله فيك أن حركة الدعوة والتبليغ لها تاريخ طويل في العمل الدعوي ونشر الإسلام في بلاد آسيا خاصة ، وكذلك في مختلف البلدان ، وهو أمر مطلوب ومحمود شرعًا ، وهذا أمر مأمور به شرعا فقد قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [15] ، فالدعوة يجب أن تكون قائمة على الحكمة والتعليم الصحيح.

واعلم الانتشار الواسع لهذه الحركة الدعوية في أنحاء العالم له أثر محمود كبير في نشر الإسلام ، فقد قال النبي ﷺ : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم [16] ، وكل جهد في سبيل نشر الإسلام وهداية الناس يعد من أعظم الأعمال.

واما زعم البعض أن هناك أغلاطا فلا شك أن الحركات الدعوية الكبيرة لا تخلوا من بعض الدخلاء ، وأن السيطرة على جميع الأفراد بحيث يكونون على قلب رجل واحد في كل حركة وسكنة من المستحيلات ، ومثل هذه الأمور مما يتغاضى عنها وتؤخذ بعين الاعتبار في الإصلاح والتنبيه .

---

[15] (النحل : 125)

[16] (البخاري ومسلم)

وقول الشيخ رحمه الله (ينبغي أن يصحبهم أهل البصيرة وأهل العلم وأهل التوحيد والعقائد الطيبة لأنهم أصلهم من باكستان ، بدأوا من الهند وكان لهم نشاط كبير في الدعوة إلى الله ، وعندهم صبر على الشدائد وتحمل المشاق ، وذهابهم منهم وطعامهم منهم من عندهم ، لا يرضون أن يستضيفوا الناس بل ينفقون على أنفسهم ، ولهم أعمال جيدة ، ولهم تأثير في الناس ، ويسلم على أيديهم الجم الغفير.)

فلا شك أن تحمل مشاق الدعوة هو من علامات صدق الإخلاص ، فقد قال الله تعالى : وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [17] . كما أن عدم الاتكال على الناس والإنفاق من مالهم الخاص في الدعوة دليل على إخلاصهم لله وعدم رغبتهم في التكسب بالدين ، وهو أمر محمود.

ولكن وجود بعض الأخطاء العقدية أو الفقهية يستدعي أن يكون معهم بعض أهل العلم والبصيرة لتصحيح المسار إذا وقع انحراف أو مخالفات ، فقد قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [18] ، وكل جهد دعوي يجب أن يكون مصحوبًا بالنصيحة والتوجيه الصحيح باستمرار.

وقوله رحمه الله (لكن عندهم شيء من الأغلاط وشيء من الجهل ، ينبغي أن يكون معهم أهل العقيدة وأهل العلم حتى يتعاونوا معهم في الخير وهذا عمل صالح.)

كل حركة دعوية منتشرة في دول مختلفة وثقافات متنوعة تحتاج إلى تقويم وتصحيح مستمر ، ولأن الكمال لله وحده. فقد قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر (يقصد النبي ﷺ).

---

[17](العنكبوت : 69)

[18](مسلم)

ووجود أهل العلم مع الدعاة يساعد في ضبط التصورات العقدية الصحيحة والحركية أيضا ، ويضمن أن تكون الدعوة موافقة للكتاب والسنة دون غلو أو تقصير ، فقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [19] ، مما يدل على أن تصحيح العقيدة يجب أن يكون أول الأولويات في أي عمل دعوي.

## النصيحة لدعم دعاة التبليغ في عملهم الدعوي في ضوء فتوى الشيخ رحمه الله :

وبناءً على كلام الشيخ رحمه الله في تلك الفتوى ، فإن دعم حركة التبليغ في جهودهم الدعوية أمر مطلوب شرعًا ، وأن يكون ذلك مصحوبًا بالنصح والتوجيه العلمي الصحيح. لذا ، ينبغي للمسلم الذي يخرج معهم أن يكون على علم بالعقيدة الصحيحة وأصول الدين ، حتى يتمكن من تصحيح أي أخطاء قد تقع في منهجهم.

كما ينبغي أن يكون هناك تواصل بين علماء أهل السنة والجماعة في كل قطر ومصر وبين دعاة وأفراد هذه الجماعات المتحركة ، حتى يكون هناك تعاون بناء على البر والتقوى مما يقلل وقوع الأخطاء العقدية والفكرية الوارد وقوعها في مثل تلك الحركات الواسعة الانتشار ، فقد قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [20] .

فدعم جهودهم في نشر الإسلام له فوائد عظيمة ، فهم يساهمون في هداية الناس ونشر الخير ، أخي الكريم ، وفقك الله لما يحب ويرضى. إن دعوتك إلى الله ونشرك للخير بين الناس هي من أعظم الأعمال التي تستطيع القيام بها ،

---

[19](البخاري ومسلم)

[20](المائدة : 2)

وجماعة التبليغ هذه لها تاريخ طويل في نشر الإسلام في مختلف البلدان ، فإذا كنت تفكر في الخروج معهم ، فاحرص على أن تكون على علم بالعقيدة الصحيحة وأصول الدين ، حتى تتمكن من تصحيح أي أخطاء قد تقع في منهجهم ، وقد قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [21] . كما أدعوك إلى دعم جهودهم في نشر الإسلام ، مع الحرص على التصحيح العلمي والمنهجي ، بحيث تكون الدعوة قائمة على التوحيد الصحيح وفق منهج النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم. وإذا وجدت أي أخطاء في منهجهم أو عقيدتهم ، فكن معهم نصيرًا للحق ، موجّهًا للخير ، ناصحًا بالحكمة والموعظة الحسنة. فالدعوة تحتاج إلى الرفق والتدرج في الإصلاح ، كما قال النبي ﷺ : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا [22] . أسأل الله لك التوفيق والسداد في عملك الدعوي ، وأن يجعلك من الذين قال فيهم : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ [23] .

### الفتوى الخامسة : فتوى تحديد الأوقات في الخروج في سبيل الله للدعوة .

( ما حكم تحديد الخروج للدعوة بأوقات محددة؟ الجواب : الخروج المعروف عند جماعة التبليغ هذا المُحَدّد؟ هذا على حسب الطاقة ، تارة شهرًا ، وتارة شهرين ، وتارة ثلاثة أشهر ، أربعة ، كله لأجل الزاد ، يأخذون زادًا يكفيهم ، وإذا ما حددوه ما يعرفون كيف يتزوّدون ، لا بدّ من زاد ، أربعين يومًا ، شهرين ، ثلاثة ، سنة ، حسب استطاعهم وحسب اتفاقهم ، لا بأس إذا اتفق الجميع ، النبي ﷺ بعث الدعاة إلى القبائل والأمصار ، وأرسل الرسل ، عليه الصلاة والسلام ، فإذا خرج جماعة وعزموا على شهر ، أربعين يومًا ، أو شهرين ، أو ثلاثين ، وتزودوا لذلك ، طيب ، لا بأس ، وجزاهم الله خيرًا ، لكن يكون بعلم ،

---

[21](البخاري ومسلم)
[22](البخاري ومسلم)
[23](فصلت : 33)

وعلى بصيرة قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [يوسف : 108] أما إذا كانوا جهالًا أو أصحاب عقيدة منحرفة؛ لا )

## التعقيب على الفتوى الخامسة : فتوى تحديد الأوقات في الخروج في سبيل الله للدعوة .

قول الشيخ رحمه الله تعالى (الخروج المعروف عند جماعة التبليغ هذا المُحَدّد؟ هذا على حسب الطاقة ، تارة شهرًا ، وتارة شهرين ، وتارة ثلاثة أشهر ، أربعة ، كله لأجل الزاد ، يأخذون زادًا يكفيهم ، وإذا ما حددوه ما يعرفون كيف يتزوّدون ، لا بدّ من زاد ، أربعين يومًا ، شهرين ، ثلاثة ، سنة ، حسب استطاعهم وحسب اتفاقهم ، لا بأس إذا اتفق الجميع ، النبي ﷺ بعث الدعاة إلى القبائل والأمصار ، وأرسل الرسل ، عليه الصلاة والسلام.)

فيه فوائد منها أن تحديد مدة الخروج ليس بدعة بل وسيلة تنظيمية تهدف إلى تهيئة الداعية ليكون أكثر استعدادًا لنشر الإسلام ، حيث يقومون بالتزوّد بالزاد المادي والمعنوي ليكون خروجهم ناجحًا وفعالًا. وقد النبي ﷺ أرسل الدعاة إلى القبائل والأمم المختلفة لتعليمهم أمور الدين وتصحيح المفاهيم ، كما فعل مع مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما أرسله إلى المدينة قبل الهجرة لنشر الإسلام بين أهلها ، وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [24] ، ما يدل على أن الدعوة يجب أن تكون مرتبة ومنظمة بحيث تحقق أثرًا إيجابيًا حقيقيًا وأن هذا الترتيب ليس بدعة ولا مخالفا للسنة .

وقوله رحمه الله : (فإذا خرج جماعة وعزموا على شهر ، أربعين يومًا ، أو شهرين ، أو ثلاثين ، وتزودوا لذلك ، طيب ، لا بأس ، وجزاهم الله خيرًا ، لكن يكون بعلم ، وعلى بصيرة قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى

[24] (البخاري ومسلم)

اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [25] ) يؤكد أن العلم هو أساس الدعوة الصحيحة ، فقد قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [26] ، ويجب على الداعية أن يكون مدركًا للكتاب والسنة ومفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة. كذلك يجب أن تكون الدعوة قائمة على البصيرة والفهم الصحيح ، كما أمر الله في الآية : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [27] ، فالداعية إذا لم يكن على وعي بمقاصد الشريعة لا شك أنه يقع في أخطاء قد تُنفّر المدعوين بدلاً من هدايتهم.

ولا شك أنه من أخطر الأمور أن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى من ليس لديه علم صحيح ، فقد قال النبي ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا [28] لذلك قال الشيخ (**أما إذا كانوا جهالًا أو أصحاب عقيدة منحرفة؛ لا.**) وذلك لأن دعوة الإسلام تحذر من الجهل في الدعوة إلى الله تعالى ، لأنها تؤدي إلى انتشار المفاهيم الخاطئة ، ولذلك نصح الشيخ بأن يكون مع جماعة التبليغ في حال حركتهم بعضا أهل العلم والعقيدة الصحيحة ليكون العمل متكاملاً ومبنيًا على أصول الشريعة لا على مجرد العواطف أو الاجتهادات غير المنضبطة ، وهذا أدعى إلى مناصرة الإخوة المسلمين ومناصحتهم والتحاب معهم وعدم بغضهم ومناكفتهم ، وهو من باب التعاون على الخير ونشر الدعوة الصحيحة لقول الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [29] .

---

[25] [يوسف : 108]
[26] (البخاري ومسلم)
[27] (يوسف : 108)
[28] (البخاري ومسلم)
[29] (المائدة : 2)

**نصيحة للمسلم في موقفه من جماعة التبليغ واستنباط الفوائد من فتوى الشيخ رحمه الله :**

1. رقي منهج النبي ﷺ في التعامل مع الدعاة وتصحيح الأخطاء ، فلم يكن النبي ﷺ يعنف المخطئين بل كان يعلمهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال للرجل الذي بال في المسجد : دَعُوهُ ، لا تُزْرِمُوهُ ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ (البخاري ومسلم) ، ثم نصحه برفق دون تعنيف ، وهذا يدل على أهمية إصلاح الخطأ بالحكمة لا بالعداء والمناكفة.
2. فضل التآخي والتراحم بين المسلمين ، حيث قال النبي ﷺ : لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا (مسلم) ، فهذا يدل على أن الخلاف يجب أن يكون علميًا لا عدائيًا ، فلا يُحذر من الجماعات الإسلامية الأخرى دون سبب واضح ، بل يجب تصحيح الأخطاء ونشر العلم الصحيح بينهم.
3. وجوب نصح الإخوة باللين لا بالشدة ، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله : الداعية إلى الله كالطبيب ، يراعي حالة المريض ويعطيه العلاج المناسب ، فإن الشدة على من يحتاج اللين مفسدة ، واللين مع من يحتاج الحزم تقصير ، مما يدل على أن الإصلاح يكون بالحكمة والتدرج ، وليس بالمقاطعة أو الهجر بلا مبرر شرعي.
4. معاونة الإخوة الدعاة ومناصرتهم ومناصحتهم ، فإذا كنت ترى أن جماعة التبليغ لديهم إخلاص في دعوتهم ولهم تأثير إيجابي في الناس ، فمن الحكمة أن تدعم عملهم الدعوي مع الحرص على تصحيح المفاهيم غير الصحيحة. قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (مسلم) ، مما يدل على أن النصح يجب أن يكون بالحكمة وليس بالمقاطعة والعداء. فيجب عليك دعمهم في جهودهم لنشر الإسلام وهداية الناس ، واحرص أن يكون عملك وعملهم قائمًا على منهج أهل السنة والجماعة ، وكن معهم عنصرًا لإصلاح الخطأ

وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، لأنهم كغيرهم من المسلمين يحتاجون إلى التوجيه العلمي حتى تكون دعوتهم مؤثرة وصحيحة شرعًا.

## الفتوى السادسة : فتوى الدعوة من الجهاد في سبيل الله .

( هل الخروج مع جماعة التبليغ من الجهاد؟ جماعة التبليغ يقولون بأن الخروج معهم بأنه جهاد في سبيل الله؟ الجواب : الدعوة من الجهاد في سبيل الله ، لكن قد تجب وقد لا تجب ، والنبي ﷺ قال : ما بعث الله من نبي قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تَخَلُف من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل

فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الجهاد ، حسب الطاقة ، تارة يكون باليد ، وتارة يكون باللسان ، وتارة يكون بالقلب ، والخروج في الدعوة إلى الله إلى القبائل والأعراب والهِجر والقرى لتبليغ دعوة الله ، هذا من الجهاد ، فقد يجب على المستطيع وقد لا يجب حسب الطاقة ، مع العلم أيضًا لا بد من علم ، جماعة التبليغ فيهم أناس متبصرون والعارفون ، وفيهم أناس ليسوا بذاك من إخواننا في باكستان والهند ، فيهم ناس أهل بصيرة وفيهم ناس ليسوا أهل بصيرة ، فالواجب أن يكون الاشتراك مع أهل البصيرة والعلم والعقيدة الطيبة الصحيحة والعلم والدعوة الإسلامية )

## التعقيب على الفتوى السادسة : فتوى الدعوة من الجهاد في سبيل الله

اعلم رحمك الله تعالى أن أهل التبليغ من عامة المسلمين الذين يسعون لنشر الإسلام ، وأن دعوتهم تحمل الكثير من الخير والصلاح ، وفي ضوء فتوى الشيخ رحمه الله نقول :

### 1. الدعوة إلى الله من الجهاد في سبيل الله :

أشار الشيخ رحمه الله تعالى إلى أن الدعوة نوع من الجهاد ، وهو أمر مؤكد شرعًا ، فقد قال النبي ﷺ : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر [30] ، مما يدل على أن تبليغ رسالة الإسلام ونشرها بين الناس يعد من الأعمال العظيمة التي فيها أجر كبير. كما قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [31] ، مما يؤكد أن منهج الدعوة الصحيح عمل مبارك لا ينبغي التشكيك فيه إذا كان ملتزمًا بالضوابط الشرعية وسائرا على منهج الصحابة الكرام.

### 2. أهل التبليغ ليسوا مبتدعة بل هم من عامة المسلمين :

أوضح الشيخ رحمه الله تعالى أن أهل التبليغ فيهم الصالحون والمتبصرون ، كما أن فيهم من يحتاج إلى العلم والتوجيه ، وهذا حال كثير من الجماعات الدعوية ، بل حال عامة الناس ، حيث يوجد فيهم أهل العلم والبصيرة ، ويوجد فيها من يحتاج إلى مزيد من الفهم والتوجيه. ولذلك يجب أن يُنظر إلى جماعة التبليغ وغيرها من الحركات الدعوية بإنصاف وعدل ، وأن يُستفاد من جهودهم في نشر الإسلام والدعوة إلى الله ، بدلًا من تصنيفهم كمبتدعة أو هجرهم دون نصح أو إصلاح ، فقد قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [32] ، مما يدل على أن الموقف الصحيح هو المناصحة وليس المقاطعة أو التشدد عليهم.

---

[30](أبو داود)
[31](فصلت : 33)
[32](مسلم)

### 3. الخروج للدعوة إلى القبائل والقرى له أصل شرعي :

ذكر الشيخ رحمه الله تعالى أن الخروج في سبيل الله لتبليغ دعوة الله يعتبر من الجهاد في سبيل الله ، وهو أمر له أصل في السنة ، فقد كان النبي ﷺ يرسل الصحابة إلى القبائل والأمصار للدعوة إلى الإسلام ، والدعوة نوع من الجهاد ، فليس الجهاد مقتصرا على السيف والقتال ، كما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن وقال له : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [33] . كما أن الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين كانوا يبعثون الدعاة إلى البلدان المختلفة لنشر الإسلام وتعليم الناس أمور دينهم ، وهذا يدل على أن الخروج للدعوة ليس بدعة ، بل هو وسيلة مشروعة إذا تمت وفق الضوابط الصحيحة ، وقد سبرنا حال أهل التبليغ وتبين لدينا أن طريقتهم في الدعوة إلى الله تعالى مطابقة لما شرعه الله تعالى غير مخالفة لمنهاج رسوله صلى الله عليه وسلم .

### 4. أهمية العلم والبصيرة في الدعوة :

أكد الشيخ رحمه الله تعالى أن الدعوة إلى الله تعالى يجب أن تكون قائمة على العلم الصحيح ، فقد قال الله تعالى : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [34] ، لذلك ، ينبغي على أهل التبليغ أن يكون معهم أهل العلم الذين يصححون المفاهيم وينقلون العلم الشرعي الصحيح للمدعوين ، وهذا لا يعني رفض عملهم بالكامل ، بل يعني تعزيز جهودهم بالعلم والبصيرة حتى تكون الدعوة أكثر تأثيرًا وقوة في تصحيح المفاهيم الإسلامية.

### 5. وجوب التعاون على البر والتقوى وليس التنفير والمقاطعة :

[33] (البخاري ومسلم)

[34]

حث الشيخ رحمه الله تعالى على التعاون مع الدعاة والتواصي معهم بالحق كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [35] ، مما يدل على أن أي جماعة أو حركة أو منهج أو مجموعة تدعو إلى الإسلام يجب دعمها وتصحيح أخطائها إن كانت لديها أخطاء وليس محاربتها أو التشكيك في نواياها.

وكما قال النبي ﷺ : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا [36] ، الأمر الذي يدل على أن الأسلوب الأمثل للعلماء هو دعم جهود الدعاة مع تصحيح أخطائهم إن كان لهم أخطاء بالحكمة ، وليس بالهجوم عليهم أو التشدد ضدهم.

وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله قال : منهج أهل السنة والجماعة في تصحيح الأخطاء قائم على النصح والتوجيه ، لا على التبديع والتشدد غير المبرر ، وهذا يدل على أنه من الأفضل أن يكون هناك تواصل مع أهل التبليغ لنصحهم وإرشادهم إلى المنهج السليم ، بدلًا من انتقادهم دون تواصل معهم.

## نصيحة للسائل في ضوء فتوى الشيخ رحمه الله :

إعلم أخي الكريم ، وفي ضوء ما سبق أن جماعة التبليغ ليسوا مبتدعة ، بل هم من عامة المسلمين الذين يسعون لنشر الإسلام ، ولكنهم في بعض الأحيان يحتاجون إلى الدعم العلمي والتصحيح الشرعي. ولذا ، فإن المسلك الأقوم هو دعم جهودهم في الدعوة إلى الله تعالى ، وعدم عرقلة مسيرتهم ، مع الحرص على تصحيح الهنات التي قد تكون موجودة لديهم ، وهذا هو المنهج الوسط الذي دعا إليه الإسلام.

فإذا كانت لديك قدرة ورغبة في الخروج معهم للدعوة ، فاحرص على أن يكون لديك علم صحيح بالعقيدة والفقه ، حتى تكون عنصرًا فعالا مضيفا لهم وليس مجرد متابع لمن قد يكون أقل منك علما ، فقد قال النبي

---

[35] (المائدة : 2)

[36] (البخاري ومسلم)

ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [37] . فاحرص أن تسعى إلى التواصل مع العلماء وأهل الفقه ، وعلى نشر العقيدة الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الدعاة المتحركين بأنفسهم وأموالهم لنشر الإسلام في العالم كله على منهاج رسوله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والرفق والصبر.

**الفتوى السابعة : بخصوص خروج النساء للدعوة :**

وهذه بخصوص خروج النساء للدعوة ( السؤال : هناك مجموعة من أهل الدعوة تخرج من مدينة لأخرى في أوقات مختلقة من السنة ، ويستمر ذلك لعدة أيام أو أسبوع ، كما أنهم يخرجون مرة في السنة إلى باكستان لمدة (40) يومًا للدعوة للإسلام وتعليم المسلمين تعاليم دينهم ، بحيث يجلس الرجال في أحد المساجد ، وتجلس النساء في بيت أحدهم ، فهل يستحب خروج النساء للدعوة؟ مع العلم أنهن يتركن أطفالهن عند أحد الأقارب؟ وأحيانا يتركونهم عند إحدى النساء اللاتي لا يستطعن الخروج بسبب عدم وجود محرم؟ ع. م. أ

ج : إذا كان الخارجون للدعوة عندهم علم وبصيرة بما دل عليه الكتاب والسنة في شأن العقيدة وغيرها من الأحكام الشرعية فعملهم طيب ، وقد أحسنوا في ذلك ، سواء كانت المدة قليلة أو كثيرة ، لقول الله وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [فصلت : 33] ولقوله سبحانه : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل : 125] ولقوله قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف : 108]

---

[37] (البخاري ومسلم)

وقول النبي ﷺ لعلي لما بعثه إلى خيبر لدعوة اليهود إلى الإسلام : فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم متفق على صحته ، وقد بعث النبي ﷺ الدعاة إلى الله سبحانه إلى اليمن وإلى كثير من قبائل العرب ، ولا مانع أن يصطحب الرجل معه زوجته ، والله ولي التوفيق

مجلة الدعوة في 13 / 8 / 1416 هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 295/9 )

## التعقيب على الفتوى السابعة الخاصة بخروج النساء للدعوة :

إن الدعوة إلى الله من أعظم الأعمال التي يقوم بها المسلم ، فهي الطريق الذي سار عليه الأنبياء والمرسلون لنشر الدين وإرشاد الناس إلى الصواب ، كما قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [38]. وهذا يدل على أن الدعوة إلى الله هي من أشرف الأعمال ، ويجب أن تكون قائمة على العلم والبصيرة حتى تحقق الهدف المرجو منها. الشيخ ابن باز رحمه الله أكد في فتواه أن الدعوة إلى الله عمل صالح إذا كان القائمون عليها لديهم علم وبصيرة بما جاء في الكتاب والسنة ، وهذا يدل على أهمية التعلم قبل الخوض في الدعوة حتى تكون قائمة على أساس صحيح.

## مشروعية مشاركة النساء في الدعوة إلى الله :

في هذا الجواب الفقهي الرصين للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، تتجلى بصيرته الشرعية وموقفه المنصف من خروج النساء للدعوة ، إذ لم يضع حواجزًا بين الرجل والمرأة في أصل هذا الشرف العظيم ، ما دام الضابط هو العلم والبصيرة. فقد قرر الشيخ أن من خرج للدعوة ، رجلاً كان أو امرأة ، إذا كان على علم ودراية بأحكام العقيدة ، فإن عمله محمود ومستحب ، بل من أفضل القُربات ، لقوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ .}.

---

[38] (فصلت : 33)

وهذا الاستشهاد القرآني العام يُبيّن أن المرأة داخلة في هذا الفضل ، وأن الدعوة ليست حكرًا على الرجال ، بل هي تكليف مشترك ، تتساوى فيه المسؤوليات كما تتكافأ الأجور. ولما أورد الشيخ في آخر فتواه قوله: ولا مانع أن يصطحب الرجل معه زوجته ، لم يكن ذلك مجرد إذن مقيَّد ، بل هو تأكيد لمشروعية مشاركة النساء في هذا الميدان ، في إطار العِفّة والستر ، وليس من باب الاستثناء أو التخفيف.

ثم إن النظر في سيرة السلف الصالح يكشف عن نماذج من الصحابيات والداعيات والعالمات ، كعائشة رضي الله عنها التي كانت مرجعًا في الحديث والفقه ، وأم سلمة التي نُقل عنها فقه راقٍ في مسائل دقيقة ، وأسماء بنت يزيد التي لقبت بخطيبة النساء. كل هؤلاء كنّ جزءًا من البناء العلمي والدعوي في صدر الإسلام ، وكان لهن دور أصيل لا تابع.

وفي ضوء هذا ، يتّضح أن خروج المرأة للدعوة مع أهل التبليغ بالضوابط الشرعية ، خصوصًا في زمن تُثار فيه الشبهات وتنتشر المفاهيم المغلوطة بين النساء ، ليس خيارًا تكميليًا بل حاجة ملحّة. فمَن للنساء غير النساء؟ ومن يُجيد مخاطبتهن بلغتهن ، ويعرف حاجاتهن ومواطن التأثير فيهن ، غير داعية واعية منهن؟ إن التربية ، والإرشاد ، ونقل العلم ، إنما يتمّ بأيدٍ تعرف الواقع ، وتفقه الدين ، وتؤدي الأمانة.

ولذلك ، فإن الحاجة إلى المرأة الداعية اليوم أصبحت من ضرورات العمل الدعوي المتزن ، لا سيما في ظل تحفظات المجتمع على اختلاط الدعوات العامة ، ووجود فئات من النساء لا يتيسر لهن التلقي إلا من نساء مثلهن.

فالشيخ ابن باز ، برحابة علمه وصدقه في النصح ، أقر هذا الباب ، وفتح فيه المجال ، ولكن بشرط العلم والبصيرة ، لا الجهل والتقليد ، وقال كلمته بوضوح لا يحتمل اللبس: إذا كان الخارجون عندهم علم وبصيرة

. فعملهم طيب ، ولم يستثنِ من ذلك النساء ، بل أقر بوضوحٍ أن الدعوة من المرأة عمل صالح مبارك إذا وُضع في إطاره المشروع.

وهكذا ، جاء جوابه ليكون لبنة جديدة في إحياء دور المرأة في نشر الخير ، وترسيخ مبدأ أن الدعوة مسؤولية مشتركة ، وأن العمل في ميادين الخير ليس حكرًا على أحد ، وإنما هو تكليف ، وشرف ، وأمانة.

**خلاصة ما يرى الشيخ بن باز ويعضد ويساند دعوة التبليغ وحركة النساء معهم :**

في رؤوس الأقلام التالية :

1. تقرير مبدأ المساواة في أصل الدعوة .

فالشيخ لم يفرّق في أصل الجواب بين الرجل والمرأة ، بل جعل المعيار هو العلم والبصيرة ، مما يدل على أن المرأة كالرجل في التكليف بالدعوة ، إذا توفرت فيها الشروط الشرعية.

2. استحضار النصوص العامة في الدعوة .

حيث استشهد الشيخ بآيات تشمل كل من دعا إلى الله ، دون تخصيص جنس ، مثل قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} ، مما يُفهم منه أن المرأة داخلة في هذا الفضل إذا دعت إلى الله على بصيرة.

3. إقرار الخروج للدعوة مع الزوج .

وذلك في قوله: ولا مانع أن يصطحب الرجل معه زوجته ، ففيه إقرار صريح بجواز خروج المرأة للدعوة ، بل واعتراف ضمني بأهمية دورها في هذا المجال ، خاصة إذا كان ذلك في إطار منضبط ومحفوف بالستر والمحرم.

4. الاستئناس بسنة النبي ﷺ .

فقد أشار الشيخ إلى بعث النبي ﷺ للدعاة ، وهو ما يشمل أيضًا بعث النساء في مهام تعليمية ودعوية ، كما في قصة أم سليم ، وأم عطية ، وأم ورقة ، وغيرهن من الصحابيات اللاتي كن يعلّمن ، ويُفتين ، ويشاركن في إصلاح المجتمع.

5. الواقع العملي لجهد النساء في زمن الصحابة .

فإن التاريخ الإسلامي زاخر بنماذج لنساء عالمات وداعيات ، ففي عصر الصحابة كانت عائشة رضي الله عنها كانت مرجعًا علميًا في الحديث والفقه ، قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا . كانت تُفتي وتُعلّم ، وتُراجع كبار الصحابة وأم سلمة رضي الله عنها كانت من فقيهات الصحابة ، وروت أحاديث كثيرة ، وكان الصحابة يرجعون إليها في مسائل دقيقة ، ولها مواقف اجتهادية مؤثرة في الفقه. وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ذات النطاقين ، كانت من أوائل المسلمات ، وروت أحاديث ، وشاركت في الهجرة ، وكانت مثالًا في الصبر والعلم والبلاغ.

وأسماء بنت يزيد الأنصارية لُقبت بـ خطيبة النساء ، وكانت تأتي رسول الله ﷺ تسأله باسم نساء المسلمين ، وتُبلغهن الأحكام. شهد لها النبي ﷺ بالفصاحة والفقه ، وشاركت في غزوة الخندق وخيبر.

6. جهد النساء الدعوي بعد عصر الصحابة :

ومن العالمات بعد الصحابة الشفاء بنت عبد الله العدوية أول معلمة في الإسلام ، كانت تكتب وتُعلّم النساء ، وولاها عمر بن الخطاب الحسبة في السوق ، وكانت تُعلّم حفصة بنت عمر الكتابة.

وكريمة المروزية (القرن 5 هـ) من أشهر راويات صحيح البخاري ، تتلمذ عليها كبار المحدثين ، وكانت تُدرّس الحديث في مكة ، ويُقال إن أعلى أسانيد البخاري تمر بها.

وزينب بنت الكمال المقدسية (ت 740 هـ) كانت محدّثة ومجازة ، قرأ عليها كبار العلماء ، وسمع منها المئات ، وكانت تُدرّس في المساجد والمدارس.

وعائشة الباعونية (ت 922 هـ) فقيهة ، صوفية ، شاعرة ، ومؤلفة ، لها كتب في التصوف والفقه ، وكانت تُفتي وتُدرّس ، وتُعد من أبرز نساء القرن العاشر الهجري.

وست العيش الكنانية (ت 840 هـ) فقيهة حنبلية ، درست على كبار العلماء ، ودرّست الحديث والفقه ، وكان لها مجلس علمي يحضره الرجال والنساء.

فهذه النماذج تُظهر أن المرأة المسلمة ، منذ فجر الإسلام ، كانت شريكة في العلم والدعوة والتربية ، وأن الأمة لا تزال بحاجة إلى أمثالهن في زمننا ، خاصة في ميادين الدعوة النسائية والتعليم الشرعي.

7. الحاجة المعاصرة لدعوة النساء .

في زمن كثرت فيه الشبهات والانفتاح ، تزداد الحاجة إلى داعيات عالمات يُخاطبن النساء بلغتهن ، ويُعلّمنهن أحكام الدين ، ويُقمن الحجة عليهن ، خاصة في المجتمعات التي يصعب فيها على الرجال الوصول إلى النساء.

8. الضوابط الشرعية لا تعني المنع .

لم يُنكر الشيخ وجود ضوابط ، لكنه لم يجعلها ذريعة للمنع المطلق ، بل أقرّ أن وجود المحرم ، أو الترتيب المناسب ، يجعل الأمر مشروعًا ومحمودًا.

فجواب الشيخ ابن باز رحمه الله يُعدّ وثيقة علمية رصينة تؤكد أن دعوة النساء مشروعة ومطلوبة ، إذا توفرت الشروط ، وأنها امتداد لسنة الصحابيات ، وأن المرأة المؤمنة العالمة قادرة على أن تكون لبنة في بناء الأمة ، لا سيما في ميدان الدعوة والتعليم.

## دعوة النساء بين النص الشرعي والواقع الدعوي: هل يَمنع اختلاف الوسيلة من مشروعية الغاية؟

ولمن يقول إن جهد النساء في صدر الإسلام لم يشمل الخروج كما تفعله جماعة التبليغ اليوم ، فهو يُسلّم بمعلومة جزئية ويغفل عن جوهر المسألة: هل الدعوة إلى الله مقصورة على شكل معين ، أم أن الوسائل تتغير ويبقى الأصل ثابتًا؟

إن دعوة النساء في عهد النبوة لم تكن حبيسة البيوت ، بل كانت دعوة حية ، متحركة ، مؤثرة. نعم ، لم تكن النساء يخرجن في جماعات منظمة كما في الترتيب الحديث ، لكنهن كنّ يخرجن مع النبي ﷺ في الغزوات ، ويُعلّمن ، ويُفتين ، ويُربّين ، ويُشاركن في إصلاح المجتمع. فهل كان ذلك خروجًا؟ نعم ، لكنه خروجٌ على قدر الزمان والمكان ، وما تفعله النساء اليوم في جماعة التبليغ هو امتداد لذلك الأصل ، لا ابتداعٌ في الدين.

ثم إن الوسائل الدعوية لم تُحدّد في الشرع بشكل جامد أو ثابت ، بل جاءت النصوص بالأمر بالدعوة على بصيرة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون تقييد بشكل أو ترتيب. فكما أن الرجال في جماعة التبليغ يخرجون للدعوة بأسلوب معين ، فإن النساء أيضا يخرجن بأسلوب يناسبهن ، في بيوت آمنة ، وبرفقة محارم ، وضمن ضوابط شرعية ، وليس في ذلك ما يُخالف نصًا أو يُحدث بدعة.

والقول بأن هذا الخروج غير مشروع لأنه لم يُفعل من قبل ، يُفضي إلى تضييق واسع على الدعوة ، ويُغلق أبوابًا عظيمة من الخير. فهل نمنع استخدام مكبرات الصوت لأنها لم تكن في عهد الصحابة؟ وهل نُحرّم وسائل التواصل لأنها لم تُعرف في القرون الأولى؟ الوسائل تتغير ، والمقاصد تبقى.

ثم إن الحاجة اليوم إلى دعوة النساء أشد من أي وقت مضى ، في زمن كثرت فيه الشبهات ، وتوسعت فيه الفتن ، وتباعدت فيه النساء عن منابع العلم. فمن لهن إن لم تقم بينهن داعية واعية ، تُعلّمهن وتُرشدهن وتُحاورهن؟ وهل يُعقل أن يُترك هذا الميدان فارغًا بحجة أن الصحابيات لم يخرجن بهذه الطريقة ؟

بل إن الشيخ ابن باز رحمه الله ، في فتواه الشهيرة ، أقرّ مشروعية خروج النساء مع أزواجهن للدعوة ، إذا كان ذلك على علم وبصيرة ، ولم يُفرّق بين رجل وامرأة في أصل الدعوة ، بل جعل المعيار هو العلم والنية الصالحة ، لا الشكل الخارجي.

فالخلاصة أن الوسيلة الدعوية إذا لم تُخالف نصًا ، وكانت منضبطة بالضوابط الشرعية ، فهي مشروعة ، بل مطلوبة إذا دعت إليها الحاجة. وخروج النساء مع جماعة التبليغ ، إذا كان في بيوت آمنة ، وبرفقة محارم ، وضمن تعليم وتوجيه ، فهو امتداد لجهد الصحابيات ، لا خروج عليه.

فلا ينبغي أن نُضيّق واسعًا ، ولا أن نُحاكم الوسائل بروح جامدة ، بل نُحاكمها بميزان الشرع ، الذي يُراعي المقاصد ، ويُقدّر الحاجة ، ويُثني على من دعا إلى الله على بصيرة ، رجلاً كان أو امرأة.

## الدعوة إلى الله تعالى مسؤولية الجميع من الرجال والنساء : والفرق بين علم العالمات وجهد العوام :

إن من يقول ( إن النساء اللاتي ذُكرن من الصحابيات والعالمات كنّ كلهن من أهل العلم ، وبالتالي لا يصح القياس عليهن في شأن نساء التبليغ ) ، قد خلط بين الدعوة والفتوى ، وبين البلاغ العام والتعليم الخاص. وهذا الخلط يُفضي إلى تعطيل طاقات عظيمة ، وحرمان الأمة من جهود نسائها الصالحات.

إن الدعوة إلى الله ليست حكرًا على العلماء ، بل هي تكليف شرعي عام ، قال النبي ﷺ: بلّغوا عني ولو آية ، فجعل أدنى نصاب الدعوة هو معرفة آية واحدة ، وهذا يدل على أن كل من علم شيئًا من الحق وجب عليه تبليغه ، بحسب علمه واستطاعته ، دون أن يُشترط أن يكون فقيهًا أو محدثًا.

فالفرق بين الدعوة والفتوى واضح: من حيث كون الفتوى: بيان حكم شرعي في مسألة نازلة ، وهي من اختصاص أهل العلم الراسخين. والدعوة: تبليغ ما عُلم من الدين ، والدعوة إلى العمل به ، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة ، كلٌ بحسب علمه.

وقد قرر العلماء ، ومنهم الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين ، أن المرأة كالرجل في وجوب الدعوة ، وأنها مأمورة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصح ، والتعليم ، والإرشاد ، ما دامت ملتزمة بالضوابط الشرعية.

ثم إن القول بأن ( نساء التبليغ عوام أو جاهلات ) فيه تعميم غير منصف ، فبينهن من تحفظ القرآن ، وتقرأ كتب التوحيد ، وتُجيد تعليم النساء ، وإن لم تبلغ رتبة الفتوى. بل إن الصحابيات أنفسهن كنّ على مراتب متفاوتة من العلم ، ولم يكن كلهن فقيهات ، ومع ذلك كنّ يبلغن ، ويأمرن ، وينهين ، ويُعلّمن.

والدعوة لا تحتاج إلى موسوعات علمية ، بل إلى إخلاص ، وصدق ، واتباع. فكم من امرأة بسيطة في علمها ، عظيمة في أثرها ، تُعلّم جارتها الوضوء ، أو تُرشد فتاة إلى الحجاب ، أو تُذكّر أختًا بحديث نبوي ، فتكون سببًا في هداية ، ورفعة ، وأجر لا يُحصى.

بل إن السكوت عن الدعوة مع القدرة عليها يُعدّ تفريطًا ، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} ، فكيف بمن علمت شيئًا من الحق ثم كتمته بحجة أنها ليست عالمة ؟

ثم إن نساء التبليغ ، حين يخرجن للدعوة ، لا يُفتين في النوازل ، ولا يُصدرن أحكامًا ، بل يُذكّرن ، ويُعلّمن ، ويُرشدن ، ويُحيين السنن ، ويُقمن الحجة على من حولهن ، وهذا من أعظم القربات ، وأشرف الأعمال.

فالواجب أن نُشجّع كل مسلمة على أن تُقدّم ما تستطيع ، وأن نُعلي من شأن الدعوة النسائية ، لا أن نُحاصرها بشروط لم يُلزم بها الشرع ، ولا أن نُقارنها بمقام الفتوى الذي له أهله.

فالدعوة مسؤولية الجميع ، والعالمة والعامة سواء في أصل التكليف ، وإنما يتفاوت الأجر بقدر الإخلاص والعمل.

## موافقة الشيخ بن باز رحمه الله للخروج إن كان على علم :

تقوم جماعة التبليغ تقوم بجهود كبيرة في نشر الإسلام وتعليم المسلمين أمور دينهم ، وهي تسعى إلى هداية الناس وحثهم على أداء العبادات ، وقد أشار الشيخ ابن باز إلى أن خروجهم إذا كان قائمًا على علم فهو أمر محمود. النبي ﷺ كان يرسل الدعاة إلى القبائل المختلفة لنشر الإسلام وتعليم الناس العقيدة الصحيحة ، كما فعل عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن وقال له : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [39] . وهذا يدل على أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى تنظيم وتوجيه صحيح حتى تحقق أهدافها في نشر العقيدة الصحيحة بين الناس.

## موافقة الشيخ بن باز على خروج النساء للدعوة:

أما بالنسبة لخروج النساء للدعوة ، فقد وضح الشيخ ابن باز أنه لا مانع من أن يصطحب الرجل زوجته ، وهذا يدل على أن مشاركة المرأة في الدعوة ممكنة إذا كانت وفق الضوابط الشرعية التي تحفظ لها دينها وعفتها. ومع ذلك ، ينبغي للمرأة أن توازن بين واجباتها الأسرية والدعوية ، فقد قال النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته [40] ، مما يدل على أن مسؤوليات المرأة تجاه أبنائها وأسرتها يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار قبل الخروج للدعوة ، حتى لا يكون هناك تفريط في حقوق الأبناء أو المسؤوليات الأسرية.

## إنصاف الشيخ بن باز رحمه الله لأهل الدعوة وأن فيهم أهل علم :

---

39 (البخاري ومسلم)

40 (البخاري ومسلم)

الدعوة إلى الله تحتاج إلى بصيرة وفقه شرعي حتى تكون قائمة على أساس متين ، فالشيخ ابن باز أكَّد أن جماعة التبليغ فيها أهل بصيرة وعلم ، وفيها أيضًا من يحتاج إلى المزيد من الفقه والعلم الشرعي. لذلك من الأفضل أن يكون معهم علماء ودعاة متفقهون في الدين ليصححوا لهم المفاهيم وينقلوا العلم الشرعي الصحيح للمدعوين ، فقد قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [41]. ومن هنا يتضح أن دعم جهود جماعة التبليغ في الدعوة إلى الله أمر مطلوب ، لكنه يجب أن يكون مشروطًا بالتصحيح العلمي والمنهجي ، بحيث تكون دعوتهم موافقة للكتاب والسنة دون غلو أو تقصير.

## حث الشيخ بن باز تلامذته على التعاون في الدعوة إلى الله بحكمة :

كذلك ، يجب على المسلمين أن يتعاونوا في نشر الإسلام ، وألا يكون هناك نفور بين الجماعات الإسلامية المختلفة ، فقد قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [42] ، مما يدل على أن التعاون في الدعوة إلى الله مطلوب شرعًا ، بشرط أن يكون على أساس صحيح. أما التشكيك في الجماعات الدعوية بدون دليل أو رفض التعاون معها بلا مبرر شرعي ، فهو أمر لا يستقيم مع المنهج الإسلامي الذي يدعو إلى الوحدة ونشر الخير بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة وتوازن بين العلم والعمل ، ويجب أن تكون مبنية على الكتاب والسنة حتى تكون مؤثرة وفعالة ، كما قال النبي ﷺ : يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا [43] . لذا فإن جماعة التبليغ تقوم بعمل مبارك في نشر الإسلام ، لكن يجب دعمها بتوجيه العلماء ونشر الفقه الصحيح

---

[41] (البخاري ومسلم)

[42] (المائدة : 2)

[43] (البخاري ومسلم)

بينهم حتى تكون جهودهم أكثر تأثيرًا. وأسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير ، وأن يجعلنا من الذين قال فيهم : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ [44] .

## المستفاد من فتوى الشيخ بن باز :

أخي القارىء الكريم ، بناءً على ما تقدم من كلام الشيخ ابن باز رحمه الله ، فإن الدعوة إلى الله عمل مبارك ومشروع إذا كان القائمون عليها على بصيرة وعلم شرعي صحيح ، وهي من أفضل الأعمال التي يمكن للمسلم القيام بها لنشر الخير وهداية الناس. لذا ، إذا كنت تفكر في المشاركة في هذه الجهود ، فمن المهم أن تتأكد من أنك تتحلى بالعلم الصحيح والفهم السليم للعقيدة الإسلامية ، حتى يكون خروجك نافعًا لنفسك وللآخرين.

وكذلك ، إذا كنت تفكر في مشاركة زوجتك أو نساء من عائلتك في الدعوة مع أهل التبليغ ، فقد بين الشيخ أنه مشروع فيجب أن يكون ذلك وفق الضوابط الشرعية ، بحيث لا يؤدي إلى ترك مسؤوليات الأسرة أو التقصير في حق الأولاد ، فالتوازن بين الدعوة والواجبات المنزلية أمر في غاية الأهمية ، وقد قال النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته [45] ، مما يدل على أن المسؤولية الأسرية لا يجوز إهمالها بحجة العمل الدعوي.

واعلم أخي بارك الله فيك أن دعم منهج التبليغ الحركي لا ينبغي أن يكون بالتأييد المطلق دون تصحيح ، ولا بالرفض المطلق دون إنصاف ، بل يجب أن يكون هناك تعاون على البر والتقوى ، بحيث يتم تعزيز جهودهم بالعلم الشرعي الصحيح ، كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [46] . لذلك ، من الأفضل أن

[44] (فصلت : 33)
[45] (البخاري ومسلم)
[46] (المائدة : 2)

يكون مع أهل التبليغ علماء ودعاة متفقهون في الدين لتصحيح المفاهيم ونشر العقيدة الصحيحة بينهم ، حتى يكون عملهم أكثر تأثيرًا وبركة.

فإذا كنت ترى أن جماعة التبليغ لديها جهود واضحة في نشر الخير وهداية الناس ، فمن الحكمة أن تدعم عملهم الدعوي مع الحرص على تصحيح المفاهيم غير الصحيحة. قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [47] ، وهذا يدل على أن المنهج الصحيح هو تقديم النصح والتوجيه وليس المقاطعة والعداء بلا مبرر شرعي.

أسأل الله أن يوفقك في أعمالك ، وأن يجعلك سببًا في نشر الخير وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وأن يجعلك من الذين قال فيهم : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [48] ، وأن يعينك على نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر. والله الموفق.

### الفتوى الثامنة : التعرف على السنن والمستحبات من خلال الخروج مع التبليغ .

( من أراد أن يتعرف على السنن وأراد أن يتعرف على المستحبات يسير مع هؤلاء فتجده قد التزم كثيراً ، ما توجيهكم للشباب : هل يمشون مع هؤلاء أم يجتنبونهم ؟

مثل ما تقدم لهم أثر في إصلاح من يكون معهم؛ لأنهم عندهم تحمس للإسلام ، ونشاط في الدعوة للإسلام والالتزام به ، فلهذا نجد كثيراً ممن يصحبهم يتأثر بذلك ، ويلتزم بالصلاة وغيرها ، وصحبة الأخيار ، لكن مثل ما تقدم عندهم نقص فيما يتعلق بالعقيدة ، وبيان التوحيد وبيان الشرك وبيان البدع ، فإذا تيسر من يصحبهم من أهل العلم ويكمل النقص فيأخذ ما عندهم من النشاط ويضم إلى ذلك ما يتعلق ببيان العقيدة ،

---

47 (مسلم)
48 (فصلت : 33)

أو يرشدهم إلى ذلك ويشجعهم حتى يكون دعاة للعقيدة مع الأخلاق وحتى يكونوا منكرين للبدع بصيرين بها ، فيجتمع الخير كله ، هذا وهذا. المقدم : إذن تنصحون طلبة العلم بمرافقتهم؟ الشيخ : أهل العلم الذين عندهم البصيرة ، حتى يستفيد هؤلاء وهؤلاء ، يستفيد أهل البصيرة من نشاطهم وصبرهم ويستفيد إخواننا أهل جماعة التبليغ فيما يتعلق بالعقيدة الصحيحة وما يضادها

المقدم : أطمع من سماحة الشيخ أن يتفضل بنصيحة لهذه الجماعة التي تفضلتم وقلتم إن لها تأثيراً كبيراً في عالمنا الإسلامي ؟

الشيخ : نعم ، أنا أنصحهم وهم جماعة التبليغ أنصحهم كثيراً بأن يعنوا بالعقيدة ، ببيان العقيدة الصحيحة ، توحيد الله الذي هو إخلاص العبادة لله جل وعلا ، وترك عبادة ما سواه من التعلق على الأنبياء أو الأولياء والصالحين أو غيرهم؛ لأن هذا هو الشرك الأكبر ، فينبغي بل الواجب عليهم وعلى غيرهم أن يهتموا بهذا ، فإن العقيدة هي الأساس وهي الأصل والباقي تبع ، فالواجب عليهم أن يهتموا بالعقيدة وأن يجتهدوا في بيانها وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر ، من دعوة الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم والذبح لهم ونحو ذلك ، وقد وقع الناس في شرك كبير ، هذا يتعلق بالحسين ، وهذا يتعلق بفاطمة وهذا يتعلق بعلي رضي الله عنه ، وهذا يتعلق بالبدوي ، هذا يتعلق بفلان ، وفلان ، لا ، هذا منكر عظيم وشرك أكبر ، فدعاء الأموات سواء من الأنبياء أو غيرهم هذا شرك أكبر ، كونه يدعو الحسين أو النبي صلى الله عليه وسلم أو فاطمة أو عليرضي الله عنه أو الصديق أو عمر أو البدوي أو ابن عربي أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو كونه يدعونه من دون الله ينذرون له ، يستغيثون به ، هذا من الشرك الأكبر

فالواجب الحذر من ذلك ، يجب على الدعاة أن يحذروا من الشرك؛ لأنه هو أساس البلاء ، الشرك هو أساس البلاء ، هو أعظم الذنوب ، كما أن التوحيد هو أساس الخير ، وهو أعظم واجب ، فهذا يفوت جماعة التبليغ العناية به ، فالواجب عليهم أن يعتنوا به وعلى من شاركهم أن ينبههم ، وأن يساعدهم على هذا

الأمر حتى تكون الدعوة كاملة ومستوفية لما يجب من الدعوة إلى توحيد الله ، والتحذير من الشرك بالله مع الدعوة إلى الصلاة والصيام والزكاة والأخلاق الفاضلة ، والتحذير من المعاصي ، هذا مع هذا )

## التعقيب على الفتوى الثامنة : التعرف على السنن والمستحبات من خلال الخروج مع التبليغ .

قدم الشيخ ابن باز رحمه الله في هذه هذه الفتوى رؤية متوازنة حول جماعة التبليغ ، حيث بيّن أثرهم الإيجابي في نشر الإسلام وأشاد بحماسهم للدعوة ، لكنه في الوقت نفسه أبرز الحاجة إلى تصحيح بعض القصور في العقيدة والتوحيد. سأعيد تحليل الفتوى مع تضمين بعض الجمل التي ذكرها الشيخ والتعقيب عليها مباشرة ، مع دعم ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

فقال الشيخ : لهم أثر في إصلاح من يكون معهم؛ لأنهم عندهم تحمس للإسلام ، ونشاط في الدعوة للإسلام والالتزام به ، فلهذا نجد كثيرًا ممن يصحبهم يتأثر بذلك ، ويلتزم بالصلاة وغيرها ، وصحبة الأخيار.

وهذا الكلام يسلط الضوء على أهمية الصحبة الصالحة في تقويم السلوك وتقوية الإيمان ، فقد قال النبي ﷺ : المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل [49] ، مما يدل على أن الإنسان يتأثر بمن يرافقهم ، فإذا كان المحيط الذي يعيش فيه يساعده على الالتزام بالصلاة والعبادات ، فإن ذلك يؤثر إيجابيًا على دينه وأخلاقه.

ثم قال الشيخ : لكن مثل ما تقدم عندهم نقص فيما يتعلق بالعقيدة ، وبيان التوحيد وبيان الشرك وبيان البدع ، فإذا تيسر من يصحبهم من أهل العلم ويكمل النقص فيأخذ ما عندهم من النشاط ويضم إلى ذلك ما يتعلق ببيان العقيدة.

[49] (أبو داود والترمذي)

وهنا يشير الشيخ إلى أهمية تصحيح المفاهيم العقدية ، فقد قال النبي ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا [50] ، مما يدل على أن الجهل في العقيدة قد يؤدي إلى وقوع الناس في أخطاء جسيمة يجب تصحيحها بالتعلم والبصيرة الشرعية.

قال : المقدم : إذن تنصحون طلبة العلم بمرافقتهم؟ الشيخ : أهل العلم الذين عندهم البصيرة ، حتى يستفيد هؤلاء وهؤلاء ، يستفيد أهل البصيرة من نشاطهم وصبرهم ويستفيد إخواننا أهل جماعة التبليغ فيما يتعلق بالعقيدة الصحيحة وما يضادها.

فهذا توجيه حكيم ، حيث يرى الشيخ أن التعاون بين حماس أهل التبليغ في الدعوة وبين بصيرة العلماء في العقيدة يؤدي إلى عمل دعوي متكامل ، فقد قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [51] ، مما يدل على أن التعاون بين المسلمين لنشر الخير وتوجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة هو أمر مطلوب شرعًا.

ثم قال الشيخ في نصيحته لجماعة التبليغ : أنا أنصحهم بأن يعنوا بالعقيدة ، ببيان العقيدة الصحيحة ، توحيد الله الذي هو إخلاص العبادة لله جل وعلا ، وترك عبادة ما سواه.

وهذا التأكيد على أهمية تصحيح العقيدة والتوحيد ينبع من كون التوحيد هو أساس الإسلام ، فقد قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [52] ، مما يدل على أن تصحيح العقيدة يجب أن يكون الأولوية الأولى في أي عمل دعوي.

---

[50] (البخاري ومسلم)
[51] (المائدة : 2)
[52] (البخاري ومسلم)

كما قال الشيخ : فالواجب عليهم أن يهتموا بالعقيدة وأن يجتهدوا في بيانها وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر ، من دعوة الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم والذبح لهم ونحو ذلك.

وهذا تحذير واضح من خطورة التعلق بقبور الأولياء أو دعاء غير الله ، فقد قال الله تعالى : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [53] ، وقال سبحانه : إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ [54] ، مما يدل على أن التوحيد هو أعظم واجب على المسلم ، والشرك هو أعظم الذنوب التي يجب التحذير منها.

ثم ختم الشيخ بقوله : فالواجب الحذر من ذلك ، يجب على الدعاة أن يحذروا من الشرك؛ لأنه هو أساس البلاء ، الشرك هو أساس البلاء ، هو أعظم الذنوب ، كما أن التوحيد هو أساس الخير ، وهو أعظم واجب ، فهذا يفوت جماعة التبليغ العناية به ، فالواجب عليهم أن يعتنوا به وعلى من شاركهم أن ينبههم.

هذا الكلام يؤكد على ضرورة جعل التوحيد أساس الدعوة ، وأن على المشاركين مع جماعة التبليغ أن يحرصوا على تعليمهم العقيدة الصحيحة ، فقد قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [55] ، مما يدل على أن أفضل وسيلة لإصلاح أي نقص هو النصح بالحكمة واللين.

**نصيحة المحب لا طعن المخالف: فهم موقف الشيخ ابن باز من جماعة التبليغ .**

[53] (لقمان : 13)
[54] (المائدة : 72)
[55] (مسلم)

من يتأمل كلام الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في هذا النص ، لا يمكن أن يخرج منه بانطباع أن الشيخ ضد جماعة التبليغ أو يعارض أصل دعوتهم ، بل يجد بوضوح أنه يُثني على جهودهم ، ويُقرّ بأن لهم تأثيرًا كبيرًا في عالمنا الإسلامي ، ثم يُقدّم لهم نصيحة مخلصة ، لا طعنًا ولا تبديعًا.

فالشيخ لم يقل إنهم على ضلالة ، ولم يُحذّر من صحبتهم ، ولم يُسقطهم من دائرة الدعوة ، بل قال: أنصحهم كثيرًا . ، وهذه العبارة وحدها كافية لتُفهم أن العلاقة بينه وبينهم هي علاقة نصح وتوجيه ، لا خصومة أو تحذير.

ثم إن مضمون النصيحة يدور حول الاهتمام بالعقيدة والتوحيد ، وهو أمر لا يختص بجماعة التبليغ وحدها ، بل هو واجب على كل داعية وكل جماعة وكل فرد. والشيخ نفسه قال: الواجب عليهم وعلى غيرهم . ، مما يدل على أن النقص في هذا الباب ليس حكرًا عليهم ، بل هو أمر عام يحتاج إلى تعزيز في الأمة كلها.

كما أن الشيخ لم يُنكر عليهم أصل الدعوة ، بل أقرّ أنهم يدعون إلى الصلاة والصيام والزكاة والأخلاق ، لكنه أراد أن يُكمل هذا الجهد بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ، ليكون العمل الدعوي متوازنًا ومتكاملًا.

ولو كان الشيخ يرى أنهم على بدعة أو ضلالة ، لما قال: وعلى من شاركهم أن ينبههم ويساعدهم . ، بل لقال: لا تشاركهم. لكن قوله هذا يدل على أنه يرى فيهم خيرًا كثيرًا ، ويأمل في إصلاح ما قد يكون من نقص ، وهذا هو منهج أهل السنة في التعامل مع الجماعات الدعوية: التزكية مع النصح ، والتأييد مع التوجيه.

فالخلاصة أن الشيخ ابن باز رحمه الله موافق لأصل دعوة جماعة التبليغ ، ومُقرّ بفضلها ، ومُحبّ لها ، لكنه يُوجّهها إلى مزيد من العناية بالعقيدة ، وهذا هو عين الإنصاف ، ولبّ الإصلاح ، ومنهج العلماء الربانيين.

## الدروس المستفادة من فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله :

لقد جاءت فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله لتُرسي دعائم منهج متكامل في العمل الدعوي ، يجمع بين الإخلاص والانضباط ، والتوجيه والإصلاح ، والبصيرة والحكمة. فهي لا تقتصر على بيان حكم فقهي ، بل تُقدّم رؤية متوازنة تُثمّن أثر الصحبة الصالحة في تهذيب السلوك وتثبيت الإيمان ، كما تُشير إلى أن الحماس في الدعوة إن لم يُضبط بالبصيرة قد ينحرف عن المقصد. وقد أكّد الشيخ على أهمية وجود أهل العلم في الميدان الدعوي لضبط المفاهيم وتوجيه الطاقات ، وشدّد على أن العقيدة الصحيحة هي حجر الأساس في كل مشروع إصلاحي. ومن خلال دعوته للتعاون مع أهل التبليغ بالحكمة والموعظة ، تتجلّى روح الإصلاح الرحيمة التي تحرص على البناء لا الهدم ، والتكميل لا الإسقاط.

1. أثر الصحبة الصالحة في تقويم السلوك . فإن جماعة التبليغ لها تأثير إيجابي في الالتزام بالعبادات وصحبة الأخيار ، مما يساعد في تقوية الإيمان.

2. ضرورة الجمع بين الحماس في الدعوة والبصيرة في العقيدة ، فالعمل الدعوي يجب أن يكون مقرونًا بالعلم الشرعي الصحيح حتى لا يؤدي إلى أخطاء في العقيدة أو الفهم.

3. وجوب مرافقة أهل العلم لجماعة التبليغ لتصحيح المفاهيم ، فيجب أن يكون العلماء والدعاة جزءًا من أي جهد دعوي لضمان نشر العقيدة الصحيحة مع الحفاظ على روح العمل الدعوي النشط.

4. العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يجب أن يُبنى عليه كل عمل دعوي ، لأن التوحيد هو أعظم واجب على المسلم ، والشرك هو أعظم الذنوب التي يجب التحذير منها.

5. وجوب التعاون مع أهل التبليغ وتصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، لقول الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [56] ، مما يدل على أن التعاون في نشر الإسلام مطلوب شرعًا ، بشرط أن يكون وفق الكتاب والسنة.

## تزكية مع نصح لا تبديع: الشيخ ابن باز وجماعة التبليغ بين الحقيقة ودعوى التراجع عن تزكيتهم .

ولكل من يزعم أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قد تراجع عن فتواه في تزكية جماعة التبليغ ، أو أنه عدّهم من الفرق الهالكة ، نقول قد جانبك الصواب ، وابتعدت عن نصوص الشيخ الصريحة ، وروحه الإصلاحية التي عُرفت عنه طوال حياته. فالشيخ رحمه الله تعالى ، في الفتوى التي بين أيدينا ، أكّد أن الجماعة لها تأثير كبير في العالم الإسلامي ، ووجّه لهم نصيحة محبّ مشفق ، لا طعن مخالف ولا تحذير قاطع.

ولقد قال الشيخ بوضوح: أنصحهم كثيرًا بأن يعنوا بالعقيدة . ، وهذا الأسلوب لا يُستخدم مع الفرق الهالكة ، بل مع من يُرجى فيهم الخير ، ويُؤمّل فيهم الإصلاح. ثم إنه لم ينهَ عن صحبتهم ، بل قال: وعلى من شاركهم أن ينبههم ويساعدهم . ، فهل يُعقل أن يُؤمر المسلم بمشاركة فرقة هالكة؟ بل هذا دليل قاطع على أن الشيخ يرى فيهم خيرًا كثيرًا ، ويأمل في استكماله لا في هدمه.

ثم إن الشيخ لم يُخرجهم من دائرة أهل السنة ، بل قال في موضع آخر: لهم نشاط في الدعوة إلى الله ، وكثير منهم ينفع الله به الناس . ، وهذا لا يُقال فيمن يُعدّ من الفرق الضالة ، بل يُقال فيمن أصاب في أصل المنهج ، وأخطأ في بعض التفصيلات ، وهو حال كثير من الجماعات الإسلامية التي تحتاج إلى التوجيه لا الإقصاء.

---

[56] (المائدة : 2)

ولو كان الشيخ يرى أنهم من الفرق الهالكة ، لقالها صراحة كما فعل مع بعض الفرق التي خالفت أصول العقيدة ، لكنه لم يفعل ، بل ظل طيلة حياته يُثني على جهودهم ، ويُوجّههم إلى العناية بالتوحيد ، وهذا هو منهج العلماء الربانيين: التعديل المفصل مع النصح ، لا الجرح المجمل مع الإسقاط.

فالخلاصة أن كلام الشيخ ابن باز رحمه الله يُثبت تزكيته لأصل منهج جماعة التبليغ ، مع دعوته إلى تصحيح بعض الجوانب العقدية ، وهذا هو عين العدل والإنصاف ، لا التراجع ولا التبديع. ومن نسب إليه غير ذلك ، فقد حرّف الكلم عن مواضعه ، وابتعد عن أمانة النقل وفهم السياق.

## نصيحة للسائل في ضوء جواب الشيخ بن باز رحمه الله :

في ضوء فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، فإن من يفكر في الخروج مع جماعة التبليغ ينبغي له أن ينظر إلى هذه المشاركة نظرة شاملة ، تتجاوز مجرد الرفقة المؤقتة ، لتغدو فرصةً حقيقية للتزكية والدعوة والتعلّم. فإن كان الداخل في هذا الميدان على بصيرة في العقيدة وأساسيات الشريعة ، فإنه لا يخشى عليه ، بل يُرجى أن يكون ممن يُصلح ويُسدّد ويُكمّل ، لا ممن ينجرف أو يُجرّ. بل إن مشاركته نفسها ستكون سببًا في توسيع بصيرته ، وتثبيت علمه ، وتعزيز بصمته في إصلاح الخطأ بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما كان هدي العلماء الربانيين.

وليس ذلك فحسب ، بل إن مجرد المخالطة والمعايشة مع هذه الجماعة غالبًا ما تُثمر آثارًا تربوية بالغة ، تبدأ بتهذيب الأخلاق ، وترقيق القلب ، وتعزيز التواضع ، والانشغال بالذكر ، وخدمة الناس ، والبعد عن الغلظة والجدل ، مما لا يُكتسب غالبًا من الكتب أو الدروس المجردة. فالصحبة الدعوية الصالحة تبني الإنسان قبل أن تبني من حوله ، وتفتح له أبوابًا من الفهم والإخلاص والنية الصادقة في العمل.

وسوف تتعلم تدريب القلب على اليقين ، وتربية النفس على الإخلاص ، والاعتماد على الله ، والتقليل من التعلق بالماديات ، وكلها معانٍ جليلة تُكتسب بالتدرج والممارسة ، لا بالشروح والتنظير.

فمن شاركهم بنيّة صادقة ، وعقل بصير ، وسلوك مستقيم ، فإنه سيخرج من تلك الأيام لا كما دخلها؛ سيخرج محمّلًا بشيء من حب الخير ، وتعظيم السنة ، وإحياء فضائل كانت دفينة في النفس. فتكون تلك الصحبة ، في حقيقتها ، رحلة دعوية وتربوية وتهذيبية في آنٍ واحد ، تثمر ثباتًا ، وتوقّرًا للدين ، واستعدادًا للبذل ، وهمةً في الإصلاح.

فإذا كنت تفكر في الخروج مع جماعة التبليغ والاستفادة من جهودهم الدعوية ، فاحرص على أن يكون لديك علم صحيح بالعقيدة الإسلامية حتى تكون عنصرًا في تصحيح أي أخطاء قد تكون موجودة في منهجهم . لا تبتعد عنهم ، بل ادعم جهودهم وصحح مفاهيمهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى يكون العمل الدعوي كاملًا ومتوازنًا بين الحماس والفقه الصحيح. أسأل الله أن يوفقك لنشر الخير ونشر الإسلام بالطريقة التي تحقق أعظم فائدة للمجتمع المسلم. أسأل الله أن يوفق كل من نوى الدعوة بعلم ورفق ، وأن يجعله مفتاحًا للخير ، مغلاقًا للشر ، وداعيًا للحق على بصيرة.

### الفتوى التاسعة : المنهج الصحيح تجاه جماعات الدعوة .

وتحت عنوان ما المنهج الصحيح تجاه جماعات الدعوة؟ جاءت هذه الفتوى . (السؤال : إنَّ كثيرًا من الشباب يدعونني أن أشترك معهم في الدعوة إلى الله ، وهم من جماعةٍ تُسمَّى جماعة التبليغ ، فما رأيكم في ذلك؟ هل أشترك معهم أم لا ؟

**الجواب :** الجماعة كثيرون ، جماعات متنوعة ، فلا مانع من الاشتراك معهم في الخير والدعوة إليه ، لا في كل شيءٍ ، مَن دعاك إلى الخير تشترك في الخير : جماعة التبليغ ، أو أنصار السنة ، أو جماعة الإخوان المسلمين ، أو جماعة المسلمين في قُطْرٍ آخر ، أو جماعة الدَّعوة في قُطْرٍ آخر ، أو ما أشبه ذلك من الأسماء ، أو المركز الإسلامي ، أو الاتحاد الإسلامي ، أو اتحاد المسلمين ، بأي اسمٍ سمّوه ، إذا دُعيتَ إلى ذلك فشارك في الخير ، ولا تُشارك في الشر ، أجبهم إلى ما طلبوا فيما يتعلق بالشرع المطهر ، وأنكر عليهم ما خالفوا من الشرع المطهر ، واجعل نفسك واسطةَ خيرٍ ، وداعيةَ خيرٍ ، تحثُّهم على الالتزام بأمر الله ، وتُحذرهم من التَّفرق والاختلاف ، فلا تكن معهم مطلقًا ، ولا عليهم مطلقًا ، بل معهم في الخير ، وعليهم فيما أخطأوا فيه حتى يهتدوا ويلتزموا.)

## التعقيب على الفتوى التاسعة : المنهج الصحيح تجاه جماعات الدعوة .

تعكس هذه الفتوى من الشيخ ابن باز رحمه الله منهجًا وسطيًا متوازنًا في التعامل مع الجماعات الإسلامية المختلفة ، يحث فيها الشيخ رحمه الله على التعاون في الخير ، والإنكار على الأخطاء دون تعصب أو عداء. هذا التوجيه يعزز وحدة الصف الإسلامي ، ويمنع التفرق والاختلاف الذي قد يضعف قوة الأمة. الإسلام جاء بمنهج العدل والوسطية ، فلا يجوز التأييد المطلق لجماعة بعينها دون النظر في أخطائها ، كما لا يجوز رفض أي جهد دعوي لمجرد الاختلاف في بعض المسائل.

حيث يقول الشيخ رحمه الله : الجماعة كثيرون ، جماعات متنوعة ، فلا مانع من الاشتراك معهم في الخير والدعوة إليه ، لا في كل شيءٍ ، مَن دعاك إلى الخير تشترك في الخير. وهذه القاعدة الشرعية العظيمة أصل من أصول أهل السنة حيث تدعو أهل الإسلام إلى التعاون في البر والتقوى كما قال الله تعالى :

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [57] ، مما يدل على أن التعاون مع الجماعات الإسلامية يجب أن يكون في الخير فقط ، مع الإنكار على الأخطاء الشرعية.

ثم يقول الشيخ : إذا دُعيتَ إلى ذلك فشارك في الخير ، ولا تُشارك في الشر ، أجبهم إلى ما طلبوا فيما يتعلق بالشرع المطهر ، وأنكر عليهم ما خالفوا من الشرع المطهر. وهذا يدل على أن المسلم يجب أن يكون عنصرًا فاعلًا في تصحيح المفاهيم الخاطئة ، فلا يكون تابعًا بلا بصيرة ، بل يكون داعيةً للخير في كل جماعة أو تجمع يعمل وفق الشريعة. كما قال النبي ﷺ : الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [58] ، مما يدل على أن تصحيح الأخطاء واجب ، لكن بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم يقول الشيخ : واجعل نفسك واسطةَ خيرٍ ، وداعيةَ خيرٍ ، تحثُّهم على الالتزام بأمر الله ، وتُحذرهم من التَّفرق والاختلاف ، فلا تكن معهم مطلقًا ، ولا عليهم مطلقًا ، بل معهم في الخير ، وعليهم فيما أخطأوا فيه حتى يهتدوا ويلتزموا. هذه القاعدة الذهبية تحقق التوازن في التعامل مع الجماعات الإسلامية ، فلا يجوز التأييد المطلق لهم دون النظر في أخطائهم ، كما لا يجوز العداء المطلق ورفض جهودهم الدعوية. قال النبي ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى [59] ، مما يدل على أن التعامل بين المسلمين يجب أن يكون قائماً على التعاون لا التفرق والتنازع.

## النصيحة للسائل في ضوء رؤية الشيخ بن باز لجماعة التبليغ الدعوية:

---

[57] (المائدة : 2)

[58] (مسلم)

[59] (البخاري ومسلم)

أخي الكريم ، الإسلام دين وسطية واتزان ، فلا يجوز الغلو في تأييد جماعة معينة دون النظر في أخطائها ، كما لا يجوز التشدد في نقدها بحيث يؤدي إلى التفرق والتنازع بين المسلمين. إنَّ كثرة النقد والقدح واللمز والغمز ليست من منهج أهل السنة والجماعة ، بل الواجب هو التعاون في الخير ، والإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة. قال الله تعالى : وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [60] ، مما يدل على أن الاختلاف بلا ضوابط شرعية يؤدي إلى ضعف المسلمين وتفرق صفهم.

كما قال النبي ﷺ : ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء [61] ، مما يدل على أن نقد الآخرين يجب أن يكون موضوعيًا وعلميًا ، لا قائماً على التجريح والغمز واللمز. إذا كنت ترى خطأً في جماعة معينة ، فاحرص على تصحيحه بالحكمة ، لا بالعداء والتشهير ، فقد قال النبي ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت [62].

أسأل الله أن يجعلنا دعاة وحدة بين المسلمين ، وأن يهدي الجميع للحق والصواب ، وأن يعيننا على التعاون في الخير ، وتصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

[60] (الأنفال : 46)

[61] (الترمذي)

[62] (البخاري ومسلم)

## فصل في ذكر جهود الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وفتاواه في منهج حركة التبليغ الدعوية :

نتناول هذا الفصل من البحث جهود وفتاوى أحد أبرز علماء الأمة في العصر الحديث، وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، بخصوص منهج جماعة التبليغ والدعوة. سنسعى من خلال هذا الفصل إلى تحليل موقفه العلمي الدقيق، والذي تميز بالإنصاف والتفصيل، بعيدًا عن الإطلاق أو التعميم. وسنسلط الضوء على نظرته الشاملة لعمل الجماعة، حيث كان يوازن بين ما لها من محاسن وإيجابيات في الدعوة العملية، وبين ما قد يراه من ملاحظات أو مآخذ تحتاج إلى توجيه وتصحيح، كل ذلك ضمن إطار منهجه الراسخ في النث والبيان، وحرصه على سلامة الدعوة وجمع كلمة المسلمين.

### وفاة الشيخ بن باز وبن عثيمين رحمهما الله وهما يؤيدان التبليغ مع النصح لهم :

واعلم بارك الله فيك أن الشيخين بن باز والعثيمين قد ماتا وهما على رأيهما الوسطي في أهل التبليغ كما تواتر الأمر عنهم ، ولا يكاد ينقضي العجب من قلب الحقائق الثابتة عند السلفية المعاصرة والتي تنكر تماما أن الشيخين دافعا ونافحا عن أهل التبليغ ونصحا لهما ! فكيف إذا لم يرد عنهم في ذلك الأمر شيء ؟! سبحان ربي !

ويكفي للاستدلال على أن الشيخين قد قضو نحبهما على رأيهما في أهل التبليغ فتاواهما المتكاثرة ، فضلا عن شهادة التلامذة النجباء والمقربين الأصفياء ، فها هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله يجزم بأن الشيخ بن باز رحمه الله كان يؤيد أهل التبليغ ومات على ذلك ، ويؤكد أيضا أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مات على رأيه الأول وهو معاونة أهل التبليغ في دعوتهم وتسديد حركتهم ، وكذا الشيخ بن عثيمين نقل عنه الكثيرون قوله ذلك ، فليس الأمر خفي حتى نحتاج لإثباته ولكن القوم يكذبون ويكررون الكذب ويتعلقون بكلمات هي في الحقيقة نصح من المشايخ لتقويم المناهج وهذا مقبول لا ينكره

أحد ولكن المردود أن يقلبوا الحقيقة بالكامل فيقتصوا نصيحة الشيخ ويحذفوا مدحه ويصدروا الفتوى والرأي على أنه قدح وذم وانتقاص وتشهير !!

### منهج الشيخ بن عثيمين رحمه الله فى الرد على الأسئلة الملتوية :

كثيرا ما كان الشيخ محمد بن صالح العثيمين يتعرض للأسئلة الملتوية والشائكة ، يقصد الطلبة استخراج رأي من الشيخ يوافق هواهم ! فيعرض السؤال بطريقة يوصل للشيخ منها مفهوما معينا لأنه يعلم أن جواب الشيخ سيكون على هذا المفهوم ! وهذا فخ وقع فيه كثير من المشايخ واستخرجت من أفواههم كثير من الفتاوي التي فرقت صف المسلمين وشتتت شملهم وقطعت أواصر مودتهم ! ولكن الشيخ بن عثيمين أذكى ممن يسأل ، فحينما يسأله سائل ويحاول المراوغة فإنه يناقش السائل في سؤاله ويستفهم منه عن مقصوده حتى يجيبه جوابا واضحا كافيا شافيا !

وذات مرة – وهي إحدى المرات الكثيرة – سأله سائل عن جماعة التبليغ فسأل السائل : ( إيش جماعة التبليغ ) ثم حاور الشيخ الطالب حوارا طويلا ليستخرج من جعبته دوافعه لهذا السؤال ، ثم أجابه جوابا شافيا .

ومرة أخرى سئل الشيخ سؤالا ( : نسب إليكم أحد الأشخاص أنكم تؤيدون جماعة التبليغ ، ما قولكم في هذا ؟ )

فرد على السائل ( كيف نؤيدهم ماذا نقول؟ ) فقال السائل : ( يقول : بأنك تقول : جائز الذهاب معهم.) فأجاب الشيخ بصراحة ووضوح : نعم. أنا أقول : جائز ، وقد يتعين على طالب العلم الذي إذا خرج معهم أرشدهم إلى الحق ، الجماعة ليسوا يفعلون المنكرات الظاهرة ، لكن صحيح أنه ثبت عنهم قصور ويحتاجون إلى من يعلمهم ويرشدهم ، وإلا فمن عرف حالهم وعرف إيثارهم وأخلاقهم وآثارهم يقول : هذه جماعة لا يوجد

لها نظير. فهم أسلم على أيديهم كثير من الناس ، وصلح على أيديهم كثير من الفساق ، وهذا أمر لا ينكر ، وفيهم من الإيثار واللطافة وحسن الخلق ما لا يوجد في غيرهم ، لكن عندهم جهل لا شك ، فإذا خرج الإنسان معهم ليرشدهم ويقول : يا إخواني! هذه مثلاً بدعة ، هذه لم تأت بها السنة ، فهذا خير ، أنا أحب أن طلاب العلم يأتون بهم ويرشدونهم أو يخرجون معهم ويرشدونهم. أما أن نبقى نتلاعن فيما بيننا ، ونبدع أو نكفر أو ما أشبه ذلك ، فهذا غلط ، ولا مجال لذكر الوقائع التي وقعت من تأثير هؤلاء في فساق وكفار وملحدين. لكن لو قال شاب : هل الأفضل أن أخرج معهم ، أو أطلب العلم؟ قلنا : الأفضل تطلب العلم لا شك؛ لأنهم هم ليس عندهم زيادة علم ، أكثر ما عندهم النظر في الأخلاق والفضائل وما أشبه ذلك ، وهم كثير منهم لا يميز بين الصحيح والضعيف.)63

## جانب من فتاوي الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله فى أهل التبليغ :

للشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى فتاوى كثيرة حول منهج وطريقة دعوة أهل التبليغ وجلها بفضل الله تعالى تصب في مصلحة الدعوة والإسلام ، فلم يمنع قط عملهم ولم يشملهم في الفرق النارية ولم يقل بأنهم مبتدعة ، وغاية ما انتقده عليهم بعض الانتقادات التي لا يخلوا منها المسلمين أفرادا أو جماعات ، وعليه فعلينا أن نحمل كلامه على المحمل الحسن وأن نستفيد من فتاواه ونوجهها التوجيه الصحيح ، وليس كما يفعل المتنطعة المبدعة من التشويه أو الاقتصاص منها بما يخدم أغراضا معينة ، وهنا ننقل بعض الفتاوى بعناوين ناشريها .

### الفتوى الأولى : التفصيل في جماعة التبليغ :

السؤال [64] : تعلمون أن جماعة التبليغ نشأت في بيئة بعيدة عن العلم الشرعي وقلة العلماء علماء أهل السنة كما هي عندنا ولله الحمد ، ولكن هناك ثلاث نقاط أريد أن أسأل فضيلتكم عنها : هذه الجماعة يا شيخ لها

[63] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم224

[64] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم 152

أصول أسست عليها وهي أربعة أصول.

الشيخ : ستة.

السائل : لا. الأصول التي أسست عليها غير الأصول الستة ، وما إلى ذلك من البدع والشركيات.

الشيخ : بينها لنا من أجل أن يكون الجواب : مبنياً على السؤال.

السائل : ثم الشيخ : بين الأصول الأربعة أو الستة.

السائل : يعني : الأصول.

الشيخ : أنا لا أستطيع أن أجيب إلا عن شيء.

السائل : طرق يا شيخ.

الشيخ : ما هي الطرق ؟

السائل : طرق صوفية أربع.

الشيخ : ما هي ؟

السائل : الطريقة السهروردية والنقشبندية والقادرية.

الشيخ : ألم تعلم أن هذه الطرق من كانوا عندنا في المملكة لا يعرفون عنها شيئاً.

السائل : أنا ما أسأل يا شيخ! عن الذين في المملكة بل عن هذه الجماعة بشكل عام ، ثم إن هناك الصفات الست التي هي أصل منهجهم في الدعوة في إقامة حلق الذكر وما إلى ذلك ، كذلك الكتاب الذي يعتمدون عليه خصوصاً خارج المملكة والجزيرة كتاب تبليغ النصاب ، وفيه من البدع والشركيات التي ذكرها أهل العلم ، كذلك هناك في معرض كلام سابق لكم عنهم يا شيخ! قلتم : بأنه ينقصهم العلم ، فإذا كان العلم ينقصهم فإن أساس الدعوة وقبول العمل كما هو أساس قبول العبادة معدوم ، كذلك يا شيخ! فيمن يخرج معهم قلتم : بأنه لا ينبغي أن يخرج إلا طالب علم يصحح ويتعلم ويعلم ، هذه الجماعة يخرج معهم أناس ليس معهم من

العلم شيء وقد يواجهون من البدع والشرك والشبه خصوصاً أنهم يدعون الكفار ، نريد تعليقاً على هذه النقاط يا شيخ؟

الجواب : الشيخ : بارك الله فيك ، أما أنا نظري لهذه الفئة الذين في خارج البلاد ما أدري عنها وإن كنا نسمع من بعض الإخوة الذين ذهبوا من طلاب العلم وسمعوا خطبهم يقولون : ما رأينا شيئاً ، بل هم يقولون : نحن نحملكم أيها السعوديون المسئولية أن تدلونا على ما يوافق الشرع ، حدثني عن ذلك ثقتان من أهل بريدة ذهبوا واستمعوا إلى خطبهم ، لكن مع ذلك نصيحتي : ألا يذهب أحد من إخواننا في المملكة إلى تلك البلاد؛ لأنهم مع قلة علمهم وفصاحة أولئك قد ينخدعون ، فلذلك أرى أن تكون الدعوة هنا وأن يتلقوا أصول دعوتهم من العلماء عندنا ، العلماء محاط فيهم؛ لأننا رأينا لهم تأثيراً بالغاً الحق يجب أن يقال والباطل يجب أن يقال ويبين بطلانه كم من فاسق هداه الله على أيديهم ، بل كم من كافر اهتدى إلى الإسلام على أيديهم؛ لأن دعوتهم مبنية على السماحة والإيثار وطلاقة الوجه؛ وهذا من أساس الدعوة ، لكن كونه يقول مثلاً : لا تأخذوا إلا بهذه الصفات دون ما سواها لا شك أن هذا من أكبر الأخطاء ، فإذا قالوا : نحن نؤمن بهذه الصفات دون غيرها ، قلنا : هذا خطأ عظيم وهذه الصفات ما هي إلا شعرة في جلد الثور ، وأما إذا قالوا : لا.

نحن نقول : هذه الصفات ولكن نقر غيرها. نقول : يجب أن تضيفوا إليها ما جاء في الكتاب والسنة ، ولهذا أتمنى أن يكون أساس دعوتهم مبني على حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل فسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها ، ثم قال : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»فلو أن أحداً من أهل العلم أسس قواعد تضاد الصفات السبع التي يقولون لكان في هذا خيراً كثيراً.

السائل : يبقى الكافر الذي أسلم على أيديهم بشهادتين يعلمونه فقط وأنا ممن خرجت إلى بنجلاديش

وحضرت يعلمونه فقط آداب النوم كيف يأكل وكيف يشرب.

الشيخ : هذا حسن ، لكن هل يقول : لا تتعلم غيرها؟ ألم تعلم أن هذه الآداب كثير من طلاب العلم عندنا لا يفقهونها ، ومن عرفها لا يطبقها السائل : كافر يا شيخ! ما عنده من العلم شيء في أصول ديننا يا شيخ! وأركان الدين الإسلامي.

الشيخ : نحن نعلمهم شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، معناها ولوازمها وبقية أركان الإسلام مثلما قال الرسول لمعاذ : «أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله.»

السائل : هم لا يعلمون هؤلاء.

الشيخ : لا. يجب أن يعلموهم ، هذا من جملة جهلهم ، ولهذا أقول لطلاب العلم : ينبغي أن يخرجوا معهم ليبصروهم.

السائل : فقط طلاب العلم يا شيخ؟

الشيخ : وأنا لا أرى أن يذهبوا إلى خارج البلاد.

## الفتوى الثانية : الفتوى الجامعة والقول الفصل من الشيخ بن عثيمين في مدى مشروعية أنشطة جماعة التبليغ :

السؤال [65] : عندي سؤال عن جماعة التبليغ ، وحركتهم في المجتمع.

الشيخ : من هم جماعة التبليغ؟ السائل : هؤلاء الذين يطلع عليهم الإخوان يا شيخ!

الشيخ : من هم الإخوان؟ السائل : هذا يا شيخ! والله! ما أدري أيش أشرح لك.

---

[65] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(228)

الشيخ : اشرح لي كي أجيب عليك. السائل : هذا يا شيخ! عندهم مثل : الخروج يمشون بين الناس يدعون إلى الله.

الشيخ : الله أكبر سنة رسول الله. السائل : سنة رسول الله ، لكن عندهم الخروج في الشهر ثلاثة أيام يذهبون إلى مدينة أخرى يجتمعون مع أناس يحيون سنناً ، فعارضهم أناس وقالوا : هذه بدعة من أين أتيتم بنظرية الخروج هذه ، هذه لم ترد عن الرسول ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. »

الشيخ : نعم! السائل : يعني يقول : هذه بدعة كيف أنتم أتيتم من عندكم.

الشيخ : نعم! السائل : وهناك مؤيدون لهم ومعارضون ، وليسوا موجودين في المنطقة.

الشيخ : قل : وهناك متوقفون ، لكي يكون وسطاً وطرفين. السائل : وهم في كل منطقة نشيطون ، وقد التزم على أيديهم أناس كثيرون ، وفي وقت العصر يجتمعون ويشكلون مجموعات ، مجموعة زيارة للمنطقة الفلانية ، وأنتم عندكم مجموعة زيارة للمنطقة الفلانية.

الشيخ : ترتيب؟ السائل : ترتيب يا شيخ!

الجواب : أما المشي في دعوة الناس فهذا نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان في أيام موسم الحج يدور على الناس في منازلهم ويدعوهم ، هذه واحدة ، وهاجر إلى المدينة للدعوة ، لأن أهل مكة كما هو معروف آذاه أهلها ومنعوه من الدعوة فأمر بالهجرة إلى المدينة لتتم الدعوة ، إذاً هذه ما فيها شيء.

السائل : إذاً : ما في ذلك بدعة يا شيخ؟! الشيخ : اصبر يا رجل! نأخذها قليلاً قليلاً ، كما أعطيتنا إياها.

وأما ترتيبها بثلاثة أيام أو بأربعين يوماً أو بستة أشهر أو ما أشبه ذلك فهم يقولون : نحن لا نقول إن هذه سنة نقول هذه ترتيب وسيلة للاستقامة في الدعوة ، والوسائل ما لها حصر ألست الآن أخطب بـ«الميكرفون» ؟ السائل : نعم.

الشيخ : حسناً هل الرسول خطب بـ«الميكرفون» ؟ لم يكن موجوداً أصلاً ، لكن لم يقل : لا تخطبوا بوسيلة ، وإذا كان الرسول لا يعلم أنه سيكون «ميكرفون» فالرب عز وجل يعلم ، فالوسائل وسائل العبادات ليست مقصودة لذاتها إنما هي لغيرها ، فهم يقولون : نحن نقول : اخرج ثلاثة أيام ، من أجل أن يبتعد عن الدنيا ولذاتها ، ونريد أن نركز على أن نشغل وقته بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن وما أشبه ذلك.

وأما ترتيب اتجاههم كل يذهب إلى جهة فهذا أيضًا لا بأس به؛ لأن كونهم يجتمعون كلهم في جهة واحدة أو كونهم يتفرقون ، أيهما أولى ؟ أجيبوا يا جماعة.

الحضور : يتفرقون.

الشيخ : كونهم يتفرقون أولى ، لأنه أوسع انتشاراً؛ ولأنهم إذا اجتمعوا جميعًا وهم مثلاً أربعون رجلاً أو خمسون رجلاً لم يتكلم إلا واحد أو اثنان أو خمسة ، فتوزيعهم على الجهات ليس فيه بأس ، وها هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرسل واحداً إلى اليمن وواحداً إلى جهات أخرى لدعوة الناس ، إذاً : ما فيها بأس.

إذا رجعنا إلى التأثير : فاعتقادي أنه لم يؤثر أحد من أي جهة أو من أي حزب أو من أي طائفة مثل تأثيرهم ، لهم تأثير عجيب ، كم من ضال اهتدى على أيديهم وكم من فاسق اعتدل ، بل وكم من كافر أسلم ، إنه يقال : إنهم تهبط الطائرة في مطار موسكو بلد الإلحاد ثم يؤذن المؤذن ويقيمون الصلاة جماعة أمام الناس ، من يقدر على هذا؟ ويحجب الله عنهم السوء ، فهم لهم تأثير ولا شك في تأثيرهم ، وهناك قصص عجيبة أخبرنا عنها.

حدثني من أثق به وتوثيق الثقة مقبول عند علماء الحديث يقول : إن رجلاً كان له ابن أخت من أفسق عباد الله وأقبحهم منظراً سكر وبلاءٍ وعدم صلاة ، وإذا رأيت وجهه كرهته ، فغاب يوماً من الأيام لمدة نصف شهر أو أقل أو أكثر المهم مدة ، يقول : فقلنا فيما بيننا : لعل الله سلَّط عليه أحداً من هؤلاء الطائشين دهسه وتركه ، انظر إلى هذا الحد ، يقول : فبينما نحن كذلك إذا بالرجل يقرع الباب بعد الظهر ، يقول خاله : وكنت في مكتبتي فقلت في نفسي : من هذا الغشيم الذي يأتي بعد الظهر الناس ما بين قائل ومتردٍ وما هذا؟ فقلت له : ادخل ، وإذا الباب مغلق فلم يستطع أن يدخل ، فجعل يقرع الباب وأقول : ادخل ، فيقول : الباب مغلق ، يقول : فقمت ففتحت الباب وإذا هذا الرجل النير الوجه الملتحي الذي أحببته قلت : وماذا عندك ولماذا تجيء يا أخي في هذا الوقت؟! لو جئت بوقت مناسب نجلس معك! قال : أنا ابن أختك فلان بن فلان ، فقلت له : كذبت ، ابن أختي حليق ، وجهه مكفهر ، لا تحب العين أن تراه ، لست هو فأنكرته! فقال لي : بل أنا ابن أختك ، وإذا شئت أن أعد عليك بيتك الآن حجرة حجرة عددتها لك ، إذا دخلت رحت من اليمين إلى الحجرة الفلانية ، ومن اليسار الحجرة الفلانية ، ومن الأمام المكان الفلاني!! فقلت : أنت هو؟ قال : أنا هو.

قلت : ادخل ، وما الذي قلبك من تلك الحال إلى هذه الحال؟ والرجل هذا الخال فيه شيء من العنف.

ما الذي قلبك من تلك الحال إلى هذه الحال؟ فقال : إنه أتاني الإخوان وأمسكوني برفق وقالوا : إلى المسجد.

فقلت : مالي وللمسجد! ما دخلته قط! قالوا : وإن لم تدخله في حياتك فإن الله غفور رحيم ، امش معنا! يقول : فلما دنونا من المسجد قالوا لي : ادخل الحمام واغتسل ما دمت على حالك الأولى أنت كافر ، والكافر إذا أسلم لابد يغتسل ، يطهر ظاهره وباطنه ، يقول : فاغتسلت ، يقول : ألان الله قلبي لهم فاستجبت ، يقول : دخلت المسجد وصليت وهم جعلوا يدعون لي بالثبات رافعي أيديهم يبتهلون إلى الله

وقالوا : اخرج معنا ، فوالله! يا خالي! ما ذقت لذة الدنيا إلا بهذا ، وكأني بعثت الآن ، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

لكن لأجل أن نقول الحق الذي بيننا وبين الله : القوم عندهم جهل عظيم أكثرهم جاهل جداً ، ولذلك لا يحبون النقاش في العلم ولا الكلام فيه ، عندهم هذا المسلك نمشي عليه : تسبيح وتكبير وتهليل وقرآن وصلاة ودعوة للخير ، لكن نقاش أو خلاف فقهي بل وعقدي أيضًا لا يتكلمون فيه ، هذا وجه النقص فيهم.

لو أن طلبة العلم الذين يشار إليهم صحبوهم ودرسوهم وعلموهم ما يجب في العقائد لكان فيهم خير كثير ، لكن هم من هذا الباب صار فيهم نقص ، وصار بعض المشايخ ينتقدهم من هذا الباب انتقاداً مطلقاً بدون أن ينظر إلى محاسنهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة : 8] ولو أننا عاملنا هؤلاء بالعدل وقلنا : أنتم جزاكم الله خيراً نيتكم طيبة وقلوبكم طيبة أخلاق إيثار ، إلى غير ذلك من المحاسن ، ونشكركم على هذا ، لكن نريد أن نتكلم معكم في العقيدة وفي الأقوال الراجحة من أقوال الفقهاء في المسائل العملية ، فانتدبوا لنا الكبار منكم حتى نعلمهم ، لو حصل هذا لحصل خير كثير ، لكن مع الأسف أن بعض الناس ينفر منهم تنفيراً بالغاً. فنسأل الله أن يجمع كلمة الجميع على الحق.

### الفتوى الثالثة : القول الفصل في جماعة التبليغ بين الإفراط والتفريط :

السؤال [66] : فضيلة الشيخ : جماعة الدعوة الذين يخرجون ثلاثة أيام ، وهم جماعة التبليغ والدعوة ، المهم يا شيخ أني بدأت الالتزام قريباً ، ومضطرب في هذا الأمر ، هناك بعض الشباب من الإخوان يقول : لا تتبع هذه الجماعة ، وهناك بعض العلماء في المدينة نصحني بالخروج معها ، فما رأي فضيلتكم ؟

---

[66] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(10)

الجواب : الغالب أن كل المسائل يكون الناس فيها طرفين ووسطاً : فمن الناس من يثني على هؤلاء كثيراً ، وينصح بالخروج معهم ، ومنهم من يذمهم ذماً كبيراً ، ويحذر منهم كما يحذر من الأسد ، ومنهم متوسط ، وأنا أرى أن الجماعة فيهم خير ، وفيهم دعوة ، ولهم تأثير لم ينله أحد من الدعاة ، تأثيرهم واضح ، كم من فاسق هداه الله! وكم من كافر آمن! ثم إنه من طبائعهم التواضع والخلق والإيثار ، ولا يوجد في الكثيرين ، ومن يقول : إنهم ليس عندهم علم حديث أو من علم السلف أو ما أشبه ذلك؟ هم أهل خير ولا شك ، لكني أرى أن الذين يوجدون في المملكة لا يذهبوا إلى باكستان وغيرها من البلاد الأخرى؛ لأننا لا ندري عن عقائد أولئك ولا ندري عن مناهجهم ، لكن المنهج الذي عليه أصحابنا هنا في المملكة منهج لا غبار عليه ، وليس فيه شيء ، وأما تقييد الدعوة بثلاثة أيام أو أربعة أيام أو شهرين أو أربعة أشهر أو ستة أو سنتين فهذه ما لها وجه ، ولكنهم يرون أن هذا من باب التنظيم ، وأنه إذا خرج ثلاثة أيام وعرف أنه مقيد بهذه الثلاثة استقام وعزف عن الدنيا ، فهذه مسألة تنظيمية ليست بشرع ، ولا هي عبادة ، فأرى بارك الله فيك إن كان اتجاهك لطلب العلم فطلب العلم أفضل لك؛ لأن طلب العلم فيه خير ، والناس الآن محتاجون لعلماء أهل سنة راسخين في العلم ، وإن كان ما عندك قدرة على تلقي طلب العلم ، وخرجت معهم لأجل أن تصفي نفسك ، فهذا لا بأس به ، وهناك أناس كثيرون هداهم الله عز وجل على أيديهم.

### الفتوى الرابعة : الحكم على جماعة التبليغ وحكم الخروج معهم :

السؤال [67] : فضيلة الشيخ! أحب أن أطلع على حقيقة جماعة التبليغ ، وهل ينصح فضيلتك بالخروج معهم في البلدان الأخرى أم لا ؟

---

[67] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(60)

الجواب : الدعوة إلى الله عز وجل مأمور بها ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل : 125] والسير في الدعوة إلى الله في الأرض أمر مطلوب أيضًا ، لكنني لا أنصح إخواننا في بلادنا أن يذهبوا خارج البلاد إلى باكستان أو بنجلاديش أو ما أشبه ذلك؛ لأنه بلغني أن هناك رؤساء مشتبه في عقيدتهم ، والإنسان يجب عليه أن يبتعد عما فيه الاشتباه ، أما في داخل المملكة فلا أرى عليهم إلا خيراً.

صحيح أن عندهم جهلاً ، وأنهم يحتاجون إلى طلبة علم يخرجون معهم يوجهونهم ويبينون لهم أن الإسلام أوسع مما حصروه في الستة الأوصاف التي عندهم ، ويرشدونهم إلى السنة في كثير من الأمور ، لكنني لست أشدد في التحذير منهم ، بل ولا أحذر منهم؛ لأن لهم تأثيراً بالغاً في هداية الخلق ، فكم من إنسان فاسق صار مستقيماً على أيديهم ، وكم من إنسان كافر صار مسلماً على أيديهم ، وهم في الدعوة إلى الله ألين من غيرهم؛ عندهم لين ، وعندهم إيثار ، وعندهم خلق ، ولكن عندهم شيء من البدع يمكن أن يُقضى عليها.

أما بالنسبة لنصيحة كل شخص على حدة فالإنسان الذي عنده قدرة على التعلم والتفرغ لطلب العلم ننصحه أن يبقى في طلب العلم وألا يخرج معهم؛ لأن طلب العلم أفضل من الذهاب للدعوة إلى الله عز وجل ، وأما إذا كان الإنسان ليس بطالب علم ولا مستعداً لطلب العلم وأراد أن يخرج معهم من أجل أن يلين قلبه ويقبل على الله عز وجل فلا حرج.

## الفتوى الخامسة : الحكم على جماعة التبليغ :

السؤال [68] : انتشرت في الرياض عندنا جماعة الدعوة والتبليغ ، وقد وجدنا عندهم أخطاء عظيمة ، ومنها : في التوحيد ، فما رأيكم ؟

الشيخ : ما الذي وجدتم ؟

السائل : أحدهم تكلم معي فقال : يزعم بعض الناس أن مشركي قريش اعترفوا بتوحيد الربوبية ، وهذا خطأ.

الشيخ : هذه فقط ؟

السائل : هناك بعض الأشياء؛ فمنهم من يقول ، بل نفس هذا الشخص يقول بجواز الصلاة في مسجد فيه قبر ، واستدل بالمسجد النبوي.

الجواب : جماعة التبليغ رأيي فيهم أنهم جماعة لهم تأثير عظيم ، ونَفَع الله بهم ، فكم اهتدى على أيديهم من كافر أو فاسق! وهذه حسنة لا يجوز إنكارها أبداً ، ثم هم هادئون لا يتكلمون في أحد ، بل إنهم من شدة ورعهم الذي قد نَحْمَدهم عليه وقد لا نَحْمَدهم أنهم لا يتكلمون في مسائل العلم والفقه خوفاً من الزلل ، وإذا استفتاهم أحد قالوا : اسأل العلماء.

لكن فيهم جهل عظيم ، وفيهم جهل كثير؛ لأن عامتهم عوام ، فلو أن طلبة العلم خرجوا معهم ونظروا إلى ما عندهم من البدع أو ما يُظَنُّ أنه بدعة وأرشدوهم؛ لكان في هذا خير كثير! وكم من أناس فسقةٌ فسقةٌ فسقة اتصل بهم هؤلاء التبليغيون ، فصاروا من أفضل عباد الله.

---

[68] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(69)

لكن الذي أنصح به ألا يذهبوا إلى خارج البلاد السعودية؛ لأن المَجْمَع الذي يجتمع فيه التبليغيون خارج البلاد يقال لي : إن رؤساءه أهل بدع كبيرة.

وأما قولُ مَن وافقتَ منهم : إن المشركين لا يقرون بتوحيد الربوبية ، فيكفي في هذا نداءً على جهله ، وأنه يقرأ القرآن ولا يعرف معناه ، فإن قريشاً يقرون بالربوبية ، يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[المؤمنون : 8485].

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[المؤمنون : 8687].

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[المؤمنون : 8889] ، فهم مُقِرُّون.

ويقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[يونس : 31].

وهذا واضح صريح.

وأما استدلاله بجواز الصلاة في مسجدٍ بُني على قبر بالمسجد النبوي؛ لأن فيه قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذا أيضًا من جهله؛ لأن قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يُحْدَث في مسجد ، ولم يُبْنَ عليه مسجد! وإنما دفن في بيت عائشة رضي الله عنها ، لكن لَمَّا احتاج الناس إلى توسعته ورأوا أن أنسب مكان يُوَسَّع منه هي الجهة الشرقية وَسَّعُوهُ ، وبقي القبر في مقصورته في مكانه في بيت مستقل ، فليس هو في المسجد ، ولم يُبْنَ المسجد عليه.

وهذا واضح.

## الفتوى السادسة : تقويم جماعة التبليغ :

السؤال [69] : فضيلة الشيخ : هناك بعض طلاب العلم ينهون عن جماعة التبليغ الذين في السعودية والدعاة يقولون : لا تبالوا بهم فإنهم لا عقيدة لهم ، ويغلون فيهم غلواً عظيماً ، ما تقول فضيلة الشيخ؟ وهل نذهب معهم أم لا ؟

الجواب : أما جماعة التبليغ فتقويمي لهم : أن عندهم جهلاً كثيراً ، وأن بعضهم متعصب لا يمكن أن يتحول عن رأيه ، وفيهم مقابل ذلك خير كثير بالنسبة للسلوك والتعبد ، وكم هدى الله على أيديهم من ضال ، كم من فاسق من أفسق الناس هداه الله على أيديهم ، وهذا كثير ، وكذلك كم من كافر أسلم على أيديهم ، فهم فيهم خير وفيهم شر ، لكن يغلب عليهم الجهل ، وبعضهم كما قلت لك : يعاند حتى لو بينت له الحق فإنه لا يقبله منك ، والذين عندنا هنا في المملكة العربية السعودية ما أظن أن في عقيدتهم ما يخدشها ، لو سألته : أتؤمن بالله ورسوله؟ قال : نعم.

تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ قال : نعم.

تؤمن بأن أركان الإسلام خمسة؟ قال : نعم.

لكن يؤخذ عليهم كما قلت الجهل ، ومن جهلهم : أنهم رتبوا ست صفات لمنهجهم ، وهذا الترتيب خطأ ، لو أنهم رتبوا لمنهجهم ما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أنه هو الدين وذلك ما تضمنه حديث جبريل ، حين سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها ، ثم قال في آخر الحديث : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» لو أن هذه الصفات الست وهي صفات مأخوذة من القرآن والسنة لكنها قاصرة ، لو أنهم تركوها وجعلوا عمدة منهجهم حديث جبريل لكان خيراً لهم وأولى.

---

[69] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(99)

المهم أننا لا ننهى عنها ، لكن نرى أنه ينبغي لطلاب العلم أن يخرجوا معهم من أجل تقويمهم وتعديلهم؛ لأنهم يؤثرون على الناس تأثيراً ما علمنا أحداً أثر مثل أثرهم في هداية الفاسق والكافر؛ لأن عندهم رقة وليناً في الدعوة ، وأما لو شاء الإنسان يقول : ماذا ترون هل أخرج معهم أو أبقى أطلب العلم؟ قلنا له : أبق اطلب العلم ، ولا يصدنك الخروج معهم عن طلب العلم.

وعلى كل حال الناس مختلفون في هذا ، وقد ذهب أناس من إخواننا من أهل بريدة هذا العام لمجتمعهم ورفعوا تقريراً وأثنوا على المجتمع هذا قالوا : كله في تقرير التوحيد.

حتى قال هذا الذي كان يخطب فيهم من أذان المغرب إلى الساعة الرابعة يعني أربع ساعات قال : نحن مستعدون أي إنسان يبين لنا خطأنا فنحن مستعدون ، ودعا علماء السعودية بالذات إلى بيان الحق ، فلعل الله هداهم عما كانوا عليه من قبل.

### الفتوى السابعة : بيان أن في جماعة التبليغ من هو جاهل :

السؤال [70] : قابلت أحد قادة التبليغ من الموجودين هنا في المملكة , يقول : إن مكة ليست مهبط الوحي وإنما مهبط الشيطان, وأن مهبط الجهد باكستان؟

الشيخ : الظاهر أنه باكستاني!

السائل : لا هو سعودي هنا.

الجواب : هذا جاهل! علمه جزاك الله خيراً, أول ما نزل الوحي على رسول الله أين هو؟ اسأله.

السائل : بلغناه يا شيخ!

---

[70] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(208)

الشيخ : إذا كنت بلغته فقد قامت عليه الحجة, وأمره إلى الله, لكن لا يحكم على الجماعة بحكم الفرد.

السائل : هو يقود؟

الشيخ : ولو قادهم لا يطيعون بهذا أبداً, ونحن شاهدنا تأثيرهم ، شيء عجيب! وإيثارهم وحسن أخلاقهم, صحيح أن عندهم جهل لكن يجب على طلبة العلم أن يوجهوهم.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

### الفتوى الثامنة : حث طلاب العلم على نصح جماعة التبليغ :

السؤال 71 : عندما تكلمتم في الدرس الماضي عن جماعة التبليغ سمع أحد الإخوان هذا الكلام ، فقال : لو خرج الشيخ لكان له رأي آخر, فما رأيكم في هذا الكلام؟

الجواب : ما هو الرأي الآخر؟ يقول : الشيخ ما قد خرج قبل هذه المرة.

لكن ما هو الرأي الآخر الذي يظن أن أقوله؟ لا نعلم ما رأيك على كل حال ليس لنا إلا ما يظهر لنا, لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إنما أقضي بنحو ما أسمع. »

لكن قد خرج طلبة العلم معهم؟ خرج معهم طلبة العلم, ليت الطلبة يخرجون معهم حتى إذا رأوا ما يخالف الشرع دلوهم على الحق.

---

[71] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(209)

## الفتوى التاسعة : منهج جماعة التبليغ :

السؤال 72 : كثير من الناس يكون مع جماعة الدعوة والتبليغ , هل تنصح عامة الناس أن يذهبوا معهم, وإذا كان هناك خطأ نرجو توضيحه للناس؟

الجواب : جماعة الدعوة والتبليغ لا شك أن الناس اختلفوا فيهم, وكثر الكلام فيهم, وأنا ما رأيت من أحدهم شيئاً أستطيع أن أحذر منهم, ولكن من قدر على أن يبقى في بلده لطلب العلم فهو لا شك أفضل من الذهاب معهم؛ لأن طلب العلم أفضل من العبادات.

والذي أنتقد عليهم فيه هو أنهم قليلو العلم, بمعنى : أنهم لا يحرصون كثيراً على طلب العلم, ولكنهم عندهم عاطفة دينية جياشة ، وعندهم محبة للخير والإيثار وغير ذلك, وكم من أناس اهتدوا على أيديهم, ففي سعيهم بركة, ولكن الإنسان المؤمن إذا رأى منهم شيئاً محذوراً نصحهم فإن امتثلوا فهذا المطلوب, وإن لم يمتثلوا تركهم. )

## الفتوى العاشرة : تأثير جماعة التبليغ في الواقع :

السؤال [73] : ما رأيك في جماعة التبليغ والذهاب معهم كمبتدئ لوجود بعض الخطأ؟

الجواب : هل لهذه الجماعة تأثير في هداية الناس؟

السائل : لا.

---

[72] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(114

[73] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(212)

هذا تكذيب بالواقع, كلامك هذا تكذيب بالواقع, والواقع أن لها تأثيراً عظيماً في هداية الناس, كم من فاسق صار مستقيماً, وكمن كافر أسلم, هذا شيء لا ينكره أحد, إلا من اتخذ منهم موقفاً معيناً فإن الحسنات تكون سيئات, وهذا معروف كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

حدثني من أثق به عن شخص لا أثق به إلا في هذه القضية, كان له ابن أخت فاسقاً فاجراً ، ما من معصية ذكرت إلا ارتكبها, مظلم الوجه, سيئ الملكة, يقول في يوم من الأيام فقدنا هذا الرجل, بقي خمسة أشهر أو أكثر أو أقل تقريباً, فقلنا لعل الله أتى بسائق مجنون وارتطم به! ويقول بعد مدة ما بين صلاة الظهر وصلاة العصر, رجل يقرع الباب فقلنا من؟ أي : الخال؛ لأن هذا ابن أخته يقرع الباب السلام عليكم, والرجل هذا قال : أسأل الله ألا يبتليني! مَنْ الرجل المطوع الذي جاءنا في هذا الوقت؟ فقام وفتح الباب, وإذا بالرجل البهي المنور وجهه الملتحي, من أنت؟ قال : أنا ابن أختك, ولم يعرفه, قال : لو تريدني أن أعد لك الآن حجر البيت, وغرف البيت, وحمامات البيت, وأنواع الفرش في البيت لفعلت! المهم أنه قال له : ادخل, فدخل, وقال : ما الذي حولك إلى أن صرت إلى هذا الحال؟ قال : والله! الحقيقة إني ما عرفت الدنيا ولا أني مخلوق إلا بعد ما حصل, قال : ما الذي حصل؟ قال : جاءني إخوة من جماعة التبليغ واتصلوا بي وقالوا ادخل معنا في المسجد اسمع الذكر واسمع القرآن, ففعلت, ثم قالوا لي : اذهب إلى الحمام وتغسل وتنشط, وقالوا : اخرج معنا, فخرجت معهم, تسبيح وقراءة قرآن وصلاة وإيثار وخدمة, تعجبت قلت : هل هذا في عالم آخر غير عالمنا؟ يقول : فمشيت معهم وسبحان الله عرفت الآن أنني في الدنيا, استنار قلبي وهداني الله, وقصص كثيرة من هذا النوع أو القريب منه, فلهم تأثر بالغ.

لكن فيهم مسألتين : المسألة الأولى : الجهل, ليس عندهم علم, قد يكون أفراد منهم عندهم علم لكن غالبهم ليس عندهم علم.

المسألة الثانية : ما يذكر من البدع في القوم الذين خارج البلاد السعودية , على أن هذا غير مسلَّم, لأنه يوجد أناس من أهل القصيم ذهبوا إلى الأمكنة تلك ويقولون : والله ما رأينا شيئاً! بل كان الرجل يأتي منهم له تسعين سنة ثم يصلى المغرب ويخطب إلى العشاء, وبعد صلاة العشاء خطب إلى ثلث الليل, وهو كبير السن وكل كلامه ليس فيه ما ينتقد, ولما انتهى أتينا سلمنا عليه ولما عرف أننا من السعودية جلس وقال : الحقيقة نحن ما نريد إلا الحق, والواجب عليكم أنتم يا علماء السعودية إذا سمعتم عنا أي شيء بلغونا عنه.

فالحاصل أن الجماعة لا شك أن لهم تأثيراً بالغاً في إصلاح القلوب وإرجاعها, ولكنهم يحتاجون إلى علم.

## الفتوى الحادية عشرة : كيفية التعامل مع جماعة التبليغ :

السؤال [74] : نسب إليكم أحد الأشخاص أنكم تؤيدون جماعة التبليغ ، ما قولكم في هذا؟

الجواب : كيف نؤيدهم ماذا نقول؟ السائل : يقول : بأنك تقول : جائز الذهاب معهم.
الشيخ : نعم.
أنا أقول : جائز ، وقد يتعين على طالب العلم الذي إذا خرج معهم أرشدهم إلى الحق ، الجماعة ليسوا يفعلون المنكرات الظاهرة ، لكن صحيح أنه ثبت عنهم قصور ويحتاجون إلى من يعلمهم ويرشدهم ، وإلا فمن عرف حالهم وعرف إيثارهم وأخلاقهم وآثارهم يقول : هذه جماعة لا يوجد لها نظير. فهم أسلم على أيديهم كثير من الناس ، وصلح على أيديهم كثير من الفساق ، وهذا أمر لا ينكر ، وفيهم من الإيثار واللطافة وحسن الخلق ما لا يوجد في غيرهم ، لكن عندهم جهل لا شك ، فإذا خرج الإنسان معهم ليرشدهم ويقول : يا إخواني! هذه مثلاً بدعة ، هذه لم تأت بها السنة ، فهذا خير ، أنا أحب أن طلاب العلم يأتون بهم ويرشدونهم أو يخرجون معهم ويرشدونهم.

---

[74] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(224)

أما أن نبقى نتلاعن فيما بيننا ، ونبدع أو نكفر أو ما أشبه ذلك ، فهذا غلط ، ولا مجال لذكر الوقائع التي وقعت من تأثير هؤلاء في فساق وكفار وملحدين.

لكن لو قال شاب : هل الأفضل أن أخرج معهم ، أو أطلب العلم؟ قلنا : الأفضل تطلب العلم لا شك؛ لأنهم هم ليس عندهم زيادة علم ، أكثر ما عندهم النظر في الأخلاق والفضائل وما أشبه ذلك ، وهم كثير منهم لا يميز بين الصحيح والضعيف.

## الفتوى الثانية عشرة : حكم خروج النساء مع جماعة التبليغ :

السؤال [75] : انتشر عندنا في الكويت جماعة التبليغ يعظون الرجال الآن والنساء فضلاً عن الرجال بالخروج إلى جميع البلدان يحددون مدة قصيرة يدربون المرأة مدة ثلاثة أيام ثم أسبوع ثم في الخليج كذلك يعني أسبوعين بعد ذلك ينقلونها إلى مرحلة أعلى وهي مرحلة الهند والباكستان ، حتى تتدرب المرأة بحجتهم على الدعوة إلى الله تعالى أربعين يوماً ، و نقل عنك أيضاً أن أحد الإخوة يأتي هنا إلى القصيم ويقول : إنك ترى جواز الخروج مع النساء فهل هذا صحيح؟ ونريد كلمة هل هم جماعة حق ويخرج معهم ويجتهد الإنسان معهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ويبذل الإنسان ماله ووقته؟

الجواب : أما ما نسبه إليَّ من أني أقول : حتى النساء يخرجن فهذا غير صحيح ولا علمت أن النساء يخرجن في جماعة التبليغ إلا منك الآن ، وأما الجماعة فلا أحد يشك أن لها تأثير في إصلاح الناس ، كم من كافر أسلم! وكم من فاسق اهتدى! وهذا شيء معلوم ، لكن يغلب عليها الجهل ، ليس عندهم طلبة علم ولا علماء ، كما أن الذهاب إلى بلاد أخرى من بلاد العجم الباكستان أو غيرها لا نرى السفر إلى هناك ، ولا نرى حجاً إلا إلى بيت الله الحرام ، وهذا الاجتماع السنوي الذي يجتمع فيه ما يزيد على المليون ، هذا

---

[75] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(72)

شبه الحج وهذا لا نراه ، ونرى أن جماعة التبليغ يكونون في أماكنهم يدعون إلى الله عزّ وجلّ في القرى والمدن ، ونرى أيضاً أنه يلزم على طلبة العلم أن يخرجوا معهم لتعديل منهجهم ، وإصلاح ما هم عليه من الأخطاء التي قد تكون من كل أحد من الناس ، فأنا لست من الذين يذمونهم ذماً مطلقاً ، ولا من الذين يمدحونهم مدحاً مطلقاً ، لكني أرى أن في القوم خيراً ، وأن الله نفع بهم نفعاً كبيراً ، ولا أعلم إلى ساعتي هذه أن أحداً من الناس أثر ولا سيما في العامة مثل ما أثر هؤلاء.

## الفتوى الثالثة عشرة : حكم الاجتماع السنوي لجماعة التبليغ :

السؤال [76] : فضيلة الشيخ! ذكرت في الإجابة على قبل السابق أنك لا ترى الذهاب إلى باكستان وتذكر أن فيه بعض الخرافات ، هل يا صاحب الفضيلة! ذهبت إلى هذا الاجتماع ، أو أرسلت من تثق به حتى تتكلم عن هذا الاجتماع؟

الجواب : أما أنا فلم أذهب ولم أرسل أحداً بصفة تكليفية ، ولكن الذين ذهبوا وعادوا من هناك انقسموا أيضًا إلى قسمين : قسم منهم قال : ما رأينا خطأً إلا خطأً ، يعني : لا تنافي الإسلام ، لكن مجرد الاجتماع في وقتٍ معين في مكان معين بهذه الكثرة كأنها عيد يتكرر أو كأنه موسم حج ، ومجرد وقوع هذا الأمر لا نعلم له أصلاً من الشرع لا في زمن الخلفاء الراشدين ولا من جاء بعدهم. ثم إن أكثر الإخوان الذين يتكلمون يقولون : إن عندهم بدعة في هذا المجتمع وإن كانت لا تعلم بالخطب ، لكن يختارون بعض رؤساء الجماعات ويتكلمون معهم في أشياء ، لاسيما إذا كانوا من غير البلاد «السعودية» ، فالله أعلم.

ونحن نقول : مادام الشيء فيه احتمال ، وما دام أصل هذا التجمع في وقت محدد في كل سنة ليس له

---

[76] الشيخ ابن عثيمين من لقاءات الباب المفتوح، لقاء رقم(18)

أصل من السنة ولا من عمل الخلفاء فتركه أولى.

السائل : فضيلة الشيخ! هذا الاجتماع ليس هو المقصد ، وإنما المقصد هو تفريغ الأوقات للدعوة والتضحية في سبيل الله؟ الشيخ : إذا كان ذلك مقصدهم فيقال لهم : لستم أحرص من الخلفاء الراشدين ولا من الأئمة الذين سبقوكم ، ولا عهدنا أنهم يجتمعون حتى في المدينة التي هي أصل الإسلام وأصل السنة ، ما سمعنا أنه يكون فيها اجتماع كهذا الاجتماع ، يبلغون أحياناً مليون شخص ، ما سمعنا هذا.

وأنا في الحقيقة موقفي منهم ليس كموقف الإخوان الذين يشددون فيهم ويصفونهم بالبدعة ويصفونهم بالضلال ويحذرون منهم ، ولكن موقفي الذي أدين الله به أن لهم تأثيراً لا يوجد له نظير في إصلاح الخلق وترقيق القلوب ، ولكن عندهم أمور تحتاج إلى تعديل ، ونحن قد كتبنا إلى بعض الإخوة قلنا لهم : لو أنهم جعلوا أساس ما يدعون إليه حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في مجيء جبريل عليه السلام في سؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم لـما انتهى قال : «أتدرون من السائل قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. »

فشرائع الدين وشعائر الدين موجودة في هذا الحديث ، لو جعلوا هذا الحديث هو الأساس لكان أولى.

أما إذا جعلنا هذه الصفات الست هي الأساس فمن واضعها؟ واضعها فلان من الناس معروف عندهم ، وبهذا يكون في قلب الإنسان اتباع لهذا الشخص وتناسٍ لاتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ لأنه جعل هذا هو الأساس في دينه ودعوته ، وهذه خطيرة ، هذه شرك في الرسالة ، ليس شرك في الألوهية والعبادة ، ولكنها شرك في الرسالة ، إذا قام بقلبه أنه يتبع هذه الأسس الستة التي أسسها فلان ، وأن هذه هي العبادة وهذا هو الدين فمسألتها خطيرة ، والإنسان يجب عليه أن يجرد شيئين لا يشرك أحداً فيهما : الإخلاص لله في العبادة ، وهذا إخلاص في القصد ، والإخلاص للرسول بالاتباع وهذا إخلاص الاتباع.

وهذه المسألة عظيمة كما قال ابن القيم في النونية فاجعل لنفسك هجرتين ، الهجرة الأولى : إلى الله ، والهجرة الثانية : إلى الرسول ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته

إلى الله ورسوله» هجرتك إلى الله بإخلاص التوحيد وهجرتك إلى الرسول بتجريد المتابعة بحيث لا تتابع إلا الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

السائل : هو أخذ بكلمة لا إله إلا الله فكلامهم كيف يخرج اليقين الفاسد من القلب كعبادة الأشياء ويدخل اليقين على ذات الله؟ الشيخ : فلا إله إلا الله تفرد العبادة لله وحده ، أي : لا معبود بحق إلا الله ، ومحمد رسول الله تفرد الاتباع له وحده.

السائل : في الزيارات يقولون : كيف يحيا الدين فينا وفي الناس أجمعين ، يعني : إن زار الناس كيف يحيا الدين فيهم وفي الناس ما هم فيه؟ الشيخ : على كل حال نيتهم إن شاء الله طيبة ، لا نقول في نيتهم شيئاً ، وتأثيرهم كبير وأخلاقهم نادرة الوجود ، لكن يحتاجون إلى تعديل في المنهج ، كل إنسان خطاء ، إذا أصاب في شيء أخطأ في آخر ، ولكن كيف نعالج هذا الخطأ؟ هذا هو محل الكلام.

## فصل في ذكر جهود الشيخ عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله وفتاواه في منهج حركة التبليغ الدعوية :

### مكانة الشيخ بن جبرين رحمه الله من الشيخين محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز رحمهما الله:

واعلم بارك الله فيك أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (1933 13 يوليو 2009) (1352 هـ 20 رجب 1430هـ) من تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المقربين الذين لازموه فترة طويلة فى حياته ، فهم المقربون له والملازمون له فى حله وترحاله ، وهو أيضا من تلامذة الشيخ بن باز رحمه الله .

ففي عام 1374انتقل الشيخ عبد الله من بلدة الرين إلى مدينة الرياض مع شيخه عبد العزيز الشثري أبو حبيب ، وقد رافق ابن جبرين شيخه في الرياض حتى توفاه الله في عام 1384هـ .وقد درس ابن جبرين في الرياض على يد الشيخ محمد بن إبراهيم في الحديث والنحو والصرف والمصطلح وأصول الفقه وغيرها من العلوم. وفي المساء يذهب ابن جبرين لحضور دروس الشيخ عبد العزيز بن باز بعد العصر وبعد المغرب في الجامع الكبير ابتداء من عام .1374وكذلك حضر ابن جبرين في الرياض مجالس الشيخ عبد الله بن حميد واستفاد كثيراً منه في الأحكام والقصص والعبر والتاريخ. وفي سنة 1375هـ بدأ ابن جبرين بقراءة في الأصول على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

**فالشيخ بن جبرين عالم كبير شهد له القاصي والداني ، ومن أفضل ميزاته أنه مؤدب مع العلماء الكبير منهم والصغير ، لم يعرف عنه أنه وقع في أحد منهم بالسلب ، ولم يؤثر عنه رد غير لائق على أحد أقرانه فضلا عن أحد شيوخه ، فكان رحمه الله عفيف اللسان متواضعا مجتهدا فى الدعوة إلى الله والتعليم والتعلم حتى وافته المنية .**

## تأييد الشيخ بن جبرين رحمه الله وتأكيده بأن الشيخ بن باز رحمه الله كان يؤيد التبليغ :

سبق أن بينا أن الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله أكد قبل وفاته بستة أشهر فقط فى لقاء مسجل معه بالصوت والصورة أن الشيخ محمد بن إبراهيم كان يمدح ويوجه بالتعاون مع دعوة التبليغ ، وأن الشيخ بن باز رحمه الله كان يفتي بذلك أيضا إلى أن مات ولم يتراجع أحد منهم عن فتواه ! وبين أن حمود التويجري حاول مخالفتهم ولكنه لم يستطع نشر كتابه فى حياة الشيخ بن باز فلما مات نشره وتجرأ عليه ، وهذا كل واضح بصوته وصورته فراجعه .

## رفض الشيخ بن باز رحمه الله تقريظ كتاب ( القول البليغ ) للشيخ التويجري :

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن جبرين أن الشيخ جمود التويجري عرض كتابه القول البليغ على الشيخ بن باز رحمه الله طمعا فى تقريظه والتقديم له على عادته فى جل كتبه ! ولكنه فوجىء برد فعل الشيخ بن باز الذي رفضه ورفض التقريظ له لانه كتاب افتراءات وكذب وتدليس ! ونصح الشيخ شفهيا بعدم نشر هذا الكتاب واشتهر هذا الامر بين العلماء ولذلك لم يجروء الشيخ التويجري على نشره فى حياة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله المفتى الهام للمملكة والشيخ المقدم فيها آنذاك .

## جانب من فتاوي الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله في منهج الدعوة والتبليغ :

هنا نستعرض بعض الفتاوى والأجوبة الصريحة التي تناول فيها الشيخ بن جبرين رحمه الله أهل التبليغ ، وهي غيض من فيض وذلك لأن الشيخ رحمه الله تعالى كان منصفا وصادعا بالحق في مثل تلك المسائل والطبوليات ، وكل هذه الفتاوى وغيرها الكثير مثبت في مؤلفاته وتسجيلاته الصوتيه والمرئية وبرامجه التي قدمها ويعلمها تلامذته وخواصه وعامة الناس .

## الفتوى الأولى : حول جماعة التبليغ

السؤال : لدى هذه الجماعة (جماعة التبليغ) إعراض عن طلب العلم وإذا حثهم أحد على ذلك يغضبون ولا يتقبلون منه فما رأيكم في ذلك؟

الإجابة : هذا الوصف قد ينطبق على بعض الباكستانيين أو الهنود فيرون أن طلب العلم يريدون به أن نوافل العلوم تشغلهم عن الدعوة ، وأما من على هذه الطريقة من أهل هذه البلاد فنرى أنهم ليس معهم جهلٌ بأحكام الشريعة فلو سألتهم عن المحرمات كحكم الربا والزنا والقتل والخمر لأجابوا بأنها حرام وأوردوا الأدلة ، فإن كثير منهم يحفظون القرآن أو أكثره ، وقد قرأوا تفسيره مرة أو مرارًا وكذلك أيضًا قرأوا في السنة حيث جلسوا عند المشايخ أعوامًا عديدة ، وقد درسوا في المعاهد أو المدارس العلمية ونهلوا من العلم ما فيه فائدة وما يحتاجون إليه ، فهم يقولون إننا قد عرفنا كيف نعبد ربنا وكيف نتخلص من الحرام فعرفنا الشرك ووسائله واسمه وعقوبة من عمله وعرفنا البدع والمعاصي ولا حاجة بنا إلى العلوم الزائدة أو الخلافيات ونحو ذلك ، وحيث أنهم عندهم مبادئ العلوم وكذلك عندهم الكتب التي ألفها أئمة السنة وعلماء الأمة فنقول لا نقص عليهم ، فلم نشاهد أنهم في الصلاة يتركون ركنًا ولا واجبًا ولا يفعلون مبطلا ، وكذلك في الطهارة وهكذا في أحكام الجنائز والزكاة والصوم والحج.

وهكذا في المعاملات ما عثر على أحد منهم تعامل بالربا أو بالغش أو بالغرر أو تعدى على مسلم بغصب أو نهب ولا عرفوا أيضًا بعبادة القبور ولا بفعل الفواحش ولا بتعاطي المسكرات أو المخدرات أو شرب الدخان أو الإصرار على المعاصي كحلق اللحى وإطالة اللباس وقذع الرؤوس والتشبه بالكفار وما أشبه ذلك. فعلى هذا هم يرون أن هناك من يتفرغ لتعلم فروع المسائل والراجح في الخلافيات وأنهم منشغلون في الدعوة عن الجلوس للتزود من نوافع العلوم حيث قد حصلوا على أصولها التي لا يسع أحدًا من العامة أو الخاصة الجهل بها ، ثم إن طريقتهم في الدعوة الاقتصار على الأمر بالعبادات فروضها ونوافلها سواءً بالقول أو بالفعل

وعلى النهي عن المحرمات المكفرة والمبدعة والمفسقة وينهون عنها بطريقة العمل الذي فيه إقناع لمن عرفه فلا يعابون بترك تعلم نوافع العلوم وغرائب المسائل التي هي نادرة الوقوع. والله أعلم.

### التعقيب على الفتوى الأولى :

وقد تم الكلام والتعليق الكامل على هذه الفتوى في كتابنا ( كشف الأستار بتبرئة الدعاة الأخيار بالرد على شبهات تصد عن سبيل الواحد القهار ) تحت عنوان (الرد على شبهة الإعراض عن طلب العلم وإذا حثهم أحد على ذلك يغضبون ولا يتقبلون منه ) فانظره بارك الله فيك .

### الفتوى الثانية : منهج جماعة التبليغ

ومن فتاوى الشيخ ابن جبرين في قسم (الدعوة الإسلامية والقضايا المعاصرة) ، وتحت تبويب (قضايا الدعوة الإسلامية ) وفي قسم ( الجماعات الإسلامية والدعوة إلى الله ) برقم [ 12809 ] تحت عنوان ( منهج جماعة التبليغ)

السؤال : ما رأيكم في منهج جماعة التبليغ وهي تنتمي إلى مشايخهم في الباكستان و الهند ؟

الجواب : جماعة التبليغ طائفة يدعون إلى الإسلام ، ولكن يقتصرون على البلاغ ؛ فأولا : كان حدوثهم في القرن الماضي . وأول من اشتهر بهذا العمل عالمٌ منهم يقال له محمد إلياس واشتهر بدعوته في الهند وفي الباكستان ولا شك أن كثيرًا من أتباعهم متصوفة وقبوريون وعندهم عقائد منحرفة في الأسماء والصفات وما أشبه ذلك . ولكن كثيرٌ منهم درسوا الإسلام والتوحيد وعرفوا العقيدة السليمة وابتعدوا عن الشركيات والخرافات ، ثم امتدت دعوتهم في الدول العربية والدول الإفريقية . وعمل بهذه الدعوة كثيرٌ من الدعاة الموحدين أهل العقيدة السليمة ، وبالأخص الذين درسوا في الجامعات الإسلامية وعلى علماء أهل السنة حيث رأوا أن هذا العمل مفيدٌ للأمة ، وأن فيه نفعا كبيرا في الدعوة إلى الله . وهذه الطريقة التي سلكوها

تعتبر دعوة بالأفعال لا بالأقوال . وقد رأوا من أسباب نجاح الدعوة كثرة الأسفار والتنقل في البلاد واصطحاب الجهلة والعصاة وتدريبهم على الأعمال الصالحة والعلوم النافعة؛ فيصحبهم الجاهل فيتعلم ما يلزمه في صلاته فرضًا ونفلًا ، ويحب العبادة ويتلذذ بأنواع الطاعة ، ويقلع عن المحرمات ويتوب إلى الله توبة نصوحًا ؛ حيث إن جميع من حوله لا يتكلمون إلا بخير ولا يسمع منهم إلا الذكر والدعاء ، ويعمرون مجالسهم بقراءة القرآن وبأحاديث الوعد والوعيد والثواب والعقاب والترغيب والترهيب ، وفضائل الأعمال والتحذير من المحرمات ؛ فيتأثر بهم ، ويرجع صالحًا مصلحًا ويؤثر في نفسه ويؤثر في أهله. فلذلك يرون أن الإنكار علنًا يكون منفرًا لمن صحبهم ؛ فلذلك قد يصحبهم المتكاسل عن الصلاة وشارب الدخان وحالق اللحية ومسبل اللباس ومتأخر عن صلاة الجماعة . ثم إنهم لا يغيرون عليه حتى لا ينفر وإنما يرغبونه في الأعمال الصالحة ويبينون له فضل الحسنات وعقوبة السيئات وآثار الذنوب . فهو يتأثر بما يرى من تنافسهم في الأعمال الصالحة وكثرة الذكر وكثرة الدعاء وكثرة النوافل ، وما يجري الله على أيديهم من الهداية والتوفيق لكثير ممن يصحبهم ؛ فيكون ذلك من فائدة إقرارهم على تلك المعاصي ؛ حتى يتأثر من تبعهم من قبل نفسه. ومن طريقتهم عدم الخوض في المسائل الخلافية التي تحدث بين أهل المذاهب ؛ فإن الخوض فيها قد يحدث فرقة وتعصبًا لبعض الأقوال وسببًا وتفرقًا في الآراء . فهم لا يتعرضون للمسائل الخلافية سواءً كانت في الأصول أو الفروع . ولكن عملهم إنما هو بما أباحه الشرع أو حث عليه أو رغب فيه . ومتى سئلوا عن هذه المسائل أحالوا من سألهم على أكابر العلماء في مختلف المذاهب. وقد رأوا من طريقتهم ألا يخوضوا في مسائل العقيدة التي فيها خلافٌ مع الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم . ولكن هم في أنفسهم قد درسوا في الجامعات الإسلامية في داخل المملكة ؛ فعقيدتهم عقيدة أهل السنة فيما يظهر منهم . ولكن قد يخالفون بعض الأشاعرة الذين معهم نقصهم في العلم وخطأ في المعتقد ، والذين قد اقتنعوا بما هم عليه من عقيدة الأشاعرة ؛ فيرون عدم مناقشتهم في هذه العقيدة لكثرة من انتحلها من مشاهير العلماء السابقين واللاحقين فتخطئتهم يستلزم القدح في كثير من العلماء كـ النووي و ابن حجر و ابن دقيق العيد و العز بن عبد السلام و السيوطي و السفاريني وفي الطعن

في هؤلاء صدود عن كتبهم وهجرٌ لمؤلفاتهم ؛ مع ما فيها من الفوائد والعلوم النافعة. فرأى هؤلاء الجماعة عدم الخوض مع من ينتحل المعتقد الأشعري وفي الأسماء والصفات مع اقتناعهم بتقديم عقيدة السلف الصالح والصدر الأول من علماء الأمة . وعلى ذلك فنقول : هؤلاء الجماعة الذين في هذه البلاد لا بأس بالخروج معهم في داخل المملكة وفي الدول العربية ونحوها . ولا بأس بمناهجهم وما يرددونه وما يحفظونه من الوصايا والعلوم القولية والفعلية. وأما الباكستانيون والهنود من هذه الجماعة ؛ فالظاهر أنهم على معتقد الصوفية ، وأن عندهم شيء من رواسب القبوريين ؛ فلذلك نقول لا يصحبهم إلا من هو على بصيرة من دينه ومعرفة بالعقيدة السليمة والتوحيد الصحيح وما يضاده من الشرك ومن وسائل الشرك .

### التعقيب على الفتوى الثانية :

إن فتوى الشيخ ابن جبرين رحمه الله السابقة حول منهج التبليغ تتناول نشأتهم وأسلوب دعوتهم ، حيث يقر بأنهم جماعة تدعو إلى الإسلام ، لكن يقتصرون على البلاغ دون التعمق في المسائل العقدية. ويشير إلى أن بعض أتباعهم لديهم انحرافات عقائدية ، خاصة في الهند والباكستان ، ويقر أيضا بأن كثيرًا منهم تعلموا العقيدة الصحيحة وابتعدوا عن الشركيات.

كما يوضح أن أسلوبهم في الدعوة يعتمد على الأفعال أكثر من الأقوال ، حيث يصحبون العصاة والجهلة ويؤثرون فيهم تدريجيًا من خلال الصحبة الصالحة ، مما يؤدي إلى إصلاح سلوكهم وتوبتهم. يرى أن عدم إنكار المعاصي علنًا هو جزء من منهجهم لتجنب تنفير الناس ، وأنهم يركزون على الترغيب في الطاعات بدلًا من التشدد في الإنكار. كما يشير إلى أنهم يتجنبون الخوض في المسائل الخلافية ، سواء في العقيدة أو الفقه ، لتجنب الفرقة بين المسلمين. ويرى أن لهم جهودًا في الدعوة إلى الله ، ولكن ينبغي أن يكون من يصحبهم على علم بالعقيدة الصحيحة حتى لا يتأثر بأي أخطاء أو انحرافات محتملة.

ويؤكد أن الخروج معهم داخل الدول العربية لا بأس به ، ولكنه يحذر من مرافقة التبليغ في الهند والباكستان إلا لمن لديه بصيرة في العقيدة الصحيحة ، نظرًا لوجود بعض الانحرافات العقدية بينهم هناك.

ولابد لنا من تعقب لبعض كلامه تأكيدا لما قال من حق في حق أهل التبليغ وتوضيحا لبعض ما قد يساء فهمه من بعض ذوي العقول السقيمة ،

### فقوله رحمه الله : (جماعة التبليغ طائفة يدعون إلى الإسلام)

نعم ، نحن جماعة خرجت للدعوة إلى الله تعالى ، نتحرك في كل بقاع الأرض لإحياء القلوب وإيقاظ النفوس الغافلة ، ونسعى لنشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمرنا الله تعالى : ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [77]. ولكن هناك تحفظ كبير على لفظ جماعة لأن هذا لفظ انتشر واشتهر عن حركتنا ولكننا لا نقره لما فيه من تفريق للأمة ، والأولى أن يقال أمة الدعوة والتبليغ ، لأن عملنا هذا هو عمل الأمة كلها .

### وقوله رحمه الله: (ولكن يقتصرون على البلاغ)

اعلم رحمك الله أن البلاغ هو جوهر الدعوة إلى الله ، ولكننا لا نقتصر عليه فقط ، بل نحرص على تعلم تعليم الناس أصول الدين ، ونوجههم إلى العقيدة الصحيحة ، ونحثهم على العمل الصالح ، فالدعوة ليست مجرد إخبار ، بل هي تربية وإصلاح ، كما قال النبي ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه [78]. وهذا عام يشمل الدين كله .

---

[77](النحل : 125)

[78](البخاري)

**وقوله رحمه الله: (فأولا : كان حدوثهم في القرن الماضي.)**

نعم ، نشأت تلك الحركة في القرن الماضي ، ولكنها امتداد لمنهج الأنبياء والصحابة في نشر الإسلام ، فأصلها في القرن الأول وقد أعيد إحياء جهد الحركة للدين في القرن الماضي ، فليست محدثة ولا مخترعة بل إحياء لجهد اندثر قرونا ، فالدعوة إلى الله لا ترتبط بزمن معين ، بل هي واجب مستمر على الأمة ، كما قال النبي ﷺ : بلغوا عني ولو آية [79].

**وقوله رحمه الله: (وأول من اشتهر بهذا العمل عالمٌ منهم يقال له محمد إلياس)**

نعم فالشيخ محمد إلياس رحمه الله كان مجددًا في أسلوب الدعوة ، حيث رأى أن الأمة في هذا العصر بحاجة إلى حركة عملية تعيد الناس إلى الدين ، فأسس هذه الحركة أو تأسست تلك الحركة إحياءا لهذا المنهج الدعوي لإعادة الناس إلى الدين ، الأمر الذي أثبت نجاحه في إصلاح القلوب.

**وقوله رحمه الله: (واشتهر بدعوته في الهند وفي الباكستان)**

نعم ، قد بدأت تلك الدعوة في تلك المناطق في الهند في منطقة الميوات وهي أفقر بقاع العالم كله وأبعدها عن الدين ، ولكنها انتشرت في العالم كله ، لأن الإسلام رسالة عالمية ، ونحن نسعى لنشرها في كل مكان ، كما قال الله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ [80].

**وقوله رحمه الله: (ولا شك أن كثيرًا من أتباعهم متصوفة وقبوريون وعندهم عقائد منحرفة في الأسماء والصفات وما أشبه ذلك.)**

---

[79] (البخاري)

[80] (سبأ : 28)

قد لا ننكر أن بعض الأفراد المنضمين لمنهج الدعوة في بلاد العجم وقليل من العرب قد يكون لديهم أخطاء كاتباعهم وتأثرهم لبعض المتصوفة تبعا لعلماء بلدهم أو بعض المخالفات – غير المفسقة أو المكفرة في العقيدة ، ولكن الأمر المسلم به هو أن هذا ليس منهج الجماعة المنتشرة في بقاع الدنيا كلها ، فنحن كمنهج دعوي حركي عالمي ندعو إلى دين الله الكامل الشامل ، وإلى التوحيد الخالص ، وإلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسنته ومنهجه ودينه ، ونحرص على تصحيح المفاهيم الخاطئة بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا ندعوا إلى منهج شيخ ولا إمام ولا فرقة معينة ولا جماعة ولا مذهب ، بل الدعوة إلى الدين الكامل والإسلام العظيم ، كما قال النبي ﷺ : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق [81].

وأما اتهام بعض الناس اتهامات باطلة لحركة التبليغ والدعوة ، يصفونهم فيها بأنهم قبوريون أو أصحاب عقائد منحرفة ، دون تثبّت أو عدل في النظر. فخطأ محض والحقيقة أن جماعة التبليغ والدعوة نشأت على أساس الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع التركيز على إصلاح الفرد وربطه بالصلاة والمسجد ، بعيدًا عن الجدالات السياسية أو الخلافات العقدية.

وقد أثنى عدد من العلماء المعتبرين على جهود الجماعة ، مثل الشيخ ابن باز رحمه الله ، الذي قال: من كان منهم على السنة ، ويدعو إلى الله على بصيرة ، فلا بأس بالخروج معه. وهذا يؤكد أن الحكم لا يُطلق بالجملة ، بل يُنظر إلى التزام الأفراد بمنهج أهل السنة.

أما ما يُقال عن القبورية والانحراف ، فهو تعميم لا يصح شرعًا ولا عقلًا؛ فقد توجد أخطاء فردية كما في أي جماعة بشرية ، لكن لا يجوز أن تُحمّل الجماعة كلها تبعات تصرفات بعض أفرادها ، خاصة إذا كانت هذه التصرفات لا تعبّر عن منهجها الرسمي.

[81](مالك في الموطأ)

الدعوة إلى الله لا تقتصر على فئة دون أخرى ، ومن الواجب أن نُحسن الظن بالمجتهدين في الخير ما داموا يلتزمون بالضوابط الشرعية. والتاريخ الإسلامي مليء بأمثلة من التعاون بين الطوائف والجماعات على البر والتقوى رغم اختلاف بعض اجتهاداتهم.

إن مثل هذه الاتهامات تؤدي إلى تمزيق الصف وتشتيت الجهود ، بينما الأصل في الدين هو جمع الكلمة والدعوة إلى الله بالحكمة والرفق ، كما أمر ربنا عز وجل: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

**وقوله رحمه الله: (ولكن كثيرٌ منهم درسوا الإسلام والتوحيد وعرفوا العقيدة السليمة وابتعدوا عن الشركيات والخرافات ، )**

هذا القول في حقيقته هو الأقرب إلى الإنصاف ، ويستحق أن يُبيَّن ويُدعم بالشواهد الواقعية والعلمية. فالكثير من المنتسبين إلى منهج التبليغ والدعوة ، سواء في البلاد العربية أو العجمية ، قد تلقوا علوم العقيدة والتوحيد ، وحرصوا على تصحيح المفاهيم العقدية ، والابتعاد عن الشركيات والخرافات التي قد تنتشر في بعض البيئات.

بل إن من أبرز ما يُلاحظ على كثير من هؤلاء هو الحرص على التوحيد العملي ، من خلال الدعوة إلى الصلاة ، والتوكل على الله ، وترك التعلق بغيره ، والابتعاد عن البدع الظاهرة. وقد شهد بذلك عدد من العلماء الذين خالطوا الجماعة أو زاروا مراكزها ، وأكّدوا أن حالها يختلف من بلد إلى آخر ، وأن كثيرًا من أفرادها في البلاد الإسلامية والعجمية على قدر طيب من الفهم والالتزام.

كما أن الجماعة في بعض الدول ، خاصة في الخليج ومصر والمغرب وتركيا وماليزيا ، قد شهدت تطورًا في مناهجها ، وبدأت تُدرج دروسًا في العقيدة الصحيحة ضمن برامجها ، وتستضيف مشايخ معروفين بالعلم والاعتدال.

ومن المهم أن نُفرّق بين المنهج العام للجماعة ، الذي يركّز على الدعوة العملية والتزكية ، وبين بعض الأفراد أو البيئات التي قد تقع في أخطاء ، كما هو الحال في أي جماعة بشرية. فالتعميم في الذم أو المدح لا يخدم الحقيقة ، بل يُبعد عن الفهم العادل.

وهذا دليل على أن الدعوة أثمرت ، وأنها ساهمت في تصحيح العقائد ، فوجود أفراد تعلموا العقيدة الصحيحة هو ثمرة من ثمار العمل الدعوي.

**وقوله رحمه الله: (ثم امتدت دعوتهم في الدول العربية والدول الإفريقية.)**

و لأن الحاجة إلى الدعوة إلى الله ملحة في كل مكان ، سعى أهل التبليغ لنشر الإسلام في كل بقاع الأرض ، كما فعل الصحابة والتابعون من قبلهم .

لقد كان لحركة التبليغ والدعوة أثر بالغ في العالم الإسلامي ، خاصة في الدول العربية والإفريقية ، من حيث إحياء روح الدعوة الفردية ، وتعزيز الارتباط بالمساجد ، ونشر مفاهيم التزكية والعبادة في أوساط الناس بعيدًا عن التعقيدات الفكرية أو الصراعات السياسية.

ففي الدول العربية ، مثل مصر والمغرب والسودان ، ساهمت الجماعة في إعادة كثير من الناس إلى الصلاة والالتزام ، من خلال أسلوبها البسيط القائم على التذكير والقدوة. وقد خرج معها آلاف الشباب في رحلات دعوية داخل القرى والمدن ، مما أحدث أثرًا ملموسًا في المجتمعات المحلية ، خاصة في المناطق المهمشة.

أما في دول إفريقيا – وما أدراك ما إفريقيا ، فقد كان لحضور الجماعة دور كبير في نشر الإسلام في بعض المناطق التي كانت تعاني من ضعف الوعي الديني. في نيجيريا ، والسنغال ، وكينيا ، وغيرها ، ساهمت الجماعة في بناء المساجد ، وتنظيم اللقاءات الدعوية ، وتكوين نواة من الدعاة المحليين الذين استمروا في العمل بعد مغادرة الوفود التبليغية.

أما عالميًا ، فقد أصبحت تلك الحركة والجماعة واحدة من أكبر الحركات الدعوية غير السياسية ، حيث تنتشر في أكثر من 150 دولة ، وتُعرف بقدرتها على الوصول إلى الناس من مختلف الطبقات والمذاهب ، دون الدخول في جدالات أو تصنيفات. وقد ساعدها ذلك على تجاوز الحواجز الثقافية واللغوية ، مما جعلها مؤثرة في الجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا أيضًا.

ورغم قلة أدبياتها المكتوبة ، فإن أثرها العملي في الواقع الاجتماعي والديني لا يُنكر ، وقد وصفها بعض الباحثين بأنها جماعة شفاهية ذات حضور مجتمعي واسع .

**وقوله رحمه الله: (وعمل بهذه الدعوة كثيرٌ من الدعاة الموحدين أهل العقيدة السليمة ، وبالأخص الذين درسوا في الجامعات الإسلامية وعلى علماء أهل السنة حيث رأوا أن هذا العمل مفيدٌ للأمة ، وأن فيه نفعا كبيرا في الدعوة إلى الله.)**

لقد تأثر كثير من الدعاة في بلادنا ، ممن تلقوا تعليمهم في الجامعات الإسلامية في السعودية والدول العربية ، بدعوة جماعة التبليغ والدعوة ، لا من باب التقليد ، بل من باب الاستفادة من منهجها العملي في الدعوة إلى الله ، خاصة في جانب التزكية ، وربط الناس بالمساجد ، وتفعيل الدعوة الميدانية.

ففي المملكة العربية السعودية ، على الرغم من وجود تحفظات رسمية على حركة الجماعة ، إلا أن عددًا من الدعاة الذين تخرجوا من جامعات كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، شاركوا في الخروج الدعوي مع الجماعة في الداخل والخارج ، بعد أن لمسوا أثرها في إحياء روح الدعوة الفردية ، وتقوية الإيمان العملي لدى الناس. وقد صرح بعضهم بأنهم وجدوا في هذه التجربة وسيلة فعالة لتطبيق ما تعلموه من العقيدة والتوحيد في الواقع العملي ، من خلال مخاطبة العامة ، وتذكيرهم بالصلاة ، والتوكل ، وترك الشركيات.

وفي الدول العربية الأخرى ، مثل مصر والمغرب والسودان ، التقى كثير من خريجي الأزهر وجامعات الشريعة مع جماعة التبليغ في ميادين الدعوة ، و ساهموا في تصحيح بعض المفاهيم العقدية داخل الجماعة نفسها ، خاصة في البيئات الأعجمية التي كانت تعاني من ضعف في التأسيس العلمي. وقد أدى هذا التفاعل إلى تحسين الخطاب الدعوي للجماعة في بعض المناطق ، وإدخال دروس في العقيدة ضمن برامجها اليومية أو على الأقل فحوى ومحتوى تلك الدروس أصبح سائدا .

بل إن بعض الدعاة المعروفين ، ممن عُرفوا بالتمسك بالعقيدة السلفية ، أثنوا على الجهد العملي للجماعة ، وإن لم يوافقوها في كل تفاصيل منهجها ، معتبرين أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى تنوع في الأساليب ، وأن جماعة التبليغ نجحت في الوصول إلى شرائح من الناس لم تصلها الدعوات الأخرى.

هذا التفاعل بين الدعاة في الجزيرة والدول العربية وبين تلك الحركة والجماعة ، خاصة في الدول العربية ، أنتج نماذج دعوية متزنة ، تجمع بين سلامة العقيدة ، وروح التواضع ، والعمل الميداني ، والبعد عن الجدل ، مما جعل أثر الدعوة أوسع وأعمق.

وهذا يؤكد أن تلك الجماعة ليست منحرفة ، بل فيها علماء ودعاة موحدون ، يعملون على نشر العقيدة الصحيحة وتصحيح الأخطاء.

ولأن الدعوة إلى الله هي أعظم عمل يمكن أن يقوم به المسلم ، وهي سبب في هداية الناس وإصلاح المجتمع ، كما قال النبي ﷺ : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم (البخاري ومسلم).

**وقوله رحمه الله: (وهذه الطريقة التي سلكوها تعتبر دعوة بالأفعال لا بالأقوال.)**

فالمقصود بأن دعوة أهل التبليغ دعوة بالأفعال لا بالأقوال هو أن منهجهم في الدعوة يركّز على القدوة العملية والسلوك اليومي أكثر من التركيز على الخطب والمحاضرات. فهم يرون أن التأثير الحقيقي في الناس لا يكون

فقط بالكلام ، بل بأن يرى المدعو في الداعية صورة حية لما يدعو إليه من التواضع ، والصدق ، والعبادة ، وحسن الخلق.

ويتضح المعنى بالآتي :

1. القدوة قبل القول : أهل التبليغ يحرصون على أن يكونوا قدوة في الصلاة في وقتها ، وذكر الله ، والتعامل الحسن ، حتى يُلهموا الناس بالعمل لا بالكلام فقط.
2. التعايش مع الناس : يخرجون إلى القرى والمدن ويقيمون مع الناس ، يصلّون معهم ، ويأكلون معهم ، ويشاركونهم الحياة اليومية ، مما يجعل دعوتهم ملموسة ومؤثرة.
3. قلة الجدال وكثرة العمل : لا يدخلون في نقاشات فكرية أو جدالات مذهبية ، بل يركّزون على إصلاح القلب والسلوك ، ويتركون الأثر من خلال المعايشة.
4. التركيز على التزكية : يرون أن إصلاح النفس وتزكيتها هو مفتاح التأثير ، فيجتهدون في الذكر ، والصلاة ، والخدمة ، ليكونوا صادقين في دعوتهم.

وقد عبّر بعض العلماء عن هذا المعنى بقولهم: هم يدعون الناس إلى الله بأحوالهم قبل أقوالهم ، أي أن حالهم وسلوكهم هو الذي يجذب الناس إلى الدين. وهذا هو جوهر الدعوة ، فالإسلام انتشر بالأفعال قبل الأقوال ، ونحن نحرص على أن يكون سلوكنا نموذجًا عمليًا للناس.

والقول بأن دعوة أهل التبليغ دعوة بالأفعال لا بالأقوال يعكس جوهر منهجهم العملي في التأثير على الناس ، وهو ما يُعرف في علم الدعوة بـ الدعوة بالحال :

ففي الوقت الذي تعتمد فيه كثير من الجماعات الدعوية على الخطب والمحاضرات والمناظرات ، اختارت جماعة التبليغ طريقًا مختلفًا ، يقوم على إحياء القدوة العملية ، بحيث يكون الداعية نفسه هو الرسالة. فهم لا

يكتفون بالكلام عن الصلاة ، بل يحرصون على أدائها في أول وقتها ، في المسجد ، بخشوع ظاهر. ولا يكتفون بالحديث عن التواضع ، بل يعيشونه في لباسهم ، وأسلوب كلامهم ، وخدمتهم للناس.

وهذا الأسلوب الجميل له عدة آثار حسنة :

1. التأثير الصامت الفعال : كثير من الناس يتأثرون بما يرونه أكثر مما يسمعونه. فحين يرى شخصٌ داعيةً يبيت في المسجد ، ويخدم إخوانه ، ويأكل معهم ببساطة ، ويتعامل بلين ورحمة ، فإن هذا السلوك يترك أثرًا عميقًا في النفس ، قد لا تتركه موعظة طويلة.
2. تحاشي الآثار السلبية للجدل المذموم: أهل التبليغ لا يدخلون في نقاشات فكرية أو مذهبية ، بل يركّزون على إصلاح القلب والسلوك ، مما يجعل دعوتهم مقبولة لدى شرائح واسعة من الناس ، حتى من غير المتدينين.
3. الاستمرارية والتكرار العملي : من خلال الخروج الدعوي ، يعيش الداعية مع الناس ، ويكرر السلوك الصالح أمامهم ، مما يرسّخ المعاني في القلوب دون الحاجة إلى كثرة الكلام.

وقد أشار بعض العلماء إلى أن هذا الأسلوب يُشبه حال النبي ﷺ حين مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يعلّم الناس التوحيد بالأقوال والأفعال ، ويصبر على الأذى ، ويخدم الناس بنفسه ، حتى قال عنه الصحابة: ما رأينا أحدًا أحسن خلقًا منه .

فدعوتهم بالأفعال ليست بديلاً عن القول ، ولكنها تُقدّم العمل كوسيلة أولى للتأثير ، ثم يأتي القول بعد ذلك ليشرح ويُبيّن. وهذا ما يجعل دعوتهم نافذة إلى القلوب ، خاصة في المجتمعات التي تعاني من الجفاء أو ضعف الارتباط بالدين.

**وقوله رحمه الله: (وقد رأوا من أسباب نجاح الدعوة كثرة الأسفار والتنقل في البلاد واصطحاب الجهلة والعصاة وتدريبهم على الأعمال الصالحة والعلوم النافعة؛)**

لأن تغيير البيئة يساعد في إصلاح النفوس ، ويجعل الإنسان أكثر استعدادًا للتغيير والتوبة ، كما قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ [82].

فقد تميزت جماعة التبليغ والدعوة بأساليب دعوية فريدة أثبتت أثرها في الواقع ، خاصة في تأثيرها العملي على العصاة والبعيدين عن الدين . وهنا بيان لأهم الوسائل التي يستخدمونها ، وفوائدها في التأثير والتغيير:

أولًا: كثرة الأسفار والتنقل في البلاد :

اتباع أسلوب التنقل في البلاد من السمات البارزة لدعوة التبليغ ، حيث لا يقتصر الداعية على البقاء في منطقته ، بل يسعى إلى إيصال رسالة الإسلام إلى أبعد القرى وأصغر المساجد .وقد حقق هذا الأسلوب فوائد كبيرة على مستوى المجتمعات والأفراد.

1. كسر الروتين والجمود والانغلاق الذهني المعتاد : السفر يخرج الإنسان من بيئته المعتادة ، ويجعله أكثر استعدادًا لسماع الجديد والتأثر.
2. نقل القدوة العملية: حين يرى الناس جماعة من الدعاة يتركون بيوتهم وأعمالهم لأجل الدعوة ، يتأثرون بإخلاصهم.
3. الوصول إلى الأماكن المهملة التي لا تصلها الدعوة النظامية : كثير من القرى والمناطق النائية لا تصلها الدعوة الرسمية ، فجاءت هذه الوسيلة لسد هذا الفراغ.

---

[82] (الرعد : 11) (الرعد : 11)

4. إشعار المدعو أن الدعوة وصلت إليه شخصيًا ، مما يرفع من تأثيرها : هذا يؤدي بعد ذلك الي تعزيز روح التضحية والبذل في نفوس الدعاة

ثانيًا: اصطحاب الجهلة والعصاة وتدريبهم أسلوب عملي في التربية والإصلاح :

لا تكتفي الجماعة بدعوة الناس في أماكنهم ، بل تشركهم فعليًا في العمل الدعوي ، خاصة من كان بعيدًا عن الطاعة أو يجهل أساسيات الدين. هذا الاحتكاك المباشر يعد أداة فاعلة في قلب سلوك الفرد وتحويله من متلقٍ إلى شريك في الدعوة.

1. التدرج في التربية: لا يُطلب من العاصي أن يتحول فجأة ، بل يُصاحب ويُدرّب على الصلاة ، الذكر ، وحسن الخلق.
2. الاحتكاك بالمصلحين: الصحبة الصالحة تُغيّر القلب ، وتُعيد ترتيب الأولويات.
3. تحويل العصاة إلى دعاة: كثير ممن خرجوا مع الجماعة وهم بعيدون عن الدين ، عادوا دعاة مخلصين بعد أن ذاقوا حلاوة الطاعة.

ثالثًا: تغيير البيئة مفتاح لإعادة تشكيل السلوك والعقل :

من أعظم الوسائل التربوية التي استندت إليها الجماعة هي تغيير بيئة العاصي ، لأن البيئة الفاسدة هي من أكبر معوقات التوبة. وقد دلّ الشرع على هذا المفهوم كما في قصة قاتل المائة نفس ، حيث نُصح بالانتقال إلى أرضٍ فيها أهل صلاح.

1. أصل شرعي معتبر: كما في قصة قاتل المائة نفس ، حين أمره العالم أن يترك أرضه ويذهب إلى أرضٍ أخرى فيها أهل صلاح.

2. البيئة الصالحة تُلهم التوبة: سماع القرآن ، رؤية المصلين ، والعيش في جو من الذكر ، يوقظ القلب ويُلينه.
3. الانفصال عن المؤثرات السلبية: كثير من العصاة لا يستطيعون التغيير في بيئتهم الأصلية بسبب ضغط الأصحاب أو العادات ، فكان الخروج وسيلة للانفكاك.

رابعًا: سماع القرآن والمواعظ اليومية غذاء متجدد للفطرة:

تعتمد جماعة التبليغ على التكرار الهادئ لسماع الآيات والمواعظ الإيمانية القصيرة ، ما يتيح للمشاركين تهيئة النفس للتغيير من خلال التفاعل مع النصوص الشرعية بعيدًا عن التنظير الجاف أو الخطاب العالي النبرة.

1. تكرار الذكر والموعظة يُحدث أثرًا تراكميًا في النفس.
2. القرآن يُخاطب الفطرة ، ويُعيد الإنسان إلى أصل خلقته ، خاصة إذا سُمع في جو من الخشوع والسكينة.

هذه الوسائل ليست مجرد أدوات ، بل هي منهج عملي في التربية والتزكية ، وقد أثمرت في إصلاح آلاف من الناس في مختلف أنحاء العالم.

**وقوله رحمه الله: (فيصحبهم الجاهل فيتعلم ما يلزمه في صلاته فرضًا ونفلًا)**

وهذا هو الهدف ، أن يتعلم الناس دينهم عمليًا ، وليس فقط نظريًا. لأنه من أبرز آثار دعوة التبليغ والدعوة ، والتي قلّ من يلتفت إليها ، هو تأثيرها العملي في تعليم الجاهل ما يلزمه من أمور دينه ، وعلى رأسها الصلاة ، التي هي عمود الإسلام بعد التوحيد ، وأول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة.

أولًا: أثر صحبة الجاهل لأهل التبليغ في تعلُّم الصلاة :

حين يصحب الجاهل جماعة التبليغ ، فإنه لا يُعامل كمستمع سلبي ، بل يُدرّب عمليًا على أداء الصلاة ، فيتعلم:

1. شروطها وأركانها من خلال الممارسة اليومية.
2. الخشوع والطمأنينة ، إذ تُؤدى الصلاة في أجواء إيمانية هادئة.
3. السنن والنوافل ، مثل السنن الرواتب ، وصلاة الضحى ، والوتر ، مما قد لا يعرفه كثير من الناس.
4. الاهتمام بالوقت والجماعة ، حيث يُربّى على أداء الصلاة في أول وقتها ، وفي المسجد ، ومع الجماعة.

وقد شهد كثير من الدعاة أن من خرج معهم من العصاة أو الجهلة ، عاد وهو يحسن الوضوء ، ويقيم الصلاة ، ويحرص على النوافل ، بل ويُعلّم غيره ما تعلّمه.

ثانيًا: أهمية هذا الأثر في ضوء منزلة الصلاة :

1. الصلاة هي الفاصل بين الإيمان والكفر ، كما في الحديث: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر.
2. هي أول ما يُحاسب عليه العبد ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله.
3. هي عمود الدين ، كما قال النبي ﷺ: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة.

فإذا كانت جماعة التبليغ تُسهم في تعليم الجاهل الصلاة ، وتثبيته عليها ، فإنها بذلك تُقيم أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد ، وتُخرج الناس من الجهل إلى نور العبادة.

دعوة التبليغ ليست مجرد تذكير ، بل هي مدرسة عملية لتعليم الصلاة والتزكية ، خاصة لمن لم يجد من يعلمه ، أو نشأ في بيئة غافلة. وهذا الأثر وحده كافٍ للدلالة على عظيم نفعها ، وضرورة الإنصاف في تقييمها.

**وقوله رحمه الله: (ويحب العبادة)**

إعلم أن الصحبة الصالحة تؤثر في القلب ، وتجعل الإنسان يحب الطاعة ويبتعد عن المعصية ، ففي زوايا كثيرة من العالم الإسلامي ، وداخل قلوبٍ أنهكتها الغفلة ، كانت جماعة التبليغ والدعوة تقدم نفسها لا بالكلام ، بل بالفعل. لم يطرقوا الأبواب بخطب مُنمقة ولا أطروحات فكرية ، بل دخلوا القرى والمدن ببساطة العيش ، وصدق النية ، وجمال السلوك. ومن هنا بدأ التأثير الحقيقي.

فإن أحد أبرز سمات دعوة التبليغ هي كثرة الأسفار والتنقل في البلاد ، لا حبًا في السفر ، بل إحياءً لسنة البلاغ العملي ، وإيصال الدعوة إلى من لم تطرق مسامعه كلمة هدى منذ زمن. حين يترك الداعية وطنه ، ويتجه إلى أرض لا يعرف فيها أحدًا ، لا يحمل إلا نية البلاغ ، فإن هذا السلوك بحد ذاته دعوة بليغة. كم من قرية مهملة عاد فيها الناس إلى المساجد فقط لأن مجموعة من الدعاة أتوها يصلّون ويتلون القرآن في خشوع وصمت.

ولكن أكثر ما يثير الإعجاب ، هو أنهم لا يخرجون وحدهم ، بل يُصرّون على اصطحاب العصاة والجهلة معهم. لا يزدرونهم ، ولا يُقصونهم ، بل يُحسنون الظن بهم ، ويُعاملونهم كصحبة كريمة تستحق أن تتربى على الطاعة. يُعلّمونه الوضوء عمليًا ، والصلاة بخشوع ، ويأخذونه برفق من حياة اللهو إلى حياة الذكر. كثيرون ممن التحقوا بهم في البداية على سبيل الفضول ، عادوا وقد تعلقت قلوبهم بالمساجد ، بل وأصبحوا دعاة بأنفسهم.

ولأن البيئة تلعب الدور الأخطر في صلاح الإنسان أو فساده ، فقد كانت فكرة تغيير البيئة التي اعتادها العصاة من أقوى أدوات الإصلاح. حين يخرج الإنسان من محيطٍ يعج باللهو والمعاصي ، إلى بيئة يملؤها

الذكر والصلاة ، ويصحبه فيها من يذكره بالله ، يُولد في قلبه شيء جديد: توقٌ للطاعة ، نفورٌ من الغفلة ، وشوقٌ للحياة النقية.

ثم تأتي مجالس القرآن والمواعظ اليومية ، تلك اللحظات التي يُفتح فيها القلب لكلام الله ، بعيدًا عن صخب الحياة. لا صراخ ، ولا جدل ، فقط آيات تُتلى ، وذكرٌ يُردَّد ، ودموعٌ تنساب في سكون. هنا يبدأ القلب يدرك أنه كان غائبًا عن أعظم ما خُلق له.

والعجيب أن من يبدأ بالصلاة ، لا يتوقف عندها. فالصلاة بوابة لحب باقي العبادات. من ذاق لذة السجود ، اشتاق للصيام. ومن وجد راحة في الذكر ، بحث عن صدقة تُطهّر قلبه. دعوتهم لا تطرق كل الأبواب مباشرة ، لكنها تزرع الشوق إلى كل باب طاعة.

وهكذا ، فإن جماعة التبليغ والدعوة ، وإن كانت لا تطرح القضايا الفكرية الكبرى ، إلا أنها تُعيد ترتيب القلب ليُحب الله ، ويُقبل على شرعه ، ويبحث بنفسه عن مزيد من القرب. ومن هنا كان أثرها عظيمًا في تعليم الجاهل ، وتزكية العاصي ، وإحياء الأمل في أن من أحب الطاعة اليوم ، سيُحب بقية الشرائع غدًا ، ولو لم يُقال له حرف واحد عنها.

### وقوله رحمه الله: (ويتلذذ بأنواع الطاعة ، )

هذا هو أثر الإيمان ، فكلما زاد الإنسان قربًا من الله ، شعر بلذة العبادة ، فمن أعظم ثمار دعوة التبليغ والدعوة أنها لا تكتفي بإرجاع المسلم إلى أداء الفرائض ، بل تُوقظ في قلبه لذة الطاعة ، وتُعيد إليه الشوق إلى القرب من الله ، حتى يصبح الدين عنده محبة لا مجرد تكليف.

فحينما يصحب المسلم هذه الجماعة ، يجد نفسه في بيئة يغلب عليها الذكر ، والصلاة ، وخدمة الآخرين ، والابتسامة ، والتواضع ، والقيام في جوف الليل. لا يُطلب منه أن يُجبر نفسه على كل ذلك ، بل يراه واقعًا معاشًا ، فيتأثر دون أن يشعر. وهنا تبدأ العبادة تتحول من عادة إلى لذة .

فمن تعوّد أن يصلي في أول الوقت ، في جماعة ، بخشوع ، ثم سمع القرآن بعد الصلاة ، ثم خرج في خدمة إخوانه ، ثم نام على ذكر ، ثم استيقظ على تهجد . لا بد أن يشعر أن قلبه تغيّر ، وأن نفسه بدأت تشتاق إلى الطاعة ، لا تهرب منها.

وهذا هو السر: الطاعة حين تُمارس في بيئة إيمانية ، وبصحبة صادقة ، وبأسلوب عملي ، تُصبح محبوبة للنفس ، بل ويبدأ المسلم يبحث عن مزيد منها: يصوم تطوعًا ، يقرأ القرآن من تلقاء نفسه ، يتصدق ، يبر والديه ، ويُحسن إلى الناس ، دون أن يُطلب منه ذلك.

وقد قال بعض من خرج مع تلك الجماعة: كنت أُصلّي لأنني يجب أن أُصلّي ، أما الآن فأُصلّي لأنني لا أستطيع أن أعيش دون صلاة. وهذا هو الفرق بين من يُؤدي العبادة ، ومن يتلذذ بها .

**وقوله رحمه الله: (ويقلع عن المحرمات ويتوب إلى الله توبة نصوحًا ، حيث إن جميع من حوله لا يتكلمون إلا بخير ولا يسمع منهم إلا الذكر والدعاء)**

إن البيئة الصالحة تساعد الإنسان على التوبة ، وتبعده عن المعاصي ، كما قال الله تعالى : إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ [83].

[83](الفرقان : 70)

الأسباب التي تُبيّن كيف يُعين الخروج مع جماعة التبليغ والدعوة العبد المسلم على الإقلاع عن المعاصي والتوبة الصادقة ، مع إضافات جديدة لتعزيز المعاني:

1. الانفصال عن بيئة المعصية: خطوة أولى نحو التوبة

غالبًا ما تكون بيئة الإنسان عاملًا أساسيًا في بقائه على الذنب ، سواء كانت صحبة سيئة أو أجواء تُغذّي الشهوة والغفلة. الخروج الدعوي يُمثّل انتقالًا حقيقيًا إلى بيئة إيمانية ، فيها القرآن والذكر والصلاة والرجال الصالحون. هذا الانفصال يتيح للنفس أن تتنفس من جديد وتُبصر طريق التوبة.

2. الاندماج في بيئة الطاعة: غمر القلب بنور العبادة

مجرد التواجد مع جماعة تُقيم الليل ، وتذكّر الله صباح مساء ، وتخدم الناس بتواضع ، يُحدث صدمة إيمانية إيجابية في القلب. فيبدأ العبد بالتخلّي عن كثير مما ألفه من المحرمات ، لأنها ببساطة لم تعد تشبهه.

3. تكرار المواعظ بصيغ هادئة نافذة

في المجالس اليومية ، تُتلى الآيات ، وتُروى الأحاديث ، ويُذكّر بكلمات فيها صدق وتجربة لا مجرد تنظير. هذا التكرار اللطيف ، بلغة تُخاطب القلب ، يُنعّم النفس ويكسر قسوتها ، فيندفع العبد بصدق نحو باب التوبة.

4. الصحبة الصالحة ودافع الحياء

حين يرى العبد صحبةً تبكي من خشية الله ، وتخدم غيرها بمحبة ، وتُبادر إلى الخير ، يشعر بالخجل من تقصيره. هذا الحياء ، إن صُحب بالإخلاص ، يكون أقوى دافعٍ للترك والتوبة.

5. التوبة بالفعل لا بالقول فقط

الخروج نفسه يُعد توبة عملية. فالمعصية غالبًا ما تكون خمولًا ، والخروج دعوة للحركة. من ترك الغفلة وبدأ بالصلاة والذكر والسُنة والخدمة والدعوة ، فقد بدأ بناء نفس جديدة ، لا تُشبه نسخته القديمة.

6. الانشغال الكامل بالطاعة يقطع أسباب الذنب

حين يُملأ اليوم بالصلاة ، والذكر ، والمجالس ، والنصيحة ، وخدمة الآخرين ، لا يبقى فراغ للوساوس أو الشهوات. هذه البرمجة اليومية الإيمانية تُعيد تشكيل العادات ، وتُقطع سبل الرجوع إلى المعصية.

7. حب الله والتلذذ بالقرب منه

الذنب يُرتكب طلبًا للذة زائلة ، والتوبة تكون صعبة إذا بقيت النفس تعتقد أن المعصية أمتع من الطاعة. لكن في أجواء الخروج ، حين يبدأ العبد يتلذذ بالصلاة والقرآن والقيام ، يشعر أن الطاعة أعذب ، وأن المعصية كانت وهْمًا.

8. إعادة بناء الهوية الإيمانية

الخروج يُعيد تعريف العبد لنفسه: لم يعد شخصًا عاديًا ، بل صار عبدًا لله ، وأحد أهل الدعوة ، ومن أصحاب الهمة . هذه الهوية الجديدة تُلزمه بالثبات ، وتُشعره بالكرامة الإيمانية التي لا يُفرّط فيها لأجل شهوة.

9. الدموع الأولى في جوف الليل

كثيرون لا يبكون إلا عند البلاء. لكن من خرج في سبيل الله ، ثم وقف في تهجّد خاشع ، وذرفت عينه وهو يقول اللهم تب عليّ ، فإن تلك الدموع تبني توبة صادقة ، وتُطهر الماضي وتُشعل طريق المستقبل.

هذه الوسائل مجتمعة تُحدث تحولًا حقيقيًا: لا يخرج العبد فقط من بيئة المعصية ، بل يخرج من نفسه السابقة إلى نفسه المؤمنة الجديدة. وهذا هو جوهر التوبة النصوح ، التي تغيّر الوجهة والنية والسلوك.

وهذا هو السر في نجاح الدعوة ، فالكلمة الطيبة تؤثر في القلب ، وتغير حياة الإنسان ، كما قال النبي ﷺ : الكلمة الطيبة صدقة [84].

**وقوله رحمه الله: (ويعمرون مجالسهم بقراءة القرآن وبأحاديث الوعد والوعيد والثواب والعقاب والترغيب والترهيب ، وفضائل الأعمال والتحذير من المحرمات؛)**

إن هذه الأمور هي التي تحيي القلوب ، وتجعل الإنسان يتذكر الآخرة ، في مجالس جماعة التبليغ والدعوة ، لا يُسمع ضجيج الجدل ، ولا تُرفع فيها أصوات المناظرات ، لكنها عامرةٌ بنورٍ آخر: نور القرآن ، وأحاديث الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وفضائل الأعمال ، والتحذير من المحرمات. هذه المجالس ليست انتقائية في خطابها ، بل شاملةٌ متوازنة ، تُخاطب القلب والعقل ، وتُوقظ الفطرة ، وتُعيد ترتيب الأولويات في النفس.

حين يجلس المسلم في هذه المجالس ، يُفتتح اللقاء بتلاوة آيات من كتاب الله ، تُتلى بخشوع ، لا لمجرد البركة ، بل لتكون مفتاحًا للقلوب ، ومصدرًا للهداية. ثم تُتبع بأحاديث نبوية تُذكّر بالجنة والنار ، والثواب والعقاب ، فيُعرض على السامع طريقان: أحدهما محفوفٌ بالمكاره لكنه موصلٌ إلى رضوان الله ، والآخر مزخرفٌ بالشهوات لكنه مهلكة.

ولا يقتصر الحديث على الترغيب وحده ، بل يُوازنونه بالترهيب ، فلا يُغفل جانب الخوف من الله ، ولا يُبالغ في الرجاء ، بل يُربّى الحاضر على الرجاء والخوف معًا ، كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم. يُذكّرونه بفضل الصلاة ، وفضل الذكر ، وفضل الصدقة ، ثم يُحذّرونه من الغيبة ، والنظر المحرم ، والتهاون في الصلاة ، وسائر الذنوب الظاهرة والباطنة.

---

[84](البخاري ومسلم)

هذا التوازن هو سرّ التأثير: لا يُهملون جانبًا على حساب آخر ، بل يُربّون النفس على محبة الله ، وخشيته ، والحياء منه ، والرجاء في رحمته ، والخوف من عدله. فيخرج الحاضر من المجلس وقد امتلأ قلبه نورًا ، وعقله بصيرة ، ونفسه شوقًا إلى الطاعة ، ونفورًا من المعصية.

إنها دعوة تُغذّي القلب بالقرآن ، وتُوقظه بأحاديث النبي ﷺ ، وتُرشده بفضائل الأعمال ، وتُحذّره من المهالك ، في توازنٍ قلّ أن تجده في غيرها. وهذا ما يجعل مجالسهم مدارس إيمانية متكاملة ، تُعيد بناء المسلم من الداخل ، وتُهيّئه ليكون عبدًا لله في كل حال.

**وقوله رحمه الله: (فيتأثر بهم ، ويرجع صالحًا مصلحًا ويؤثر في نفسه ويؤثر في أهله.)**

إن هذا التأثر هو الهدف الحقيقي للدعوة ، لأن الإنسان بعده يكون صالحًا مصلحًا ، ينفع نفسه وأهله ومجتمعه.

فحين ينخرط المسلم مع أهل التبليغ والدعوة ، ويتأثر بجوّهم الإيماني ، ويذوق حلاوة الطاعة ، فإن الأثر لا يتوقف عند حدود نفسه ، بل يمتد ليشمل بيته وأهله ، ويُعيد تشكيل علاقاته ومسؤولياته على ضوء ما تعلّمه من صدق ، وتضحية ، وحرص على الخير.

فمن رجع من الخروج وقد تعلّم الصلاة ، والذكر ، والقيام ، والصدق ، والتواضع ، فإن أول من يشتاق أن يُشاركهم هذا النور هم أهله. يبدأ بتغيير نفسه ، ثم يُصلح بيته ، ويُحسن إلى زوجته ، ويُربّي أولاده على ما تعلّمه من محبة الله ، وخشيته ، والحياء منه.

بل إن من علامات صدق التوبة والتأثر أن يعود العبد إلى أهله أحنّ مما كان ، وأرفق مما عهدوه ، وأكثر حرصًا على نفعهم . فيُصبح البيت مجلس ذكر ، وتتحوّل العلاقة الزوجية إلى مودة ورحمة ، ويُصبح الأب قدوة في العبادة والخلق ، لا مجرد موجّه بالكلام.

أما ما يُقال أحيانًا من أن بعض الخارجين يُهملون أهليهم أو لا ينفقون عليهم ، فهذه حالات فردية لا تُعبّر عن المنهج ، بل المنهج الصحيح الذي يُربّى عليه الخارج مع الجماعة هو أن يبدأ بالدعوة إلى الله في نفسه ، ثم في بيته ، كما قال الله تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا. [85].

وقد قال النبي ﷺ: كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته. ، فكيف يُتصوّر أن من تعلّم هذا الحديث ، وسمعه يُتلى في المجالس ، أن يُهمل أهله أو يُقصّر في حقهم؟ بل إن كثيرًا من النساء شهدن أن أزواجهن بعد الخروج صاروا أكثر حنانًا ، وأشد التزامًا ، وأحرص على تعليم أولادهم الدين .

فالخروج الصادق لا يُنتج عابدًا منعزلاً ، بل يُنتج عبدًا صالحًا مصلحًا ، يبدأ بإصلاح بيته قبل أن يُصلح غيره. وهذا هو الأثر الحقيقي للدعوة: أن تُغيّر الإنسان من الداخل ، ثم تُفيض بركتها على من حوله.

ففي إحدى المدن الأوروبية ، دخل أحد الدعاة من جماعة التبليغ إلى حانة خمر ، حيث كان يجلس رجل مسلم يشرب الخمر بصحبة امرأة. اقترب منه الداعية بلطف ، وبدأ يُذكّره بالله ، ويحدّثه عن التوبة والرجوع ، حتى رقّ قلب الرجل ، ودمعت عيناه .أمسك الداعية بذراعه ليأخذه إلى المسجد ، بينما أمسكت المرأة بذراعه الآخر تُحاول منعه. كان مشهدًا مؤثرًا: ذراعٌ يشدّه إلى النور ، وآخر إلى الغفلة. وبعد شدّ وجذب ، غلبت يد الدعوة ، وذهب الرجل إلى المسجد ، وتعلّم الطهارة والصلاة ، وتاب توبةً نصوحًا ، واستقام على الطاعة.

هذه القصة ليست مجرد لحظة عاطفية ، بل نموذج حيّ على أن الخروج في سبيل الله يُغيّر القلوب ، ويُعيد بناء الإنسان من الداخل .فالرجل لم يُجبر على شيء ، بل رأى في الداعية قدوة ، وفي المسجد مأوى ، وفي الطاعة حياةً جديدة.

---

[85][طه: 132]

يتضح من كل ما سبق أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة وتوازن ، وأن جماعة التبليغ تسعى إلى إصلاح القلوب ونشر الخير ، مع الحرص على تصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [86].

### الفتوى الثالثة : حكم العمل مع جماعة التبليغ

في فتاوى الشيخ ابن جبرين على الموقع الرسمي ، في قسم الدعوة الإسلامية والقضايا المعاصرة في الجزء المخصص لتناول الجماعات الإسلامية والدعوة إلى الله فتوى برقم 11484 بعنوان ( حكم العمل مع جماعة التبليغ)

السؤال : جماعة الدعوة والتبليغ ما حكم العمل معهم؟

الجواب : اعلم أن جماعة التبليغ نشأت في الهند وكان فيهم هناك جهل بالسنة ، وغلو في الأموات ، وشيء من التوسل بالقبور ونحو ذلك من البدع ، ولكن قصدهم دعوة أهل الإعراض عن الدين ممن تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وقد اقتدى بهم في طريقة الدعوة بعض طلبة العلم من أهل البلاد الأخرى كالسعودية و الكويت و قطر ونحوها ، فإن كانوا من أهل العلم والتوحيد والبعد عن البدع والشركيات ، جاز الخروج معهم حيث قد هدى الله بواسطتهم خلقًا كثيرًا من الضلال الذين كانوا قد انهمكوا في الحرام من الزنا والخمر والدخان وحلق اللحى وترك الصلاة والإعراض عن الدين ، فبمجرد صحبة هؤلاء الدعاة أقلعوا عن المعاصي ، وأقبلوا على الطاعات ، وتعلموا الكثير من واجبات الدين. ثم إن طريقتهم ترغيب العامة في صحبتهم والخروج معهم إلى القرى والبوادي والمدن ، وزيارة الأفراد والوجهاء وحثهم على الخير والعمل الصالح ، ولم يكن من طريقتهم الإنكار على العاصي مباشرة مخافة التنفير ، وإنما يخرجون به حتى يشاهد اجتهادهم في

---

[86](المائدة : 2)

الذكر والعلم والتهجد والسنن والبعد عن المحرمات ، ويسمع التحذير من المعاصي والمخالفات فيراجع نفسه ويقلع عن المعاصي ولو لم يسمع إنكارهم عليه مباشرة ، فمتى كانوا من أهل العقيدة السليمة وسلموا من دعاء الأموات والتمسح بالقبور ، وتحري الصلاة عند الأضرحة ، ومن المسكرات والمخدرات واشتغلوا بالقرآن والحديث والمواعظ والنصائح ، وقاموا بالنوافل من الرواتب والأوراد والتهجد ، فلا يعابون بشيء ولا مانع من صحبتهم للاستفادة. والله أعلم, .

**التعقيب على الفتوى الثالثة :**

لقد نشأت تلك الحركة في بيئة يغلب عليها الجهل ببعض السنن وظهور بعض البدع ، مثل الغلو في الأموات والتوسل بالقبور. ورغم هذه الملاحظات ، فإن نيتهم كانت صادقة في دعوة الناس الذين أعرضوا عن الدين وتركوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

وقد اقتدى بأسلوبهم العملي في الدعوة كثيرٌ من طلبة العلم في البلاد الإسلامية كالسعودية والكويت وقطر ، ممن عُرفوا بالسلامة في العقيدة والبعد عن الشركيات ، فكان لهم أثرٌ كبير في هداية من انهمكوا في المعاصي والذنوب ، حيث أقلع الكثير منهم عن المحرمات وأقبلوا على الطاعات بعد صحبتهم للدعاة.

فأسلوب الجماعة في الدعوة يتسم بالرفق والتدرج ، فهم لا يواجهون العاصي بالإنكار المباشر ، وإنما يُشركونه في بيئة عامرة بالذكر والصلاة والتهجد والنصح ، حتى يتأثر عمليًا وسلوكيًا ، فيترك الذنب من تلقاء نفسه.

وعليه ، فمتى التزم أفراد الجماعة بالعقيدة السليمة ، وتركوا البدع والمحرمات ، وانشغلوا بالقرآن والسنة وفضائل الأعمال ، فلا يُعاب عليهم ، بل يُستفاد منهم في الدعوة والتربية.

**فقوله رحمه الله (اعلم أن جماعة التبليغ نشأت في الهند)**

نعم ، نشأت الجماعة في الهند ، ولكن الدعوة إلى الله ليست مرتبطة بمكان معين ، فهي واجب على كل مسلم في أي بقعة من الأرض ، كما قال الله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ [87].

لا يُعدّ نشوء جماعة التبليغ في الهند عيبًا في حد ذاته ، بل هو من سنن الله في انتشار الدعوة ، أن يُخرج من كل أمة من يُجدد الدين ويُحيي السنن ، ولو في أرضٍ ليست عربية ولا ذات أغلبية مسلمة. فالهداية ليست حكرًا على بلد دون آخر ، ولا على قوم دون قوم ، بل قال الله تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ [88].

فالهند ، رغم كونها بلادًا أعجمية ، كانت ولا تزال موطنًا لعلماء كبار ومراكز علمية إسلامية عريقة ، مثل دار العلوم ديوبند ، التي خرّجت آلاف العلماء والدعاة. وقد نشأت جماعة التبليغ في سياقٍ تاريخي صعب ، حيث كان المسلمون هناك محاطين بالوثنيات والبعثات التنصيرية ، فكان لا بد من حركة تُعيد الناس إلى الصلاة والتوحيد والعبادة.

بل إنه لمن الإنصاف أن يُقال: إن قيام جماعة دعوية في بيئة غير إسلامية ، ثم انتشارها في العالم الإسلامي ، دليل على صدق نيتها وقوة أثرها ، لا على ضعفها أو عيبها. وقد قال النبي ﷺ: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، فكيف إذا كان التأييد برجال صالحين مخلصين ، خرجوا يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؟

---

[87](سبأ : 28)
[88][هود: 117]

أما كون السعودية بلدًا إسلاميًا وعربيًا ، فهذا فضلٌ من الله ، لكن لا يعني أن كل دعوة صادقة يجب أن تنشأ فيها. فالله يبعث من يشاء حيث يشاء ، وقد قال النبي ﷺ: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها.

فالعبرة ليست بمكان النشأة ، بل بسلامة المنهج ، وصدق العمل ، وأثر الدعوة في الناس. وجماعة التبليغ ، رغم ما يُقال عنها ، قد أثّرت في ملايين من الناس ، وأعادتهم إلى الصلاة والطاعة ، وهذا وحده كافٍ في بيان فضلها.

حينما نتأمل في مسارات الدعوة الإسلامية ، نجد أن اختلاف البيئات والجغرافيا لم يكن يومًا عائقًا أمام بزوغ الحركات الإصلاحية ، بل على العكس ، كان هذا التنوع عاملَ غنى وإثراء. ففي حين نشأت بعض الحركات الدعوية في بيئات عربية إسلامية مستقرة ، مثل السعودية والخليج ، ظهرت أخرى في بلاد أعجمية غير إسلامية الغالبية ، كما هو الحال مع جماعة التبليغ والدعوة في الهند. غير أن جوهر النجاح في كلا التجربتين لم يكن في مكان النشأة ، بل في صدق الدعوة وأثرها في النفوس.

### مقارنة بين نشأة دعوة في بلاد العرب وأخرى في بلاد العرب :

في الجزيرة العربية ، نشأت الدعوة في بيئة يغلب عليها العلم الشرعي ، واللغة العربية ، ومرجعية العلماء الكبار ، مما مهّد لنشوء دعوات تعتمد على الخطابة والتعليم والمنهج السلفي المتين. اعتمدت هذه الحركات على توجيه الناس بالعلم ، وتثبيت معاني التوحيد ، ومواجهة البدع بالأدلة والبراهين ، ووجدت قبولًا في مجتمعاتها المستقرة دينيًا.

أما في الهند ، حيث المزيج الديني والثقافي العجيب ، والتعدد اللغوي ، ووجود مؤثرات خارجية كالتنصير والوثنيات ، فقد نشأت جماعة التبليغ بأسلوب عملي فريد. لم تعتمد على المناظرات ، بل اتخذت من القدوة

والمعايشة وسيلتها إلى قلوب الناس. كان منطقهم بسيطًا: دعوة الناس بالصلاة ، والذكر ، والخلق الحسن ، والخروج إلى الله في الأسفار. وقد أثبت هذا المنهج فاعليته ، فدخل الآلاف في الطاعة ، وأقلع كثيرٌ من العصاة عن ذنوبهم دون أن يُطلب منهم شيء سوى أن يُصاحبوا أهل الخير.

كلا الاتجاهين أثمر خيرًا ، كلٌّ حسب بيئته وأساليبه. فالحركات العربية رسّخت الفهم العقدي القويم ، وغذّت المجتمعات بالعلم والفقه ، بينما نجحت جماعة التبليغ في الوصول إلى القلوب البعيدة ، وتحريك الهمم ، وبث روح العمل والتزكية.

العبرة في النهاية ليست في اللغة ، ولا في العِرق ، ولا في الجغرافيا ، بل في صدق التوجه ، وسلامة المنهج ، وعمق الأثر. فالدعوة كما قال الإمام ابن القيم: رحمةٌ مهداة ، لا تنبت إلا في أرض الإخلاص.

## علماء أعاجم خدموا الإسلام ورفعوا رايته :

لقد أنجبت بلاد العجم ، وعلى رأسها فارس وأصفهان ، عددًا كبيرًا من أعلام أهل السنة والجماعة الذين خدموا الدين وخلّدوا أسماءهم في علوم الحديث والفقه والتفسير ، حتى قال ابن خلدون في مقدمته: من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم. وهذه نماذج من أبرز هؤلاء العلماء:

1. الإمام مقاتل بن سليمان البلخي (ت. 150هـ) من بلخ (أفغانستان حاليًا). وهو صاحب تفسير مقاتل ، من أقدم التفاسير ، وله أثر في نقل علوم التابعين.
2. الإمام أبو حنيفة النعمان (ت. 150هـ) من الكوفة ، وأصله فارسي. وهم مؤسس المذهب الحنفي ، وله أثر بالغ في تدوين الفقه بالرأي والاجتهاد. من أبرز كتبه: الفقه الأكبر ، وله تلاميذ دوّنوا مذهبه ، مثل أبو يوسف ومحمد بن الحسن.

3. الليث بن سعد (ت. 175هـ): فقيه مصر ومحدثها ، أصله من أصفهان ، وكان من كبار علماء السنة ، حتى قال الشافعي: الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.
4. الإمام الشافعي (ت. 204هـ) وُلد في غزة ، ونشأ في مكة ، وأصله من اليمن ، لكنه تأثر كثيرًا بمدارس العجم. وهو مؤسس المذهب الشافعي ، وصاحب أول كتاب في أصول الفقه: الرسالة. ومن كتبه أيضًا: الأم ، وهو من أعمدة الفقه المقارن.
5. الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت. 211هـ) من اليمن ، وله أصول فارسية. وهو صاحب المصنف وكتاب التفسير ، وكان شيخًا لكبار المحدثين كأحمد وابن معين.
6. الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت. 224هـ) من خراسان ، وكان من أئمة اللغة والفقه والحديث. ومن كتبه: غريب الحديث ، الناسخ والمنسوخ ، كتاب الإيمان.
7. الخوارزمي (ت. 232هـ تقريبًا) من خوارزم (أوزبكستان). واضع أسس علم الجبر ، وله إسهامات عظيمة في الفلك والجغرافيا ، وكان مسلمًا ملتزمًا.
8. الفارابي (ت. 339هـ) من فاراب (كازاخستان حاليًا). فيلسوف ومتكلم ، لُقّب بـ المعلم الثاني بعد أرسطو ، وله مؤلفات في المنطق والسياسة والأخلاق.
9. الإمام أبو بكر بن أبي شيبة (ت. 235هـ) من الكوفة ، وله أصول أعجمية. وهو صاحب المصنف ، أحد أوسع كتب الحديث والآثار ، ويُعد مرجعًا في فقه السلف.
10. الإمام سُحنون القيرواني (ت. 240هـ) من بلاد المغرب ، وأصله من العجم. وهو صاحب المدونة الكبرى ، وهي من أعظم كتب الفقه المالكي ، وتُعد مرجعًا في القضاء والفتوى.
11. الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ) من بغداد ، وأصله من مرو (خراسان). وهو مؤسس المذهب الحنبلي ، وصاحب المسند ، أحد أكبر كتب الحديث. جمع بين الفقه والحديث والزهد ، وكان إمامًا في الورع.

12.الإمام البخاري (ت. 256هـ)محمد بن إسماعيل البخاري. موطنه: بُخارى (أوزبكستان حاليًا). وهو صاحب صحيح البخاري ، أصح كتاب بعد كتاب الله ، وأحد أعظم المحدثين في تاريخ الإسلام.

13.الإمام الترمذي (ت. 279هـ) من ترمذ (في بلاد ما وراء النهر). صاحب سنن الترمذي ، أحد الكتب الستة المعتمدة في الحديث ، وكان من تلاميذ البخاري.

14.الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت. 261هـ): صاحب صحيح مسلم ، ثاني أصح كتب الحديث بعد البخاري ، وُلد في نيسابور (شمال شرق إيران حاليًا) ، وكان من أعلام المحدثين.

15.ابن ماجه القزويني (ت. 273هـ): صاحب سنن ابن ماجه ، أحد كتب الحديث الستة المعتمدة عند أهل السنة ، وُلد في قزوين شمال إيران.

16.الإمام النسائي (ت. 303هـ) من نَسا (في خراسان). صاحب السنن الكبرى والسنن الصغرى ، وكان من أدق المحدثين في نقد الرجال.

17.ابن سينا (ت. 428هـ) من بخارى ، وُلد في أفشنة. طبيب وفيلسوف ، صاحب القانون في الطب ، وكان حافظًا للقرآن ، وله مؤلفات في العقيدة والمنطق.

18.البيهقي (ت. 458هـ): من كبار المحدثين والفقهاء الشافعية ، صاحب السنن الكبرى وكتب عظيمة في العقيدة والحديث ، وُلد في بيهق من نواحي نيسابور.

19.الزمخشري (ت. 538هـ) من خوارزم. صاحب الكشاف في التفسير ، ومرجع في اللغة والبلاغة ، رغم بعض الملاحظات العقدية عليه.

20.الزمخشري (ت. 538هـ): صاحب الكشاف في التفسير ، وُلد في خوارزم ، وكان من أئمة اللغة والتفسير ، رغم بعض الملاحظات العقدية عليه ، إلا أن علمه أثّر في كثير من المفسرين.

21.الإمام الرازي (ت. 606هـ) من الريّ (قرب طهران). صاحب التفسير الكبير ، وكان من كبار علماء التفسير والكلام ، وله مؤلفات في الطب والفلسفة أيضًا.

22.الفيروزآبادي (ت. 817هـ): صاحب القاموس المحيط ، من أعلام اللغة ، وُلد في شيراز ، وكان له أثر كبير في خدمة العربية وعلوم الشريعة.

هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر تؤكد أن الفضل في العلم والدعوة لا يُقاس بالعرق أو اللغة ، بل بالتقوى والإخلاص. وقد خدم هؤلاء العلماء السنة النبوية وعلوم الشريعة ، وخلّد التاريخ آثارهم في كتب المسلمين شرقًا وغربًا.

**قال رحمه الله (وكان فيهم هناك جهل بالسنة ، وغلو في الأموات ، وشيء من التوسل بالقبور ونحو ذلك من البدع)**

ولا شك أن الجهل بالسنة كان موجودًا في بعض المناطق ، ولكن هذا ليس خاصًا بجماعة التبليغ وحدها ، بل هو أمر منتشر في كثير من المجتمعات ، والدعوة الصحيحة تهدف إلى تصحيح هذا الجهل ونشر العلم ، كما قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [89].

فهذه الانحرافات موجودة في بعض المجتمعات ، كما بينا أن ذلك ان سببا في نشأة جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، ولأجل ذلك أيضا قامت ونشأت جماعة التبليغ فهي ليست قائمة على هذه البدع ، بل يسعى أفرادها إلى تصحيح العقيدة ونشر التوحيد ، كما قال الله تعالى : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [90] .

**لولا فساد البيئات ما احتيج إلى نشأت الجماعات :**

---

[89](البخاري ومسلم)

[90](الجن : 18)

إن من سنن الله في خلقه أن المِحَن تُنبت المنَح ، وحاجات المجتمعات تُنادي بالمصلحين ، فتكون الفتنة سببًا في بعث رحمة ، والضعفُ مقدمة لقوة. ولو لم يكن في الأرض فسادٌ أو انحراف ، ما احتاج الناس لدعوات الإصلاح ، ولا قُيّض لها رجالٌ يُجددون ما اندثر من الدين.

في الهند ، نشأت جماعة التبليغ في بيئة غلب عليها الجهل بالدين ، واختلاط العقيدة بالشركيات ، وانتشار الغفلة ، والتأثر بالمخلفات الوثنية والبعثات التنصيرية. كان الناس يتركون الصلاة ، ويُقبلون على القبور ، وقد ضعُف صوت العلماء ، وقلّت الهيئات الموجّهة. هنا كانت الحاجة ملحّة إلى من يُعيد الناس إلى أصل العبادة ، ولو بأبسط الطرق. فخرجت جماعة التبليغ بلا تنظير ، بلا اشتراطات علمية ، وإنما بقلوب تشتاق لله ، وألسنة تُذكّر ، وأجساد تتنقل في الأرض داعية. فكانت محنتهم غفلة الناس ، وكانت منحتهم إحياء الصلاة والذكر والتوحيد العملي.

وفي المقابل ، نجد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمَه الله ، قد نشأت في الجزيرة في زمان انتشر فيه الجهل بالعقيدة ، وكثُر التعلق بالقبور ، وتُركت الأصول ، وسادت البدع والوسائل الشركية. فقام بدعوة علمية سلفية صريحة ، أعادت للناس مفهوم التوحيد الصحيح ، وبيّنت السنة من البدعة ، وناصرت العلم والدليل. وقد ناصر دعوته حكّام صادقون ، فاجتمع لها علمٌ وسلطانٌ وإخلاصٌ ، فكان لها أثر بالغ في الجزيرة وما حولها.

وإن تأملت ، وجدت أن كلا الدعوتين خرجتا من رحم الحاجة ، ولكلٍّ منهما أسلوبٌ يناسب واقعه: فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت إصلاحًا عقديًا علميًا مُنضبطًا ، بينما كانت دعوة التبليغ إصلاحًا سلوكيًا تعبّديًا شعبيًا. كلاهما أراد وجه الله ، وكلاهما قام في بيئة محتاجة مريضة ، فنزل كالدواء المناسب للداء.

وهذه سنة الله في خلقه: أن يبعث على رأس كل زمنٍ من يُصلح ، وأن يكون الداء باعثًا على طلب الدواء ، وأن تخرج المنحة من بين أضلع المحنة.

لقد شاء الله بحكمته أن لا يخلو زمان ولا مكان من داعٍ إلى الخير ومصلحٍ ينهض عند الفساد ، ويُجدد للناس دينهم إذا طغت الغفلة ، وكثرت الانحرافات. ولعل من أبلغ الأمثلة على هذه السنة الربانية ما نراه في نشأة جماعة التبليغ في الهند ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب ، وكلاهما وُلد في بيئة محتاجة إلى الإصلاح ، فكانت المحنة التي تعيشها الأمة سببًا في ميلاد منحة عظيمة.

ففي الهند ، حيث انتشر الجهل بالعقيدة ، وظهرت مظاهر الشركيات ، وتراجعت الصلة بالعبادة ، برزت حاجة ملحة إلى من يُعيد الناس إلى أساسيات الإسلام: التوحيد ، والصلاة ، وذكر الله ، وترك المعاصي. فكانت جماعة التبليغ استجابة عملية لهذه المحنة. لم تظهر بدافع تنظيري أو فكري ، بل بدافعٍ وجداني وحقيقي: أن ترى الناس بعيدين عن الصلاة ، فتُخرج نفسك إليهم ، وتعيش معهم ، وتُريهم طريق الطاعة بالعمل لا بالكلام. ولو كانت المجتمعات في تلك البلاد كلها على خير وهدى ، لما نشأت الحاجة إلى مثل هذه الدعوة.

وفي المقابل ، فإن الجزيرة العربية لم تكن خالية من الخلل في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بل انتشرت فيها البدع ، والجهل ، والتعلق بالأضرحة ، بل ومظاهر من الشرك ، رغم كونها أرض الحرمين ومهبط الوحي. فكانت دعوته تجديدًا علميًا منهجيًا للعقيدة الصحيحة ، تدعو الناس إلى إخلاص التوحيد ونبذ ما علق به من مفاسد وانحرافات. وقد قال هو نفسه: والجهل قد عمّ ، واشتدت غربة الإسلام. فدلّ بذلك على أن محيطه محتاج إلى إصلاح عميق.

المشترك بين الدعوتين أن كليهما كان استجابة لحالةٍ واقعية فاسدة لا نظرية مجردة. فمن رحم الحاجة يُولد الإصلاح ، ومن قلب الضعف يُبعث من يسدّ الخلل ويُعيد البناء. ولسنا هنا بصدد تفضيل أحد المنهجين ، بل إبراز أن الله يبعث في كل مكان من يُصلح على قدر الفساد الذي يقع فيه.

وهذا يُذكّرنا بأننا حين نرى في أمتنا ضعفًا أو تقصيرًا ، فذلك نداء من الله إلى أن نتحمّل المسؤولية ونسدّ الثغرة ، لا أن نُكثر الشكوى. فكل محنة ، في حقيقتها ، منحة لمن استجاب لها بإخلاص.

**وقوله رحمه الله (ولكن قصدهم دعوة أهل الإعراض عن الدين ممن تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، )**

هذا هو الهدف الأسمى للدعوة ، وهو إعادة الناس إلى دينهم ، كما قال الله تعالى : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه : 14) ، فالدعوة إلى الصلاة والتوبة من الذنوب هي من أعظم الأعمال.

من وجهة نظر حركة التبليغ والدعوة ، فإن الغاية الأولى من نشأتهم كانت دعوة المسلمين الذين أعرضوا عن الدين ، وتركوا الصلاة ، وانشغلوا بالشهوات والمعاصي ، لا الدخول في الجدل أو التنظير. فقد رأوا أن كثيرًا من المسلمين في الهند والباكستان ، رغم انتسابهم للإسلام ، قد انقطعوا عن المساجد ، وجهلوا أركان الدين ، وابتعدوا عن العبادة ، فكان لا بد من أسلوب عملي يُعيدهم إلى الله.

فجاءت دعوتهم بسيطة في ظاهرها ، لكنها عميقة في أثرها: الذهاب إلى الناس ، ومجالستهم ، وتذكيرهم بالله ، وتشجيعهم على الصلاة ، والذكر ، والخلق الحسن . لم يكن هدفهم مخاطبة العلماء أو المتدينين ، بل الوصول إلى الغافلين ، والعصاة ، والبعيدين عن الدين ، وإحياء الإيمان في قلوبهم من جديد.

وقد أثمرت هذه الطريقة ، فتاب على أيديهم الآلاف ، وامتلأت المساجد بمن كانوا لا يعرفون طريقها ، وبدأ الناس يتعلمون الوضوء ، والصلاة ، وفضائل الأعمال ، ويتركون الخمر والزنا والدخان ، لا عن طريق التوبيخ ، بل بصحبة صالحة ، وقدوة عملية ، ومجالس ذكر تُوقظ القلب .

ثم لما رأوا أثر هذه الطريقة ، انتقلت دعوتهم إلى باقي البلاد الإسلامية ، بل إلى أوروبا وأفريقيا وأمريكا ، بنفس الهدف: دعوة المسلمين الغافلين ، لا الدخول في السياسة أو الخلافات الفكرية. وقد شهد كثير من الدعاة والعلماء أن هذه الدعوة ، رغم بساطتها ، أعادت آلافًا من الناس إلى الصلاة والطاعة ، وغيّرت حالهم من الغفلة إلى الإقبال على الله .

**وقوله رحمه الله (وقد اقتدى بهم في طريقة الدعوة بعض طلبة العلم من أهل البلاد الأخرى كالسعودية والكويت وقطر ونحوها ، )**

انتشار الدعوة في مختلف البلدان دليل على تأثيرها الإيجابي ، فالهداية ليست محصورة في مكان معين ، بل هي رحمة من الله تصل إلى من يشاء ، كما قال النبي ﷺ : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم (البخاري ومسلم).

ففي كثير من البلاد العربية ، خصوصًا في السعودية والكويت وقطر ، كان لنموذج جماعة التبليغ أثر واضح في طريقة تفكير بعض طلبة العلم والدعاة ، خاصة من أولئك الذين جمعوا بين التكوين الشرعي المتين والإحساس بالحاجة المُلِحَّة لإحياء التدين العملي في نفوس العصاة والغافلين. هؤلاء لم يكونوا مقلدين ، بل كانوا ملاحظين بعين بصيرة أن الواقع اليومي للعامة لا يكفيه التنظير وحده ، بل يحتاج إلى قدوةٍ ومعايشةٍ وسلوكٍ يُترجم العلم إلى أثر .

لقد خرج بعضهم في رحلات دعوية إلى القرى والمناطق النائية ، مقتدين بأهل التبليغ في منهج الاحتكاك العملي ، والمجالسة ، والعيش مع الناس ، لكنهم في الوقت نفسه حافظوا على الخلفية العلمية التي تسند هذه الخُطى. منهم من كان يقدّم في المجالس دروسًا في العقيدة ، ومنهم من ركّز على القرآن والحديث ، ولكن بأسلوب مُبسّط وعاطفي يُقرّب المعاني إلى القلوب البعيدة.

لم يكن التأثر بالمنهج التنظيمي للجماعة بقدر ما كان استلهامًا لجانبها العملي والتربوي : كيف تجعل الغافل يُحب الصلاة من جديد؟ كيف تُحدث انقلابًا في سلوك شابٍ بعيدٍ دون أن تُنفره؟ كيف تتحوّل العبادة من عبءٍ إلى لذّة؟ هذه الأسئلة هي التي جعلت أولئك الدعاة يقتربون من التجربة ، ويُضيفون إليها من معين الشرع ما يصوّب مسارها.

لقد كان بعضهم يقول: كنا نحفظ المتون ونشرح الكتب ، لكننا لم نرَ دموعًا في العيون حتى جالسنا أولئك الذين يحيون الليل والنهار بذكر الله. ففهموا أن الدعوة ليست علمًا فقط ، بل روحًا تُسكب ، وأثرًا يُترك ، وصدقًا يُلمس.

هذه النماذج من طلبة العلم الذين تفاعلوا مع جماعة التبليغ بمنهجٍ علمي متزن ، تُثبت أن المناهج الدعوية لا تتنافى حين يكون المقصود وجه الله ، بل تتكامل ، ويُغني بعضها بعضًا . فالعلم يهدي ، والعمل يُثبّت ، والقدوة تُلهم.

ولقد اقتدى بمنهج جماعة التبليغ في طريقة الدعوة عدد من طلبة العلم والدعاة في البلاد العربية ، لا سيما في السعودية والكويت وقطر ، ممن رأوا في أسلوب الجماعة وسيلة عملية لإحياء الإيمان في قلوب العامة ، خاصة أولئك الذين أعرضوا عن الصلاة والطاعة. وقد شارك بعضهم في الخروج الدعوي ، لا من باب التقليد ، بل من باب الاستفادة من المنهج العملي في التزكية والدعوة بالحال ، ومن أبرز الأسماء والنماذج:

الشيخ عبد الرحمن السميط (رحمه الله) – الكويت : من أعلام الدعوة في أفريقيا ، وقد تأثر بأسلوب جماعة التبليغ في الاحتكاك المباشر بالناس ، والدعوة بالقدوة ، والتدرج في الإصلاح ، رغم أنه لم يكن من أفراد الجماعة رسميًا.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله) – السعودية : أفتى بجواز الخروج مع جماعة التبليغ إذا كان الخارج من أهل التوحيد والعلم ، وأثنى على أثرهم في هداية العصاة ، مع التنبيه على ضرورة تصحيح العقيدة لمن خالطهم.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) – السعودية : أقرّ أن بعض طلبة العلم خرجوا مع الجماعة ، وقال: ليت الطلبة يخرجون معهم حتى إذا رأوا ما يخالف الشرع دلوهم على الحق. ، مما يدل على إقراره بالاستفادة من طريقتهم العملية .

الشيخ عبد الله بن جبرين (رحمه الله) – السعودية : أفتى بجواز الخروج مع الجماعة إذا كان الخارج من أهل السنة والتوحيد ، وأثنى على أثرهم في هداية العصاة ، بشرط السلامة من البدع.

عدد من طلبة العلم في قطر والبحرين شاركوا في الخروج الدعوي ، خاصة في الثمانينات والتسعينات ، وكانوا يُضيفون إلى البرنامج اليومي دروسًا في العقيدة والتوحيد ، مما ساهم في تحسين الخطاب الدعوي للجماعة في تلك البلاد .

هذه النماذج تُظهر أن طريقة التبليغ أثّرت في كثير من الدعاة وطلبة العلم ، لا من باب التبعية ، بل من باب الاقتباس من أسلوبهم العملي في الوصول إلى الناس ، وتحريك القلوب ، وإحياء روح الطاعة .

**وقوله رحمه الله (فإن كانوا من أهل العلم والتوحيد والبعد عن البدع والشركيات ، جاز الخروج معهم)**

نعم ، لأن الدعوة تحتاج إلى علم صحيح ، فمن كان على بصيرة في دينه ، فإنه يستطيع أن ينفع الناس ويصحح الأخطاء ، كما قال الله تعالى : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ 91.

---

[91](يوسف : 108)

فقول الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله: فإن كانوا من أهل العلم والتوحيد والبعد عن البدع والشركيات ، جاز الخروج معهم ، يُفهم منه أن جواز الخروج مع جماعة التبليغ مشروطٌ بسلامة العقيدة والمنهج ، لا بمجرد الانتساب للجماعة. فالمعيار عنده هو التوحيد ، والبعد عن الشركيات ، والالتزام بالسنة ، لا الاسم ولا التنظيم.

وقد بيّن الشيخ رحمه الله في مواضع متعددة أن جماعة التبليغ في البلاد العربية ، كالسعودية ونحوها ، فيهم من أهل الخير والصلاح ، ممن عرفوا التوحيد ، وابتعدوا عن البدع ، واشتغلوا بالقرآن والحديث والعبادة ، وأنه لا يُخشى على من يخرج معهم إذا كان على علم وبصيرة.

بل صرّح بأن كثيرًا منهم يحفظون القرآن ، ويعرفون أحكام الطهارة والصلاة ، ويجتنبون المحرمات الظاهرة ، ولا يُعرف عنهم التعلق بالقبور أو الشركيات ، ولا تعاطي المسكرات أو الفواحش. وهذا يدل على أن الشرط الذي ذكره الشيخ ينطبق على كثير من أفراد الجماعة في بلادنا ، لا سيما من عرف منهم بالعلم والعمل .

فمن خرج معهم وهو على علم ، أو خرج مع من ثبتت سلامة عقيدته ، فلا يُخشى عليه ، بل قد يكون في خروجه نفعٌ له ولغيره ، كما قال الشيخ: وقد نفع الله تعالى بهم ، ولو كان فيهم شيء من الخلل.

وهذا التوازن في كلام الشيخ يدل على إنصافه ، وحرصه على الجمع بين سلامة العقيدة ، والاستفادة من الجهد الدعوي العملي ، دون تعميم أو تهوين.

ومن خلال المعايشة والاحتكاك المباشر بأهل التبليغ والدعوة ، تبيّن لنا ولكثير من الناظرين بعين الإنصاف أنهم قوم على خيرٍ عظيم ، يجمعون بين صحة المنهج وسلامة المعتقد ، وبين الجد والاجتهاد في الطاعة ، والبعد عن مظاهر البدعة والانحراف .

فلقد رأينا في مجالسهم حرصًا شديدًا على اتباع السنة ، وتذكيرًا دائمًا بحديث النبي ﷺ ، وتعظيمًا لكلام الله ، ومحافظة على الجماعات والرواتب ، وتواضعًا في اللباس والهيئة ، لا رياء فيه ولا تصنّع. يجتهدون في تهجد الليل ، وفي خدمة إخوانهم ، وفي الأمر بالمعروف بالحال قبل المقال.

ولم نرَ عندهم تمسّحًا بالقبور ، ولا دعاءً للأموات ، ولا تقديسًا للمقامات ، بل يحذّرون من البدع الظاهرة ، ويوصون بالإخلاص ، والتجرد ، واتباع ما جاء في القرآن والسنة. فكيف يُقال بعد ذلك إن منهجهم فيه خلل ، وقد رأينا فيهم من الصدق والتجرد والزهد ومحبة الخير للناس ما قلّ أن يُرى في غيرهم .

بل إن من عاشرهم علم أن دعوتهم ليست تنظيرًا ، بل تطبيقٌ عمليٌّ متدرّج يُنبت الإيمان في القلوب ، ويحيي القلب بعد مواته ، ويجمع الناس على الصلاة والذكر والمراقبة والخشوع.

وليسوا معصومين ، فهم بشر ، لكن إنصافًا ، فإن الجملة الغالبة على جماعتهم هي سلامة المعتقد ، واستقامة السلوك ، وحسن القصد ، وشدة الحرص على إصلاح الناس دون تعالٍ أو تصدّر .

**وقوله رحمه الله (حيث قد هدى الله بواسطتهم خلقًا كثيرًا من الضلال الذين كانوا قد انهمكوا في الحرام من الزنا والخمر والدخان وحلق اللحى وترك الصلاة والإعراض عن الدين)**

الهداية من الله ، ولكن الدعوة هي وسيلة عظيمة لتحقيقها ، كما قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [92].

من تأمل سيرة جماعة التبليغ والدعوة بإنصاف ، وجد أنها قامت على أساس الرحمة بالخلق ، والحرص على هداية الناس ، لا طلبًا لعلوّ ولا سلطان. فقد خرجوا من المساجد إلى الأسواق ، ومن الحلقات إلى الأزقة

[92](فصلت : 33)

، يزورون الناس ، ويجالسونهم ، ويُذكّرونهم بالله ، دون تعنيف ولا تعالٍ ، وإنما بقلبٍ نقي ولسانٍ رقيق ، ونيةٍ خالصة .

ولعل من أعظم فضائل أهل التبليغ أنهم خاطبوا قلوب الغافلين قبل عقولهم ، وأحيوا في النفوس معنى القرب من الله دون تنظير . فمن كان منهمكًا في الزنا ، أو غارقًا في الخمر والدخان ، أو منكبًا على الشهوات ، كانوا لا يُلقونه بالتقريع ، بل يدعونه لصحبتهم ، ويأخذونه معهم إلى المسجد ، ويُشركونه في الذكر ، حتى تُضيء في قلبه شعلة التوبة ، ويبدأ بنفسه في ترك المعاصي.

وكم سمعنا ممن تاب على أيديهم ، يقول: ما كنت أُصلّي ، ولا أعرف الطهارة ، وكنت أسهر في المعاصي ، ولكن لما خرجت معهم ، رأيت أناسًا يُصلّون بالدموع ، ويتهجّدون بخشوع ، فأيقنت أن الطريق لله لا زال مفتوحًا ، فوقفت بين يديه تائبًا.

هم لا يحملون علماً غزيرًا بالاصطلاحات ، ولكنهم يملكون صدقًا يُحيي القلوب . يجلسون في مجالس الذكر بتواضع ، يروون آيات الوعد والوعيد ، ويُذكّرون بفضل الصلاة ، ويقصّون أحاديث فضائل الأعمال ، فإذا بالقلب القاسي يلين ، والنفس الغافلة تفيق.

وقد شوهد في المساجد شبابٌ لم يعرفوا الصلاة من قبل ، صاروا من أهل الصف الأول. ورجالٌ كانت لحاهم محلقة ، وقلوبهم معلّقة بالدنيا ، عادوا بسكينة ووجهٍ منير. نساءٌ تأثرن بأزواجهن العائدين من الخروج ، فلبسن الحجاب ، وربّين أبناءهن على الطاعة.

هذه الجماعة ، وإن لم تتصدر المنابر ولا الشاشات ، إلا أن أثرها وصل إلى قلوب الناس بصدق العمل ، وسرِّ الإخلاص ، وصدق التوكل على الله . إنها دعوة لا تُعادي أحدًا ، ولا تُجادل على منابر ، لكنها تُنبت

الإيمان في الخفاء ، كما يُنبت الله البذرة في باطن الأرض ، ثم تُخرج نبتة طيبةً أصلها ثابت وفرعها في السماء.

في زمنٍ علا فيه صوت الغفلة ، وغابت فيه القدوة ، وتفرّقت فيه القلوب عن المساجد ، نشأت جماعة لا ترفع لافتات سياسية ، ولا تخوض معارك كلامية ، بل خرجت تطلب شيئًا واحدًا: أن تعود القلوب إلى الله .

لم تكن البداية في بلد يُعرف بتصدير الدعوة ، بل في أرضٍ يختلط فيها الإسلام بألوان من البدع والشركيات والانشغال بالدنيا. في الهند والباكستان ، كان آلاف المسلمين لا يعرفون الطريق إلى المساجد ، تُثقلهم الذنوب ، وتنخرط أيامهم في اللهو ، قد انهمكوا في الزنا والخمر والدخان ، وأعرضوا عن الصلاة والآخرة. فخرج إليهم نفرٌ من أهل الذكر ، لم يقولوا لهم أنتم ضائعون ، بل قالوا: تعالوا معنا فقط يومين في سبيل الله .

يُشركون العاصي في المجلس ، ولا يُعنفونه ، يُصلّون أمامه بخشوع ، ويسهرون في قيام الليل بجانبه ، يخدمونه بطعام بسيط وكلمة طيبة ، فيرى فيهم ما لم يره في نفسه من سنين: النور ، والسكينة ، والصدق. ثم ما يلبث قلبه أن يتحرّك ، ولسانه أن ينطق بالتوبة ، وجوارحه أن تتوضأ ، وتدخل في الصلاة كما تدخل في عهد جديد.

كم من شابٍ لم يسجد قط ، خرّ ساجدًا بينهم باكيًا. وكم من رجلٍ كانت حياته لهوًا خالصًا ، عاد بها زوجًا وأبًا صالحًا. دعوة صامتة تُحدث انقلابًا ، وسلوكٌ عملي يهزم عشرات المحاضرات. إنهم لا يواجهون الخطايا بالسباب ، بل يُغمرون النفس بالحب حتى تضيق بالمعصية من تلقاء نفسها.

رأينا على أيديهم لحىً نبتت بعد حلقٍ طويل ، وعيونًا ترمق السماء بعد أن كانت ترقب الحرام ، وقلوبًا تهتز لذكر الله بعدما ماتت سنينًا. لا يتعالمون ، ولا يحتكرون الفهم ، بل يقولون ببساطة: نحن نذكّر ونُذكّر .

فإذا سألت: ماذا فعل هؤلاء؟ فالجواب: أعادوا الناس إلى ربهم ، لا بكثرة العلم ، بل بصدق العمل .

**وقوله رحمه الله (فبمجرد صحبة هؤلاء الدعاة أقلعوا عن المعاصي ، وأقبلوا على الطاعات ، وتعلموا الكثير من واجبات الدين.)**

الصحبة الصالحة لها أثر عظيم في تغيير الإنسان ، كما قال النبي ﷺ : المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل [93].

من الأمثلة أنه كان أحدهم يعيش في عالمٍ لا يعرف فيه سوى اللهو والسهرات والمعاصي ، فلا مسجد يعرف طريقه ، ولا مصحف لامسته يداه ، غارق في التدخين ، والسهر الحرام ، وضياع الأوقات. سمع يومًا أن بعض الدعاة من جماعة التبليغ جاءوا إلى الحي ، فلم يهتم ، حتى دعاه أحدهم بلطف قائلاً: تعال معنا يومين فقط لا أكثر .

بدافع الفضول ، وشيء من المجاملة ، خرج معهم. لم يوبّخوه ، لم يُحرجوه ، بل استقبلوه بالابتسامة ، وأشركوه في مجالسهم ، فجالسهم في المسجد ، وسمع الآيات تُتلى بخشوع ، والدموع تنساب على الخدود ، وقلوب الحاضرين ترتجف عند الحديث عن الجنة والنار. رأى شابًا في مثل سنه يبكي خوفًا من التقصير في ركعة ، ورجلاً بسيطًا يُصلّي تهجُّدًا وكأنه يُحادث ربّه مباشرة ، فعجب لحالهم وتحرّك قلبه.

---

[93] (أبو داود والترمذي)

مرت ساعات ، فإذا به يتوضأ لأول مرة بصدق ، يقف في الصف ، يركع ويسجد . لا ليراه الناس ، بل لأنه أحسّ أن الله ينظر إليه. وفي اليوم الثاني ، بدأ يسأل عن الطهارة ، وعن أركان الصلاة ، وعن معنى التشهد ، وكأن شيئًا في داخله انفتح فجأة. سألوه: هل كنت تُصلّي؟ فقال بخجل: كنت أصلي أحيانًا ، واليوم شعرت أنني صليت حقًا لأول مرة.

انتهت الأيام الثلاثة ، لكنه لم يعد كما خرج. أقسم ألا يعود للدخان ، وهاتف صديقًا له وقال: تعال نُغيّر حياتنا . بدأ يرتب وقته للصلوات ، حفظ بعض الأدعية ، وعلّم أمه كيف تقرأ الفاتحة ، واشترى مصحفًا جديدًا لأول مرة في حياته. لم يُلقِ محاضرة ، ولم ينل شهادة ، لكنه خرج مع قوم صالحين ، فعاد وقد بُعث فيه قلبٌ جديد .

هذه ليست قصة واحدة ، بل هي مئات القصص التي ترويها المساجد في أطراف الأرض: صحبة صالحة ، وقدوة خاشعة ، وصدق في التذكير ، تصنع من العاصي تائبًا ، ومن الغافل واعيًا ، ومن البعيد محبًا لله ، مشتاقًا إلى لقائه.

**وقوله رحمه الله (ثم إن طريقتهم ترغيب العامة في صحبتهم والخروج معهم إلى القرى والبوادي والمدن ، وزيارة الأفراد والوجهاء وحثهم على الخير والعمل الصالح ، )**

الترغيب في الخير هو منهج الأنبياء ، فقد كانوا يدعون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [94].

من أروع ما تميّزت به جماعة التبليغ والدعوة أنهم لا ينتظرون الناس ليأتوا إليهم ، ولا يحبسون الخير داخل المساجد ، بل يحملونه على أقدامهم إلى الأزقة والبوادي والقرى النائية ، يُنادون القلوب بلسان الحال قبل

---

[94] (النحل : 125)

لسان المقال. طريقتهم في ترغيب العامة لا تقوم على المبالغة في البيان ، بل على الدعوة بالصُّحبة ، تلك المدرسة التربوية التي أعادت صياغة آلاف القلوب.

لا يقولون للغافل تعال فقط اسمع ، بل تعال معنا ، فإن خرج معهم العاصي ، عاش أيامًا يرى فيها كيف يُصلّي الفجر في وقته ، وكيف يُذكر الله عقب كل صلاة ، وكيف يُعامل الناس بلين وتواضع. فيرى الدين واقعًا لا أقوالًا ، ويرى العابد لا يتكلف خشوعًا بل يتذوقه ، فيشتاق قلبه لأول مرة إلى صلاة لا تُفوت ، وذكر لا يُنسى.

يجوبون المدن كما يطرقون أبواب القرى ، لا يفرّقون بين غني وفقير ، ولا بين حليق ولحيي ، ولا بين عامل وصاحب وجاه. يذهبون إلى الأسواق ، وإلى الساحات ، ويزورون الأفراد في بيوتهم ، والوجهاء في مجالسهم ، يكلّمون الجميع بكلمة واحدة: تعال إلى الله ، ولو يومًا واحدًا في سبيله.

وهذا الأسلوب الرقيق قد جرّب فعليًا آلاف المرات ، فكم من صاحب معصية ، لم تُغيّره موعظة ولا شريط ، لكن حين صحب هؤلاء القوم ، رأى النور في وجوههم ، والصدق في دعائهم ، والبكاء في تهجّدهم ، فاهتز قلبه وسار معهم ، ثم عاد وقد وُلد من جديد.

إنها ليست جماعة تنظّر ، بل تمشي إلى الناس؛ ليست تدعو إلى كلمات ، بل إلى عمل؛ لا تُقصي أحدًا ، بل ترى في كل قلب قابلية للنور إذا وُضع في بيئة الطاعة . وهذا هو سر نجاحهم: الصبر ، والصحبة ، وتربية الحال .

من أعظم ما يُحسب لجماعة التبليغ والدعوة أن منهجهم في الحركة والانتشار مستمدٌ من هدي النبي ﷺ في الدعوة ، لا من اجتهاد منفصل عن الأصل. فإن النبي ﷺ لم يكن ينتظر الناس في بيته أو في المسجد ليأتوا ويسمعوا ، بل كان ﷺ يخرج إليهم ، يطرق أبوابهم ، ويدعوهم في الأسواق ، ويقصدهم في مواسم

الحج والمناسبات. يقول جابر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في المواسم ، ويقول: ألا رجلٌ يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي.

وهذا عين ما تفعله جماعة التبليغ. فهم لا يجلسون في المساجد ينتظرون السائلين ، بل يخرجون إلى القرى والبوادي والأسواق والأحياء ، يبحثون عن الغافلين والمعرضين ، ويدعونهم برفق ولين إلى صلاة ، أو مجلس ذكر ، أو سفر إيماني. وقد فهموا أن الدعوة لا تُنجز من وراء المكاتب ، ولا يكفي فيها المنبر والخطبة وحدها ، بل تحتاج إلى خُطى تسير ، وقلوب تنبض بالرحمة ، وهمم تتحرك في الأرض كما تحرك النبي ﷺ. وقد ساروا على هذا الهدي في تفاصيل الحركة:

- يدخلون الأحياء الشعبية ولا يُبالون بالفقر أو سوء السمعة ، كما دخل ﷺ على عبد الله بن سلام ، وسار إلى بيوت المشركين يدعوهم بالتي هي أحسن.
- لا يفرّقون بين جاهل أو مثقف ، كما كان ﷺ يجالس الأعرابي والزعيم ، والعبد والحر ، في آنٍ واحد.
- يدعون بالسلوك لا بالكلام وحده ، كما فعل ﷺ حين قال: صلوا كما رأيتموني أُصلي. وهم يقولون اليوم: تعال معنا لترى الطاعة بأم عينك.

فهم باختصار ورثة هذا النهج النبوي في التحرك إلى الناس ، لا انتظار الناس ، وفي مخاطبة القلوب قبل العقول ، وفي استنهاض الفطرة المغروسة لا إجهادها بكثرة الكلام.

**وقوله رحمه الله (ولم يكن من طريقتهم الإنكار على العاصي مباشرة مخافة التنفير ، وإنما يخرجون به حتى يشاهد اجتهادهم في الذكر والعلم والتهجد والسنن والبعد عن المحرمات ، ويسمع التحذير من المعاصي والمخالفات فيراجع نفسه ويقلع عن المعاصي ولو لم يسمع إنكارهم عليه مباشرة ، )**

هذا الأسلوب يتماشى مع منهج النبي ﷺ في الدعوة ، حيث كان يرفق بالناس ويأخذهم بالتدرج ، كما قال : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [95].

هذه الطريقة التي يسلكها أهل التبليغ في التعامل مع العصاة تُعد من أدق أساليب التربية وأعمقها أثرًا في النفس البشرية . فهم لا يواجهون العاصي بسيل من الانتقادات ولا يوبخونه على ما فعل ، لأنهم يدركون أن القلوب إذا أُغلقت بالتوبيخ ، لا تنفتح للنور ، وأن النفوس إذا نُفرت لا تُلَبّي.

فيتركون خطاب الإنكار المباشر ، ويسلكون طريق المعايشة ، فيُخرجون العاصي معهم ، لا ليُحرجوه ، بل ليرى بنفسه حياةً أخرى لم يألفها:

- يرى رجلاً يبكي في السجود دون أن يُخبره لماذا
- يسمع دعاءً صادقًا في جوف الليل دون توجيه اتهام
- يشاهد حرصهم على قيام الليل ، ومواظبتهم على الأذكار ، وإقبالهم على الطاعات بلا رياء
- يسمع في المجالس آيات وأحاديث عن الجنة والنار ، والرجوع إلى الله ، دون أن يُشار إليه بالاسم

فيبدأ التغيير من الداخل ، برغبةٍ لا برهبة ، بإحساسٍ صادق لا بتكلّفٍ ناتج عن خجل أو إحراج. هذه الطريقة تُحرّك الفطرة ، وتوقظ الإيمان المختبئ ، وتُشعر العاصي بأنه لا يزال محبوبًا عند الله ، وأن باب العودة لم يُغلق في وجهه.

---

[95](البخاري ومسلم)

والنتيجة؟ أنه يراجع نفسه ، فيقول: أنا ما كنت أصلّي ، وهؤلاء يُصلّون كما لم أرَ من قبل ، أو يقول: كنت أظن التدين ثقيلًا ، لكنهم يُحبّبونه ، فيندفع نحو الطاعة بلا توجيه مباشر ، ويترك المعصية دون أن يُقال له: أنت عاصٍ .

وهذه الطريقة النبوية بالتحديد ، فقد قال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟ ، وكان بذلك يُربّي بالرفق والقدوة ، لا بالتعنيف.

من يتأمل في منهج جماعة التبليغ والدعوة يجد أنهم يتميزون عن غيرهم من المناهج الدعوية بعدة خصائص فريدة ، جعلت لهم أثرًا بالغًا في قلوب الناس ، خاصة في أوساط الغافلين والبعيدين عن الدين. فأول ما يلفت النظر في طريقتهم هو التحرك العملي إلى الناس ، لا انتظارهم في المساجد أو المحاضرات. فهم يخرجون إلى القرى ، والأسواق ، والأحياء ، ويطرقون الأبواب بلطف ، حاملين معهم الذكر والبسمة والدعوة ، كما كان يفعل النبي ﷺ حين كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم.

ثم إنهم لا يُخاطبون الناس بالجدل والمناظرات ، بل يخاطبون الفطرة ، ويوقظون القلب ، ويُربّون بالصحبة والقدوة. لا يُنكرون على العاصي مباشرة ، بل يُشركونه في مجالس الذكر ، ويُرونه الطاعة حيّةً أمامه ، حتى يتحرك قلبه من تلقاء نفسه.

ومن ميزاتهم أيضًا التركيز على فضائل الأعمال : الصلاة ، الذكر ، التهجد ، حسن الخلق ، ترك الغيبة ، بر الوالدين ، وغيرها من الأعمال التي تُحيي القلب وتُقرّب العبد من ربه. لا يُشغلون العامة بالتفريعات ، بل يُحيون فيهم روح الإقبال على الله.

كما أنهم يُربّون على التواضع والبعد عن التصدر ، فلا تجد فيهم من يتعالى بعلمه ، ولا من يُحب الظهور ، بل شعارهم: من تواضع لله رفعه . وهذا ما يجعل دعوتهم مقبولة عند الناس ، لأنهم لا يُشعرون أحدًا بأنه أقل منهم.

وأخيرًا ، فإنهم يُربّون على العمل الجماعي ، والتعاون ، وخدمة الآخرين ، فتجدهم يتسابقون في إعداد الطعام ، وتنظيف المسجد ، وخدمة الرفقاء ، فيتعلّم الخارج معهم أن الدين ليس فقط علمًا ، بل خُلقًا وسلوكًا وتضحية.

هذه الميزات جعلت دعوتهم تصل إلى قلوب من لم تصل إليهم الخطب والمحاضرات ، وتُحيي في الناس حب الطاعة ، وتُعيدهم إلى الله بخطى ثابتة ، ورفقٍ لا يُنفّر ، وصحبةٍ تُلهم.

**وقوله رحمه الله (فمتى كانوا من أهل العقيدة السليمة وسلموا من دعاء الأموات والتمسح بالقبور ، وتحري الصلاة عند الأضرحة ، ومن المسكرات والمخدرات واشتغلوا بالقرآن والحديث والمواعظ والنصائح ، وقاموا بالنوافل من الرواتب والأوراد والتهجد ، فلا يعابون بشيء ولا مانع من صحبتهم للاستفادة. والله أعلم.)**

إذا كان الإنسان على عقيدة صحيحة ويعمل على نشر الخير ، فلا ينبغي أن يُعاب ، بل يجب أن يُشجع ، كما قال النبي ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله [96].

يتضح مما سبق أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة وتوازن ، وأن جماعة التبليغ تسعى إلى إصلاح القلوب ونشر الخير ، مع الحرص على تصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ 97.

[96](مسلم)
[97](المائدة : 2)

كلام الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله في هذا الموضع يُعد من أعدل ما قيل في جماعة التبليغ والدعوة ، إذ جمع بين التحذير من الانحرافات العقدية إن وُجدت ، وبين الإنصاف في الثناء على من استقام منهم على التوحيد والسنة .

فهو يقرر أن من كان من أهل التبليغ سليم العقيدة ، بعيدًا عن الشركيات والبدع ، مشتغلًا بالقرآن والسنة ، قائمًا بالنوافل والتهجد ، مجتنبًا للمسكرات والمخدرات فلا يُعاب عليه ، بل يُستفاد من صحبته ، ويُشجَّع على دعوته.

وهذا القول يُبرز ميزتين:

1. الميزان الشرعي في الحكم على الجماعات والأفراد : فلا يُنظر إلى الاسم أو الانتماء وحده ، بل إلى العقيدة والسلوك.

2. الإنصاف في التقييم : فليس كل من انتسب إلى جماعة يُحكم عليه بحكمٍ واحد بل هم متفاوتون في كل شيء ، فيُفرّق بين من التزم بالحق ومن خالفه.

فالخلاصة أن الشيخ رحمه الله يرى أن الصحبة مع أهل التبليغ جائزة ومثمرة ، إذا كانوا على عقيدة صحيحة ومنهج مستقيم ، بل قد يكون في ذلك خيرٌ كثير لمن خرج معهم ، خاصة في إصلاح النفس والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

حين تحدث الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله عن جماعة التبليغ والدعوة ، لم يتناولها بعين الإطلاق أو بالمدح المجرد ، بل نظر إلى الواقع من خلال ميزان الشرع الذي يربط الحكم بسلوك الفرد وعقيدته ، لا باسمه أو انتسابه. فقرّر أن من كان منهم سليم العقيدة ، نقي التوحيد ، مجتنبًا للبدع والشركيات ، مشتغلًا

بالقرآن والسنة والعبادات ، قائمًا بالتهجد والنوافل ، بعيدًا عن المسكرات والمخدرات— فلا يُعاب عليه ، ولا مانع من صحبته ، بل يُستفاد من طريقته في الدعوة والإصلاح .

وهذا الموقف ليس تزكية مطلقة ، بل دعوة للفهم المتزن: أن الجماعات الدعوية تختلف باختلاف أفرادها ، وأن الميزان هو الثمرة العملية التي تظهر على سلوك الداعية ، ومدى انضباطه بالوحي والعقيدة الصحيحة . وقد شوهد في كثير من أفراد التبليغ استقامة ظاهرة ، وزهد ، وصدق في النية ، واجتهاد في الذكر والقيام ، ما يجعل صحبتهم نافعة ، ودعوتهم مُثمرة في الواقع.

## الفتوى الرابعة : رأي الشيخ في كتاب القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ

وستجد أيضا في الموقع الرسمي للشيخ في جزء الفتاوى ابن جبرين في جزء الآداب الشرعية في آداب المعاملة في قسم العلم وتحت تصنيف أحكام العلم في ركن دعاة وعلماء فتوى برقم 11483 فتوى بعنوان ( **رأي الشيخ في كتاب القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**)

السؤال : ما رأيكم في كتاب القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ التويجري ؟

الجواب : هذا الكتاب جيد ومفيد ، لكنه ينطبق على التحذير من الجماعة الذين قاموا بهذا المنهج في الهند ونحوه ، وهم من الصوفية وفيهم عقائد منحرفة ، كتعظيم القبور وعبادتها ، وعقيدة البريلوية والأشعرية. فأما من سلك منهجهم من أهل السنة والتوحيد فإنهم ليسوا ممن ذكر ، فهم من أهل عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد قرءوا في المعاهد العلمية والجامعات الإسلامية ، وأخذوا عن المشائخ المعروفين بالتوحيد لكنهم رأوا أن هذا المنهج في الدعوة بالفعل يفيد كثيرًا ، ولم يقتصروا على الأعمال بل دعوا إلى الله بالأفعال والأقوال فنفع الله وتاب على أيديهم بشر كثير.والله أعلم، .

التعقيب على الفتوى الرابعة :

القول الصحيح في هذا الباب هو ما وافق العدل والإنصاف ، وراعى الواقع المشاهد ، والتزم منهج أهل العلم في التقييم ، لا ما اندفع خلف التعميم والتجريح بلا بيّنة. وكتاب القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود التويجري عفا الله عنه ، رغم ما فيه من غيرة على الدين ، إلا أنه وقع في مزالق منهجية وعلمية واضحة ، جعلت كثيرًا من أهل العلم يُنكرون عليه أسلوبه ومحتواه. فمن أبرز المآخذ على الكتاب:

1. التعميم المفرط : إذ لم يُفرّق بين من وقع في خطأ من أفراد الجماعة ، وبين من استقام منهم على التوحيد والسنة ، بل جعل الجميع في سلة واحدة ، وهذا خلاف العدل.
2. غياب التوثيق والتحقيق : كثير من النقول في الكتاب لا تُسند إلى مصادر موثوقة ، وبعضها مبني على الظن أو النقل عن خصوم ، لا عن المعايشة أو التحقيق.
3. مخالفة الواقع المشاهد : فالواقع يشهد أن كثيرًا من أهل التبليغ في البلاد الإسلامية ، خاصة في السعودية والخليج ، موحدون ، بعيدون عن الشركيات ، مجتهدون في السنن ، قائمون بالليل ، مشتغلون بالقرآن والذكر ، فكيف يُقال عنهم ما لا يطابق حالهم؟
4. غياب الأسلوب العلمي : فالكتاب لا يُناقش بمنهج المقارنة ، ولا يُعرض أقوال الجماعة من مصادرهم ، ولا يُقيم الحجة بالحجة ، بل يغلب عليه الطابع العاطفي والانفعالي.

فقول الشيخ بن جبرين رحمه الله عن كتاب التويجري القول البليغ (هذا الكتاب جيد ومفيد)

فيه نظر كبير ! إذ الكتاب من كتب الشر والضلال وهو بعيد كل البعد عن الحقيقة والإنصاف والصدق والموضوعية والعلمية والواقعية والآداب الإسلامية ، لأن حقيقة أمر هذه الدعوة لم تتحق في الكتاب نهائيا من أوله إلى آخره ، ولم يصدق الكاتب فى كتابه من حيث النقل والتحليل ! ، ولم يتناول الكتاب من وجهة

النظر العلمية بأسلوب أهل العلم ولا بأسلوب الأكاديميين ! وكتب في كتابه النقائص التي لا تتحقق في القوم ويناقضها واقعهم الملموس المشاهد ! ولم يستثن في كلامه أحدا من العرب والعجم

وقد علّق الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله على هذا الكتاب بما يُبيّن الموقف الصحيح ، فقال ما معناه: الكتاب فيه نظر ، وفيه غلو ، ولم يُنصف الجماعة ، بل عمّم الطعن ، ولم يُراعِ الواقع. وقد أفتى في مواضع أخرى بجواز الخروج مع جماعة التبليغ إذا كانوا من أهل التوحيد والسنة ، وابتعدوا عن البدع والشركيات ، وهو ما ينطبق على كثير من أفرادهم في بلادنا.

فالرد على من يمدح هذا الكتاب يكون بالتأكيد على أن الغيرة على الدين لا تُبرر الظلم ، وأن الحكم على الجماعات لا يكون بالتجريح العام ، بل بالميزان الشرعي: من وافق الحق أُخذ منه ، ومن خالف رُدّ قوله ، دون أن يُهدر جهد المصلحين أو يُغمطهم حقهم.

وكتاب القول البليغ للشيخ حمود التويجري عفا الله عنه ، وقع مؤلفه في غلو ظاهر ، وتعميمات غير منصفة ، ومعلومات غير دقيقة ، خاصة فيما يتعلق بوصفه لأحوال جماعة التبليغ في الهند والباكستان.

فمن أبرز مظاهر الغلو في الكتاب:

1. اتهام الجماعة كلها بالشرك والبدع دون استثناء ، مع أن الواقع يشهد أن كثيرًا من أفرادها ، خاصة في البلاد العربية ، موحدون ، بعيدون عن الشركيات ، قائمون بالسنن ، مشتغلون بالقرآن والذكر .

2. نقل أقوال عن هنود من أهل التبليغ لا تصح عنهم ، وقد كذّبها من خالطهم وعرفهم عن قرب ، بل شهد لهم بالاستقامة والبعد عن الشركيات. ومن ذلك ما نُسب إليهم من تعظيم القبور أو دعاء الأموات ، وهي أمور لم تُشاهد في واقعهم الملموس ، بل يُنكرونها في مجالسهم.
3. غياب التوثيق العلمي ، إذ لم يُسند كثير من النقول إلى مصادر موثوقة ، ولم يُعرض أقوال الجماعة من كتبهم أو من أفواههم ، بل اعتمد على النقل عن خصومهم ، مما أضعف مصداقية الطرح.
4. عدم التفريق بين الأفراد والمناهج ، فعمّم الحكم على العرب والعجم ، ولم يستثنِ من الجماعة أحدًا ، مع أن العلماء المنصفين ، كابن جبرين ، فرّقوا بين من استقام منهم ومن خالف.

وقد شهد بذلك من خالط الجماعة عن قرب ، من أهل العلم والدعوة ، وقالوا: ما رأينا فيهم ما نُسب إليهم في هذا الكتاب ، بل وجدناهم على خير ، وصدق ، وحرص على الطاعة ، وابتعاد عن الشركيات.

فالواجب في مثل هذه القضايا أن يُحكم بالعدل ، وأن يُنقل عن القوم من واقعهم ، لا من خصومهم ، وأن يُفرّق بين من وقع في خطأ ، وبين من استقام على السنة. والإنصاف زينة العالم ، والغلو آفة تُفسد الحق وتُنفّر الناس عنه.

**وقوله رحمه الله (لكنه ينطبق على التحذير من الجماعة الذين قاموا بهذا المنهج في الهند ونحوه ، )**

لا شك أن بعض الجماعات التي نشأت في الهند تبنت منهجًا صوفيًا منحرفًا ، ولكن تعميم ذلك على جميع من يعمل في الدعوة ليس من الإنصاف ، فالإسلام يدعو إلى التثبت وعدم إطلاق الأحكام العامة ، كما قال الله تعالى : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [98] .

---

[98](الإسراء : 36)

السبب في أن الشيخ بن جبرين توسط في الحكم على كتاب التويجري أنه حمل كلامه محملا حسنا ولم يرد كله لكنه ينطبق على التحذير من الجماعة الذين قاموا بهذا المنهج في الهند ونحوه

نعم ، هذا الفهم دقيق ومنصف. الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله كان من أهل الورع والعدل في التقييم ، فلم يكن ممن يُسارع إلى ردّ الكتب أو تبنيها جملةً وتفصيلًا ، بل كان يُفرّق بين ما فيها من حق وما فيها من خطأ ، ويُحسن الظن ما أمكن ، خاصة إذا كان الكاتب من أهل الغيرة على الدين.

ولهذا ، حين سُئل عن كتاب القول البليغ للشيخ حمود التويجري ، لم يُثنِ عليه بإطلاق ، بل قال: الكتاب فيه خير ، لكنه فيه غلو ، وفيه تعميم ، ولم يُنصف الجماعة. وهذا يدل على أنه لم يردّ الكتاب كله ، لكنه لم يقبله كله أيضًا ، بل حمله على أنه يُحذّر من بعض الانحرافات التي قد تقع في بعض الأوساط ، لا أنه يُدين الجماعة كلها.

والراجح أن الشيخ ابن جبرين فهم أن التويجري رحمه الله أراد التحذير من بعض المظاهر التي قد توجد في بعض فروع الجماعة في الهند أو الباكستان ، ممن قد يقع منهم جهل أو بدعة ، لكنه عمّم الحكم على الجميع ، حتى على من ثبتت استقامتهم في البلاد العربية وغيرها ، وهذا ما لم يوافقه عليه الشيخ ابن جبرين. فكان توسطه نابعًا من:

1. حسن الظن بالكاتب ، وأنه أراد الخير.
2. التمييز بين الغلو في التعميم ، وبين أصل التحذير من الخطأ .
3. الاعتراف بأن الواقع المشاهد في بلادنا لا يوافق ما ذُكر في الكتاب .

وهذا هو منهج أهل العلم: لا يردّون الحق لأجل قائله ، ولا يقبلون الباطل لأجل مكانة كاتبه ، بل يزنون الأمور بميزان الشرع والعدل والواقع.

بن جبرين والمداخلة ! لان معهم فاشتدوا عليه :

ولقد وقعت طائفة من الغالين في التبديع ، ممن تأثروا بمنهج الشيخ حمود التويجري رحمه الله ، في خطأ جسيم حين لم يُراعوا حرمة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله ، رغم أنه كان من أعدل الناس في الحكم ، وأشدهم إنصافًا ، وأوسعهم صدرًا في التعامل مع المخالفين.

فالشيخ ابن جبرين ، الذي عُرف بتمسكه بالعقيدة السلفية ، وبذله في نصرة السنة ، لم يكن ممن يُداهن أو يُجامل ، لكنه في الوقت نفسه لم يكن من أهل الغلو ولا من أهل التسرع في التبديع ، بل كان يُفرّق بين الخطأ وصاحبه ، ويزن الأمور بميزان العلم والعدل.

وقد أنصف جماعة التبليغ في مواضع كثيرة ، فقال: من كان منهم على التوحيد ، بعيدًا عن الشركيات ، مشتغلًا بالقرآن والسنن ، فلا يُعاب عليه ، بل يُستفاد من صحبته. ومع ذلك ، فإن بعض من غلوا في التبديع لم يرضَ بهذا التوسط ، بل اتهموا الشيخ نفسه بالتساهل ، بل وبدّعه بعضهم ، ووقعوا فيه ، وغمزوا في علمه وعدالته ، وهذا من أعظم صور الجفاء.

وهذا الموقف يُظهر مفارقة مؤلمة : أن الشيخ أنصفهم ، وراعى حرمتهم ، وبيّن وجه الحق فيما يقولون ، ومع ذلك لم يُقابلوه إلا بالتجريح والتبديع ، وكأنهم لا يقبلون إلا من وافقهم في كل صغيرة وكبيرة ، وهذا خلاف منهج السلف في التعامل مع العلماء والدعاة .

فالواجب أن يُعرف للشيخ ابن جبرين قدره ، وأن يُحترم اجتهاده ، وأن يُؤخذ من إنصافه درسٌ في التعامل مع المخالف ، لا أن يُجعل هدفًا للطعن لأنه لم يُساير الغلو.

الشيخ بن جبرين ليس ضد منهج التبليغ وكذلك ليس ضد حمود التويجري ولكنه رجل وسطي حكيم يعدل ، وهذا القول هو عين الإنصاف ، بل هو خلاصة منهج الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله في التعامل مع

القضايا الخلافية والدعوية. فهو لم يكن خصمًا للتويجري ، ولم يكن مدافعًا عن جماعة التبليغ على إطلاقها ، بل كان عالمًا راسخًا ، ذا فقهٍ وبصيرة ، يتحرى العدل ، ويتجنّب الغلو ، ويزن الأمور بميزان الشريعة لا بالعاطفة ولا بالولاء الشخصي .

فقد رأيناه يثني على جهود الشيخ التويجري في نصرة التوحيد ، وفي الوقت نفسه يُبيّن أن كتابه القول البليغ فيه غلو وتعميم لا يُقبل ، ويُحذّر من أخطائه دون أن يُسقط مكانة مؤلفه. كما أثنى على أهل التبليغ ممن استقاموا على التوحيد ، واجتهدوا في السنن ، وابتعدوا عن البدع ، ودعا إلى صحبتهم والانتفاع بهم ، دون أن يُغفل وجود ملاحظات على بعض أفراد الجماعة في بعض البيئات.

وهذا هو الميزان الشرعي الصحيح : أن يُرد الباطل دون أن يُجحد صاحبه ، ويُقبل الحق ولو من المخالف ، ويُشجّع الداعي إلى الخير ما دام على هدى ، ولا يُحمل كلام العلماء إلا على أحسن المحامل إذا تعددت جهاتهم.

فابن جبرين ليس محاميًا عن أحد ، بل كان مرآةً ناصعة للعدل العلمي ، والسلوك السلفي الصادق الذي يكره الظلم كما يكره التمييع ، ويجمع بين الحزم في العقيدة ، والرفق في الدعوة ، والعدل في الحكم.

**وقوله رحمه الله (وهم من الصوفية وفيهم عقائد منحرفة ، كتعظيم القبور وعبادتها ، وعقيدة البريلوية والأشعرية.)**

لا شك أن بعض الفرق الصوفية وقعت في الغلو في تعظيم القبور ، وهذا مخالف للتوحيد الخالص الذي جاء به النبي ﷺ ، حيث قال : إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا

تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك [99]. ولكن يجب التفريق بين من وقع في هذه الأخطاء وبين من يسعى إلى تصحيحها ونشر العقيدة الصحيحة.

إن الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله حين علّق على كتاب الشيخ حمود التويجري القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ ، حاول أن يحمل كلام التويجري على أحسن المحامل ، ففهم أن مراده ليس التعميم على كل أفراد الجماعة ، بل التحذير من بعض المنتسبين إليها في الهند والباكستان ، ممن تأثروا بالطرق الصوفية المنحرفة ، كالبريلوية ، أو وقعوا في مظاهر من تعظيم القبور والدعاء عند الأضرحة .

فقال الشيخ ابن جبرين ما معناه: إن كان مراده التحذير من أولئك الذين فيهم شركيات وبدع ، ممن يُعظّمون القبور ، أو يدعون الأموات ، أو يتبعون العقائد البريلوية أو الأشعرية ، فله وجه ، أما التعميم على كل الجماعة ، خاصة من استقام منهم على التوحيد والسنة ، فغير مقبول.

وهذا التفسير يُظهر حرص الشيخ ابن جبرين على العدل والإنصاف ، فهو لم يُنكر وجود انحرافات في بعض الأوساط ، لكنه رفض أن يُعمّم الحكم على الجميع ، خاصة أن الواقع يشهد أن كثيرًا من أهل التبليغ في البلاد العربية والخليج موحدون ، بعيدون عن الشركيات ، قائمون بالسنن ، مشتغلون بالقرآن والذكر .

فكلامه عن الصوفية و البريلوية و تعظيم القبور كان تفسيرًا لما قد يكون قصده التويجري في كتابه ، لا أنه يُقرّ التعميم أو يُدين الجماعة كلها. بل على العكس ، الشيخ ابن جبرين أفتى مرارًا بجواز الخروج مع أهل التبليغ إذا كانوا من أهل التوحيد والعقيدة السليمة ، وأثنى على أثرهم في هداية العصاة.

وما سبق يُعد تأكيدًا واضحًا على براءة جماعة التبليغ والدعوة من الافتراءات التي وُجّهت إليهم جزافًا في بعض الكتابات ، ومنها ما نُقل في كتاب الشيخ التويجري القول البليغ ، الذي عمّم فيه التهم على الجماعة بأسرها

---

[99] (مسلم)

، دون تفريق بين من وقع في بعض الانحرافات في بعض الأوساط ، وبين من استقام منهم على التوحيد والسنة ، وخاصة في البلاد العربية والخليجية.

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله ، وهو من أهل التحقيق والإنصاف ، لم يؤيّد هذه التعميمات بل أنكرها عمليًا ، وبيّن أن الحكم لا يُطلق جزافًا على الجميع ، وأن من كان من أهل التبليغ على العقيدة السليمة ، خالٍ من الشركيات ، مشتغلًا بالقرآن والسنن ، فلا يُعاب عليه ، بل يُستفاد من جهاده في الدعوة والطاعة. بل الواقع العملي كما ذكرت ونعلم جميعًا ، يشهد أنهم:

1. لا يدعون الأموات ، ولا يُعلّمون تعظيم القبور ، بل يُحيون التوحيد في النفوس.
2. ينفرون من الشرك والبدع ، ويُوصون بإخلاص العمل واتباع السنة.
3. يحثّون على الصلاة والذكر وقيام الليل ، وليس في مجالسهم طقوس مبتدعة.
4. يمتثلون في الغالب لهدي النبي ﷺ في الدعوة بالحكمة والمعايشة.

فالقول أن الجماعة كلها على ضلال أو انحراف – كما حاول التويجري عفا الله عنه ، قولٌ لا يثبته الواقع ، ولا يقبله من أنصف ، وقد ردّه العلماء المعتدلون ، فكان الإنصاف في صفّ التبليغ إذا استقاموا على التوحيد ، وكان الجور فيمن عمّم عليهم التهم ولم يُفرّق.

**وقوله رحمه الله (فأما من سلك منهجهم من أهل السنة والتوحيد فإنهم ليسوا ممن ذكر ، )**

هناك من انتسب إلى جماعة التبليغ وهو على عقيدة صحيحة ، يعمل على نشر الإسلام وفق منهج أهل السنة والجماعة ، وهؤلاء يجب دعمهم وتشجيعهم ، كما قال النبي ﷺ : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا [100].

هذا القول من الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله يُعد نصًا صريحًا في تبرئة جماعة التبليغ وأفرادها المستقيمين على العقيدة الصحيحة من التهم التي وُجّهت إليهم في كتاب القول البليغ للشيخ حمود التويجري. فقد قال الشيخ ابن جبرين ما معناه: فأما من سلك منهجهم من أهل السنة والتوحيد ، فإنهم ليسوا ممن ذكر.

وهذا تصريح واضح بأن التحذير الذي ورد في الكتاب لا يشمل من كان من أهل التبليغ على عقيدة سليمة ، بعيدًا عن الشركيات والبدع ، بل هؤلاء يُثنى عليهم ، ويُستفاد من جهدهم ، ولا يُنسب إليهم ما نُسب إلى غيرهم ممن قد يكون وقع في انحرافات في بعض الأقطار.

وقد بيّن الشيخ في مواضع أخرى أن جماعة التبليغ في بلادنا – كالسعودية والخليج – فيهم من أهل الخير والصلاح ، ممن عرفوا التوحيد ، وابتعدوا عن البدع ، واشتغلوا بالقرآن والسنن ، وأنه لا يُخشى على من يصحبهم إذا كان على علم وبصيرة.

فهذا الموقف يُجسّد العدل والإنصاف في التقييم ، ويُفرّق بين الغلو في التعميم ، وبين النقد العلمي المنضبط ، ويُؤكد أن الميزان هو العقيدة والسلوك ، لا مجرد الانتماء أو الاسم .

**وقوله رحمه الله (فهم من أهل عقيدة أهل السنة والجماعة ، )**

---

[100] (مسلم)

وهذا هو الأصل ، فكل من يدعو إلى الله يجب أن يكون على عقيدة صحيحة ، مستندًا إلى الكتاب والسنة ، كما قال الله تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [101] .

وطالما كان الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله من أكثر العلماء إنصافًا في الحديث عن جماعة التبليغ ، وقد أكّد في مواضع متعددة أن من كان منهم على عقيدة أهل السنة والتوحيد ، بعيدًا عن الشركيات والبدع ، فإنه يُعد من أهل السنة والجماعة ، ولا يُعاب عليه ، بل يُستفاد من صحبته .

ففي إحدى فتاواه المشهورة ، قال الشيخ ما معناه: جماعة التبليغ في بلادنا أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالتبليغ والدعوة ، وقد نفع الله تعالى بهم ، ولو كان فيهم شيء من الخلل .

ثم فرّق بوضوح بين جماعتهم في البلاد الإسلامية التي يغلب عليها التوحيد ، وبين بعض المنتسبين إليهم في الهند والباكستان ، فقال: أما جماعة التبليغ في البلاد الأخرى كالهند والباكستان ونحوها ، فالغالب أن فيهم قبوريون وصوفية ، يقومون ببعض الأعمال غير المشروعة . وخلاصة تأكيداته أن :

1. أهل التبليغ في بلاد التوحيد : من أهل السنة والجماعة ، إذا سلمت عقيدتهم ، وابتعدوا عن الشركيات ، واشتغلوا بالقرآن والسنن.
2. الصحبة معهم جائزة : بل نافعة ، إذا كان الخارج معهم على علم وبصيرة.
3. التحذير من التعميم : لا يجوز أن يُحكم على الجماعة كلها من خلال أخطاء بعض الأفراد في بيئات أخرى.
4. الدعوة إلى تصحيح المسار : أوصى من يصحبهم أن يُظهر معتقد أهل السنة ، ويحثهم على قراءة كتب التوحيد والعقيدة.

---

[101](آل عمران : 103)

هذا الموقف المتوازن يُجسّد العدل العلمي والإنصاف الدعوي ، ويُعلّمنا أن الحكم على الجماعات لا يكون بالتجريح العام ، بل بميزان العقيدة والسلوك والواقع المشاهد .

**وقوله رحمه الله (وقد قرءوا في المعاهد العلمية والجامعات الإسلامية ، )**

نعم ، كثير من الدعاة الذين خرجوا مع الجماعة تلقوا العلم الشرعي في الجامعات الإسلامية ، مما يجعلهم أكثر قدرة على تصحيح المفاهيم ونشر العقيدة الصحيحة ، كما قال النبي ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم [102] .

الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله لم يكن يتحدث عن جماعة التبليغ من موقع البُعد أو الجهل بحالهم ، بل كان يعرفهم عن قرب ، ويُدرّس لكثيرٍ منهم ، ويشهد لهم بالخير والصلاح . وقد صرّح في أكثر من موضع بأن عددًا كبيرًا من المنتسبين إلى جماعة التبليغ في المملكة العربية السعودية والخليج هم من طلابه الذين تلقوا العلم في المعاهد العلمية والجامعات الإسلامية ، ودرسوا على أيدي العلماء ، وتشرّبوا عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد قال في إحدى فتاواه ما معناه: كثير من هؤلاء الذين يخرجون مع جماعة التبليغ هم من طلابنا ، وقد قرأوا في المعاهد والجامعات ، ونعرفهم معرفة جيدة ، وهم على عقيدة صحيحة ، ولا يُخشى عليهم.

وهذا التصريح يُعد ردًا عمليًا على من زعم أن الشيخ لا يعرف حقيقة الجماعة أو أنه يتكلم عنهم من بعيد . بل هو يُؤكد أنه يُفرّق بين من وقع في انحراف في بعض البلاد ، وبين من استقام منهم على التوحيد والسنة في بلادنا ، وأنه لا يُعمّم الأحكام ، بل يحكم بالواقع والعلم والمعايشة .

---

[102] (ابن ماجه)

فموقفه ليس مبنيًا على المجاملة ، بل على المعرفة الدقيقة ، والتجربة المباشرة ، والعدل في التقييم ، وهو ما يُبرز مكانته كعالمٍ رباني ، يُنصف ولا يُجامل ، ويزن الأمور بميزان الشرع لا بالعاطفة.

والحق لا يُعرف بكثرة الصياح ، بل يُعرف بالعدل والميزان الشرعي ، ومن تأمل موقف الشيخ ابن جبرين رحمه الله وجده قائمًا على البصيرة والورع والإنصاف ، لا على التعصّب ولا ردود الأفعال. لقد خالف غلاة التبديع منهجه حين تجاوزوا في التعميم ، وأسرفوا في الأحكام الجازمة على الدعاة والجماعات ، بل حتى على أهل العلم كالشيخ ابن جبرين نفسه ، مع أنه شهد لهم بالخير ، وبذل في بيان التوحيد عمره كله.

الشيخ لم يبرر البدعة ، ولم يُداهن في العقيدة ، ولكنه فرّق بين من استقام واهتدى ، وبين من انحرف وزل ، وأكد أن جماعة التبليغ في بلاد التوحيد من أبناء المعاهد الشرعية ، وطلاب الجامعات الإسلامية ، وهو يعرفهم فردًا فردًا ، ويشهد لهم بعقيدة أهل السنة والجماعة .

أما من جاوزه من الغلاة ، فقد خالفوا المنهج الذي يدّعونه ، حين لم يُراعوا حرمة أهل العلم ، ولم يُنصفوا من خالفهم ، ووقعوا فيما يُنكرونه على غيرهم من تسرع وتبديع وتجهيل.

وهنا يظهر جليًا أن ميزان الشيخ ابن جبرين هو الأقرب لهدي السلف ، والأعدل في الموازنة بين الإنكار على الخطأ ، والعدل في الحكم على الأشخاص والجماعات .

### وقوله رحمه الله (وأخذوا عن المشائخ المعروفين بالتوحيد)

وهذا دليل على أنهم يسيرون على منهج صحيح ، فطلب العلم من العلماء الثقات هو السبيل لفهم الدين بشكل صحيح ، كما قال الله تعالى : فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [103] .

---

[103] (النحل : 43)

وقول الشيخ رحمه الله هذا من أبلغ الشواهد على عدالته وإنصافه في الحكم على الجماعات والأفراد . فقد أكّد مرارًا أن جماعة التبليغ في المملكة العربية السعودية وبلاد العرب ليسوا على ما يُنسب إليهم من بدع أو شركيات ، بل هم في الغالب من أهل التوحيد والسنة ، وقد تلقوا العلم على أيدي المشايخ المعروفين بالعقيدة الصحيحة.

وقد جاء في إحدى فتاواه ما نصه وقد ذكرناه قريبا في الفقرة السابقة : كثير من هؤلاء الذين يخرجون مع جماعة التبليغ هم من طلابنا ، وقد قرأوا في المعاهد والجامعات ، ونعرفهم معرفة جيدة ، وهم على عقيدة صحيحة ، ولا يُخشى عليهم.

وهذا التصريح يُظهر بوضوح أن الشيخ لم يكن يتحدث عنهم من بعيد أو عن جهل بحالهم ، بل كان يعرفهم عن قرب ، ويشهد لهم بالاستقامة ، ويُثني على جهودهم في الدعوة ، ما داموا على الجادة.

وقال في موضع آخر: جماعة التبليغ في بلادنا أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالتبليغ والدعوة ، وقد نفع الله تعالى بهم ، ولو كان فيهم شيء من الخلل .

فهذا هو الميزان السلفي الصحيح : لا يُعمّم الذم ، ولا يُغفل الواقع ، بل يُفرّق بين من استقام على التوحيد ، وبين من خالف ، ويُشجِّع أهل الخير على ما هم عليه ، ويُوجَّه الخطأ بلطف وعدل.

**وقوله رحمه الله (لكنهم رأوا أن هذا المنهج في الدعوة بالفعل يفيد كثيرًا ، )**

نعم ، لأن الدعوة تحتاج إلى وسائل عملية تؤثر في الناس ، وليس مجرد الكلام النظري ، كما قال النبي ﷺ : الدين النصيحة [104] .

وهنا يبين الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله بحكمة ووضوح أن السبب الذي يدفع كثيرًا من طلبة العلم من السلفيين إلى الخروج مع جماعة التبليغ هو أنهم رأوا في هذا المنهج الدعوي ثمرات عملية عظيمة ، وتأثيرًا ملموسًا في إصلاح النفوس ، وهداية العصاة ، وإحياء السنن ، لا سيما في أوساط الناس الذين لا تصلهم المحاضرات ولا الدروس العلمية.

إذًا ، لماذا يخرج السلفيون معهم؟ لأنهم وجدوا في هذا المنهج : لأنها دعوة تتميز بأنها

1. دعوة عملية لا تنظيرية : فيها خروج إلى الناس ، وزيارة للغافلين ، وتذكير بالسنن ، لا انتظار في المساجد فقط.
2. صحبة صالحة تُحيي القلب : فيها تهجد ، وذكر ، وخدمة ، وتواضع ، تُؤثر في العاصي أكثر من ألف موعظة.
3. أسلوب غير تصادمي : لا جدال ، ولا تعنيف ، بل دعوة بالحال قبل المقال ، وهذا ما يفتح القلوب المغلقة.
4. إحياء للفرائض والسنن : من صلاة الجماعة ، وقيام الليل ، وذكر الله ، وطلب العلم ، مما يُعيد الناس إلى الله.

---

[104](مسلم)

والسلفيون الذين خرجوا معهم لم يخرجوا عن عقيدتهم ، ولا تخلّوا عن منهجهم ، بل خرجوا وهم على بصيرة ، يُظهرون التوحيد ، ويُعلّمون السنة ، ويُكمّلون ما قد يكون من نقص ، ويستفيدون من قوة الحركة والانتشار التي تميّز بها أهل التبليغ.

فالشيخ ابن جبرين لم يُنكر هذا ، بل أقرّه وشجّعه ، ما دام الخارج معهم على علم وبصيرة ، ويُظهر معتقد أهل السنة ، بل رأى أن هذا التعاون فيه نفع عظيم للدعوة ، وإحياء للقلوب ، وتقريب للناس من ربهم.

**وقوله رحمه الله (ولم يقتصروا على الأعمال بل دعوا إلى الله بالأفعال والأقوال فنفع الله وتاب على أيديهم بشر كثير. والله أعلم.)**

وهذا هو الهدف الحقيقي للدعوة ، أن تكون مؤثرة في حياة الناس ، فتجعلهم يعودون إلى الله ، كما قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [105] .

فالشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله ، حين قال: ولم يقتصروا على الأعمال ، بل دعوا إلى الله بالأفعال والأقوال ، فنفع الله وتاب على أيديهم بشر كثير ، كان يُشير إلى أثرٍ عملي عظيم شهده بنفسه من خلال تجربة طلبة العلم السلفيين الذين خرجوا مع جماعة التبليغ ، لا لمجرد الصحبة ، بل للدعوة والتعليم والإصلاح .

[105](فصلت : 33)

فقوله لم يقتصروا على الأعمال أي أن هؤلاء الطلبة لم يكتفوا بمجرد المشاركة في الأنشطة الظاهرة كالصلاة والذكر والخروج ، بل أضافوا إلى ذلك بُعدًا علميًا وتربويًا ، فكانوا يُعلّمون التوحيد ، ويُصحّحون المفاهيم ، ويُرشدون إلى السنة ، فيُكملون ما قد يكون من نقص في بعض الأوساط.

وقوله بل دعوا إلى الله بالأفعال والأقوال أي أنهم جمعوا بين القدوة العملية والكلمة المؤثرة . فكانوا يُرون الناس كيف يُصلّى بخشوع ، وكيف يُذكر الله بصدق ، ثم يُبيّنون لهم العقيدة الصحيحة ، ويُجيبون عن الأسئلة ، ويُرشدونهم إلى كتب أهل السنة ، فيتحقق بذلك التوازن بين العمل والعلم.

وقوله فنفع الله وتاب على أيديهم بشر كثير بيان لهذه الثمرة: أن الله بارك في هذا الجهد ، فتاب على أيديهم كثير من العصاة ، واهتدى من كان غافلًا ، واستقامت بيوتٌ وأسرٌ ، لا لأنهم ألقوا محاضرات فقط ، بل لأنهم عاشوا مع الناس ، وعلّموهم ، واحتووهم ، وأحسنوا إليهم .

وخلاصة القول هنا أن الشيخ ابن جبرين يُثني هنا على المنهج العملي المتوازن الذي سلكه بعض طلبة العلم السلفيين ، حين خرجوا مع أهل التبليغ بنية الإصلاح والتعليم ، لا التبعية ، فكانوا سببًا في نشر التوحيد ، وتصحيح المفاهيم ، وهداية الناس ، دون أن يتنازلوا عن عقيدتهم أو منهجهم .

وبهذا التعقيب ، يتضح أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة وتوازن ، وأن جماعة التبليغ تضم أفرادًا يسعون إلى إصلاح القلوب ونشر الخير ، مع الحرص على تصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [106] .

---

[106] (المائدة : 2)

## الفتوى الخامسة : الكلام على العلماء وإنصافهم ، وموقف الشيخ من القطبية والإخوان .

وستجد أيضا في الموقع الرسمي للشيخ في جزء الفتاوى ابن جبرين في جزء الآداب الشرعية في آداب المعاملة في قسم العلم وتحت تصنيف أحكام العلم في ركن توقير العلماء وتعظيم حرماتهم تحت رقم 4356 فتوى بعنوان (الكلام على العلماء)

السؤال : وصلتني أخبار قالوا فيها بأنك من رءوس القطبية فهل هذا صحيح ؟ فأرجو منك يا شيخ أن تطمئنني بجوابك فقد كثر الكلام اليوم على العلماء والتجريح فيهم فأصبح كل من هب ودب يتكلم في أعراض العلماء والطعن فيهم ، فطعنوا في الشيخ بكر أبي زيد وقالوا إنه من رءوس التكفير فهل هذا صحيح يا شيخ ، وسبوا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقالوا لي أنت وهابي لما رأوني أحمل كتابه ( الأصول الثلاثة ) ، وإذا رأوني أحمل رسالة من رسائل الشيخ ابن باز أو ابن عثيمين رحمهما الله قالوا أنت بازي أنت عثيميني ، ويبغضون الشيخ الألباني رحمه الله بغضًا شديدًا ، ويسبون العلامة ربيع المدخلي ويقولون إنهم زلفيون وليسوا سلفيين ، وهم يشتمون الشيخ النجمي بأبشع الكلام وهم أيضًا يبغضون جدًّا جدًّا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله فأرجو منك يا شيخ أن تنصحني في كيفية التعامل معهم ، وأن تدلني على بعض الكتب لأشتريها فكم من رسالة أسمع بها لكنها غير متوفرة هنا ، فعندنا مثلًا كتاب (المحجة البيضاء) ، وكتاب (الرجل والمنهج) و كتاب (المورد العذب الزلال) فأرجو منك يا شيخ الإجابة على هذه الأسئلة.

الجواب : وصلنا خطابك وسَرَّنَا ما فيه من التوجه وما تقوم به من النصيحة ومقاومة المبتدعة فتمسك بالسنة ، وسر على نهج السلف ، ولا يضر السحاب نبح الكلاب ، فأما القطبية فهذه كلمة مبتدعة منسوبة إلى سيد قطب و حسن البنا رحمهما الله وقد كان كل منهما من الدعاة إلى الله ، ولهم من المقامات في الصبر والتحمل ما ليس لغيرهم ، وقد صبر كل منهما على القتل؛ حيث قتلا ظلمًا ولم يتنازل كل منهما عما يدعو إليه ، بل أصر كل منهما على التصريح بتكفير المشركين والقبوريين والاشتراكيين والبعثيين والقانونيين ،

ودعوا إلى الله تعالى ، وهدى الله بهما خلقًا كثيرًا ، والذين اعترضوا عليهما وكفروهما قد كانوا قبل عشر سنوات يترحمون عليهما ، ويذكرون عنهما مقامات مشرفة ، ويدعون لهما ويثنون على ما قام به كل منهما من الجهاد والصبر والتحمل والدعوة إلى الله والصبر على الأذى فيه حتى وصل إلى السجن والتعذيب ثم الحكم بالإعدام دون أن يتنازلا عن ما كانا عليه. وفي الوقت المتأخر ظهر من بعض الناس السب والعيب وتتبع الأخطاء؛ حتى جعلوهما ضالين مضلين كافرين خارجين من الدين ، فنتعجب كيف تجدد هذا الفكر بعد عشرات السنين؛ فلذلك نقول : إن الواجب على المسلم أن يعترف بالفضل لأهله ، وأن ينبه على الأخطاء والهفوات ، وألا يجحد للمحسنين إحسانهم ، ولا للعلماء فضلهم ونفعهم ، فإن لهؤلاء العلماء الذين هم الإخوان المسلمون مقامات شريفة يعجز من بعدهم عن الوصول إليها ، وإن كان لهم أخطاء اجتهادية يعذرون عليها ، فالواجب أن ينبه على أخطائهم وألا تطوى حسناتهم ومآثرهم ، ونحيل القارئ إلى الكتاب الذي صنف بعنوان : (الإخوان المسلمون صنعوا التاريخ) ، ونقول : إن المنصف يعترف بالخير لأهله ، ولا يجحد المعروف ، وأما الأعداء فإنهم يظهرون السيئات وينسون المحاسن والآثار على حد قول الشاعر : صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذن إن يسمعوا سيئًا طاروا به فرحا عني وما سمعوا من صالحٍ دفنوا ولعل سبب إنكارهم فضائل هؤلاء العلماء الحسد الذي رأوه من كثير في هذه الأزمنة من العلماء حيث رأوا إقبال طلبة العلم عليهم ، فينطبق عليهم قول الشاعر : حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم ولا شك أن الذين يقدحون في علماء الدين ويتتبعون الهفوات فيجعلون من الحبة قبة أنهم بعيدون من الصواب فلا يغتر بهم ، فالواجب أن يسمع من العلماء وإذا رئي منهم شيء من الخطأ فإنهم يعذرون لأنهم مجتهدون والمجتهد له أجر على اجتهاده ، لحوم العلماء مسمومة والطعن فيهم طعن في العلم الذي هو ميراث الأنبياء وهكذا يقال في الشيخ بكر أبي زيد فإنه من المعروفين بالعلم الصحيح والتحقيق في المعلومات ، وقد نفع الله تعالى بكتبه ، ولا عبرة بمن خَطَّأَه في بعض رسائله فإن أولئك الطاعنين هم من أهل الفساد والميل إلى المعاصي والدعاة إلى تبرج النساء وإلى الاختلاط بين الجنسين ، وهدفهم أن

يشبعوا غرائزهم من فعل الفواحش ونيل المشتهيات ، ونقول : متى سمعت السب والعيب لعلماء الدين ، فعليك أن تناقشهم وتجعل المرجع كتاب الله وتفسيره للعلماء المتقدمين كـ عبد الرزاق و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن كثير وكذلك صحيح البخاري و مسلم والسنن الأربعة وشروحها ، فإن الذين يتحاكمون إليها هم أهل السنة ، والذين يطعنون فيها هم أهل البدع. وأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فإنه ما أتى بمذهب جديد ، وإنما دعا إلى التوحيد وإلى العقيدة السليمة ، ولهذا لم يستطع أحد الرد على كتابه ( ثلاثة الأصول ) ولا على كتابه ( كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ) فمن أنكر عليه فإنه يسأل هل هذه الأحاديث فيها مطعن أو فيها كذب ولا يستطيع أن يجد إلى ذلك سبيلًا ، وهكذا رسائل الشيخ ابن باز أو ابن عثيمين رحمهما الله لا يستطيعون أن يجدوا فيها مطعنًا في باب الاعتقاد ، وهكذا الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله فإنه محدث وعالم كبير وإن كان قد أخطأ في مسألة حجاب النساء نظرًا إلى مجتمعه ، وأخطأ في عدم تكفير تارك الصلاة ، ولكنه مجتهد وله أجره ، وقد رد عليه كثير من العلماء وبينوا وجوب ستر المرأة وجهها أمام الأجانب ، وبينوا كفر تارك الصلاة عنادًا. وأما ربيع المدخلي والشيخ النجمي فإنهما من العلماء السلفيين إن شاء الله ، ولكن قد ظهر منهما شيء من المخالفة لبعض المشايخ ، فأظهرا الطعن في الإخوان المسلمين بـ مصر رغم أنهما قبل عشر سنين أو خمس عشرة سنة كانوا من الذين يمدحون الإخوان المسلمين ، ويترحمون عليهم ، فنقول : إن الواجب على الجميع النصيحة لمن يخالفه ، والاشتغال بانتقاد الكثير من المبتدعة الأحياء كـ ابن علوي وكذا التحذير من دعاة البدع كالرافضة والمعطلة ، وعدم الاشتغال بالبحث عن أخطاء أولئك الذين ماتوا بعد أن قاموا بالدعوة إلى الله تعالى وهدى الله على أيديهم خلقًا كثيرًا في مصر وغيرها. وأما الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله فإنه من علماء أهل السنة ، وقد نفع الله بعلومه ، وقد ألف مؤلفات تدل على نصحه وقوة معلوماته ، فعليك أن تظهر الحق وتعمل به ، ولا حاجة بك إلى الكتب المتجددة ، فننصحك ألا تقتني كتاب ( المحجة البيضاء ) ، ولا كتاب ( الرجل والمنهج ) و لا كتاب ( المورد العذب الزلال ) فإنها تناقش أخطاءً ليست صحيحة ، وأما كتب الشيخ بكر أبي زيد

وكتاب مقبل الوادعي وكتاب البيان لـ ابن فوزان فلا بأس بها ، وننصحك أن تقتني كتب العلماء المتقدمين ككتاب السنة لـ ابن أبي عاصم و (السنة) لـ الإمام أحمد و (الرد على الزنادقة) لـ الإمام أحمد والرد على الجهمية لـ الدارمي و (شرح السنة) لـ البربهاري و (متن العقيدة الطحاوية) لـ الطحاوي ونحوها من كتب العقيدة ، وهي متوفرة في المكتبات الكبيرة في مصر وفي المملكة ولعلها توجد في الجزائر وغيرها. وأما كتاب ( عمدة الأحكام ) و (بلوغ المرام ) و ( منتقى الأخبار ) و ( نخبة الفكر ) و ( علوم الحديث ) لـ ابن الصلاح ومتن الورقات وروضة الناظر وتفسير الفرائض والفوائد الجلية وكشف الشبهات والواسطية والحموية والتدمرية والآجرومية ، فكلها كتب مشهورة ، ولك أن توكل من يشتريها لك من مصر فإنها متوفرة هناك بأثمان رخيصة.

## التعقيب على الفتوى الخامسة :

ومن وجهة نظر داعية إلى الله تعالى يخرج في سبيل الله ويدافع عن منهجه مما يقال عنه من افتراءات. سأحرص على أن يكون تعقيبي مستندًا إلى الكتاب والسنة وفهم علماء الأمة

**فقوله رحمه الله (وصلنا خطابك وسَرَّنَا ما فيه من التوجه وما تقوم به من النصيحة ومقاومة المبتدعة فتمسك بالسنة ، وسر على نهج السلف ، ولا يضر السحاب نبح الكلاب )**

فإنه مما لا شك فيه أن الدفاع عن السنة أمر مطلوب ، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك بالتعميم في وصف المخالفين بالمبتدعة ، خاصة إذا كان كثير من الشباب لا يفرقون حقيقة بين المبتدعة حقا وبين عامة المسلمين الذين قد يقع من بعضهم أخطاء فيظنها هؤلاء الشباب مبتدعة !! فالإسلام يدعو إلى الحكمة في التعامل مع الناس كما قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [107]. كما أن النبي ﷺ كان

[107](النحل : 125)

يتعامل بالرفق مع جميع أصحابه حتى مع أصحاب الأخطاء ، فقد قال : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [108].

**وقوله رحمه الله (فأما القطبية فهذه كلمة مبتدعة منسوبة إلى سيد قطب وحسن البنا رحمهما الله وقد كان كل منهما من الدعاة إلى الله ) فيُفهم منه عدة أمور مهمة:**

1. رفضه رحمه الله لمصطلح القطبية : فالشيخ رحمه الله يرى أن هذا المصطلح محدث ، أي لم يكن معروفًا في عهد السلف ، وهو منسوب إلى أشخاص بعينهم ، مما يجعله غير منضبط شرعًا في إطلاق الأحكام.
2. عدم تبديعه لسيد قطب وحسن البنا: بل موقفه على العكس ، وصفهما بأنهما من الدعاة إلى الله ، وهي عبارة فيها ثناء واضح ، تدل على أنه يرى فيهما نية صالحة وجهدًا في الدعوة ، رغم ما قد يكون لهما من أخطاء.
3. تمييزه بين الخطأ والبدعة :الشيخ لم ينفِ وجود أخطاء أو اجتهادات غير موفقة لهما ، لكنه لم يُخرجهم من دائرة أهل السنة أو يصفهم بالبدعة ، بل حذّر من التسرع في التبديع والتفسيق ، كما ورد في فتواه التي قال فيها : لا يجوز التبديع والتفسيق للمسلمين . .
4. استحضاره لمواقف العلماء الكبار :أشار إلى أن الشيخ ابن باز رحمه الله شفع لسيد قطب عند الحكم عليه بالإعدام ، مما يدل على أن العلماء الكبار لم يكونوا يرونه مبتدعًا ، بل شهيدًا قُتل ظلمًا.

[108](مسلم)

بالتالي ، الشيخ ابن جبرين رحمه الله كان يميل إلى الإنصاف والعدل في الحكم ، مع التحذير من الغلو في التبديع ، خاصة في حق من عُرفوا بالدعوة إلى الله ، حتى وإن وُجدت عليهم ملاحظات.

واعلم أن مصطلح القطبية لم يكن من ابتكار سيد قطب نفسه ولا من اختراع أصحابه ، بل أُطلق لاحقًا من قِبل خصومه أو بعض الباحثين لتوصيف تيار فكري داخل الحركة الإسلامية تأثر بأفكاره ، خاصة بعد محنة تنظيم 1965 في مصر.

والمراد من هذا المصطلح غالبًا ما يكون سلبيًا في السياقات التي يُستخدم فيها ، ويُقصد به:

1. نسبة الفكر إلى سيد قطب ، لا سيما أفكاره حول الجاهلية المعاصرة و الحاكمية و رفض الأنظمة القائمة .
2. التمييز بين منهج الإخوان التقليدي ومنهج من تأثروا بقطب ، حيث رأى البعض أن أفكاره تمثل انحرافًا عن منهج حسن البنا ، مؤسس الجماعة.
3. التحذير من الغلو أو التكفير ، إذ يُستخدم المصطلح أحيانًا لوصف من يرون أن المجتمعات الإسلامية اليوم جاهلية ، ويكفرون الحكومات القائمة ، ويدعون إلى التغيير بالقوة.

ولكن من المهم أن نلاحظ أن هذا التوصيف ليس محايدًا ، بل يحمل في طياته حكمًا ضمنيًا على الفكر المنسوب إليه. ولهذا ، فإن بعض العلماء ، مثل الشيخ ابن جبرين رحمه الله ، رفضوا إطلاق هذا الوصف على الأشخاص ، واعتبروه لفظًا محدثًا لا ينبغي أن يُستخدم للحكم على النوايا أو العقائد.

نقول نعم ، كلاهما – البنا وقطب كان له جهود في نشر الدعوة ، ويجب التعامل مع أقوالهما بإنصاف وفق القواعد الشرعية ، فقد قال النبي ﷺ : اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم [109]. فلا يصح أن يُهدر كل الخير الذي قدموه بسبب بعض الأخطاء التي وقعوا فيها.

**وقوله رحمه الله (ولهم من المقامات في الصبر والتحمل ما ليس لغيرهم ، وقد صبر كل منهما على القتل؛ حيث قتلا ظلمًا ولم يتنازل كل منهما عما يدعو إليه ، بل أصر كل منهما على التصريح بتكفير المشركين والقبوريين والاشتراكيين والبعثيين والقانونيين ، ودعوا إلى الله تعالى ، وهدى الله بهما خلقًا كثيرًا ، )**

اعلم أن الصبر على الأذى في سبيل الله من أعظم خصال الدعاة ، كما قال الله تعالى : وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [110] ، ولكن لا يصح أن يكون التصريح بالتكفير بلا ضوابط شرعية ، فالتكفير مسألة خطيرة يجب ضبطها وفق قواعد أهل السنة والجماعة ، كما قال النبي ﷺ : إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما (البخاري ومسلم).

ففي قول الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله دلالة واضحة على الإنصاف والثناء ، وفيه تأكيد على :

1. الإشادة بصبرهما وثباتهما: الشيخ يبرز أن كلاً من سيد قطب وحسن البنا تحملا الأذى والقتل ظلمًا ، ولم يتراجعا عن دعوتهما ، مما يدل على قوة الإيمان والثبات على المبدأ.
2. تأكيد صدق الدعوة: وصفهما بأنهما دعوا إلى الله و هدى الله بهما خلقًا كثيرًا يُعد تزكية واضحة ، ويُظهر أن أثر دعوتهما كان إيجابيًا في هداية الناس.

---

[109] (الترمذي)
[110] (الأنفال : 46)

3. ذكر مواقفهما من التيارات المنحرفة: الشيخ يوضح أن كلاً منهما كان صريحًا في رفض الشرك والقبورية والأنظمة الاشتراكية والبعثية والقانونية ، مما يعكس غيرتهما على التوحيد ونقاء العقيدة.
4. عدم تبديعهما رغم ما نُسب إليهما: رغم أن البعض استخدم هذه المواقف للطعن فيهما ، فإن الشيخ لم يصفهما بالبدعة أو الضلال ، بل أثنى عليهما ، مما يدل على تفريقه بين الخطأ والاجتهاد من جهة ، والبدعة والضلال من جهة أخرى .
5. التحذير من الجحود والنكران : الشيخ ينتقد من يُنكر فضل هؤلاء الدعاة ويتتبع زلاتهم ، ويؤكد أن العدل يقتضي الاعتراف بالفضل مع التنبيه على الخطأ دون طمس للمحاسن.

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله كان يرى أن سيد قطب وحسن البنا من أهل الدعوة المخلصين ، وأن ما صدر منهما من مواقف أو اجتهادات لا يُخرجهم من دائرة أهل السنة ، بل يُنظر إليهم بعين الإنصاف ، لا بعين الغلو أو الجحود.

**وقوله رحمه الله (والذين اعترضوا عليهما وكفروهما قد كانوا قبل عشر سنوات يترحمون عليهما )**

يُشير إلى تناقض بعض المنتسبين إلى العلم أو الدعوة الذين كانوا في السابق يُثنون على سيد قطب وحسن البنا ، ويترحمون عليهما ، ويقرّون بفضلهما في الدعوة ، ثم انقلبوا فجأة إلى التشدد في الحكم عليهما ، بل وصل الأمر إلى تكفيرهما.

وأما التيارات التي تتقصّد انتقاد أو تنقص سيد قطب وحسن البنا تنتمي غالبًا إلى ما يُعرف بـ التيار السلفي التقليدي أو المدخلي ، نسبة إلى الشيخ ربيع بن هادي المدخلي. هذا التيار يزعم:

1. تشديده على الانضباط العقدي والمنهجي وفق فهمه للسلف الصالح. وهو غال في ذلك وليس متبعا للحق كما يزعم .

2. رفضه لأي فكر سياسي حركي ، ويرى أن جماعة الإخوان المسلمين تمثل انحرافًا عن المنهج السلفي. مع أن السياسة الشرعية مطلوبة ويجب إصلاح الواقع بالمتاح .
3. نقده الشديد لسيد قطب ، خاصة بسبب مفاهيم مثل الجاهلية و الحاكمية ، التي اعتبرها بعضهم مدخلًا للتكفير أو الثورة على الحكام. وهو غلو منهم بسبب قربهم من السلطان وسيرهم بأمره .

وقد اتجهت هذه الحزبيات المنتسبة للسلفية إلى التشدد والشطط في التعامل مع سيد قطب وحسن البنا لبعض المزاعم :

1. خلاف منهجي: فإنهم يرون أن فكر سيد قطب يحمل بذورًا للثورة والتكفير ، ويخالف منهج السلف في الدعوة والتغيير. وهذا ما يظهرونه ويزعمونه .
2. موقفهم من الحركات الإسلامية: فهم يعتبرون جماعة الإخوان المسلمين جماعة حزبية محدثة ، ويعارضون العمل السياسي الحركي.
3. تأثرهم بكتابات ناقدة: مثل كتب الشيخ ربيع المدخلي ، الذي ألّف مؤلفات كاملة في الرد على سيد قطب ، واعتبره من رموز الانحراف الفكري.
4. الاصطفاف السياسي: في بعض السياقات ، ارتبط هذا النقد بمواقف سياسية داعمة للأنظمة ، مما جعلهم أكثر حدة في رفض أي فكر يُفهم منه معارضة للحكم.

ولكن من المهم أن نُشير إلى أن كثيرًا من العلماء والدعاة من أهل السنة ، حتى ممن يخالفون سيد قطب أو حسن البنا في بعض آرائهما ، لم يرضوا بهذا الأسلوب في الطعن أو التبديع ، بل دعوا إلى العدل والإنصاف ، كما فعل الشيخ ابن جبرين رحمه الله ، والشيخ ابن باز في مواقفه المعروفة.

ويتلخص المقصود من كلام الشيخ بن جبرين :

1. التحذير من التسرع في إطلاق الأحكام: فالشيخ رحمه الله ينتقد هذا التحول المفاجئ ، ويرى أنه غير مبني على إنصاف أو تحقيق علمي ، بل على موجات من التأثر بتيارات معينة أو شخصيات ناقدة.
2. الدعوة إلى الثبات والعدل: فالثناء السابق والترحم لم يكن عبثًا ، بل كان مبنيًا على معرفة بجهودهما في الدعوة ، فكيف يُلغى كل ذلك فجأة؟ الشيخ يدعو إلى العدل في التقييم ، لا التقلب بحسب الأهواء أو الضغوط.
3. الإشارة إلى بعض التيارات السلفية المتشددة: يُحتمل أن الشيخ يقصد بعض المنتسبين إلى التيار السلفي الذي تأثر بكتابات الشيخ ربيع المدخلي ، ممن بالغوا في نقد سيد قطب وحسن البنا ، وبدّعوهم بل وربما كفّروهم ، رغم أنهم كانوا في السابق يُثنون عليهم أو لا يُنكرون فضلهم.

إن الشيخ ابن جبرين رحمه الله كان من العلماء الذين جمعوا بين الغيرة على العقيدة والعدل في الحكم على الأشخاص ، فرفض الغلو في التبديع ، وأكد أن الفضل لا يُنكر ، حتى مع وجود الأخطاء.

وهذا يدل على تسرع بعض المنتقدين في الحكم ، والمطلوب هو التثبت في إطلاق الأحكام ، كما قال الله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا [111].

**وقوله رحمه الله (وفي الوقت المتأخر ظهر من بعض الناس السب والعيب وتتبع الأخطاء؛ حتى جعلوهما ضالين مضلين كافرين خارجين من الدين )**

رحم الله الشيخ ابن جبرين ، فقد كان بحق من أهل الإنصاف والرحمة ، يجمع بين غزارة العلم ورفق المنهج. وقوله هذا فيه توجيه رصين ونقد واضح لمظهر من مظاهر الغلو في التعامل مع المخالف ، وهو ما شاع في

[111] (الحجرات : 6)

أوساط بعض الشباب المتدينين الذين غلبت عليهم الحماسة ، فصاروا يشتدون بغير حق ولا علم على الدعاة والمصلحين بسبب مسائل خلافية ، ويهدرون ما لهم من سوابق في الخير ، بل ويتعدّون ذلك بالحكم عليهم بالضلال أو حتى بالكفر.

فالشيخ هنا ينتقد ظاهرة السبّ والتعييب وتتبع الأخطاء التي ظهرت لدى بعض شباب الصحوة الاسلامية في العصر المتأخر ، ويقصد بذلك نهجًا صار فيه بعضهم لا يرون في الشخص سوى زلّاته ، ويتركون ما عنده من علم أو إصلاح أو دعوة فيكفرون حسناته . ثم يُفضي بهم هذا المسلك إلى إطلاق الأحكام الكبرى عليه كالتكفير والتضليل ، وهذا من الظلم العظيم ، بل من الخطر في دين الله.

قال الله تعالى: ولا تنسوا الفضل بينكم [112] وهذا توجيه قرآني عظيم بأن لا تُنسى الفضائل من أهل الفضل حتى عند الخلاف ، فكيف بمن كان له باع في نصرة الدين والدعوة! بتاريخ طويل له أثر واضح في المجتمع كأهل التبليغ والدعوة حفظهم الله .

وقال تعالى: ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم [113] حيث يبيّن سبحانه وتعالى أن المحاورة باللين والمجادلة الحسنة بالتي هي أحسن قد تقلب الخصومة إلى مودة ، فكيف بالأخ في الدين؟ أليس الأولى أن يُنصح ويُستر بدلًا من القسوة والتشهير ؟

[112] [البقرة: 237]
[113] [فصلت: 34]

وقال النبي ﷺ : إن منكم منفرين ، فمن صلى بالناس فليخفف [114] مبينا أن البعض قد يسيء من حيث يظن أنه يحسن صنعا ، وهذا الحديث أصل في النهي عن كل ما يُنفر من الدين ، ونهي عن التشدد في الإنكار على الدعاة والمصلحين الذي قد ينفر الناس عن الخير بدلًا من أن يقربهم إليه.

ويستفاد من قول الشيخ وموقفه التحذير من التشدد والغلو في الحكم على الناس ، وأن الخطأ أو الاجتهاد لا يُسوّغ محو تاريخ الإنسان وما قدمه في الخير ، كما يستفاد من موقف الشيخ هذا النهي عن تتبع الزلات ، فإن العاقل ينظر في جملة الشخص ومنهجه ، لا في عثراته فقط ، كذلك نتعلم من الشيخ أهمية الدعوة إلى الرحمة والستر ، وهو ما دل عليه قول النبي ﷺ: من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة [115] . فهذا الحديث يرشد إلى معالجة الخطأ بأسلوب فيه ستر ورحمة ، لا فضيحة وإقصاء.

فما أراده الشيخ ابن جبرين – رحمه الله – هو أن يدعو شباب الأمة إلى التوازن والإنصاف ، وأن يكون خطابهم الإصلاحي جسرًا ٳلى الهداية لا حاجزًا عنها ، ورحمةً مع الناس لا غِلظة عليهم . فكم رأينا من داعٍ مصلح له زلّة أو اجتهاد ، فبدلا من أن يُصحح له بلطف ، يُشنّ عليه الهجوم ، وكأنما لم يكن له سابقة في الخير! وهو ممنوع شرعا وعقلا .

والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى خطاب يجمع بين الحكمة والعدل ، وبين الغيرة على الدين و الرحمة بعباد الله عامة وخاصة بالمصلحين أهل الدين . وإن المدرسة التي يمثلها الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى – منهجًا وسلوكًا – هي خير قدوة في ذلك.

---

114(رواه البخاري)

115(رواه مسلم)

**وقوله رحمه الله (فلذلك نقول : إن الواجب على المسلم أن يعترف بالفضل لأهله ، وأن ينبه على الأخطاء والهفوات ، وألا يجحد للمحسنين إحسانهم ، ولا للعلماء فضلهم ونفعهم ، فالواجب أن ينبه على أخطائهم وألا تطوى حسناتهم ومآثرهم ، ونحيل القارئ إلى الكتاب الذي صنف بعنوان : (الإخوان المسلمون صنعوا التاريخ))**

بيان لموقف ومنهج أهل السنة والجماعة في الإنصاف والعدل ، كما قال النبي ﷺ : لا يشكر الله من لا يشكر الناس [116]. فكل شخص يُحمد على خيره ويُنبه على خطئه ، دون تهوين أو تهويل. كما أنه من العدل ألا تُطوى حسنات أحد ، كما قال الله تعالى : فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [117] ، ويجب أن يكون الحكم على أي شخص منصفًا شاملًا وليس مبنيًا على موقف واحد.

كما أن كلام الشيخ رحمه الله يحمل في طياته ميزانًا دقيقًا في التعامل مع العلماء والدعاة ، وهو ميزان يجمع بين العدل والإنصاف ، ويبتعد عن الإفراط والتفريط. فمفاده أن الواجب على من يتناول سيرة العلماء أو الدعاة أو أصحاب التأثير أن يكون منصفًا في نقده ، فلا يُغفل الأخطاء ، ولا يُطمس الحسنات.

فمن جهة ، يجب التنبيه على الأخطاء ، لأن السكوت عنها قد يؤدي إلى انتشارها أو تقليدها ، خاصة إذا صدرت من شخص له مكانة وتأثير. وهذا من باب النصيحة والبيان ، لا من باب التشهير أو التشفي.

ومن جهة أخرى ، لا يجوز طمس الحسنات والمآثر ، لأن ذلك من الجحود ، ويُخالف قول الله تعالى: ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ويُخالف منهج السلف الذين كانوا يذكرون الفضل لأهله ، حتى مع وجود المخالفة.

---

[116] (أحمد)

[117] (الزلزلة : 7)

فالقول يدعو إلى العدل في التقييم: نُبيّن الخطأ ، ونُحفظ الفضل ، ونزن الناس بميزان الشريعة ، لا بميزان الهوى أو الانتماء. وهذا هو المنهج الذي سار عليه كبار العلماء ، كابن تيمية والذهبي وابن باز وابن عثيمين ، رحمهم الله جميعًا.

ثم ، فيه أيضا بيان للموقف الصحيح من التيارات التي تغلو في التبديع هو أن نتعامل معها بمنهج السلف الصالح ، الذي يقوم على العدل ، وضبط الأحكام بالأدلة ، والتمييز بين الخطأ والضلال ، لا التسرع ولا الهوى.

فالمسلم مأمور بأن يزن الناس بميزان الشريعة لا بميزان الولاء والانتماء. فمن أثنى على شخص اجتهد في الدعوة وأصاب في مواضع وأخطأ في أخرى ، لا يُعد من أهل البدع لمجرد ذلك ، بل يُنظر في قوله ويُرد عليه إن خالف الحق ، دون أن يُبدَّع أو يُهجر.

والسلف لم يكونوا يُبدّعون لمجرد الأخطاء الاجتهادية ، ولا يحكمون على الناس بأحكام عامة دون بينة. بل قال الإمام الذهبي: لو أن كل من أخطأ في الاجتهاد بدّعناه وهجرناه ، لما سلم معنا أحد.

ومما يجب الحذر منه ، أن الغلو في التبديع يؤدي إلى مفاسد عظيمة؛ منها تمزيق الصف ، والتحزب ، والتنفير من الدعوة ، وفتح أبواب الطعن بين أهل الإسلام.

وقد حذّر العلماء الكبار من هذا المنهج ، كابن باز وابن عثيمين وابن جبرين ، رحمهم الله ، فكانوا يدعون إلى التثبت والتأني في الحكم ، ويرفضون أن يُمتحن الناس بموقفهم من فلان أو علان ، أو أن يُجعل الثناء على داعية سببًا للطعن في العقيدة.

ومن هنا ، فإن الواجب على كل المسلمين :

1. رفض الغلو ، والدعوة إلى الاعتدال والإنصاف.

2. نصح المخطئ بالحكمة والموعظة ، لا بالهجر والتشهير.
3. اجتناب الدخول في حملات الطعن والاصطفاف التي تزيد الفرقة.

فالحق لا يُعرف بالرجال ، بل يُعرف بالدليل. والحكم على الأشخاص يجب أن يكون مبنيًا على العلم والعدل ، لا على التبعية أو الحزبية.

**وقوله رحمه الله (ولعل سبب إنكارهم فضائل هؤلاء العلماء الحسد الذي رأوه من كثير في هذه الأزمنة من العلماء حيث رأوا إقبال طلبة العلم عليهم ، فينطبق عليهم قول الشاعر : حسـدوا الفتى إذ لـم ينالوا سـعيه فـالقوم أعـداء لـه وخـصوم )**

إن الحسد من أخطر الصفات التي قد تصيب قلب الإنسان ، وقد حذر منه النبي ﷺ فقال : إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب [118]. لذلك يجب أن يكون النقد بمنهج علمي بعيد عن الأهواء خاصة إذا كان في الأفكار أو العلماء أو ذوي الهيئات .

في هذا القول ، يشير الشيخ إلى دافع خفي وخطير يقف وراء إنكار بعض الناس لفضائل العلماء والدعاة ، وهو الحسد. فبدلًا من أن يكون النقد مبنيًا على علم وإنصاف ، فإنه في كثير من الأحيان يكون مدفوعًا بغيرة دفينة ، سببها رؤية هؤلاء المنتقدين لإقبال الناس وطلبة العلم على أولئك العلماء الذين أنكروا فضلهم.

فالشيخ يلمّح إلى أن هذا الإنكار ليس نابعًا من غيرة على الدين أو حرص على العقيدة ، بل من ضيق الصدر من نجاح الآخرين ، ومن شعور بالنقص أمام تأثيرهم وعلو مكانتهم. ولهذا استشهد ببيت الشعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه . فالقوم أعداء له وخصوم

[118](أبو داود)

ليُبرز أن العداوة ليست بسبب خطأ وقع فيه الفتى ، بل لأنه تفوّق عليهم فيما عجزوا عنه.

وهذا التحليل يُظهر أن بعض من يُظهرون الغيرة على الدين قد يُلبسون الحسد لباس الغيرة الشرعية ، فيطعنون في العلماء ويُهوّنون من أثرهم ، لا لشيء إلا لأنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا منزلتهم.

فالقول دعوة إلى التحرر من أهواء النفس ، والاعتراف بفضل من سبق ، والعدل في الحكم على الناس ، وأن الحسد لا يليق بطالب علم ، بل هو من أمراض القلوب التي تُفسد النية وتُذهب البركة.

إعلم بارك الله فيك أن الحسد يفسد النية ، ويزيف النقد ، ويحول الغيرة المحمودة إلى خصومة مذمومة؛ فالتجرد والعدل شرط أساس في الحكم على الدعاة وطلبة العلم.

وهذه القاعدة تصلح أن تُدرج في آداب النقد الشرعي أو الإنصاف في الحكم على الرموز الدعوية ، حيث تبين أن النقد إذا تلوّث بالحسد انحرف عن هدفه الإصلاحي ، وتحول إلى هدم وتشويه. ويمكن أن تُعزز القاعدة بقول الله تعالى: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .[119]

**وقوله رحمه الله (وهكذا يقال في الشيخ بكر أبي زيد فإنه من المعروفين بالعلم الصحيح والتحقيق في المعلومات ، وقد نفع الله تعالى بكتبه ، وهكذا رسائل الشيخ ابن باز أو ابن عثيمين رحمهما الله لا يستطيعون أن يجدوا فيها مطعنًا في باب الاعتقاد )**

---

[119][النساء: 54]

يبين أن العلماء يُحترمون ولا يجوز الطعن فيهم بلا دليل ، كما قال الله تعالى : يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [120].

فهذان العالمان من أعمدة الفقه والعقيدة في العصر الحديث ، ولا يصح الطعن في علمهما ، بل ينبغي الاستفادة منهما فيما يوافق الكتاب والسنة ، كما قال النبي ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء [121].

في هذا الكلام ، يُظهر الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله موقفًا واضحًا منصفًا تجاه العلماء الكبار الذين تعرّضوا للطعن من بعض المنتسبين إلى التيار المدخلي ، ويؤكد فيه على عدة معانٍ مهمة:

1. أولًا: تزكية الشيخ بكر أبو زيد

قوله: فإنه من المعروفين بالعلم الصحيح والتحقيق في المعلومات ، وقد نفع الله تعالى بكتبه

يدل على أن الشيخ ابن جبرين يرى في الشيخ بكر عالمًا راسخًا ، محققًا ، نافعًا للأمة ، وأن كتبه ليست مجرد اجتهادات شخصية ، بل مراجع علمية موثوقة ، نفع الله بها طلبة العلم والدعاة.

وهذا رد ضمني على من اتهم الشيخ بكر بالتمييع أو الانحراف ، خاصة بعد مواقفه المعتدلة في الرد على الغلو في التبديع ، ورفضه لمنهج التصنيف والتجريح الذي تبنّاه بعض غلاة المداخلة.

2. ثانيًا: الدفاع عن رسائل الشيخين ابن باز وابن عثيمين

قوله: لا يستطيعون أن يجدوا فيها مطعنًا في باب الاعتقاد

---

120(المجادلة : 11)

121(أبو داود)

يعني أن هؤلاء العلماء – رغم مكانتهم العظيمة – لم يسلموا من ألسنة الغلاة ، ومع ذلك ، فإن كتبهم ورسائلهم خالصة في العقيدة ، نقية من البدع والانحرافات ، ولا يستطيع أحد أن يطعن فيها علميًا.

وهذا يُفهم منه أن من يطعن في هؤلاء الأئمة ، أو يُلمّح إلى تساهلهم ، فقد تجاوز الحد ، ووقع في الغلو ، لأنهم أئمة هدى ، شهد لهم القاصي والداني بالعلم والورع.

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله كان يرفض منهج المداخلة في الطعن والتبديع ، ويرى أن العدل والإنصاف يقتضي تزكية العلماء الكبار ، والاعتراف بفضلهم ، وعدم تتبع زلاتهم أو إسقاطهم لأسباب حزبية أو اجتهادية.

**وقوله رحمه الله (فنقول : إن الواجب على الجميع النصيحة لمن يخالفه ، والاشتغال بانتقاد الكثير من المبتدعة الأحياء كابن علوي وكذا التحذير من دعاة البدع كالرافضة والمعطلة ، )**

يدعو إلى العدل في النقد ، والحكمة في النصح ، وترتيب الأولويات في الردود ، بحيث يكون الهدف هو هداية الناس ، لا تصفية الحسابات أو الانتصار للذات.

نعم ، النصح مطلوب ولكن يجب أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا (البقرة : 83) ، فلا يجوز التشدد في النقد بدون إنصاف. كما يضع منهجًا متوازنًا في التعامل مع المخالفين ، ويُبرز فيه أولويات العمل الدعوي والعلمي ، ويمكن شرح معناه في النقاط التالية:

### 1) النصيحة للمخالف لا التشهير به

قوله: الواجب على الجميع النصيحة لمن يخالفه يدل على أن الأصل في التعامل مع من وقع في خطأ أو بدعة هو النصح بالحكمة والموعظة ، لا التشهير أو التبديع العشوائي. فالنصيحة تكون سرًا ، وبأسلوب يُرجى معه القبول ، وهذا من أعظم أبواب الإصلاح.

### 2) الانشغال بالمبتدعة الأحياء أولى من تتبع الأموات

قوله: والاشتغال بانتقاد الكثير من المبتدعة الأحياء . يُشير إلى أهمية توجيه الجهد إلى من ينشرون البدع في الواقع المعاصر ، بدلًا من الانشغال المفرط بانتقاد رموز ماتوا ، ولم تعد لهم دعوة قائمة. فالمعركة الفكرية الحقيقية هي مع من يُضلّ الناس في الحاضر ، لا مع من طويت صفحتهم.

### 3) التحذير من دعاة البدع الواضحة

فقوله: كالرافضة والمعطلة يُقصد به التحذير من الفرق التي خالفت أصول الإسلام مخالفة ظاهرة ، كالرافضة الذين يطعنون في الصحابة ، والمعطلة الذين ينكرون صفات الله. وهؤلاء أولى بالتحذير من غيرهم ، لأن بدعتهم معلنة ومنهجية ، وتُهدد عقائد الناس.

### 4) ترتيب الأولويات في الردود

فالشيخ يلفت النظر إلى أن الردود العلمية يجب أن تُبنى على أساس الضرورة والأثر ، فلا يُشغل طالب العلم نفسه بمن لا يُؤثر في الناس ، ويترك من يُضلّهم علنًا. وهذا من فقه الدعوة ، ومنهج أهل السنة في تقديم الأهم فالمهم.

**وقوله رحمه الله (وأما الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله فإنه من علماء أهل السنة ، وقد نفع الله بعلومه ، وقد ألف مؤلفات تدل على نصحه وقوة معلوماته ، )**

دليل منه على أن الحكم على العلماء يجب أن يكون موضوعيًا لا عاطفيًا ، كما قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ [122]. وفي هذا القول ، يُبيّن الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله موقفه الإيجابي والمنصف تجاه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله ، ويُبرز فيه عدة معانٍ مهمة:

### 1. إثبات انتمائه لمنهج أهل السنة

فقوله: فإنه من علماء أهل السنة هو تزكية صريحة ، تُخرج الشيخ مقبل من دائرة التبديع التي وقع فيها بعض الغلاة ، وتُقرّ بمكانته العلمية والمنهجية.

### 2. الإشادة بثمرة علمه

كما في قوله: وقد نفع الله بعلومه يدل على أن علم الشيخ لم يكن نظريًا فقط ، بل كان له أثر عملي في نشر السنة ، ومحاربة البدع ، وتربية طلاب العلم ، وهو ما يُعد من أعظم ثمار العلم.

### 3. الاعتراف بجودة مؤلفاته

كما هو قوله: وقد ألّف مؤلفات تدل على نصحه وقوة معلوماته فإنه يُشير إلى أن كتبه لم تكن مجرد تجميع أو تكرار ، بل كانت نابعة من حرص على نصح الأمة ، وعمق علمي وتحقيق ، مما يجعلها جديرة بالقراءة والرجوع.

إن الشيخ ابن جبرين رحمه الله يُقدّم نموذجًا في العدل والإنصاف في الحكم على العلماء ، فلا يُجامل ، ولا يُجحف. فهو يُثني على الشيخ مقبل رغم أنه قد يختلف معه في بعض المسائل ، لكنه يُقرّ بفضله ، ويُشيد بعلمه ، ويُبرز أثره.

---

[122] (المائدة : 2)

وهذا الموقف العملي يُعلّمنا أن الاختلاف لا يُلغي الفضل ، وأن النقد لا يعني الإسقاط ، وأن من واجب طلاب العلم أن يُنزلوا الناس منازلهم ، ويعترفوا بفضل من نفع الله بهم ، ولو خالفوهم في بعض الاجتهادات.

**وقوله رحمه الله (وأما كتب الشيخ بكر أبي زيد وكتاب مقبل الوادعي وكتاب البيان لـابن فوزان فلا بأس بها )**

إن الكتب العلمية تُقرأ بعين الناقد المتزن ، فلا تُرفض لمجرد اختلاف ، بل تؤخذ الفائدة ويُترك ما يخالف الدليل ، كما قال الإمام مالك : كل يؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر (أي النبي ﷺ).

وفي هذا القول الموجز ، تتجلى وسطية الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله وعدله في الحكم على العلماء ونتاجهم العلمي ، حيث جمع بين الإنصاف ، والتجرد من التعصب ، والاعتراف بالفضل لأهله ، رغم اختلاف المشارب والمناهج.

فقوله: فلا بأس بها عن كتب ثلاثة من كبار العلماء—الشيخ بكر أبو زيد ، والشيخ مقبل الوادعي ، والشيخ صالح الفوزان—يحمل دلالة عميقة على سعة صدره ، وبعده عن التحيز ، وحرصه على وحدة الصف العلمي والدعوي. فهو لم يُصنّفهم بحسب التيارات ، بل نظر إلى المحتوى العلمي ، والنفع العام ، وسلامة المنهج ، فشهد لها بأنها خالية من المحاذير ، ونافعة لطالب العلم.

وهذا الموقف يُعد تطبيقًا عمليًا لقاعدة أهل السنة في التعامل مع العلماء: من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، ولا يُسقط خطؤه فضله. فالشيخ ابن جبرين لم يكن أسيرًا للولاءات أو الاصطفافات ، بل كان ميزانه هو العلم والعدل ، لا الانتماء أو الموقف من شخص بعينه.

إنها كلمة حق تُسجَّل في ميزان الإنصاف ، وتُعلّم طلاب العلم أن العدل في التقييم ، والاعتراف بالفضل ، والبعد عن الغلو ، هو طريق أهل السنة والجماعة.

## ختام الرد والموقف من أهل التبليغ :

بهذا التعقيب ، يتضح أن الرد على الفتوى يجب أن يكون منصفًا وعادلًا ، بعيدًا عن التحامل أو التحيز ، مع الاستناد إلى الكتاب والسنة ومنهج العلماء الربانيين.

فالدعوة إلى الله هي من أشرف الأعمال التي يمكن أن يقوم بها المسلم ، وقد وردت في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تؤكد فضلها وأهميتها. ومن ذلك قول الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [123] ، حيث يبين الله أن الدعوة إلى الله من أفضل الأقوال والأعمال التي يمكن أن يقوم بها الإنسان.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم [124] ، وهذا يدل على أن الدعوة إلى الله هي من أعظم أسباب الهداية ، وأن من يقوم بها ينال أجرًا عظيمًا عند الله.

كما قال النبي ﷺ : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا [125] ، وهذا يدل على أن كل من يهتدي بسبب دعوة الداعية يكون له مثل أجره ، مما يبين فضل الدعوة وأهميتها.

أما ما يُقال عن أهل التبليغ والدعوة من افتراءات وكذب وتدليس ، فإن الأصل أن يُنظر إلى أعمالهم وأثرهم في الناس ، وليس إلى الشائعات التي تُطلق عليهم. فقد ثبت أن كثيرًا من الناس اهتدوا بسبب هذه الدعوة

---

[123] (فصلت : 33)

[124] (البخاري ومسلم)

[125] (مسلم)

، وأقلعوا عن المعاصي ، وأصبحوا من أهل الطاعة والاستقامة ، وهذا هو أثر الدعوة الحقيقي الذي يجب أن يُنظر إليه.

وقد كان النبي ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل لنشر الإسلام وتعليم الناس أمور دينهم ، كما جاء في الحديث : بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن فقال له : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله [126] ، وهذا يدل على أن الخروج للدعوة إلى الله هو منهج نبوي أصيل ، وليس بدعة كما يدعي البعض.

لذلك ، فإن أهل التبليغ والدعوة أبرياء مما يُنسب إليهم ، ويجب أن يُنظر إليهم بإنصاف وعدل ، وأن يُحكم عليهم بما يظهر من أعمالهم وتأثيرهم في الناس ، لا بما يُقال عنهم من شائعات وافتراءات. والله أعلم.

## الفتوى السادسة : جماعة التبليغ والصلاة في مساجد بها قبور .

وفي فتاوى ابن جبرين في قسم العقائد تحت قسم الإيمان وفي تصنيف أركان الإيمان ، الإيمان بالله ، توحيد الألوهية ، المشاهد ، الصلاة إلى القبر وعليه والدعاء عنده تحت رقم 821 ، تحت عنوان (جماعة التبليغ والصلاة في مساجد بها قبور)

السؤال : أنا يا فضيلة الشيخ قد خرجت معهم في الباكستان وقد صلينا في مسجد ، وتحت سور ذلك المسجد قبر تحت جدار ساحته وقد سألت أحدهم من الباكستان ما هذا؟ فقال اذهب بسرعة ولا تلتفت ، وكذلك مسجد آخر في ساحته قبران. فما صحة الصلاة في ذلك المسجد؟ وما الواجب علينا تجاه هذا العمل؟

---

[126] (البخاري ومسلم)

الجواب : نقول إن غالب تلك المساجد في الباكستان وغيرها لا تخلو من القبور ، وذلك لتمكن الجهل وغربة الدين من تلك البلاد في القرون السابقة ، ولم يُبَصَّروا إلى الآن ، فعامتهم وكثير من الخاصة مقتنعون بجواز الدفن في المساجد تقليدًا لمشايخ الضلال ، ولكن في الآونة الأخيرة تَبَصَّر كثيرٌ منهم ، وعرفوا تحريم ذلك ، ونبهوا على الأدلة الموجودة في كتب الحديث ، والتي تبين تحريم الصلاة عند القبور ، وتحريم اتخاذ القبور مساجد ، ولكنهم لا يستطيعون أن يُغَيّروا على أكابرهم. فمنهم من يرى أن ذلك لا بأس به مع ورود النهي عن ذلك ومنهم من يرى أنه لا حيلة له في هذا التغيير. وبكل حال : فإن الواجب أن تنبش تلك القبور ، وتسوى أماكنها ، وتدفن في المقابر الخاصة بالأموات ، أو تهدم تلك المساجد ويبنى بدلها مساجد خالية عن هذه القبور. وأما صلاتك في هذا المسجد فلعلها صحيحة للضرورة؛ حيث لم تجد غيره ، وحيث إن القبر تحت جدار السرحة ، والسرحة خلف المصلين ، وإذا حدث مثل هذا فننصحك أن تلتمس مسجدًا خاليًا من هذه القبور ، كما ننصحك ألا تسافر إلى تلك البلاد التي فيها شعائر الشرك والبدع ، وأنت لا تقدر على تغييرها ، وأما إذا كنت قادرًا على الإصلاح والبيان ، وكنت على عقيدة سليمة ، وعلى توحيد صحيح ، فإنها لا تضرك أعمالهم ، ولا مخالفتهم ، قال الله تعالى : فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ والله أعلم، .

### التعقيب على الفتوى السادسة :

في هذه الفتوى ، يرسم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله صورة متكاملة لحال بعض المساجد في بلاد مثل باكستان ، ويُقدّم منهجًا شرعيًا متزنًا في التعامل مع ظاهرة انتشار القبور داخل المساجد ، فيُشخّص الشيخ رحمه الله الواقع أولًا ، ويُبيّن أن وجود القبور في المساجد في تلك البلاد ليس وليد اللحظة ، بل هو نتيجة تراكم طويل من الجهل وغربة الدين ، حيث ساد التقليد الأعمى لمشايخ الضلال ، وغابت عن

الناس معالم السنة. فصار كثير من العامة ، بل وبعض الخاصة ، يظنون أن الدفن في المساجد جائز ، دون علم بحكم الشرع.

ثم ينتقل إلى بصيص الأمل ، فيُشير إلى أن الوعي بدأ يتنامى في الآونة الأخيرة ، وأن هناك من تنبّه إلى خطورة هذا الأمر ، وبدأ يُبصّر الناس بالأحاديث النبوية التي تنهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وتحذر من الصلاة عندها. لكن هذا الوعي يصطدم بعقبة كبرى ، وهي هيبة الأكابر ، والخوف من مخالفتهم ، مما يجعل التغيير صعبًا على كثير من الناس ، رغم قناعتهم بالخطأ.

ثم يُقرّر الشيخ الحكم الشرعي الصريح: أن الواجب هو نبش تلك القبور ونقلها إلى المقابر الخاصة ، أو هدم المساجد المبنية عليها ، وبناء مساجد جديدة خالية من القبور ، تحقيقًا للتوحيد ، وسدًا لذرائع الشرك.

وفي جانب الفتوى العملية ، يُراعي الشيخ حال السائل وظروفه ، فيُجيز له الصلاة في ذلك المسجد للضرورة ، ما دام القبر خارج موضع الصلاة ، ويُوصيه بالبحث عن مسجد خالٍ من القبور إن أمكن ، ويُحذّره من السفر إلى بلاد تنتشر فيها البدع والشركيات ، إلا إن كان قادرًا على البيان والإصلاح ، وكان على عقيدة راسخة ، وتوحيد سليم ، فحينها لا تضره مخالفة من حوله ، ما دام متمسكًا بالوحي ، كما قال تعالى: فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم .

**فقوله رحمه الله (نقول إن غالب تلك المساجد في الباكستان وغيرها لا تخلو من القبور )**

ولا شك أن وجود القبور داخل المساجد مسألة تحتاج إلى معالجة حكيمة ، حيث إن الإسلام نهى عن اتخاذ القبور مساجد ، كما جاء في حديث النبي ﷺ : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [127]. ومع ذلك ، فإن هذه المسألة يجب أن تُدرس في سياقها التاريخي والاجتماعي ، فقد بنيت

---

[127](البخاري ومسلم)

كثير من هذه المساجد منذ قرون في مجتمعات لم يكن لديها علم كافٍ بالحكم الشرعي ، ومن الخطأ التعامل معها بالإدانة المطلقة دون توعية.

ولفهم الدافع التاريخي لوجود القبور داخل المساجد في بلاد الهند والباكستان ، لا بد من النظر إلى السياق الديني والاجتماعي والثقافي الذي نشأت فيه هذه الظاهرة ، وهو ما أشار إليه الشيخ ابن جبرين رحمه الله حين قال: نقول إن غالب تلك المساجد في الباكستان وغيرها لا تخلو من القبور . ، موضحًا أن السبب يعود إلى غربة الدين وتمكن الجهل في تلك البلاد في القرون السابقة. ومن خلال الخلفية التاريخية والدينية يتبين التالي :

### تأثير التصوف الشعبي:

منذ دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية ، انتشر التصوف كوسيلة دعوية فعالة ، وكان كثير من الناس ينجذبون إلى الإسلام من خلال الأولياء والدعاة المتصوفة. ومع مرور الزمن ، تحولت قبور هؤلاء الصالحين إلى مزارات ، وبُنيت عليها المساجد ، بدافع التبرك والتعظيم ، لا عن قصد لمخالفة الشريعة.

### الجهل بالحكم الشرعي:

كثير من المجتمعات الريفية والبعيدة عن مراكز العلم لم تكن على دراية بنصوص النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، كما في حديث النبي ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [متفق عليه]. فغلب التقليد والعادة على العلم ، خاصة مع غياب العلماء الربانيين في بعض الفترات.

### السلطة الدينية التقليدية:

في تلك المجتمعات ، كان مشايخ الطرق الصوفية هم المرجع الديني والاجتماعي ، وكان لهم نفوذ كبير ، مما جعل الناس يتبعونهم في بناء المساجد على القبور ، تقليدًا لا اجتهادًا.

## الربط بين القبر والبركة:

اعتقد كثير من الناس أن الصلاة قرب قبر وليّ صالح تجلب القبول والرحمة ، فصاروا يبنون المساجد حول القبور ، أو يدفنون الصالحين داخل المساجد ، دون إدراك أن ذلك منهي عنه شرعًا.

فالشيخ رحمه الله لم يكتفِ ببيان الحكم ، بل راعى السياق التاريخي والاجتماعي ، وأكد أن الواجب هو التوعية لا الإدانة المطلقة ، وأن كثيرًا من الناس بدأوا يتبصّرون ويعودون إلى السنة ، لكنهم يواجهون صعوبة في تغيير الواقع بسبب هيبة الأكابر أو العجز عن المواجهة.

ولذلك فإن وجود القبور في المساجد في الهند والباكستان هو نتاج قرون من الجهل والتقليد والتأثر بالتصوف الشعبي ، وليس بالضرورة عنادًا أو مخالفة متعمدة. ومن هنا ، فإن المعالجة الحكيمة تبدأ بالتعليم والتدرج ، لا بالتشنيع والهجر ، وهذا هو منهج أهل السنة في الإصلاح.

**وقوله رحمه الله (وذلك لتمكن الجهل وغربة الدين من تلك البلاد في القرون السابقة ، ولم يُبَصَّروا إلى الآن ، فعامتهم وكثير من الخاصة مقتنعون بجواز الدفن في المساجد تقليدًا لمشايخ الضلال )**

إن الجهل بأحكام الدين لم يكن مقتصرًا على بلد معين ، بل هو ظاهرة منتشرة في كثير من المجتمعات ، وتحتاج إلى تصحيح تدريجي لا إلى توبيخ مباشر ، فقد قال النبي ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق [128]. معالجة هذا الجهل يجب أن تكون بالتعليم ونشر الوعي الصحيح ، وليس بالعنف والإنكار الشديد.

---

[128] (أحمد)

والمشكلة الحقيقية هنا ليست فقط في الدفن داخل المساجد ، ولكن في التقليد الأعمى دون الرجوع إلى الأدلة الشرعية ، كما قال الله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا [129]. المطلوب هو تقديم العلم الصحيح بطريقة تقرب الناس إلى الفهم الصحيح ، بدلاً من دفعهم إلى العناد والرفض.

قول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: نقول إن غالب تلك المساجد في الباكستان وغيرها لا تخلو من القبور . ، يُعبّر عن تشخيص واقعي دقيق لحال بعض المجتمعات الإسلامية التي انتشر فيها هذا النوع من البناء ، ويُفهم في ضوء الكتاب والسنة من خلال النقاط التالية:

## أولًا: النهي الشرعي عن اتخاذ القبور مساجد .

جاءت النصوص الصريحة في تحريم بناء المساجد على القبور ، لما في ذلك من تعظيم قد يؤدي إلى الشرك ، ومن ذلك: قول النبي ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [130] ، وهو تحذير شديد من التشبه بأهل الكتاب في هذا الباب.

وقوله ﷺ: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك [131]. وهذه الأحاديث تدل على أن اتخاذ القبور مساجد من وسائل الشرك ، ولذلك نهى عنه النبي ﷺ في سياق موته ، مما يدل على خطورته.

## ثانيًا: مراعاة السياق التاريخي والاجتماعي .

[129](البقرة : 170)
[130][متفق عليه]
[131][رواه مسلم]

الشيخ رحمه الله لم يكتفِ بذكر الحكم ، بل راعى الواقع المعقد في تلك البلاد ، حيث قال إن الجهل وغربة الدين سادا في القرون الماضية ، وأن كثيرًا من الناس قلّدوا مشايخ الضلال دون علم ، فانتشرت هذه الظاهرة.

وهذا يُوافق منهج النبي ﷺ في التدرج في الدعوة ، ومراعاة حال الناس ، كما في حديث معاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله . [132].

### ثالثًا: الجمع بين البيان والرحمة .

الشيخ ابن جبرين لم يُنكر الحكم ، لكنه دعا إلى المعالجة بالحكمة ، فذكر أن كثيرًا من الناس بدأوا يتبصّرون ، ويعرفون الأدلة ، لكنهم لا يستطيعون التغيير بسبب هيبة الأكابر أو العجز عن المواجهة.

وهذا يُعلّمنا أن الواجب هو التوعية ، لا الإدانة المطلقة ، وأن الإصلاح لا يكون بالتشدد ، بل بالعلم والرفق ، كما قال تعالى: ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . [133].

وجود القبور في المساجد ممنوع بنصوص الكتاب والسنة لما قد يؤدي إليه من الفتن ، ولكن التعامل مع هذه الظاهرة يجب أن يكون بعلم وعدل ورحمة ، مع مراعاة الجهل المتراكم ، والسياق الاجتماعي ، والسعي للإصلاح بالتدرج والبيان ، لا بالتشنيع والهجر.

[132] [رواه البخاري]
[133] [النحل: 125]

**وقوله رحمه الله (ولكن في الآونة الأخيرة تَبَصَّر كثيرٌ منهم ، وعرفوا تحريم ذلك ، ونبهوا على الأدلة الموجودة في كتب الحديث ، والتي تبين تحريم الصلاة عند القبور ، وتحريم اتخاذ القبور مساجد ، ولكنهم لا يستطيعون أن يُغَيِّروا على أكابرهم.)**

هذا القول يدل على أن عملية الإصلاح تسير ببطء ولكنها بدأت وما زالت مستمرة ، وأن الناس بدأوا يدركون أهمية تصحيح هذه الأخطاء ، لكن التغيير يحتاج إلى وقت وصبر كما قال النبي ﷺ : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [134]. ولهذا ، فإن من واجب الدعاة العمل على تقريب هذا الفهم للناس بطريقة حكيمة لا تؤدي إلى التصادم.

ففي هذا النص ، يُبرز الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله مرحلة انتقالية مهمة في وعي بعض المسلمين في بلاد مثل باكستان ، حيث بدأت تتشكل حالة من التبصّر والرجوع إلى السنة ، بعد قرون من الجهل والتقليد في مسألة القبور داخل المساجد. وبيان مفاد قوله في ضوء الكتاب والسنة على النحو التالي:

### أولًا: الاعتراف ببداية الصحوة .

قوله: ولكن في الآونة الأخيرة تبصّر كثيرٌ منهم . يدل على أن الوعي بدأ يتسلل إلى القلوب والعقول ، وأن هناك من بدأ يراجع الموروثات بعين العلم ، ويُدرك أن ما كان يُمارس من بناء المساجد على القبور أو الصلاة عندها مخالف لهدي النبي ﷺ ، كما في قوله: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [متفق عليه].

### ثانيًا: الرجوع إلى الأدلة الشرعية .

---

[134] (مسلم)

قوله: ونبّهوا على الأدلة الموجودة في كتب الحديث . يُشير إلى أن الصحوة لم تكن عاطفية أو سطحية ، بل قائمة على نصوص الوحي ، مما يدل على أن العودة إلى الحق بدأت من منابعه الأصيلة ، لا من مجرد تقليد جديد.

### ثالثًا: عقبة التغيير الاجتماعي .

قوله: ولكنهم لا يستطيعون أن يُغيّروا على أكابرهم . يُظهر حجم التحدي الاجتماعي والديني ، حيث تقف أمام الإصلاح هيبة الرموز ، والخوف من مخالفة الموروث ، وربما ضغوط المجتمع. وهذا يُذكّرنا بقول الله تعالى: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون [135].

### رابعًا: التعقيب التربوي والدعوي .

التعقيب الذي ذكرته أنت في غاية الدقة: أن الإصلاح يسير ببطء لكنه مستمر ، وأن الرفق هو السبيل الأمثل للتغيير ، كما قال النبي ﷺ: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [136].

فالداعية لا ييأس من بطء التغيير ، ولا يُصعّد المواجهة ، بل يعمل على تقريب الفهم ، وبناء الثقة ، وتقديم الدليل بلطف ، حتى يُثمر الإصلاح من داخل المجتمع لا عليه.

فكلام الشيخ ابن جبرين رحمه الله يُجسّد فقهًا عميقًا في الإصلاح ، حيث يُقرّ بالواقع ، ويُشيد ببداية الصحوة ، ويُراعي العقبات ، ويُرشد إلى الرفق كمنهج تغييري. وهو درس للدعاة أن الحق لا يكفي أن يُقال ، بل يجب أن يُقدَّم بحكمة ، ويُزرع بصبر ، ويُسقى بالرحمة.

---

135[الزخرف: 23]

136[رواه مسلم]

**وقوله رحمه الله (فمنهم من يرى أن ذلك لا بأس به مع ورود النهي عن ذلك ومنهم من يرى أنه لا حيلة له في هذا التغيير.)**

يوضح أن هناك فرقًا بين الخطأ الناتج عن الجهل والخطأ الناتج عن العناد. فالعناد في مخالفة الحق أمر مذموم ، لكن الجهل بحاجة إلى تعليم وتوعية لا إلى الإنكار العنيف ، كما قال الله تعالى : وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا [137]. كما يُعلّمنا أن الإصلاح لا يكون بالصدام ، بل بالفهم العميق للنفوس ، والتمييز بين الجاهل والمعاند ، والتدرج في البيان ، والرفق في الدعوة .

فقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: فمنهم من يرى أن ذلك لا بأس به مع ورود النهي عن ذلك ، ومنهم من يرى أنه لا حيلة له في هذا التغيير ، يُسلّط الضوء على واقعين مختلفين في التعامل مع الخطأ العقدي أو الفقهي ، ويُبرز البعد التربوي والدعوي في فقه الإصلاح .

والمفاد العام أن الشيخ رحمه الله يُفرّق بين صنفين من الناس:

1. من يجهل الحكم أو يتأوّله : هؤلاء يرون أن وجود القبور في المساجد لا بأس به ، إما لجهلهم بالنصوص ، أو لتأويلهم الخاطئ ، أو لتقليدهم لمشايخهم . وهؤلاء لا يُعاملون معاملة المعاندين ، بل يُعلّمون ويُبصَّرون بالحكمة ، كما قال تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا [138].

---

[137] (البقرة : 83)

[138] [الإسراء: 15]

2. من يعلم الحكم لكنه عاجز عن التغيير : وهؤلاء يُدركون أن ما يجري خطأ ، لكنهم يخشون من مواجهة الأكابر أو المجتمع ، أو لا يملكون الوسائل لتغيير الواقع . وهؤلاء يُعذرون في حدود استطاعتهم ، ويُشجَّعون على الإصلاح التدريجي ، كما قال تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم [139].

فالفرق بين الجهل والعناد جوهري في فقه الدعوة . فالجاهل يُعلَّم ، والعنيد يُحذَّر منه. وقد قال الله تعالى: وقولوا للناس حسنًا [140] ، أي: خاطبوهم بلين ورفق ، حتى في مقام البيان والإنكار .

وهذا المنهج النبوي يتجلى في حديث النبي ﷺ: إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [141] ، وفي قوله ﷺ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: بشّر ولا تُنفر ، ويسّر ولا تُعسر .

**وقوله رحمه الله (وبكل حال : فإن الواجب أن تنبش تلك القبور ، وتسوى أماكنها ، وتدفن في المقابر الخاصة بالأموات ، أو تهدم تلك المساجد ويبنى بدلها مساجد خالية عن هذه القبور.)**

هذا هو الحل الشرعي المثالي ، لكن تطبيقه يجب أن يكون بالحكمة والتدرج ، وليس بطريقة تؤدي إلى إثارة الفتن ، فالنبي ﷺ لم يكن يُغير الأمور بعنف ، بل كان يُصلحها بالتدريج واللين ، كما قال : ما كان الرفق في شيء إلا زانه [142].

قول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: وبكل حال: فإن الواجب أن تُنبش تلك القبور ، وتُسوّى أماكنها ، وتُدفن في المقابر الخاصة بالأموات ، أو تُهدم تلك المساجد ويُبنى بدلها مساجد خالية عن هذه القبور ، يُعبّر عن

---

[139] [التغابن: 16]
[140] [البقرة: 83]
[141] [رواه مسلم]
[142] (مسلم)

الحل الشرعي الجذري لمعالجة ظاهرة القبور داخل المساجد ، ويستند إلى نصوص صريحة من السنة ، لكنه في الوقت ذاته لا يُغفل فقه الواقع وأدب الإصلاح . ويستفاد من فتواه رحمه الله :

### 1. التحريم الشرعي واضح

النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد ، كما في قوله: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [143] ، وهذا النهي ليس فقط عن الصلاة عند القبور ، بل عن البناء عليها واتخاذها مواضع عبادة ، لما في ذلك من تعظيم قد يُفضي إلى الشرك.

### 2. الحل الشرعي: إزالة المخالفة من أصلها

الشيخ يقرر أن الواجب هو إزالة القبور من المساجد ، إما بنقلها إلى مقابر المسلمين ، أو بهدم المسجد وإعادة بنائه في مكان خالٍ من القبور ، لأن القبور لا تُبنى عليها المساجد ، ولا تُصلّى عندها ، وهذا ما أفتى به علماء اللجنة الدائمة أيضًا.

### 3. لكن التطبيق يحتاج إلى حكمة وتدرج

وهنا يأتي التعقيب المهم الذي ذكرته: أن الرفق هو السبيل الأمثل للإصلاح ، فالنبي ﷺ لم يكن يُغير المنكرات بعنف ، بل كان يُراعي حال الناس ، ويُصلح بالتدرج ، كما قال: ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نُزع من شيء إلا شانه [144].

### 4. الواقع الاجتماعي والديني لا يُتجاهل

---

[143] [متفق عليه]
[144] [رواه مسلم]

في مجتمعات يغلب عليها الجهل أو التقليد ، فإن الصدمة المباشرة قد تؤدي إلى فتنة أو نفور ، ولهذا فإن الواجب الجمع بين بيان الحكم ، وتقديمه بأسلوب رحيم ، وتدرج عملي في الإصلاح ، كما فعل النبي ﷺ حين أزال الأصنام من الكعبة بعد فتح مكة ، لا قبل ذلك.

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله يُقرر الحكم الشرعي بوضوح ، لكنه لا يدعو إلى تطبيقه بحدّة ، بل يُمهّد له بفهم الواقع ، والدعوة إلى الإصلاح بالحكمة والرفق ، وهو ما يُجسّد فقهًا متوازنًا يجمع بين النص والرحمة ، وبين الحزم واللين .

**وقوله رحمه الله (وأما صلاتك في هذا المسجد فلعلها صحيحة للضرورة؛ حيث لم تجد غيره )**

فإن الإسلام يراعي الضرورات ، وقد قال الله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [145] ، فإذا لم يجد المصلي غير هذا المسجد ، فإن صلاته صحيحة بحسب ما يستطيع.

فقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: وأما صلاتك في هذا المسجد فلعلها صحيحة للضرورة؛ حيث لم تجد غيره ، يُجسّد فقه التيسير في الشريعة الإسلامية ، ويُبرز قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وهي: الضرورات تبيح المحظورات ، ما لم يكن هناك تعدٍّ أو تفريط.

فالشيخ رحمه الله يُقرّ أن الأصل هو تحريم الصلاة في المساجد التي فيها قبور ، لما ثبت في السنة من النهي الصريح ، كما في قول النبي ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [متفق عليه]. لكن حين لا يجد المسلم مسجدًا غيره ، وكان القبر خارج موضع الصلاة أو خلف المصلين ، فإن

---

[145] (المائدة : 3)

الضرورة ترفع الحرج ، وتُصحح الصلاة ، كما قال الله تعالى: فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [146].

وهذا من رحمة الشريعة وواقعيتها ، فهي لا تُكلّف النفس فوق طاقتها ، بل تراعي حال المضطر ، وتُجيز له ما لا يُجيز لغيره ، بشرط أن يكون غير متعمد للوقوع في المحظور.

كما أن الشيخ يُشير إلى وجوب التحري والبحث عن مسجد خالٍ من القبور إن أمكن ، فإن تعذّر ، فالصلاة صحيحة ، والله غفور رحيم.

وهذه الفتوى تُعلّمنا أن الفقه لا يقتصر على النص ، بل يشمل فهم الواقع ، ومراعاة الحال ، وتطبيق القواعد الكلية ، ومنها قاعدة: لا واجب مع العجز ، ولا محرم مع الضرورة.

**وقوله رحمه الله (وإذا حدث مثل هذا فننصحك أن تلتمس مسجدًا خاليًا من هذه القبور )**

يبين أن هذا هو الأفضل شرعًا ، فالمساجد يجب أن تكون أماكن خالصة لعبادة الله دون أي مظاهر مخالفة للتوحيد ، كما قال النبي ﷺ : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبري عيدًا [147] .

فقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: وإذا حدث مثل هذا فننصحك أن تلتمس مسجدًا خاليًا من هذه القبور ، يُعبّر عن توجيه شرعي راقٍ يجمع بين فقه الحكم وفقه الحال . فالمعنى أن الأصل في المساجد أن تكون نقية من كل ما يُنافي التوحيد أو يُشوش على صفاء العبادة ، ومن ذلك وجود القبور فيها ، لما في ذلك من مخالفة صريحة لهدي النبي ﷺ.

---

[146] [المائدة: 3]

[147] (أبو داود)

## وأما لماذا يُنصح بالابتعاد عن المساجد التي فيها قبور؟

لأن المساجد بُنيت لتكون خالصة لله تعالى ، كما قال سبحانه: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا [148]. والنبي ﷺ شدد على هذا المعنى بقوله: لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبري عيدًا ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم [149].

وهذا الحديث يدل على أن تعظيم القبور أو اتخاذها مواضع عبادة يُخالف التوحيد ، ويُفضي إلى الغلو ، وهو ما وقع فيه من قبلنا من الأمم ، فحذّرنا النبي ﷺ من التشبه بهم.

## حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور:

إن كان القبر داخل المسجد وفي جهة القبلة أو في وسطه : فالصلاة باطلة عند كثير من أهل العلم ، لأن ذلك يُعد من اتخاذ القبور مساجد ، وهو منهي عنه.

وإن كان القبر خارج المسجد أو خلف المصلين ، وكان المسلم مضطرًا للصلاة فيه : فالصلاة صحيحة للضرورة ، كما أفتى الشيخ ابن جبرين ، بشرط أن لا يكون القبر في موضع السجود أو أمام المصلين.

وهنا يُرشد الشيخ رحمه الله السائل إلى الأفضل شرعًا والأكثر سلامةً لدينه ، وهو أن يحرص على الصلاة في مسجد خالص لله ، خالٍ من القبور ، لأن ذلك أقرب إلى التوحيد ، وأبعد عن الشبهات . ومع ذلك ، فإن الشريعة تراعي الضرورات ، وتُجيز الصلاة في المسجد الذي فيه قبر إذا لم يجد غيره ، بشرط أن لا يكون القبر في موضع الصلاة.

---

[148] [الجن: 18]

[149] [رواه أبو داود]

**وقوله رحمه الله (كما ننصحك ألا تسافر إلى تلك البلاد التي فيها شعائر الشرك والبدع ، وأنت لا تقدر على تغييرها ، وأما إذا كنت قادرًا على الإصلاح والبيان ، وكنت على عقيدة سليمة ، وعلى توحيد صحيح ، فإنها لا تضرك أعمالهم ، ولا مخالفتهم ، قال الله تعالى : فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ والله أعلم.)**

إعلم أن السفر إلى أماكن قد يوجد فيها ممارسات مخالفة للشريعة ليس ممنوعًا بإطلاق ، بل يعتمد على الهدف من السفر ، فإذا كان السفر بغرض التوعية والإصلاح والدعوة ، فهو من الأعمال المشروعة ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [150] ، مما يدل على أن إصلاح المجتمعات من الداخل أمر مشروع.

فالمطلوب هو التعامل مع القضايا الفقهية والاجتماعية بطريقة متوازنة ، بحيث لا يكون هناك إنكار عنيف يؤدي إلى الفتنة ، ولا يكون هناك تساهل يرسخ المفاهيم الخاطئة. الإصلاح في الإسلام يجب أن يكون قائمًا على التعليم والتوعية لا على الإقصاء والعنف ، فقد أمرنا الله بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [151].

كما أن السعي إلى تصحيح الأخطاء بطريقة تدريجية يمكن أن يكون أكثر تأثيرًا من الإنكار القاسي ، فالهدف ليس إصدار الأحكام بل بناء بيئة تساعد الناس على الفهم الصحيح. بهذا النهج الوسطي ، يمكن تحقيق إصلاح حقيقي يحافظ على وحدة الأمة ، ويضمن نشر العقيدة الصحيحة بالرفق والتدرج ، دون نفور أو تصادم. والله أعلم.

---

[150] (البخاري ومسلم)

[151] (النحل : 125)

وفي هذا النص القيم ، يُقدّم الشيخ ابن جبرين رحمه الله ميزانًا دقيقًا بين الواقع والمأمول ، ويُرسي قاعدة مهمة في فقه الدعوة والإصلاح ، وهي: أن المسلم لا يُكلّف بإزالة كل منكر ، بل يُكلّف بما يقدر عليه ، ويُعذر فيما يعجز عنه ، ما دام متمسكًا بالحق .

### 1. الواقع ليس مثاليًا ، لكن لا يُهجر دائمًا

الشيخ يُقرّ أن بعض البلاد تنتشر فيها شعائر الشرك والبدع ، وهذا واقع مؤلم ، لكنه لا يعني بالضرورة الهجر المطلق ، بل يُنظر إلى قدرة المسلم على التأثير . فإن كان عاجزًا عن البيان أو الإصلاح ، فالأولى أن لا يُعرّض نفسه للفتنة ، أما إن كان قادرًا على البيان ، ثابتًا على التوحيد ، فوجوده هناك فرصة للإصلاح لا خطر عليه .

### 2. الموازنة بين الممكن والمطلوب

الإسلام لا يطلب من المسلم أن يعيش في مجتمع مثالي خالٍ من المخالفات ، فهذا غير ممكن ، بل يطلب منه أن يُصلح ما استطاع ، ويثبت على الحق ، ويُظهر دينه ، كما قال تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم [152] ، وقال: فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم [153] .

### 3. فقه التغيير لا يقوم على التصادم ، بل على التمكين

الشيخ يُشير ضمنًا إلى أن الوجود في بيئة منحرفة لا يُذم لذاته ، بل بحسب أثر المسلم فيها . فإن كان وجوده وسيلة للإصلاح ، فهو محمود ، وإن كان سببًا للانجراف أو العجز ، فهو مذموم .

---

[152] [التغابن: 16]
[153] [الزخرف: 43]

### 4. الرفق في الإصلاح لا يعني التنازل عن المبادئ

فالمسلم المتمسك بالوحي ، حتى في بيئة مليئة بالمخالفات ، لا تضره أعمالهم ، ما دام ثابتًا على التوحيد ، وهذا يُعلّمنا أن النجاة ليست بالانسحاب ، بل بالثبات والبيان .

فكلام الشيخ يُعلّمنا أن الموازنة بين الواقع والمثال تبدأ من معرفة حدود القدرة ، وتقدير أثر الإصلاح ، والتمسك بالوحي في كل حال . فليس المطلوب أن نعيش في بيئة مثالية ، بل أن نكون مصابيح هدى في بيئات تحتاج إلى النور .

### مفاد التعقيب على الفتوى والدروس المستفادة :

ومن خلال ما سبق نقول إن هذه الفتوى تجمع بين تشخيص الواقع ، وبيان الحكم ، ومراعاة الحال ، والدعوة إلى الإصلاح ، وهي نموذج في فقه الدعوة ، والرحمة بالخلق ، والغيرة على التوحيد.

وفيما يلي بيان لبعض ما قد يساء فهمه من بعض القراء ، نوضحه بيانا للنص وإظهارا للحق فنقول مستعينين بالله رب العالمين :

### المساجد والقبور : إشكالية تحتاج إلى معالجة حكيمة .

إن وجود القبور داخل المساجد مسألة تحتاج إلى دراسة متوازنة تراعي الواقع التاريخي والاجتماعي لهذه المساجد ، حيث بنيت كثير منها منذ قرون في بيئات لم يكن فيها علم كافٍ بالحكم الشرعي. الإسلام نهى عن اتخاذ القبور مساجد ، كما جاء في حديث النبي ﷺ : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [154] ، ولكن معالجة هذه القضية يجب أن تكون بالتدرج والتعليم وليس بالإنكار العنيف.

---

[154](البخاري ومسلم)

فالجهل بأحكام الدين كان منتشرًا في كثير من المناطق في بلاد العالم كله لا سيما بلاد المسلمين ولا يزال ، ولا يمكن تصحيح الأخطاء مباشرة دون مراعاة الظروف ، إذ يحتاج الناس إلى وقت لفهم الأحكام وتطبيقها ، كما قال النبي ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق [155]. وقد بدأ كثيرون في التبصر بمسألة تحريم الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد ، غير أنهم لا يستطيعون دائمًا تغيير هذا الواقع ، خاصة مع وجود شخصيات دينية كبيرة تؤثر في المجتمع. ولذا ، ينبغي أن يكون الإصلاح قائمًا على التوعية والإقناع وليس التصادم.

## التعامل مع التقليد الديني وتصحيح المفاهيم .

إن التقليد الأعمى كان وما زال هو السبب رئيسي في انتشار بعض الممارسات غير الشرعية ، حيث اقتنع كثيرون بجواز الدفن داخل المساجد بسبب اتباعهم لمشايخهم دون الرجوع إلى الدليل الشرعي ، وهذا مشابه لما أشار إليه الله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا [156]. الإسلام يدعو إلى اتباع الكتاب والسنة ، لكن معالجة هذا التقليد تتطلب جهدًا طويلًا واستراتيجية مدروسة لا تقوم فقط على النقد بل على التعليم والتوعية.

وقد بدأ بالفعل كثير من العلماء في التنبيه على الأدلة الموجودة في كتب الحديث ، التي تؤكد النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذها أماكن عبادة ، غير أن تغيير هذه القناعات يحتاج إلى وقت وحكمة كما قال النبي ﷺ : ما كان الرفق في شيء إلا زانه [157]. ومن هنا ، فإن على الدعاة مسؤولية عظيمة في تقديم العلم الصحيح بطريقة تقرب الناس إلى الفهم الصحيح ، بدلاً من دفعهم إلى العناد والرفض.

---

[155](أحمد)

[156](البقرة : 170)

[157](مسلم)

## إيجاد الحلول العملية : بين الفقه والواقع .

إن المخرج الشرعي لهذه المشكلة يجب أن يكون واقعيًا وقابلًا للتنفيذ ، بحيث يُراعى إمكانية التغيير دون إثارة فتنة أو تفريق بين المسلمين. يمكن العمل على نقل القبور إلى أماكن مخصصة للدفن ، أو بناء مساجد جديدة بعيدًا عن المقابر ، ليظل المسجد مكانًا خالصًا لعبادة الله ، كما قال الله تعالى : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [158].

أما من يجد نفسه مضطرًا للصلاة في مسجد فيه قبر ، فإن صلاته جائزة للضرورة ، كما أشار النبي ﷺ : إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم [159]. لكن ينبغي البحث عن مسجد آخر خالٍ من هذه القبور كلما أمكن ذلك ، لأن التوحيد يجب أن يكون في أنقى صورة ممكنة دون أي ممارسات قد تثير الشبهات.

## السفر إلى أماكن فيها مخالفات شرعية : متى يكون مشروعًا؟ .

اعلم أن السفر إلى أماكن قد يكون فيها بعض الممارسات المخالفة للشريعة ليس ممنوعًا بإطلاق ، بل يعتمد على الهدف من السفر ، فإذا كان بغرض التوعية والإصلاح والدعوة ، فهو من الأعمال المشروعة ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله [160]. هذا يدل على أن إصلاح المجتمعات من الداخل أمر مطلوب ، وليس شرطًا أن يكون الإنسان قادرًا على التغيير الفوري ، لكن مجرد إيصال الحق ونشره بطريقة حكيمة يمكن أن يكون بداية إيجابية.

---

[158] (الجن : 18)
[159] (البخاري ومسلم)
[160] (البخاري ومسلم)

**الخلاصة : التوازن بين التصحيح والحكمة .**

لا شك أن الإصلاح في الإسلام يجب أن يكون قائمًا على العلم والحكمة والتدرج ، وليس على التشدد أو الإقصاء. القضايا الفقهية والاجتماعية يجب أن تُعالج بما يحفظ وحدة المسلمين ، مع السعي إلى تصحيح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [161].

المطلوب هو البحث عن الحلول العملية التي تساهم في تصحيح المفاهيم بطريقة تدريجية ، بحيث لا تؤدي إلى إثارة الفتنة أو التفريق بين المسلمين ، فالهدف ليس مجرد إصدار الأحكام ، بل بناء بيئة تساعد الناس على الوصول إلى الفهم الصحيح.

وبهذا النهج الوسطي ، يمكن تحقيق إصلاح حقيقي يحافظ على وحدة الأمة ، ويضمن نشر العقيدة الصحيحة دون نفور أو صدام ، بل بالرفق والتدرج والحكمة. والله أعلم.

**الفتوى السابعة : توجيه لتائب على يد جماعة التبليغ !**

وفي موقعه الرسمي أيضا ، تحت قسم فتاوى ابن جبرين تحت قسم الدعوة الإسلامية والقضايا المعاصرة في ركن قضايا الدعوة الإسلامية في صنيف الجماعات الإسلامية والدعوة إلى الله برقم 11486 تحت عنوان ( توجيه لتائب على يد جماعة التبليغ)

( السؤال : أنا شاب كنت متساهلا بالصلاة وغيرها من أمور الدين فخرجت مع جماعة التبليغ ثلاثة أيام فأصبحت أحافظ على الصلاة وقراءة القرآن والأذكار وطاعة الوالدين وبدأت أفكر في حفظ القرآن الكريم فقال لي بعض الأشخاص الطيبين : اترك هذه الجماعة واطلب العلم ، وقال لي آخرين : تمسك بهذه الجماعة

---

[161](النحل : 125)

واطلب العلم ، وقال لي ثالث : لا تبدأ بطلب العلم حتى تتقوى بالإيمان والأعمال ثم ابدأ بتعلم صغار العلم شيئًا فشيئًا. فما توجيه فضيلتكم لي ولأمثالي من التائبين الباحثين عن الطريق المستقيم ؟

الجواب : وبعد لك أن تخرج مع أهل الدعوة في داخل المملكة لزيادة المعلومات وتقوية الإيمان ودعوة المسلمين ، ولا يردك هذا الخروج عن التعلم ولا يردك عن زيادة الإيمان بل هو من أسباب قوة الإيمان وزيادته ، ولك وقت آخر تطلب فيه العلم وتتعبد وتدعو إلى الله من غير سفر ولك أجر في ذلك كله بحسب كثرة النفع وحسن النية. والله أعلم, . )

## التعقيب على الفتوى السابعة :

هذه الفتوى تؤكد إجمالا أن التائب الساعي إلى الاستقامة يمكنه أن يجمع بين طلب العلم والخروج للدعوة ، دون تعارض بينهما. فالدعوة إلى الله تعالى تقوي الإيمان وتزيد الفهم الصحيح للإسلام ، والطلب المستمر للعلم يضمن أن تكون الدعوة قائمة على معرفة صحيحة. والأهم هو أن يكون الإنسان متوازنًا في عباداته وعلمه ودعوته ، ويحرص على النفع لنفسه وللآخرين بحسن نية وإخلاص.

## التعقيب على سؤال السائل :

فقول السائل ( أنا شاب كنت متساهل بالصلاة وغيرها من أمور الدين فخرجت مع جماعة التبليغ ثلاثة أيام فأصبحت أحافظ على الصلاة وقراءة القرآن والأذكار وطاعة الوالدين وبدأت أفكر في حفظ القرآن الكريم ، فقال لي بعض الأشخاص الطيبين : اترك هذه الجماعة واطلب العلم ، وقال لي آخرين : تمسك بهذه الجماعة واطلب العلم ، وقال لي ثالث : لا تبدأ بطلب العلم حتى تتقوى بالإيمان والأعمال ثم ابدأ بتعلم صغار العلم شيئًا فشيئًا. فما توجيه فضيلتكم لي ولأمثالي من التائبين الباحثين عن الطريق المستقيم ؟ ) نقول ، من حق التائب الى الله على الناس أن يُعان ، لا أن يُخذل ، ومن الجفاء أن يُهاجم من ذاق حلاوة الإيمان بدلاً من

أن يُشجّع. والشاب الذي هداه الله عبر صحبة أهل التبليغ ، ثم بدأ يحافظ على الصلاة ، ويتلو القرآن ، ويبرّ بوالديه ، هو في مسار مبارك ، لا يليق أن يُقابَل بالتشكيك لأن من أيقظه لم يكن من مدرسة الموافقين لبعض الغلاة. فغلاة التبديع – لا سيما من التيارات المتشددة – لا يهتمون بالعاصي حال معصيته ، لكنهم يشنّون عليه الهجوم حين يتوب على يد غيرهم ، وكأنهم لا يفرحون بهدايته. وهذا خلل في الموازين يخالف قول الله تعالى: ﴿وَمَن أَحسَنُ قَولًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ ، ويخالف سنة النبي ﷺ في الفرح بتوبة العاصي أيًّا كانت أسبابها. كما أن طلب العلم لا يُنافي تقوية الإيمان والعمل ، بل الإيمان هو مِهاد العلم ، وأهله من السلف كانوا يربّون الناس على العبودية قبل التفصيلات. وأما جماعة التبليغ ، فلهم فضل في دعوة الآلاف إلى الصلاة والقرآن ، وإن كان عندهم ما يُصحّح ، فلا يُنسف الخير لأجل النقص. نصيحتي للأخ السائل: اثبت على ما أنت عليه من طاعة ، واطلب العلم بنية صادقة ، دون أن تسمح لمن في قلوبهم مرض العصبية أن يسرقوا منك نعمة الهداية باسم النقد . الهداية رزق ، فلا تُضيّعها إرضاءً للمثبّطين ، وكن من الذين قال فيهم الله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ .

## سياق السؤال ومعناه العميق :

السائل لا يشتكي من فتور بعد التوبة ، بل يشتكي من ضربات التيارات المنتقدة ، بعدما عاد إلى الله وأقبل على الصلاة والأذكار وبرّ الوالدين وحفظ القرآن. وهذا يؤكد أن السائل وجد في صحبة جماعة التبليغ بيئة إيمانية أيقظت همته ، فبدأ ينتعش بعد طول غفلة. وهذا مدعاة للفرح لا للتشكيك ، وكان من المفترض أن يُقال له: اثبت ياأخي ، وازدد علمًا وتقوى . لا أن يُنتزع من محضن صحوه إلى دائرة التشكيك والصراع والقلق الفكري.

ففتنة التشكيك والتفريق لا تفرّق بين صادق ومخادع ، والمتأمل في سلوك بعض المتعصبين يجد أنهم لا يظهرون الاهتمام بالعاصي إلا بعد أن يتوب!

فإذا تاب على يد غيرهم ، اشتغلوا بتشكيكه أو اتهامه بالجهل أو الانتماء . وكأن الهداية عندهم لا تُقبل إلا إذا كانت عبر قنواتهم الخاصة.

وهذا يتنافى مع قوله ﷺ: «من دلّ على هدى فله مثل أجر فاعله» 162 فمن دعا إلى الله فاهتدى الناس على يديه ، له أجر ، ولو لم يكن من الجماعة الفلانية .

## الخلل المنهجي في نقد الصحوة عبر القوالب المسبقة :

إن من أعظم مظاهر الخلل في نقد الصحوة الإسلامية أن تُقوَّمَ تجاربُ الناس من خلال المسميات لا النتائج ، فيُحكم على الدعوات والحركات بناءً على الألقاب والانتماءات ، لا على آثارها في الاستقامة والإصلاح. فمن اهتدى واستقام قلبه ، والتزم بالصلاة والقرآن والطاعة مع أهل التبليغ ، يُنهى عن صحبته ويحذر منه ويُهَوَّنُ من سبب هدايته لأنه ينتمي لجماعة معينة ؛ فهذه نظرة مشوشة تُقدّم الاصطفاف حول قادتها ورموزها على مقاصد الشريعة. والميزان الصحيح الواجب الاتباع هو: الاتباع والطاعة لله ورسوله إجمالا فإن كان كذلك فذلك خير ، وإن كان ثَمّ خطأ منهجي أو اجتهادي ، فيُعالج برفق لا بهدم الأصل.

وقد قال الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يحب أهل السنة ويبغض أهل البدع فاعلم أنه صاحب سنة ، ولم يقل من وافقك في كل اجتهاد فهو السني ، ومن خالفك فهو مبتدع . فكل من نراهم اليوم يُبغضون أهل السنة العاملين لنشر الدين ، ويُصنّفونهم ويُشوهونهم لأجل اختلاف جزئي ؟! نزعة حزبية مُقَنَّعة مغلفة في ثوب الدفاع عن الحق وبيان السنة ، وحقيقتها أنها تُفرغ الدعوة من روحها وتنقلب على مقاصدها.

فما بال البعض يُبغض أهل السنة العاملين بحجة أن لهم أخطاء اجتهادية أو منهجية ؟! فالذين قالوا للسائل دع عنك هذه الجماعة لا ينظرون للآثار ، بل للأسماء. مع أنه أولى به أن ينظر إلى المعيار الشرعي وهو:

---

162[صحيح مسلم]

هل قادته صحبتهم إلى الطاعة؟ فإذا كانت نعم ، فلا يصح تهميش التجربة الدعوية بسبب تعصّب لمذهب أو طائفة.

## المدخلية أدعياء السلفية لا يُرضيهم أن يهتدي الناس ، بل يُشككون في هدايتهم :

وهذا المعنى يتكرر في بعض أهل الأهواء حين يرون التائب يعود إلى ربه ، فيتغيظون حسدًا أو تعصبًا ، فيبذلون الوسع في تشكيكه بدل أن يساندوه. وكأنهم يكرهون أن يُهدى الناس إن لم يكن على أيديهم أو بطريقتهم.

ومثلهم كمن قال تعالى فيهم : وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم [163] . مع فارق التشبيه غير أنهم لم يحبوا هدايته ولو عاد لضلالة لأحبوه أكثر من بقاءه مع أهل التبليغ أو غيرهم من المصلحين .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: من أقبح الظلم أن يُبغض العبدُ من أطاع الله ، ويحب من عصى الله ، فإن هذا قدح في أصل الإيمان [164] .

## غلاة التبديع لا يفرحون بتوبة العاصي ، ولا يهمهم هدايته :

إن عامة الغلاة في التبديع الذين يرون أن العاصي أخف ضررا من المبتدع يعتقدون أنه لو رجع هذا الشاب إلى ربه عن طريق موعظة من أحد المشايخ من أهل التبليغ أو حضر درسًا علميًا فصلى وصام وقام بالعبادات وامتنع عن المحرمات ، قد زاد ضلال على ضلاله السابق !

---

[163] [البقرة: 109]

[164] [مجموع الفتاوى 3/277]

فلمجرد أنه اهتدى بمخالطة أهل الدعوة والذكر والمجالسة ، نرى من يطعن في منهج هدايته لا في المعاصي التي كان فيها! والنبي ﷺ يقول: من قال لأخيه: يا كافر ، فقد باء بها أحدهما [165].

## أهل التبليغ: بوابة خير لكثير من العُصاة :

ولا شك أن لحركة التبليغ الإصلاحية دورًا كبيرًا – في كثير من البلدان – في إيقاظ القلوب الغافلة. ولا يُقال إنهم الطريق الوحيد للهداية أو الأكمل عامة ومطلقا ، بل قد يقال أنه مناسب لفئات معينة أو لبيئات معينة أو الأكمل في ظروف معينة ، فالإنصاف يوجب على كل مسلم أن يعترف بفضلهم فيما أحسنوا فيه ، لا أن يحاربهم وينكر الخير الذي جاء على أيديهم.

وكما قال العلماء – في معرض تقويم لأشخاص وجهود –: لا نُبطل كثيرًا من الخير لأجل شيء من الخطأ .

وقال ابن جبرين حين سُئل عن الخروج معهم: من خرج معهم بنية الدعوة إلى الله ، ونفع نفسه بذكر الله والصلاة والعبادة فخروجه محمود ، ولو تَعلّم وطلب العلم لاحقًا فهو على خير عظيم .

## من النوازل أن العصبية الجاهلية تتغلّف بلبوس الغيرة على الدين :

إن من أعظم نوازل زماننا أن تلبست العصبية الجاهلية بلباس الغيرة على السنة ، فانقلبت المفاهيم ، وصار من ينتصر لجماعته أو شيخه أو رأيه يظن نفسه ناصرًا للدين ، وهو في الحقيقة يُمزّق جسد الأمة باسم السلفية والسنة. نرى اليوم – للأسف – من بعض الغلاة ، لا سيما من التيار المدخلي ، ظاهرة خطيرة: طعن وتشكيك في كل مخالف ، حتى ممن يوافقهم في أصل المنهج ، واحتكار لأوصاف أهل السنة و

[165][صحيح مسلم]

الفرقة الناجية و المنهج السلفي ، حتى بات يُخرجون أهل الفضل والاستقامة من هذا الإطار ، فقط لأنهم لم يسيروا على طريقتهم في التبديع أو الولاء.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا النوع من العصبية حين قال: «دَعوها فإنها مُنتنة» عندما تعصّب بعض الصحابة لقبائلهم ، فكيف بمن يجعل الولاء والبراء قائمًا على الانتماء لجماعة أو شيخ أو دولة أو تيار؟ إن مثل هذا السلوك يفتح أبواب الفتنة ، ويُنفّر الناس من السنة نفسها ، بل يُشوه صورتها في أعين الشباب الباحثين عن الحق. والواجب أن نُعالِج هذا الواقع بتصحيح المفاهيم ، وإرجاع السنة والسلفية إلى أصلها: الكتاب والسنة بفهم الصحابة ، لا بفهم المتحزبين.

العلاج يبدأ من نبذ الاحتكار للمنهج ، والاعتراف بأن الخير قد يتعدد في صورٍ ومناهج دعوية متوازنة ، ما دامت قائمة على التوحيد والاتباع. ثم بتفكيك التعصب الذي يستتر تحت لافتات النقد العلمي و التمييز المنهجي ، بينما هو في حقيقته إقصاء وتجريح وتصدّر للفتنة. ومن أعظم العلاج: الرجوع إلى العلماء الكبار ، كابن باز والعثيمين وابن جبرين ، الذين كان منهجهم متزنًا ، يجمع بين الغيرة على السنة ، والعدل في الأحكام ، والرحمة بالناس. وأما غلاة التبديع ، فقد تولَّد عندهم ميلٌ للفرقة باسم الغيرة ، يقدّمون إسقاط المخالف على دعوته ، والبحث عن الزلل على نصرة الحق.

ثم لا بد من تربية الشباب على فقه الاختلاف وآداب الرد ، وأن نغرس فيهم الأخوّة الإسلامية فوق الانتماءات الضيقة ، وأن نُعيد السلفية إلى روحها الرفيقة الرحيمة ، لا صورتها المتجهمة القاسية التي روّج لها المتعصبون. ولن يُصلح هذا الخلل إلا خطاب يُعيد الأمور إلى نصابها ، ويُغلب روح التعاون على التقاطع ، ويحمل همّ الأمة لا همّ الجماعة ، ويُعظّم قول الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، فوق كل وصف عارض.

## غلاة التبديع لا يأبهون بالعصاة حال عصيانهم وتثور ثائرتهم بعد توبتهم وانصلاح أحوالهم ؟

وعجبًا لغلاة التبديع ، لا يهتمون بالعاصي حال معصيته ، فلا يسعون لهدايته في أوكار الغفلة ! ولكن ما إن يهتدي على يد غيرهم حتى تراهم ينهالون طعنًا وتشكيكًا فيه وفيمن كان سببًا في هدايته! وهذا مؤشر على خلل في النية: أهي لله أم للذات والمذهب؟

كيف لمن يحمل لواء النهي عن المنكر ، ثم لا يُبصر المنكر في الإعراض عن العاصي حال غفلته ، ولا تمتد يده إلى من هو غارق في أودية المعصية ، فإذا تاب هذا العاصي ، وانكسر قلبه أمام نور الهداية ، ولم يكن هو سبب هدايته من ذات التيار أو الشيخ أو المدرسة ، وُجّهت إليه سهام التشكيك والطعن والتبديع! وكأن الهداية لا تُقبل إلا إذا جرت على أيديهم ، وكأنهم وحدهم هم من يملكون مفاتيح القبول الإلهي ، وهذا لعمري انحراف في الفهم ، واعوجاج في القصد.

إن المسلك الدعوي الذي لا يرى العاصي وهو في غفلته ولا ينتبه إلى ما هو فيه من غي وضلال ، ثم لا يظهر إلا حينما يهتدي لينتقص من هدايته ، يطرح سؤالًا خطيرًا حول النية: هل هذه الهبَّة والفزعة لله ؟! ، أم للدفاع عن الكيان والمذهب والراية والرياسة ؟ أليس من علامات صدق الإخلاص أن يفرح المسلم بهداية الناس ، كائنةً من كانت أسبابها؟ أليس من تمام الغيرة على الدين أن يُفرح بتوبة العاصي ، لا أن يُساء الظن به؟ يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾[166] ، أفلا نأتسي بهذه الرحمة ونحن ننظر إلى من عاد إلى ربه؟وانصلح على خالقه وأقلع عن المعاصي .

أما من وقع في هذا المسلك من أهل الغلو في التبديع ، فالواجب عليهم أن يقفوا وقفة محاسبة ويتجردوا لله ، ويُراجعوا أنفسهم ، ويُدركوا أن تكميم أفواه الدعاة والمصلحين لا يتم باسم السنة ، ولا بإقصاء الطرف

---

[166] [المائدة: ٣٩]

الآخر إذا خالف أسلوبهم. بل الواجب عليهم أن يتأسوا بالنبي ﷺ ، الذي لم يوبخ توبة المخطئين ، بل فرح بعودتهم ، كفرحه بتوبة كعب بن مالك وأصحابه رضي الله عنهم ، ولما جاء الشاب الذي قبل امرأة ، لم ينهل عليه النبي باللوم ، بل أرشده إلى الكفارة وغسل الذنب بالتوبة.

وأما من يسمع منهم هذه الطعون من عامة المسلمين عامة ومن أهل العلم والفقه والدين والإصلاح خاصة ، فإن عليه أن يتحرّى الإنصاف والعقل ، وألا يُسلّم لكل من يرفع شعارات التمييز والولاء للسنة دون تمحيص ، وأن يسأل هذا المتكلم: هل كنت تنكر على هذا العاصي قبل توبته؟ هل كنت تسعى لهدايته؟ هل غرت يوما على بعده عن طريق ربه ؟ فإن لم تكن كذلك يوما وتركته سنين عددا تائها في غيه بعيدا عن طريق ربه ، فما الذي أغضبك إذن من توبته؟ أفي القلب شَحناءٌ لمن دلّه إلى الله؟ أين الخوف من الله ، وأين الإخلاص لله ، وأين الفرح بتوبة العبد؟

وليرد عليهم بلزوم القواعد الشرعية المحكمة التي اتفق عليها علماء الأمة قديما وحديثا : أن الحكم على الناس يكون بالظاهر ، وأن من أظهر الطاعة يحب في الله ، وأن الهداية فضل من الله تعالى يجريها على يد من شاء من عباده ، فمن أي طريق جاءت ، وعلى يد من تحققت ما دامت موافقة للشرع وجب الفرح بها ، وليُقم عليهم الحجة بما قاله العلماء الكبار ، حين قالوا: من دعا إلى الخير وسعى في هداية الناس ، فدعاؤه محمود ، ولو كان عنده بعض الجهل أو القصور ، فإنه يُنصح ويُعلم ، ولا يُبطل خيره .

وليتأمل السامع حديث النبي ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم» ، فإن تحققت هذه الهداية على يد غيرك من عباد الله تعالى ، فاشكر الله على نعمه عليك وعلى إخوانك ، وتمن لهم ما تتمنى لنفسك ، ولا تنشغل بالطعن في الداعية بل اشغل نفسك بشكر المنعم جل جلاله.

فليكن ديدن طالب العلم والناصح الأمين والداعية الحصيف : تزكية الخير ، والإنصاف في الحكم ، ومعرفة أن المقامات لا تُنال بالصراخ في وجه المهتدين ، بل بتثبيتهم وتمكينهم ودعوتهم للعلم والارتقاء ، لا بهدم ما بُني من نور.

## طلب العلم لا يُنافي الأعمال القلبية :

رزقنا الله وإياكم العلم النافع والقلب الخاشع إعلم أن الحقيقة الراسخة أن العلم والعبادة جناحان لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر ، ومن اقتصر على واحد دون الثاني اختلّ طريق سيره إلى الله.

فمن أعظم ما يُبتلى به بعض الشباب السالكين طريق الهداية أن يُخيّروا أو إن شئت فقل يتحيروا – خطأً – بين العبادة و طلب العلم ، فيُقال لأحدهم: لا تُكثر من الذكر ، ولا تُطِل القيام ، ولا تُجالس أهل التزكية ، بل أقبل على التحقيق العلمي و التمييز المنهجي ، كأنما الخشوع عدوٌّ للفقه ، وكأن السكينة ليست رفيقة السُنة.

وهذا الطرح ليس من منهج النبوة ، فقد ربّى النبي ﷺ أصحابه أول ما بعثه الله بالإيمان قبل الأحكام ، وبالخشية قبل التفصيل. ثلاث عشرة سنة في مكة ، يغرس فيهم تعظيم الله ، ودوام الذكر ، ومحاسبة النفس ، ثم جاءت تفاصيل الحلال والحرام في المدينة تُكمّل بناء القلوب ، لا أن تُقيمه من فراغ. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ ، ولم يقل: من حفظ المتون فقط ، بل تزكية النفس كانت مقدَّمة في الترتيب القرآني قبل التعليم.

فاعلم أنه لا تعارض مطلقا بين العلم والإيمان والعمل ، قال الإمام مالك: تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم . وكان كثير من السلف يُربّون النفوس على الطاعة والسلوك قبل التفاصيل الفقهية والمنهجية. والتربية الإيمانية

التي تُركز عليها دعوة التبليغ تُعيد بناء القلب قبل العقل ، فتصنع جوًا من الذكر والبر وقيام الليل والنفقة وترك المعاصي ، وهي المقدمات التي تُهيئ القلب لطلب العلم.

وقد قال النبي ﷺ: «إن الإيمان ليَخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخلَقُ الثوب ، فاسألوا الله أن يُجدّد الإيمان في قلوبكم»[167]. فالاهتمام بتجديد الإيمان لا يُخالف طلب العلم ، بل يؤسسه .

إن فقهاء السلف وعلماءهم لم يكونوا فُضلاء لمجرد معرفتهم بالنصوص ، بل خشيَة الله كانت تنضح من ألفاظهم ، وبكاء الليل يسند اجتهادهم وهذا العمل هو سبب رسوخ أقدامهم في العلم . قال الحسن البصري: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في خشوعه وهديه ولسانه وبصره ، أي أن العلم إذا صُحب بالعبادة والذكر والتواضع ، أثمر إيمانًا في القلب وهيبةً على الوجه وسكينة في الجوارح ، وإن انفصل عنها صار وبالًا على صاحبه.

ولذلك قال ابن القيم كلمته المشهورة: العلم النافع ما زادك في خشيتك وخضوعك ، وإلا فهو حجة عليك لا لك ، فكم من حافظ للمتون طويل الباع في التصانيف ، لكن قلبه أشد جفافًا من الصخر ، فلا يرى إلا العيوب ، ولا يذوق حلاوة العبادة ، ولا يعرف لذة العبودية! وذلك لأن العلم عنده معلومة محفوظة لا زادٌ للروح.

ولقد كان هذا منهج السلف حقا بالجمع بين الزاد الإيماني والتكوين العلمي . فلا يفاضلون ويفصلون بين القلب والعقل ، بل يتعهّدون الاثنين كليهما ، ويغذّون الفكر بالمدارك ، والوجدان بالذكر والتهجّد.

فالواجب عليك أخي طالب العلم ، خاصة وأنت في بداياتك ، أن لا يُجفّف قلبك بحجة التخصص ، بل يُوازن بين غذاء العقول وغذاء القلوب ، ويُكثر من النوافل ، والأذكار ، وصحبة الصالحين إثراءا للقلب

---

[167] [الحاكم وصححه الذهبي]

وإنعاشا له ، ويجعل العلم خادمًا للقلب لا متسلطًا عليه. لأن من طلب العلم ولم يزكّ نفسه ، فإنه – والعياذ بالله – قد يُجادل عن باطل وهو يحسب نفسه مُهتديًا ، وقد يُصيب الناس بغلظة منه وهو يظنها شدّة على البدعة.

فيا أخي : لا تجعل العلم قاطعًا لطريقك إلى الله ، بل اجعله سُلّمًا تعتليه إلى الخشية والرضا ، وإلا كان عليك لا لك. واجعل شعارك كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علمًا ، وكفى بالاغترار بالله جهلًا .

## موقف أهل الإنصاف من دعوة التبليغ الإصلاحية :

اعلم بارك الله فيك أن جماعة التبليغ كغيرها من الجماعات ( جماعات السلفيين وجماعة الإخوان والحركات الإصلاحية ) ليست فوق النقد ، وليست عدوًا للإسلام كما يصوّر البعض.

وقد سئل الشيخ ابن باز مرارا عن الخروج معهم ، فقال مرارا : إن كان الخارج معهم يدعو إلى التوحيد ويبتعد عن البدع ، فلا بأس ، مع نصحهم وتعليمهم .

وسُئل الشيخ ابن جبرين فقال: نعم ، من احتاج إلى زيادة إيمان ، ومجاهدة نفس ، فليخرج معهم ، وليحذر ما عندهم من جهل في العقيدة ويجتهد في تصحيح المفاهيم . فهذه أقوال متواترة معتدلة ، تُثمن جوانب الخير ، وتُنبه على جوانب النقص دون إسقاط أو غلو.

ونصيحتي لك يا أخي ، أن لا تلتفت لمن يصرفك عن طريق الهداية باسم النقد والغيرة على الدين وهم أبعد الناس عن خدمة الدين ، ولا تقطع علاقتك بالعلم وواصل حفظك للقرآن فهو أساس طلب العلم ، واثبت على المحافظة على الصلاة. وابقَ على صلة بأهل الخير من أهل التبليغ الذين كنت معهم ، واطلب العلم شيئًا فشيئًا ، دون أن تستعجل النتائج ولا تتدخل في إطلاق الأحكام ولا التعرض للمناظرات. ثم لا تكن أداة

في يد من يُعادون الصحوة لأنهم لا يتحكمون فيها! وكن ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [168]

وختامًا ، نقول لهذا السائل المبارك: تفطن يا طالب العلم ولا تكن لعبة بيد كل ناقد باسم النصح ، احمد الله أن أيقظ قلبك ، وسارِع في تزكية نفسك وإصلاح قلبك ، وأحسن الظن بمن كانوا سببًا في رجوعك إلى الصلاة والقرآن. اطلب العلم ، نعم. ولكن لا تنقطع عن الصحبة الصالحة والجوّ الإيماني الذي يحفظ قلبك. ولا تلتفت لكل من يريد أن يسلبك هذه الهداية باسم المنهج أو التمييز . فقد قيل: كم من ناقد ، حجته ظاهرها العلم ، ومقصدها إسقاط العاملين . وكن كما قال تعالى: فاستقم كما أمرت ومن تاب معك 169 ، لا كما يُمليه المتعصّبون.

## التعقيب على جواب الشيخ رحمه الله :

المتأمل في جواب الشيخ على سؤال هذا الشاب المتذبذب نجد أنه قد سار على منهج الوسطية والاعتدال في التوجيه ، بعيدًا عن التشنج والانتصار لموقف دون آخر. فلم ينجرَّ الشيخ خلف الاستثارة العاطفية التي قد تُولدها صياغة السؤال ، ولا استجاب لموجات التحذير أو التجييش ، بل وقف على مسافة واحدة ، موازنًا بين أهمية الجو الإيماني الذي أحيا قلب الشاب ، وضرورة طلب العلم كركيزة لاحقة تُحصّن هذه الهداية.

وقد جمع الشيخ في جوابه بين التثبيت والتسديد ، فأقرّ بأثر الصحبة الطيبة وأجواء الذكر على النفس ، دون أن يُهدر فضل طلب العلم وأثره في ترسيخ الإيمان. كما حرص على توجيه السائل إلى الانتباه من الذين يُشككون في طريق هدايته بحجة الإصلاح ، وهم في الحقيقة قد يكونون سببًا في صدّه عن الخير. هذا

---

[168] [فصلت: 30]
[169] [هود: 112]

النَفَس الحكيم في الرد يُجسّد الموازنة المنهجية التي تحتاجها المرحلة: لا غلو ولا تفريط ، لا تهوين ولا تهويل ، بل دعوة إلى السير بثبات مع ترشيد وتوجيه ، ومنهجية لا تلغي ما سبق من الخير ، بل تبني عليه وتحفظه.

## حث الشيخ على الخروج في سبيل الله بصريح العبارة وبلا مواربة :

فقول الشيخ رحمه الله ( لك أن تخرج مع أهل الدعوة في داخل المملكة لزيادة المعلومات وتقوية الإيمان ودعوة المسلمين )

إعلم أن الخروج مع أهل الدعوة هو وسيلة قوية لتعزيز الإيمان ونشر الخير ، إذ إن الدعوة إلى الله لها أثر بالغ في تقوية العقيدة وتصحيح المفاهيم. فقد قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [170] ، مما يدل على أن الدعوة هي من أشرف الأعمال التي يقوم بها المسلم. كما أن الانخراط في الأنشطة الدعوية يمنح الإنسان فرصة عملية لترسيخ الإيمان ، والتعلم من التجارب الميدانية ، وليس فقط الاكتفاء بالعلم النظري.

لقد كان الشيخ ابن جبرين رحمه الله في جوابه واضحًا وصريحًا لا لبس فيه ، حين حثّ على الخروج مع أهل الدعوة داخل المملكة ، مؤكدًا أن هذا الخروج يُعدّ وسيلة فعّالة لزيادة العلم وتقوية الإيمان ، والدعوة إلى الله بين المسلمين. فليست دعوته هذه مبنية على المجاملة أو التورية ، بل جاءت ناصحة موجِّهة ، تؤصل لعمل دعوي ميداني متزن ، تلتقي فيه العبادة بالتجربة الواقعية.

[170](فصلت : 33)

ففي قوله لك أن تخرج مع أهل الدعوة . دلالة على الإباحة المرغّبة ، لا مجرد الإذن البارد؛ إذ إن العبارات التالية – زيادة المعلومات ، وتقوية الإيمان ، ودعوة المسلمين – تُبرز مقاصد شرعية عظيمة لا تُنال بسهولة في الجلوس وحده أو التلقي النظري فقط.

وقد استندت هذه الرؤية إلى معانٍ أصيلة في القرآن والسنة ونقولات أهل السنة وهي أكثر من أن تحصر ، لأن الدعوة إلى الله هي أشرف مقامات الكلمة ، ولا تكون الدعوة مؤثرة ما لم تُزكَّ بعمل صالح ، وما لم تُعش واقعًا وتُلامَس بها القلوب والنفوس في ميدان الحياة.

ثم إن الشيخ رحمه الله ، بعلمه وتربيته الفقهية المتينة ، كان يدرك أن الشاب المُقبل على الله يحتاج إلى بيئة تُغذّي قلبه ، وترفع همته ، وتربطه بالواقع ، لا أن يُحمّل منذ البداية همّ التفريعات دون سقي قلبه بالتزكية والاحتكاك العملي بدعوة الناس.

فالدعوة الميدانية تُكمل البناء العلمي ، وتُحصّنه ، وتمنع المرء من الغرور بالعلم النظري. وهذا أصل من أصول التربية النبوية: أن يتعلم الإنسان من المواقف كما يتعلم من النصوص. ولذلك فإن الانخراط في الأنشطة الدعوية ، والقيام بالتذكير والذكر ، والجلوس مع الصالحين ، والخروج لله في سبيل تبليغ الخير – كله يرسّخ العلم في القلب ويطرد الغفلة ، ويصقل الروح بالخشية والخبرة.

فمن أراد اتباع الشيخ ابن جبرين فلا يقتصر بالاستشهاد باسمه في السجالات ، بل يعمل بنصحه ، ويسير على نهجه ، ويجمع بين العمل والدعوة والعلم ، كما كان هو في حياته: مربيًا ، وداعية ، وفقيهًا ، لا يفصل بين العافية الروحية والتزكية الشرعية.

### نصيحة الشيخ بالتوازن بين الخروج للدعوة مع أهل التبليغ وزيادة الإيمان:

وقوله رحمه الله (ولا يردك هذا الخروج عن التعلم ولا يردك عن زيادة الإيمان بل هو من أسباب قوة الإيمان وزيادته)

إن الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب العلم هو منهج الأنبياء والصحابة ، فلم يكن أي منهما بمعزل عن الآخر. إذ إن العلم هو الأساس الذي تُبنى عليه الدعوة الصحيحة ، والدعوة هي التطبيق العملي للعلم النافع. النبي ﷺ قال : من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة [171] ، مما يدل على أن طلب العلم جزء أساسي من تكامل شخصية المسلم. والخروج في سبيل الله يزيد الإيمان ، لأن التجربة العملية للدعوة تجعل الإنسان أكثر تعلقًا بالعبادة وأكثر فهمًا لواقع الناس.

حينما قال الشيخ ابن جبرين رحمه الله في وصيته للشاب السائل حول الخروج مع أهل الدعوة: ولا يردك هذا الخروج عن التعلم ، ولا يردك عن زيادة الإيمان ، بل هو من أسباب قوة الإيمان وزيادته ، وهي عبارة قصيرة لكنها عميقة الدلالة ، تُبيّن بوضوح أن الشيخ لم يكن يرى تعارضًا بين الخروج للدعوة وطلب العلم ، بل كان يعتبر الخروج الصادق مع أهل الدعوة وسيلةً لتعزيز الإيمان وترسيخ العلم في الواقع لا انفكاكًا عنه.

إن هذه الكلمات توضح بجلاء أن الشيخ كان يُدرك أن التربية الإيمانية ، ومجالسة الصالحين ، والاشتغال بدعوة الناس إلى الله ، ليست بديلاً عن العلم ، بل معينًا عليه. بل إن الشيخ يُحذّر هنا من فِكرة خاطئة يتناقلها بعض الناس وهي أن من يخرج للدعوة سيضيع عمره بعيدًا عن طلب العلم ، فأتى الشيخ ليرد هذا الوهم بقوله: بل هو من أسباب زيادة الإيمان ، أي أن الخروج الميداني – حين يُضبط بالنية الصادقة والرفقة الطيبة – يُزكّي القلب ، ويوقظ الهمم ، ويُقرّب من الله ، ويُهيئ النفس لطلب العلم بلهفة واستعداد.

---

[171] (مسلم)

فهذا هو المنهج المتوازن الذي كان عليه الأنبياء ، عليهم السلام ، وصحابة النبي ﷺ؛ دعوة قائمة على علم ، وعلم مؤيد بالتطبيق. فالعلم يُرشد الدعوة ويحكمها ، والدعوة تُجسد العلم وتُحييه في أرض الناس. وقد أشار النبي ﷺ إلى أهمية العلم بقوله: من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة ، لكنّه ﷺ في الوقت نفسه أرسل أصحابه دعاةً ، فجعل من حياتهم مدرسةً تدمج العلم بالعمل ، والفكر بالحركة.

أما الذي يجعل من العلم عذرًا في ترك الدعوة ، أو من الدعوة ذريعةً لترك التعلم ، فقد خالف منهج النبوة. لأن المقصود من العلم أن يزيد في الخشية ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ، والخشية لا تتأتى إلا بقلب حي ، ومن أعظم ما يُحيي القلب: الخروج إلى الله ، ومخالطة الصالحين ، ومعايشة هموم الناس ، وبذل الجهد في سبيل هدايتهم.

فمراد الشيخ إذًا أن الجمع بين العلم والدعوة هو الكمال ، وأن الخروج المنضبط ليس تضييعًا للعلم ، بل هو طريقٌ لتعظيم فائدته ، وأنه لا ينبغي لأحد أن يُصدَّ عن الدعوة بحجة طلب العلم ، بل يُوازن ، ويخدم إيمانه بالعمل والعلم معًا. وهذا هو الفقه ، وهو الاعتدال الذي كان عليه هو وسائر أئمة الدعوة.

### نصيحة الشيخ بالتوازن بين طلب العلم والخروج للدعوة مع أهل التبليغ:

وقوله رحمه الله (ولك وقت آخر تطلب فيه العلم وتتعبد وتدعو إلى الله من غير سفر ولك أجر في ذلك كله بحسب كثرة النفع وحسن النية. والله أعلم.)

يرسخ ويؤصل للتوازن بين العبادة والدعوة وطلب العلم ، وهذا أفضل طريق للوصول إلى رضا الله ، فليس المطلوب أن يكون الإنسان منقطعًا في أحد الجوانب دون الآخر ، بل عليه أن يكون متنوعًا في أعماله بما يحقق النفع لنفسه وللناس. فالدعوة إلى الله لا تعني ترك طلب العلم ، كما أن طلب العلم لا يعني العزلة عن

الناس. النبي ﷺ قال : بلغوا عني ولو آية [172] ، مما يدل على أن الإنسان يمكنه نشر الخير حتى لو كان لديه قدر محدود من العلم ، شريطة أن يكون علمه صحيحًا.

جزاك الله خيرًا يا طه ، وبارك في حرصك على إبراز منهج العلماء الربانيين في توجيه الشباب بما يجمع بين التزكية والعلم والدعوة. إليك إعادة صياغة وشرحًا بيّنًا لكلام:

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله وفي ضوء فهمه السديد في قوله : «ولك وقت آخر تطلب فيه العلم وتتعبد وتدعو إلى الله من غير سفر ، ولك أجر في ذلك كله بحسب كثرة النفع وحسن النية» ، يُوجّه الشيخ السائل إلى قاعدة متزنة منضبطة ، مضمونها أن أبواب الخير كثيرة ، وأن التوفيق بينها بحسب الاستطاعة وحسن النية هو السبيل الأكمل لنفع النفس والناس. لم يُقصِر الشيخ الخير في الخروج مع جماعة الدعوة ، ولا في طلب العلم وحده ، بل قرر بوضوح أن للمرء أن يُقسم جهده بين طلب العلم ، والعبادة ، والدعوة إلى الله ، سواء بالخروج مع الجماعة أو من غير سفر ، بحسب ما يتيسر له وما يُثمر من نفع.

وهذا يكشف عن فهم الشيخ العميق لطبيعة الشباب وتفاوت أحوالهم ، فلم يُلزم السائل بسلوك واحد ، بل فتح له أبواب الخيارات الشرعية ، بشرط الانضباط النيّاتي ، واستحضار الأجر المرتبط بمقدار النفع.

بل أكثر من ذلك ، فإن هذا الجواب يُظهر فَهْم الشيخ لمنهج جماعة التبليغ الحركي الدعوي ، حيث لم يكن ينكر عليهم العمل في الدعوة ، ولم يُنفر منهم ، بل أقرّهم في ما هم عليه من جهد في التبليغ والإحياء الإيماني ، مع التأكيد على ضرورة الجمع بين ذلك وطلب العلم ، دون تعارض أو تهويل.

ويُظهر جواب الشيخ أن الدعوة ليست حكرًا على مَن بلغ الغاية في التخصص ، بل كما قال ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية» ، فمن علم شيئًا بيقين ، فهو مأمور بنقله ، مادام ذلك في حدود العلم الصحيح والمنهج السليم.

---

[172] (البخاري)

بل إن الخروج مع أهل الدعوة يعين على تزكية النفس ، وتزكية النفس تعين على الإخلاص في طلب العلم والعمل به ، فهي دائرة تكامل لا تناقض.

وخلاصة كلام الشيخ هو الدعوة إلى الوسطية العملية ، التي تفتح أمام الشباب باب المشاركة والنفع والعبادة والعلم في آن واحد ، دون أن يُغلّبوا جانبًا على حساب آخر ، بل يُراعوا المقاصد والثمار ، ويجعلوا حسن النية وكثرة النفع ميزان العمل الصالح.

## الفتوى الثامنة : فتوى جامعة مانعة عن حقيقة ما تقوم به جماعة التبليغ ، وجواب الشيخ الفصل الصريح .

وفي فتاوى ابن جبرين على موقعه الرسمي في قسم الدعوة الإسلامية والقضايا المعاصرة ، قضايا الدعوة الإسلامية ، الجماعات الإسلامية والدعوة إلى الله برقم [ 11481 ]تحت عنوان ( حقيقة ما تقوم به جماعة التبليغ )

السؤال : لقد ورد إليكم سؤال من أهل قرية في المنطقة الشرقية بتاريخ 6 \ 6 \ 1415 هـ يسألون عن جماعة التبليغ التي تخرج الناس من ديارهم باسم الدعوة ، وأفتيتم على ضوء ما آتاكم في هذا السؤال. فضيلة الشيخ : نخبركم أنهم يقصدون بمجموعة الشباب الذين يحذرون من جماعة التبليغ وهم من طلابكم الذين يحضرون عندكم ويأتون كل أسبوع من المنطقة الشرقية لتلقي العلم على أيديكم ، وعلى سماحة مفتي الديار ، ويدرسون عند الشيخ عبد الله بن غديان والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ولهم عدة سنين والحمد لله ، فهؤلاء الشباب أقاموا الدروس بإذن من مكتب الدعوة في المنطقة ، فأقاموا دروسًا في كثير من القرى ، بل وفي البر ، في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ودروسا في الفقه ، ونظموا محاضرات علمية لعدد من طلبة العلم بإذن من مكتب الدعوة ، فنفع الله بهم واستفاد الكثير ، وأقاموا دروسًا للنساء

ولهذا الدرس خمس سنوات والحمد لله. ولكن الذين سألوكم لا يحضرون دروس التوحيد المقامة في المنطقة بل يحذرون من معهم منها ، ويريدون أخذ العامة معهم وإشغالهم عن أهليهم وتربية أبنائهم وبناتهم حتى وصل بهم الأمر أن أخذوا أحد كبار السن وليس في البيت إلا هو وزوجته وبناته ، فترك أهله وبناته وخرج معهم ، والناس عندما أتاهم العلم في ديارهم وأقيمت الدروس والمحاضرات استفادوا واستراحوا من هذه الأعمال التي يقومون بها على غير دليل من الخروج وغيره بل وصل بهم الأمر أنهم يخرجون النساء في بعض المناطق ويجتمعون في حلقات وليس عندهم من يعلمهم التوحيد والفقه ، بل يأتي أحدهم فيحدث قليلًا وهو على غير علم ثم يحاول تخريجهم إلى قطر وغيرها ، ويقولون : إنه لا يأتي الإيمان إلا بالخروج معنا ، بل سألنا كبيرًا لهم في مجتمع من الناس وهو يعتبر قائدهم وعلى هذا شهود ، سألناه أين الله؟ فأجاب بعقيدة الحلولية أن الله في كل مكان ، فإذا كان كبير حلقاتهم ومرشدهم ومعلمهم فكيف يتعلم الآخرون منه؟! ، فغيرة على دين التوحيد قمنا بهذه الدروس (درس التوحيد) وأرشدنا الناس إليها ونصحناهم من المناهج الضالة ، فإن العامة يا فضيلة الشيخ في ذمتك فنسألك بالله العظيم : هل تنصحون العامة يذهبون مع هؤلاء الناس وليس عندهم علم ، ويتركون دروس التوحيد والسنة المقامة عندهم؟

الجواب : وبعد فما ذكرتم من هؤلاء الشباب الصالحين الذين يدرسون عندكم ويقيمون حلقات ومحاضرات ويفقهونكم في الدين ويعلمونكم ما تجهلون ، فإنهم قد أحسنوا وعملوا صالحًا وهذا من أفضل القربات ، وهو واجبهم حيث أعطاهم الله علمًا نافعًا ، وتلقوه عن أكابر العلماء ، وعرفوا باب العقيدة والتوحيد العملي ، وعرفوا العبادات و المحرمات ، وعلموكم ما تجهلونه ، فعليكم أن تشجعوهم وتحرصوا على التلقي والتقبل منهم وتعلم ما تجهلون ولو تجشمتم المشقة وصبرتم في المجالس والحلقات وسافرتم من البادية إلى القرى والمدن ، فذلك كله من أفضل القربات. وأما جماعة التبليغ فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم حيث رأوا أن الخروج بالعاصي حتى يفارق مجالس اللهو واللعب أجدى له وأنفع لنفسه حيث يعمل معهم الصالحات ويتدرب

على أداء الفرائض بخشوع ، وعلى النوافل والأذكار والأدعية الموقتة وغيرها ، وعلى سماع القرآن والذكر والخير ، ويبعد عن جلساء السوء وعن العصاة والمعاصي فيعود وقد أحب العبادات وكره المحرمات ، هذا ما أداه إليهم اجتهادهم ، ونحن لا نعتب عليهم لكن نقول : لا يجوز لهم إضرار بأحد ولا اعتراض على غيرهم من أهل الحلقات والتعليم للعامة والخاصة ، كما لا يجوز لهم إنكار قراءة العقيدة والتوحيد ومسائل الخلاف لأجل معرفة الراجح ، وكذا تعلم الأحكام والحلال والحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين واللطف وعدم التنفير ، فعلموهم بذلك دون أن تنفروهم أو تنفروا عنهم.والله أعلم.وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، .

### التعقيب على الفتوى الثامنة :

بادىء ذي بدء ومن خلال هذا السؤال الطويل ، فإنه يتضح أن السائل لا يطلب فتوى محايدة بقدر ما يسعى إلى رسم صورة ذهنية سلبية ومحددة مسبقًا عن جماعة التبليغ ، بهدف دفع الشيخ ابن جبرين رحمه الله إلى إصدار حكم قاطع ضدهم. ويمكن تلخيص ما يريد السائل إيصاله من خلال هذا السؤال المعقد في الوقفات التالية:

### السائل بين الحياد وطلب الحق والرغبة في الاسترشاد وبين الجنوح لطائفة التبديع وذم الخصم وإخفاء حسناته :

إن السؤال الذي ورد للشيخ ابن جبرين رحمه الله لا يُظهر صفات السائل المحايد أو الطالب للحق ، بل يدل بوضوح على ميله إلى جهة معينة وسعيه لتصوير جماعة التبليغ بصورة سلبية ، مع غياب تام لروح الاسترشاد أو طلب البيان العلمي المجرد. إليك تفصيل ما يُفهم من صيغة السؤال:

#### 1. الانحياز الواضح للجهة المهاجِمة .

فالسائل يُثني ثناءً مطولًا ومفصلًا على الطرف الذي يعادي جماعة التبليغ ، فيُظهرهم بأنهم: يدرسون عند علماء بارزين ويُقيمون دروسًا منظمة في التوحيد والفقه وقد نفع الله بهم العامة والنساء ويعملون بإذن رسمي من الجهات الدعوية. وهذا العرض المطوّل من السائل يُقابله في نفس الوقت ذم شامل وقاسٍ للطرف الآخر (جماعة التبليغ) دون أن يذكر لهم أي وجه إيجابي ، مما يدل على اختلال ميزان الإنصاف.

### 2. غياب أي سؤال علمي محايد .

السائل لم يسأل سؤالًا مباشرًا مثل: ما حكم الخروج مع جماعة التبليغ؟ أو هل يصح دعوتهم بغير علم؟ بل بدأ بتقرير اتهامات صريحة وعاطفية ومشحونة ، وأتبعها بمناشدة وجدانية صيغت على طريقة أقسم عليك بالله أن تفتيني ضدهم ، وكأن الجواب المطلوب محصور مسبقًا في الإدانة.

### 3. تشويه القوم دون تفصيل أو إثبات علمي .

السائل يجزم بإلصاق عدد من التهم بجماعة التبليغ مثل: القول بعقيدة الحلول والاستخفاف بالتوحيد وإخراج النساء في الدعوة بلا علم وإهمال الأبناء وهجر الأهل. وكل ذلك دون توثيق علمي ، أو إقرار بوجود تدرج أو تفاوت أو حسن نية لدى بعضهم. وهذا يُخالف أمانة النقل ، ويدل على قصد التشويه لا التقويم.

### 4. استعمال أسلوب العاطفة بدل الحجة .

فالسائل استعمل عبارات كما بيناها سابقا مثل: نسألك بالله العظيم و العامة في ذمتك و فغيرة على التوحيد . وهو أسلوب يُراد به استثارة عاطفة المفتي لا إقناعه بالدليل. وهذا خلاف منهج طلبة العلم في السؤال بلُبابة وموضوعية.

### 5. استعمال أسلوب التحكّم في السياق .

فالسائل حصر المفتي في ثنائية مضللة: إما أن تُفتي ضد جماعة التبليغ ، أو تكون خاذلًا لدروس التوحيد والعلم الشرعي ، وهذه ليست طريقة طالب إنصاف ، بل أسلوب من يُملي النتيجة قبل سماع الجواب. وعليه فإن ما يُفهم بوضوح من السؤال أنه لا يراد به الاسترشاد ، بل يُراد به تثبيت حكم سلبي على جماعة التبليغ ، وإلزام المفتي بتوقيع شرعي على موقف عدائي جاهز ، دون مراعاة لعدالة النقل ، أو تنوع الأحوال ، أو مراعاة حسنات الجماعة ومناشطها الدعوية في مجالات أخرى.

**وقفات تفصيلية مع سائل يحاول التدليس على الشيخ :**

**1. وسيلة التقابل بين الحق و الضلال .**

من المؤسف أن بعض الأسئلة المطروحة لطلب الفتوى أو الاستشارة لا تكون بريئة أو نزيهة ، بل تُصاغ بطريقة تُظهر طرفًا في صورة المصلحين المهتدين ، وتُلقي بالطرف الآخر في خانة الضلال والمُشتبهين. فتراها تُجمّل صورة فريق وتُفخّم صفاته: أنهم طلاب عند العلماء ، يُعلّمون التوحيد ، يعملون بإذن رسمي ، نفع الله بهم الناس. وفي المقابل ، تُقابِل هذا بصورة سلبية: أناس يُخرجون الناس بلا علم ، يُهمِلون أهليهم ، يُروّجون لعقائد فاسدة ، يُحاربون التوحيد!

ولكن القارئ البصير والسامع العاقل يدرك أن هذه الطريقة ليست استفتاءً شرعيًا ، بل توجيه نفسي وتهيئة لحكمٍ جاهز. فهل يُستخرج الحق من ميزان منحاز؟ وهل يُحكم على الناس بالألقاب والانتماءات ، لا بالآثار والسلوك؟

فلا تكن ممن يبتغي من العلماء صك براءة لأهوائه ، بل كن ممن يطلب النور ليهتدي ، لا ليُدِين به الناس. واسأل نفسك قبل أن تسأل غيرك: هل طرحي للموضوع منصف؟ هل أعرض الواقع كما هو؟ أم أنني أبني نتيجة قبل السؤال؟

وهذا الأسلوب في الطرح يدل على انحياز واضح في السؤال ذاته ، ولا يُقصَد به مجرد طلب بيان أو ترجيح بين اجتهادين ، بل يُستشفّ من ورائه رغبة في الإدانة لا في الاسترشاد ، ورسم مشهد ذهني يُهيئ الشيخ نفسيًا ليُصدر حكمًا يقضي على الطرف الثاني تحت ضغط هذه المقارنات.

والواجب في الخطاب العلمي والديني أن يكون السؤال نزيهًا ، خاليًا من التوجيه الضمني ، يُبرز المشهد بصدق ، ويطلب النصح لا الانتصار. وقد قال الشافعي رحمه الله: ما ناظرت أحدًا إلا وأحببت أن يُظهر الله الحق على لسانه ، أما السائل الذي يُجمّل أحد الفريقين ويشوّه الآخر بهذه الطريقة ، فهو لا يبحث عن الحق ، بل يبحث عمّن يُوقّع على هواه باسم الفتوى.

والملاحظ أيضًا أن كثيرًا مما نُسب إلى جماعة التبليغ في هذا السياق ، إما مبالغات أو مزاعم متكررة لا تُسندها أدلة مباشرة ، بل تُتداول في أوساط الخصومة الفكرية. بل في بعض البلاد يكون أفراد هذه الجماعة أقرب الناس إلى تحفيز الناس على الصلاة والذكر والصدق مع الله ، وإن كان عندهم ما يُلاحظ من تقصير أو اجتهاد ، فذاك يُعالج بميزان الشرع ، لا بالشيطنة والتهويل.

فالسائل يصوّر من معه على أنهم: طلاب علم عند كبار العلماء ويعلّمون التوحيد بدقة ويعملون تحت مظلة رسمية ونفعهم واضح ظاهر للناس. بينما يصوّر الآخر ، جماعة التبليغ ، بأنهم: يُخرِجون الناس دون علم ويُهمِلون مسؤوليات البيوت ويُخرِجون النساء في حلقات علم بغير وعي ويحملون انحرافات عقدية ويرفضون التوحيد! وهذا التقابل يُراد به تهيئة الشيخ نفسيًا للانتصار للطرف الأول ورفض الطرف الثاني.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم لا يرضاه الله لا في حق مسلم ولا كافر . فالدعوة إلى الله تعالى أكبر من أن تُختصر في لافتة ، أو تُحصَر في طائفة ،

أو تُقوَّم بمنظار الحزبية. فاحرص على تحرير النية ، وتحري الصدق ، واحذر من لعب دور القاضي وأنت متنكّر في هيئة المستفتي.

## 2. وسيلة الاستثارة العاطفية والدينية .

ولإكمال تشخيص طبيعة السؤال المُوجه للشيخ ، وكشف أسلوب آخر من أساليب التأثير النفسي ، ألا وهو الاستثارة العاطفية والدينية ، التي تُستخدم أحيانًا للضغط على المفتي أو العالِم حتى يُصدر فتوى بعينها ، تُرضي هوى السائل أو تخدم أجندته.

فعبارات مستخدمة في السؤال من قبيل: فنسألك بالله العظيم : تُستحضر لإضفاء طابع القَسم والاستعطاف ، وكأن رفض الاستجابة خيانة لنداء شرعي ثقيل. وكذلك قوله العامة في ذمتك : تؤكد وتحث على لزوم الغَيْرة على الناس ، وتُحمّل المسؤولية الأخلاقية بأكثر مما تحتمله الصورة. وقوله أيضا غيرة على دين التوحيد : تُلبِس الموقف ثوب الدفاع عن العقيدة ، حتى تُختزل كل من خالف رأي السائل في خانة مضادة للتوحيد.

وهذا النمط من الخطاب ليس جديدًا في الساحة ، ولكنه خطير لأنه يُحمّل العالم أو المفتي تبعات عاطفية تخدش استقلاله المنهجي. والنتيجة المتوقعة: أن يشعر الشيخ وكأنه في امتحان ولاء ، لا مقام بيان علمي ، وأن عليه أن يتّخذ موقفًا صارمًا ، وإلا اتُّهِم بالتفريط أو المداهنة!

ولكن العلماء الربانيين لا تنطلي عليهم هذه الأساليب ، وهم يعرفون أن العدل لا ينبع من حرارة العاطفة ، بل من نور الدليل. وقد قيل: ليست الغيرة على الدين بكثرة العتاب ، وإنما بالاتّباع.

بل الحق أن هذه اللغة تسعى لاستخراج فتوى جاهزة من خلال إثارة المشاعر ، لا من خلال بيان الوقائع. والمفتي الموفّق هو من يُنصت لما وراء السؤال ، لا لألفاظه فقط ، ويُفرّق بين المستفتي المتجرّد ، والمُتوجّه الباحث عن إدانة مسبقة.

### 3. طريقة التعميم والتضخيم .

هذه النقطة تُكمل سلسلة الأساليب غير المنصفة التي يتوسل بها بعض السائلين لصياغة صورة سلبية مُعدّة سلفًا ، وهي آفة التعميم والتضخيم ، التي كثيرًا ما تُستخدم لتشويه طرف دعوي بأكمله بناءً على ممارسات جزئية أو أفرادٍ قد لا يُمثلون المجموعة كلها.

ففي السؤال المطروح ، نلاحظ استدعاءًا مقصودًا لأمثلة خاطئة ، كالدعوى بعقيدة الحلول الذي هو ممنوع شرعا ومحرم متفق عليه وغير موجود في التبليغ أو إخراج النساء في الحلقات وهو مباح في الأصل وكل الجماعات الاسلامية تفعله حتى السائل وجماعته ، ثم تُنسب هذه الانحرافات أو ما يصور أنها انحرافات إلى جماعة التبليغ بأكملها ، دون أدنى تفصيل لملابساتها أو تمييز لما يمنع وما يجوز منها ، ودون ذكر أي فضل أو أثر إيجابي لهم في عملهم الدعوي ، وكأن الجماعة لا تُمارس سوى هذه الأخطاء والطوام المهلكات ، بل وكأنها تأسست عليها! وتخصصت فيها .

وهذا المنهج في الطرح مردود شرعًا وعقلًا وأخلاقًا . فالشرع يأمر بالعدل حتى مع المخالفين ، كما قال تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [173].

فكيف بمن يتقصّد تصوير جماعة بأكملها من خلال سلوك بعض أفرادها أو أخطاء نادرة هنا وهناك؟!

ثم إن دعاة التبليغ والدعوة – في غالب بلدان العالم – لا يُعرف عنهم الغلو العقدي ولا تبني الحلول والاتحاد بل ولا حتى مجرد مناقشة المسائل الخلافية ولا عرضها ! ومن زعم غير ذلك فقد كذب عليهم وافترى ، بل إنهم مجموعة واسعة الطبقات والتوجهات ، فيهم العوام والمتحمسون ، وفيهم من إذا أُرشد وفُهِّم رجع إلى

[173] [المائدة: ٨]

الحق ، فلا يصح أن نُصوّر الكل بما وقع فيه البعض ، وإلا لجاز لغيرنا أن يعمم على كل التيارات السلفية بأخطاء بعض الغلاة ، وهذا عين الجور والخلل في المنهج.

أما التضخيم ، فيُراد به تهويل الأثر وإشاعة الخوف من الجماعة كأنها تُهدد العقيدة في أصلها ، وتُفسد الدين بجموعها ، مع أن الواقع يُثبت أن آلاف العصاة قد رجعوا إلى ربهم بسبب صحبة هؤلاء الدعاة البسطاء الذين يُوقظون القلوب بالأذكار والتذكير ، فكيف يُطمَس هذا الخير وتُسلَّط الأضواء فقط على مواطن الزلل؟

لذلك فإن الواجب على من يعرض سؤالًا أو استفتاءً أن يتحرّى النقل النزيه والطرح العادل ، ويذكر محاسن القوم ومساوئهم ، ويعرض الواقع كما هو لا كما يُحبّ أن يُرى ، فإننا نسأل للهدى ، لا للتشويه ، وننشد الفقه ، لا المكايدة.

وأما المفتي أو طالب العلم المنصف ، فعليه أن يتفطّن لمثل هذه الأساليب الدعائية الملفوفة برداء الغيرة ، وأن يُقابل التضخيم بالتجرد ، والتعميم بالتمييز ، حتى لا يكون آلةً في معركة أهواء تُدار باسم الفتوى والولاء ، وهذا ما تفطن له الشيخ بن جبرين رحمه الله .

### 4. محاولة التحكم في زاوية النظر .

إن السائل لا يطلب من الشيخ تقييمًا عامًا ، بل يُحدد له زاوية ضيقة جدًا: هل تنصح العامة أن يذهبوا مع هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد؟ وكأن الخيار محصور بين الذهاب مع الجهال أو البقاء مع أهل التوحيد ، دون اعتبار لتنوع الجماعة أو اختلاف أحوالها.

ومفاد ما سبق أن السائل لا يطلب فتوى بقدر ما يسعى إلى إدانة جماعة التبليغ من خلال سرد انتقائي ، عاطفي ، ومشحون بالتحذير ، مع تعظيم الطرف المقابل ، ليُرغم الشيخ على إصدار حكم سلبي. وهذا

الأسلوب يُخالف منهج أهل العلم في العدل ، والإنصاف ، وسماع الطرفين ، وعدم التسرع في التبديع أو الإدانة.

وبهذا نكون وضعنا أيدينا على نقطة جوهرية تُكمّل الأساليب الملتوية التي سلكها السائل بقصد أو بدون قصد ، فالذي فعله في هذا الموضع تحديدًا هو محاولة التحكم في زاوية النظر الشرعية التي سيُبنى عليها الجواب . فهو لم يطلب من الشيخ تقييمًا منهجيًا متّزنًا لطبيعة جماعة التبليغ وأحوالها وتجاربها ، بل حصر السؤال ضمن إطار ضيق جدًا: هل تنصح العامة بالذهاب مع أناس لا يُعلمون التوحيد؟ وبهذا التقييد ، يكون قد أغلق على الشيخ أبواب التفصيل ، ووضعه في خانة جواب نعم أو لا ، بناءً على صورة افتراضية مرعبة: عامة المسلمين يُساقون إلى أناس جُهال مبتدعين لا يعرفون التوحيد!

وهذا النمط من السؤال ليس طلبًا لحكم علمي ، وإنما هو محاولة لجرّ الشيخ نحو فتوى إدانة ، بمفردات السائل لا بموازين الشرع. فهو قد صاغ الواقع وفق تصوره ، انتقى عبارات توحي بالضلال والانحراف ، ثم حوّلها إلى سؤال مغلق ، وكأن المسألة بين جاهل مبتدع وعالم رباني ، فهل يُعقل أن يُقال للناس: اذهبوا مع الأول وتركوا الثاني ؟!

لكن الشيخ – بحكمته وبصيرته – أدرك هذا التوجيه الخفي في السؤال ، فلم ينسق خلفه ، ولم يتجاوب مع أسلوب التحكم في الزاوية ، بل وسّع النظرة ، وأعاد بناء المشهد كما هو في الواقع: جماعة فيها خير ، وفيها قصور ، والخروج معهم قد ينفع من كان في بداياته بشرط النية والنصح ، مع التأكيد على طلب العلم لاحقًا. وهكذا جاء جوابه مبنيًّا على فقه المآلات ، ومراعاة الأحوال ، وتحقيق المصلحة ، لا على تحيز أو تهويل.

وهذا درس عظيم في أدب الفتوى وعدالة الجواب ، حيث لا يُساق المفتي بأسلوب شعوري إلى إصدار فتوى مشحونة ، بل يُطلب منه بصدر منشرح ، تقييم نزيه للواقع ، يُسمَع فيه للطرفين ، ويُعطى كلٌّ ما يستحقه من إنصاف لا شطط فيه.

**قوله (يسألون عن جماعة التبليغ التي تخرج الناس من ديارهم باسم الدعوة ، وأفتيتم على ضوء ما آتاكم في هذا السؤال.)**

فلا شك أن الدعوة إلى الله من أعظم القربات ، كما قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [174]. ومع ذلك ، ينبغي أن تتم وفق منهج شرعي متوازن ، بحيث لا تؤدي إلى تفريق الأسرة أو الإضرار بالمجتمع ، بل تحقق الهدف الأساسي وهو نشر الخير وتعزيز العلم الصحيح. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : لابد للداعية أن يكون عالماً بما يدعو إليه ، رفيقاً بمن يدعوهم ، صابراً على ما يلقاه ، مما يؤكد أن الجمع بين العلم والعمل أمر ضروري ، فلا ينبغي الانشغال بالدعوة دون فهم صحيح ، ولا الاكتفاء بالعلم دون تطبيقه عمليًا بين الناس.

**محاولة دفع الشيخ إلى موقف وفاء لتلامذته بدلا من أن يكون في مقام فتوى .**

قول السائل : (فضيلة الشيخ : نخبركم أنهم يقصدون بمجموعة الشباب الذين يحذرون من جماعة التبليغ وهم من طلابكم الذين يحضرون عندكم ويأتون كل أسبوع من المنطقة الشرقية لتلقي العلم على أيديكم ، وعلى سماحة مفتي الديار ، ويدرسون عند الشيخ عبد الله بن غديان والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ولهم عدة سنين والحمد لله ، )

---

[174] (فصلت : 33)

من المعلوم أن طلب العلم هو أساس الدعوة الصحيحة ، كما قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [175] ، وهؤلاء الشباب الذين يتعلمون على أيدي العلماء هم على طريق سليم في فهم الدين ، مما يساعدهم على ممارسة الدعوة بحكمة وموعظة حسنة. كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : من تعلم العلم ليعمل به كسره العلم ، ومن تعلم العلم ليكون فقيهاً لم يزده إلا كبراً ، مما يشير إلى أن هدف الدعوة يجب أن يكون نشر الحق بحكمة وليس التنافس أو التعصب.

ولابد من التحسس لالتقاط هذا الأسلوب الدقيق في توجيه الخطاب ، فهو يُظهر محاولة غير مباشرة للاستعانة بالمكانة العلمية والعلاقة العاطفية بين الشيخ وتلامذته كوسيلة لدفعه إلى الانتصار لموقف معين ، وليس لمجرد توضيح الواقع أو طلب البيان.

فحين يقول السائل: إن الذين يُحذِّرون من جماعة التبليغ هم من طلابكم الذين يترددون عليكم كل أسبوع ، ويتعلمون على أيديكم وعلى أيدي كبار العلماء .

فهو لا يذكر هذه المعلومات توصيفًا نزيهًا ، بل يُحمّلها إيحاءً خفيًا بأن ولاء الشيخ ينبغي أن يُترجَم إلى موقفٍ مُنحاز ضد الطرف المخالف لتلامذته. وكأن الحجة ليست في الدليل ، بل في الانتماء والقرابة العلمية. وهذا خلط بين مكانة العلاقة وبين طبيعة الحق ، يُراد به سحب الشيخ إلى منطقة التأييد الوجداني لا العلمي ، وجعل المفتي في موقف وفاء بدلا من أن يكون في مقام فتوى .

وهذا أسلوب يتكرر كثيرًا في أوساط الاستفتاء الموجه: حين يُقحَم اسم طالب علم أو جهة معتبرة ، لتُصبح ذمّة المفتي مشدودة عاطفيًا تجاههم ، فيميل إلى تأييد مواقفهم على حساب الإنصاف. لكنه أسلوب مرفوض

175(البخاري ومسلم)

في منهج أهل العلم ، الذين لا يُحكَم عندهم على الأمور بناءً على من قال ، بل بناءً على ما قيل ، ولا يُراعى فيها القرب أو البُعد ، بل يُراعى فيها الحُكم الشرعي والعدل الذي أمر الله به.

وقد قال الإمام الشافعي: ما ناظرت أحدًا إلا وددت أن يُظهر الله الحق على لسانه ، لا على لساني. فكيف بمَن يسأل لا ليُظهر الحق ، بل ليُثبّت موقفًا مُسبقًا ويُجري عليه توقيعًا مُلبّسًا بسلطة عالِم؟

إن العالم الحق لا يُساق بالعلاقات ، بل يُستنهض بالدليل ، وهو – كما رأينا من الشيخ – قد ترفّع عن هذا الأسلوب ، وأبى أن يجعل علاقته بتلامذته حاجزًا يحجب عنه شموليّة النظر واتزان الحكم. فهو يعرف أن الولاء الحقيقي لتلامذته ليس في مسايرتهم على خطأ ، بل في تذكيرهم بالتجرد ، وتعليمهم كيف يُنصر الحق وإن خالف رأيهم.

## استكمال التأثير العاطفي على الشيخ بذكر حال طلبته وجهودهم وذم أهل التبليغ بمفهوم المخالفة :

فقول السائل (فهؤلاء الشباب أقاموا الدروس بإذن من مكتب الدعوة في المنطقة ، فأقاموا دروسًا في كثير من القرى ، بل وفي البر ، في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ودروسا في الفقه ، ونظموا محاضرات علمية لعدد من طلبة العلم بإذن من مكتب الدعوة ، فنفع الله بهم واستفاد الكثير ، وأقاموا دروسًا للنساء ولهذا الدرس خمس سنوات والحمد لله.) محاولة للتأثير العاطفي على الشيخ بذكر حال طلبته وجهودهم وذم أهل التبليغ بمفهوم المخالفة حيث أنهم لا يفعلون ولا يتعاونون مع هؤلاء الطلبة .

فمن يتأمل كلام هذا السائل ، يدرك أنه لا يبتغي من الشيخ تقييمًا علميًا متوازنًا لجماعة التبليغ ، بل يُهيئه نفسيًا وشرعيًا لإصدار حكم سلبي محدد سلفًا ، مستخدمًا في ذلك سلسلة من الأساليب الموجَّهة والمشحونة بعناصر نفسية ودينية وانحيازات سردية واضحة. فالسائل يُدير خطابه بخيوط دقيقة: يُثني على

طلابه ومقربيه ، يُسلّط الضوء على مناشطهم الدعوية المنظمة بإذن رسمي ، يُبرز أثرهم على العامة والنساء ، ويقدّمهم على أنهم أهل السنة وحماة التوحيد ، ثم يقابلهم بجماعة يُتهمون بالإخراج الجهول ، والتساهل مع النساء ، ونشر العقائد الباطلة. كل هذا الترتيب ليس عفويًا ، بل هو خريطة لغرس صورة ذهنية ثنائية: مصلحون في مقابلة مفسدون ، أو حماة عقيدة في مقابلة دعاة بدعة.

ثم يُكمل السائل هذا البناء النفسي بأساليب إضافية: استثارة عاطفية بعبارات مثل: نُقسم عليك بالله ، و العامة في ذمتك ، وهي عبارات تُحاصر الشيخ أخلاقيًا وتُشعره بأن مجرد السكوت أو التريث في إصدار الإدانة يُعد تفريطًا في الأمانة. وهذا أسلوب ضغط معنوي ، لا يُقصد به الإيضاح بقدر ما يُراد به دفع العالِم لاتخاذ موقف مسبق.

ولا يتوقف الأمر هنا ، بل يتوسّع التوجيه حين يستخدم السائل التعميم دون برهان ، فيصوّر أخطاء جماعة ما باعتبارها هي الأصل والمنهج ، دون أدنى تمييز أو تفصيل أو ذكر للمحاسن. هذه التقنيات: التهيئة النفسية ، والاستثارة العاطفية ، والتعميم ، ثم محاولة التحكم في زاوية النظر – كما في سؤاله المقيّد: هل تنصح العامة أن يخرجوا مع أناس لا يعرفون التوحيد؟ – كلها تُشكّل إطارًا واحدًا من السؤال الموجّه الذي لا يطلب بيان حكم شرعي ، بل يسعى لاستصدار فتوى إدانة لطرف بعينه ، باسم الغيرة على الدين.

ثم يأتي ختام حديثه عن طلابه المقربين بوصفهم أهل الجهد الدعوي المبارك ، الذين يُدرّسون التوحيد ويدرّبون النساء في القرى والبوادي منذ سنوات ، وكأنه يُقدّمهم كـ ضحية ينبغي للشيخ أن ينتصر لها ضد خصومها. وهو بهذا ، يريد أن يُقنع الشيخ بأن مخالفي تلامذته لا يستحقون إلا التبديع ، وكأن الشيخ يجب أن يُصوّت لولاء طلابه لا للحق والعدل.

لكن هذا كله يبوء بالإخفاق أمام العالم الرباني الذي يبصر ما وراء الكلمات ، ويزن الأمور بموازين الشريعة ، لا بالعواطف المحشوة. وصدق الشاطبي حين قال: ليس الغرض من الفتيا إرضاء السائل ، وإنما إقامة الحجة له أو عليه . فالفتوى ميزانها الدليل والمقصد ، لا الانتماء والضغط والإثارة.

وهكذا نحتاج إلى أن نربي أنفسنا على صدق السؤال ، وعدالة العرض ، وتحرير النية في طلب الفهم ، لا مجرد إثبات الخصومة. فالمقامات الشرعية لا تحاكم بالعاطفة ، ولا تُختطف بالتلميح الموجّه. إنما تُنال بالتجرد للحق ، أتى على يد من أتى ، وترك الانتصار للرايات والجماعات والتحزبات .

فالدعوة تحتاج إلى تنوع في الأساليب ، فالتدريس المنهجي في المساجد والمدارس هو طريق صحيح لنشر العلم ، تمامًا كما أن الخروج للدعوة والتأثير المباشر في حياة الناس له أثر كبير. قال الله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [176] ، فلا ينبغي أن يكون هناك تنافر بين الأساليب المختلفة للدعوة. كما قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ، وهو تأكيد على أن الاختلافات الفقهية يجب أن تكون بروح علمية متزنة ، لا أن تؤدي إلى التشدد والفرقة بين المسلمين.

## غلط تصنيف الناس حسب وسائل العمل الجماعي :

العلم الشرعي هو أساس كل دعوة صحيحة ، فمن المهم أن يكون طلب العلم جزءًا من حياة كل مسلم ، حتى يتمكن من تصحيح المفاهيم ونشر العقيدة الصحيحة ، كما قال النبي ﷺ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه (البخاري).

---

[176] (النحل : 125)

التحذير دون دليل شرعي واضح أمر غير محمود ، فالنبي ﷺ قال : بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (مسلم) ، ولا ينبغي أن يكون هناك هجر أو تحذير إلا وفق ضوابط شرعية واضحة ، مبنية على النصيحة الصادقة وليس الاتهام بلا دليل.

وقول السائل (ولكن الذين سألوكم لا يحضرون دروس التوحيد المقامة في المنطقة بل يحذرون من معهم منها) وطريقته السائل هذه جزء آخر من محاولة السائل دفع الشيخ للانتصار لطرفه وتلامذته لمجرد انتسابهم لفكر السلف الذي ينتهجه الشيخ رحمه الله عبر تهييج عاطفي ضمني يحمل إيحاءً سلبيًا متعمدًا. فقوله: الذين سألوكم لا يحضرون دروس التوحيد في المنطقة بل يحذرون منها يُراد به اتهام ضمني بالتخاذل أو الإعراض عن العقيدة ، في مقابل فريق آخر يُقدّم نفسه على أنه حامي حمى التوحيد. وهذا التصوير اختزالي ، فيه مصادرة لتصور الآخرين ، وغمط لهم ، وغمز لمنهجهم التربوي والدعوي.

والواقع أن جماعة التبليغ – كما هو معروف عند المنصفين – لها مسلك تربوي دعوي قائم على إصلاح العقيدة والعبادة من خلال الصحبة والمجاهدة والأذكار والتعليم العملي ، لا عبر دروس علمية تقليدية دائمًا . وهذا لا يُعد تفريطًا في التوحيد كما صوّره السائل ، بل هو أسلوب مختلف في الوصول إليه ، يناسب عوام الناس وبُسطاء القلوب ، ممن لم تتهيأ نفوسهم بعد لحلقات الدروس الطويلة أو الاصطلاحات العالية.

ثم إنه ليس من شروط صحة الدعوة إلى التوحيد أن يحضر الداعية دروس جهةٍ معينة أو يسلك نفس آليتها ووسائلها ؛ فمع أن التوحيد واجب ، إلا أن أساليب تبليغه ودعوته تتنوع بحسب الزمان والمكان والناس. وقد كانت دعوة النبي ﷺ في مكة – قبل التفصيل الفقهي – دعوة إلى تعظيم الله وتخليص العبادة له بأسلوب تربوي عميق ، يعتمد على التزكية والتثبيت ، لا على التدريس النظامي وحده.

وقد أثنى مشايخ كبار كابن باز وبن عثيمين وابن جبرين – رحمهم الله – على جماعة التبليغ فيما أحسنوا فيه من إيقاظ الناس وهدايتهم ، وإن وجهوا التنبيه على بعض أوجه النقص. أما تصويرهم وكأنهم يحاربون التوحيد أو يعرضون عنه لمجرد أنهم لا يحضرون دروس منطقة معينة أو تيار مخصوص ، فهو ظلم وتضليل.

فالعبرة ليست أين تحضر؟! ، بل ماذا تعمل ؟! ، وهل تهدي وتدل إلى الله حقًا ؟! ، وهل أثمرت دعوتك استقامةً في القلوب وسلوكًا في الجوارح؟! فكم من دروس عميقة لم تؤثر في القلوب؟! ، وكم من ذكر بسيط صحا به غافل وعاد إلى ربه؟! .

فالواجب أن لا يُحمّل الناس فوق طاقتهم ، ولا تُفرض عليهم طريقة دعوية بعينها ، ولا يُخوَّن من سلك مسلكًا تربويًا آخر ما دام صافي العقيدة ، يريد وجه الله ، ويدعو إلى التوحيد ولو بأسلوب مختلف.

والواجب أيضا أن لا يصنف الناس على حسب حضورهم دروسك ومحاضراتك من عدمها ! فتنبه .

### التوازن بين الدعوة والواجبات الأسرية مطلب شرعي يعلمه أهل الدعوة والتبليغ :

إن التوازن مطلوب بين الدعوة والواجبات الأسرية ، فلا ينبغي أن يكون الخروج للدعوة سببًا في الإضرار بالأهل أو ترك مسؤوليات الأسرة ، فقد قال النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته [177].

وقول السائل (ويريدون أخذ العامة معهم وإشغالهم عن أهليهم وتربية أبنائهم وبناتهم حتى وصل بهم الأمر أن أخذوا أحد كبار السن وليس في البيت إلا هو وزوجته وبناته ، فترك أهله وبناته وخرج معهم) أيضًا أسلوب آخر من أساليب تشويه الصورة عبر التهويل والقصص الانفعالية التي تُستَخدم لاختلاق مشهد يُثير الغضب ويدفع المفتي لاتخاذ موقف سلبي ، دون تأمل أو تحقق من الواقع. فالسائل هنا لا يكتفي بالنقد ، بل يسرد

177 (البخاري ومسلم)

حكاية مثيرة للعاطفة: رجل كبير في السن ، لا يملك أحدًا في بيته إلا زوجته وبناته ، ومع ذلك خرج مع جماعة التبليغ وترك أهله بلا راعٍ ، في مشهد يُراد له أن يُفهم على أنه تفريط في القوامة ، وخيانة للأمانة ، واستهتار بالشرع .

ولكن هذا الأسلوب مع ما فيه من عاطفة مشبوهة لا يُثبِت واقعًا ولا يُبنى عليه حكم . لأنه أولًا ، لا دليل على صحة القصة ، ولا على أنها حالة شائعة في جماعة التبليغ ، بل ربما تكون حالة فردية لا تمثل التوجه العام ، وقد تكون مبالغًا فيها أو نُقلت بغير دقة. وثانيًا ، هذا التصرف نفسه إن حصل فهو مخالف لتعليمات الجماعة نفسها ، التي كثيرًا ما شددت على مراعاة أحوال الأسرة ، وألا يخرج الإنسان مع الجماعة إذا كان في بيته من يحتاج إليه حاجة ماسّة ، من مريض أو ضعفاء أو عدم وجود غيره. بل في منشوراتهم الرسمية وفي كلام مشايخهم ، تجد تنبيهًا واضحًا أن الخروج لا يكون سببًا في تضييع الحقوق ، وأن البرّ مقدم على النفل ، وأن من في ذمته أهل لا يتركهم إلا بإذنهم وقدرتهم على الاستغناء المؤقت .

فهذا المثال حتى على فرض صدقه ليس حجّة على الجماعة ، بل حجة على من خالف توجيهاتها. وكما لا يجوز الحكم على عموم طلبة العلم بأخطاء غلاتهم ، كذلك لا يجوز الحكم على عموم دعاة التبليغ بتصرفات فردية إن وُجدت.

وفوق ذلك ، فإن تصوير هؤلاء الدعاة على أنهم يختطفون العامة من بيوتهم ، هو نوع من التحريض العاطفي المرفوض شرعًا ومنهجًا. فمن الذي قال إن العامة لا يحتاجون إلى إصلاح أو توجيه؟ ومن الذي قال إن تعليمهم الذكر والصلاة والصدق والنصيحة منكر؟ وإذا خرج الرجل يومين أو ثلاثة ليتعلم ويرجع ، وهو قد

ترك من ينوب عنه ، فما وجه الإنكار؟ بل قد كان النبي ﷺ يُرسل أصحابه لتبليغ الرسالة ، ومعهم أُناس من عوام الصحابة ، دون أن يكون ذلك ملامًا في ذاته.

لكن المؤلم أن تُستخدم هذه اللغة التهويلية لابتزاز المفتي عاطفيًا ، كما قيل له في مواضع سابقة: أقسم عليك بالله ، و العامة في ذمتك ، و إنهم يرفضون دروس التوحيد ، والآن تُضاف قصة الكبير الذي ترك البنات بلا أحد ، كل ذلك في سياق واحد ، غرضه ليس كشف الحقائق ، بل الانتصار لموقف حزبي لا يرضى أن يُوجد غيره في ساحة الدعوة.

العدل يقتضي أن تُذكر الوقائع كما هي ، دون تهويل ، وأن تُنقل الصورة الكاملة ، مع الاعتراف بالخير والخلل في أي جهة ، ثم يُبنى الحكم على المجموع لا على الحكايات الانفعالية.

**وقول السائل : ( والناس عندما أتاهم العلم في ديارهم وأقيمت الدروس والمحاضرات استفادوا واستراحوا من هذه الأعمال التي يقومون بها على غير دليل من الخروج وغيره )**

هذا التعليق من السائل يُعد استكمالًا لنفس الأسلوب المنهجي الذي سلكه في بقية السؤال ، وهو محاولة تشويه صورة جماعة التبليغ وأهل الدعوة الميدانية من خلال التقليل من أثر أعمالهم ، ووصفها بأنها اجتهادات لا دليل عليها ، في مقابل تعظيم صورة البديل الذي يُراد للشيخ أن يتبنّاه ، وهو دروس ومحاضرات مقررة في أماكن معينة بإذن المكتب . وهذا الأسلوب يوظف تقنيتين خطيرتين في آنٍ واحد: التجاوز في الحكم ، والإقصاء غير المنصف.

فهو أولًا يُصوّر دعوة أهل التبليغ على أنها أعمال على غير دليل ، معتمدًا في ذلك على التعميم والإطلاق ، دون أي تفصيل أو بيان لحقيقة ما يُمارسه هؤلاء الدعاة. وكأن الخروج للدعوة ، أو التجوّل في القرى

لتحفيز الناس على الصلاة ، أو التذكير بالجنة والنار ، هو عمل مخالف للسنّة لا يستند إلى أصل شرعي! وهذا ظلم بيّن ، لأن الخروج للدعوة إلى الله والعمل على إيقاظ الغافلين هو أصلٌ أصيل في سيرة النبي ﷺ وأصحابه ، الذين جابوا القبائل ، ودخلوا الأسواق ، وأرسلوا السرايا ، وبعثوا إلى كل ناحية من يُبلّغ الناس لا مجرد المكوث في المساجد.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [178] ، وهذه الآية تدل على أن الدعوة والإنذار تشمل البُعد المكاني والحركي والتبليغي ، لا تقتصر على التعليم في المجالس الثابتة فقط.

أما قوله استفاد الناس واستراحوا من هذه الأعمال ففيه لمز صريح بأن أعمال أهل الدعوة كانت عبئًا أو مصدر اضطراب للناس ، وهو زعم فيه تجاهل لحقيقة الواقع ، لأن آلاف الناس إنما هداهم الله بسبب الصحبة الإيمانية ، والتذكير الميداني ، والجو الروحي الذي ينشئه هؤلاء الدعاة. ولو كان في عملهم أذى وضرر ، لما استمرّ عشرات السنين ، ولا امتلأت المساجد بتائبين خرجوا من دوائر الغفلة بسبب كلمة أو صحبة أو رحلة.

وأما محاولة السائل إقناع الشيخ بأن النموذج الدعوي الذي اعتاده (دروس التوحيد ، المحاضرات الرسمية) هو البديل الأمثل ، فهي ليست مرفوضة من جهة حرصه على العلم ، ولكن المرفوض أن يُبنى ذلك على أساس من التقليل من دعوة غيره أو تصويرها على أنها مخالفة للدين. إن مجال الدعوة واسع ، والطريق إلى الله ليس واحدًا ، والناس متفاوتون في طبائعهم؛ فمن لم تجذبه المحاضرات ، جذبه الخروج ، ومن لم يحضر المجالس ، تفاعل في الميدان ، وهكذا توزعت الوسائل والحكمة واحدة.

---

[178] [التوبة: 122]

فلا يليق أن تُستغل محبة الشيخ للعلم أو اعتياده على أسلوب معين في إسقاط غيره ، بل العالم الحق يُقدّر كل جهد نزيه يُقرّب الناس من الله ، ويرى الخير في كل من سعى إلى الإصلاح على ضوء النصوص ، ولو بأسلوب يخالف ما أَلِفَه. وقد قال ابن جبرين – الذي يحترمه السائل بلا شك – في جوابه الواضح: من خرج مع أهل الدعوة بنية صادقة ، وحرص على إصلاح نفسه ، فهو على خير ، ويجمع بين ذلك وطلب العلم بحسب استطاعته.

فلا الخروج بدعة ، ولا المحاضرات حكرا على السلفيين ، بل الدعوة سوق واسع ، والناس متفاوتون ، وكلٌ يعمل على شاكلته ، والله يُزكّي من يشاء.

**وقول السائل : ( بل وصل بهم الأمر أنهم يخرجون النساء في بعض المناطق ويجتمعون في حلقات وليس عندهم من يعلمهم التوحيد والفقه)**

في هذا الأسلوب أغلاط ومغالطات منهجية ، لابد من تفنيدها في قالب علمي توعوي:

**بين الحقيقة والتشويه: عندما تتحول النيات الطيبة إلى اتهامات جائرة .**

من المؤسف أن بعض المنتسبين للدعوة يسلكون في خصومتهم مع المخالفين دروبًا ملتوية ، فيعمدون إلى تشويه العمل الدعوي عبر التهويل ، والمبالغة ، وسوء الظن ، وطمس الأبعاد الشرعية لممارسات مباحة ، بل مطلوبة.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول بعضهم – تحذيرًا من جماعة التبليغ – أن هؤلاء قد بلغ بهم الأمر أن يُخرجوا النساء في بعض المناطق ويجتمعن في حلقات ، وليس عندهن من يُعلمهن التوحيد والفقه! ، وكأنّ هذه

الصورة وحدها كافية للطعن في الدعوة بأكملها ، وإسقاط الجهود ، وتشويه النوايا ، وإثارة الغيرة العاطفية لتُدين العمل برمّته ولكن الحقيقة على غير ما يُصوَّر.

## خروج النساء في الدعوة بين النص الشرعي والواقع المشهود .

أولًا ، مشاركة النساء في أعمال الدعوة ليست من المُنكرات المستجدة ، بل هي من سنن النبوة ، وعمل الصحابيات ، وإجماع السلف على جوازها في حدود الضوابط الشرعية. فقد كانت نساء النبي ﷺ يُشاركن في الغزوات ، في المداواة ، والسقيا ، وتثبيت الرجال ، بل ويطلبن منه مجالس خاصة للعلم ، كما جاء في قولهن: «غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك» [179].

وقد قال ﷺ صراحة: «بلغوا عني ولو آية» ، وهذا التبليغ لا يختص بالرجال دون النساء ، ما دام في حدود الستر والحشمة وعدم الفتنة.

بل إن خديجة رضي الله عنها كانت أول داعية في بيت النبوة ، وفاطمة كانت من أعمدة الثبات في مكة ، وعائشة كانت تُفتي وتُعلّم وتُراسل الصحابة بعد النبي ﷺ ، فهل كل ذلك من الانحرافات التي تُحارب باسم الغيرة على التوحيد؟

## من فاته التلقي على طريقة مخصوصة لا يُوصف بالجهل .

179 [صحيح البخاري]

ثانيًا ، من أكبر ما يقع فيه بعض الغلاة اليوم: احتكار مفهوم العلم بالتوحيد في طريقتهم ، ومساجدهم ، ومدارسهم. فمن لم يحضر حلقاتهم فهو عندهم جاهل ، مبتدع ، مفرط في العقيدة ، وإن صلى وصام وذكر وبذل!

وهذا التوجه يصادم صراحة فطرة المسلم ، فقد جُبل الناس على معرفة الله وتوحيده ، وفي حديث النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» [180] ، والفطرة هنا هي التوحيد. فكيف نُصور عوام المسلمين المصلين الراكعين بأنهم في جاهلية ، فقط لأنهم لم يتعلموا عقيدة التوحيد من متون معينة أو على يد جماعة خاصة؟

لقد خلطوا بين الجهل بالمصطلحات ، والبعد عن التصورات العقدية الصحيحة ، وبين الجهل بالدين نفسه ، وكأن العامة – الذين يصلون ويصومون ويتقون الله – لا يعرفون ربهم ، ولا يوحّدونه!

## لا خيار وحيد في الطريق إلى الله .

ثم إن أخطر ما في هذا الطرح أنه يُصوّر الطريق إلى الله على أنه مسار واحد لا يُقبل غيره: إما أن تسير معنا كما نحن ، وإلا فأنت ضال جاهل ، ولا يُعتد بعملك ولا نيتك ولا إخلاصك. وهذه مركزية مقيتة ، تُناقض سعة الشريعة ، وتنوع سبل الهداية ، التي قال الله عنها: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [181] .

فمن سلك طريق الذكر والتزكية ، ونشط في دعوة الناس للعبادة والصدق ومحبة الله ، دون أن يكون تخرّج من معهد محدد أو درس كتابًا بعينه ، فعمله مقبول ما دام موافقًا للشرع ، ومقصده صحيح.

## الحق يُعرف بالثمرات لا بالشعارات .

---

180 [متفق عليه]

181 [البقرة: 148]

في الواقع ، فإن كثيرًا من هؤلاء النساء ، اللواتي يحضرن في هذه الحلقات البسيطة التي يُقيمها بعض أهل الدعوة ، كن بعيدات عن الذكر والصلاة والحياء الشرعي ، ثم تاب الله عليهن بسبب صحبة صالحة أو كلمات تذكير أو حضرة في مجلس ذكر إيماني. فهل نطمس هذه الثمرات الجليلة لأن الشكل لا يُعجب المتعصّب؟ وهل نقابل رجوع المرأة إلى الحجاب والطاعة والتوبة بالتشكيك في جهلها؟ إن الإنصاف يوجب أن نقول: نعم ، الدعوة تحتاج إلى تصحيح وتوجيه ، لكن لا تُقطع الثمار لأنها لم تنبت في بستاننا.

### دعوة للتجرد: العلم لا يُلغي التزكية ، والغيرة لا تُبرر الطعن .

وأخيرًا ، فإن التوجيه الدعوي لا يكون عبر القذف والتشكيك والتأثيم ، بل عبر الرحمة ، والموعظة ، والقدوة ، والعدل في الحكم ، والتجرد لله في النصح. فلا يجوز أن نُدين جماعة دعوية كاملة لأنهم خرجوا عن طريقتنا ، ولا أن نُصوّر الدعاة المصلحين وكأنهم يُخرّبون البيوت ويُضلّون الناس ، لمجرد أنهم لا يتبعون منهجًا حزبيًا محددًا.

ومن لم يتعلّم التوحيد من طريقتك ، فربما قد تعلّمه من التجربة ، والذكر ، وحسن الصحبة ، والرجوع العملي إلى الصلاة ، وهذا كله من أعظم صور التوحيد الواقعي الذي تُظهره الجوارح وتُحييه النوايا.

فدعونا من الضيق والتعصب ، ولنوسع المدارك ، ولنقبل من الخير ما وافق شرع الله ، ولو جاء على غير ما نحب ، والله يزكي من يشاء ، وهو أعلم بمن اهتدى.

### وقول السائل : ( بل يأتي أحدهم فيحدث قليلًا وهو على غير علم ثم يحاول تخريجهم إلى قطر وغيرها)

عين الخلل في هذا الأسلوب هو التشويه ، والتقليل من شأن عمل الدعاة البسطاء الذين يجهدون أنفسهم ، ولو بقليل علم ، في إيصال كلمة خير أو دعوة إلى الله ، دون أن يتصدروا للفتوى أو يتكلموا فيما لا يحسنون. فالسائل هنا يسخر – بنبرة استعلاء – من داعيةٍ يتكلم قليلًا ، وربما بكلمات مكررة يسيرة ،

ثم يحث الناس على الخروج للدعوة ، في صُورة يُراد لها أن تكون مثار السخط والنفور ، كأنما اقترف منكرًا أو ارتكب كبيرة.

ولكن هذا الأسلوب يتجاهل أصلًا عظيمًا في ديننا: أن الله لا يُكلّف العبد إلا وسعه ، ولا يُحاسب إلا على ما عَلِم ، وأن من دعا إلى خيرٍ ولو آية ، فقد بُورك في فعله وأُجِر على قدر نيته. قال ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»[182] ، فمن بلّغ الناس آية صحيحة ، أو ذكّرهم بكلمة خيّرة ، أو حرّك قلوبهم إلى الله ، فهو في دائرة الأجر ، حتى وإن لم يكن من أهل التوسع في العلم.

وهنا نستحضر المثل القرآني البديع: هدهد سليمان عليه السلام ، لم يكن نبيًا ولا عالمًا ، بل طائرًا من جند سليمان ، ومع ذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [183]

فأدى ما عَلِم ، ونقل ما رأى ، وكان سببًا في إيمان أمة بكاملها ، بل ذكره الله في كتابه ، وخلّده ضمن قصص الوحي. فهل يُقال: ما له يُحدِّث سليمان وهو طائرٌ لا يُتقن الفقه؟ أم يُقال: بلغ ما عَلِم ، فكان سبب خير وفتح؟

وكذلك نملة سليمان ، التي قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [184] ، فهي نملة لا تملك قوة ولا سلطانًا ، لكنها نطقت بما وجب ، ورفعت صوتها بتحذير قومها ، فخلّد الله قولها في القرآن. ولو قال قائل: ما شأن نملة تتكلم في الأمور الكبيرة؟ لقيل له: البلاغ لا يُحتقر إذا صدقت النية واتصل بالأثر.

---

[182] [صحيح البخاري]

[183] [النمل: 22]

[184] [النمل: 18]

فكيف نستكثر على رجل مسلم ، عرف من الخير شيئًا ، أن يدعو إليه؟ وكيف نعيبه لأنه لا يحسن ما يحسنه غيره؟ وهل تحوّلنا إلى حراسٍ على أبواب الدعوة لا نأذن لأحد أن يتكلم إلا إذا ختم على طريقة مخصوصة ؟

بل إن من تمام شكر الله أن نُثني على كل من دعا إلى الله بما عَلِم ، دون أن يتكلف ما لا يُحسن. ومن سعى إلى إصلاح الناس بهدي وبصيرة ، فله أجر ، وإن أخطأ في تفاصيل ، يُنبه ويُوجّه ، لا يُنسف ويُحبط.

إن هذا النمط من السخرية – القائم على استصغار البذل القليل ، والتشنيع على من دعا بقدر علمه – لا يصدر من رحيم مشفق ، بل من قلب شغلته الخصومة عن رؤية الخير بين يديه. بينما ميزان الله أعدل ، كما قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [185] ، وقال ﷺ: «الدال على الخير كفاعله» [186] .

فليُترك الداعي البسيط يؤدي ما عَلِم ، وليُسدَّد ويُكمل ، لا أن يُطعن ويُسخر منه ، فإن شكرَ الله عليه أعظم من سخرية من لم يعمل مثل عمله.

**وقول السائل : ( ويقولون : إنه لا يأتي الإيمان إلا بالخروج معنا)**

بين أيدينا قاعدة عظيمة من قواعد الفقه في الأقوال والمواقف ، وهي قاعدة حُسن الظن وحمل الكلام على أفضل المحامل . وهذه القاعدة من أصول العدل والإنصاف ، وقد أجمعت عليها نصوص الشرع وعمل السلف ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملًا .

---

[185] [البقرة: 286]

[186] [صحيح الترمذي]

وفي قول السائل: إنهم يقولون لا يأتي الإيمان إلا بالخروج معنا ، ثم بنى عليه استنكارًا وذمًّا ، نرى أنه حمَل العبارة على أقبح محاملها ، دون تأمل في سياقها ولا قرينة حال قائلها. فكلام الدعاة من جماعة التبليغ – خاصة البسطاء منهم – يُفهم بعض كلامهم في سياق حماستهم ، وتعبيرهم الوجداني عن الأثر الإيماني الذي يرونه في الخروج للدعوة ، لا في تقرير قاعدة عقدية تُنفي سائر سُبل الهداية!

فالمراد من هذه العبارة – في الغالب – ليس أن الإيمان لا يتحقق إلا بالخروج ، كما لو كان ركنًا عقديًا ، بل أن الخروج سبيل عملي يُعين على تجديد الإيمان وتقويته ودوامه ، وأن من ثمراته المشاهدة والمجاهدة والمحاسبة والصحبة الصالحة ، وهذه كلّها من أسباب قوة الإيمان وزيادته.

فإذا قال الداعية: الإيمان لا يأتي إلا بالخروج معنا ، فله محمل صحيح بمعنى: من واقعنا وتجربتنا ، رأينا أن هذا الجهد يُوقظ القلوب ويجدّد الإيمان في النفوس فالمتكلم يتكلم في حدود الوسائل التي عايشها ولم ينكر ما سواها ، وهذا لا يُلغي سائر السبل المشروعة إلى الله ، من صحبة العلماء ، والمجالس العلمية ، والعبادات الفردية ، والتوبة النصوح.

ويا حبذا لو أن السائل تأنّى وحمل كلامهم على هذا الوجه الحسن ، بدلًا من حشره في زاوية التشنيع والعقيدة ، فإن التحامل لا يُصلح الخطاب ، وسوء الظن لا يُقوِّي الحجة.

والنصيحة الواجبة هنا للسائل الكريم: إن كنت منصفًا فاعلم أن أكثر الخطأ في التحميل لا في اللفظ ، وأن البساطة في التعبير لا تعني بدعة في الاعتقاد ، والحماسة في الدعوة لا تعني انحرافًا عن الجادّة. فخفِّف من غلواء التأويل ، وتأنّ قبل إصدار الأحكام ، وافتح لقلبك باب التأويل الحسن ، فما أجمل أن نُصلح النوايا بالتأمل ، لا أن نطعن في الناس بالتسرّع.

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: من استُغضِب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان ، ومن تأوّل الكلام على أسوأ الوجوه دائمًا فهو ظالم.

فهل نرضى أن نكون من الظالمين؟ أم نطلب حمل كلام المسلمين على أحسن محامله ، ما لم يَصْرُح خلافه؟

## لا يُبنى الحكم على جماعة بأخطاء بعض عوامّها .

وهذا من الأصول المنهجية الراسخة التي ينبغي لطالب العلم أن يستصحبها دائمًا: أن المناهج لا تُقوَّم بأفرادها ، ولا يُبنى الحكم على جماعة بأخطاء بعض عوامّها أو المتحمسين من غير الراسخين.

فمجرد أن يصدر قول فاسد أو عبارة موهمة من داعية عامي – ربما خانه التعبير ، أو جهل مقام الكلام – فلا يصح أن تُحاكم عليها الجماعة بأكملها ، ولا أن يُنسَب لها منهجها على أساسها. بل القاعدة في التقييم أن يُنظر إلى الأصول ، والمبادئ المُقرّة ، ومسلك العلماء والمقدّمين في الجماعة ، لا زلّات الأفراد أو تجاوزات الأتباع.

وقد قرر العلماء أن القول لا يُنسب إلى جماعة إلا إذا تبنّته صراحة وأقرّه علماؤها المعتبرون. أما كلام المتحمسين أو ما يقع من عامة الدعاة في خطبهم ومواعظهم ، فيُعرض على الميزان الشرعي ويُعذر قائله إن كان مجتهدًا أو جاهلًا ، دون أن يُجر ذلك إلى التبديع أو إسقاط المنهج.

بل إننا إذا جعلنا من زلّة عامي أو متحمس حَكمًا على المنهج ، فلا يسلم لنا منهج ولا تيار ولا جماعة من التخطئة والشيطنة. فهل نحكم على السلفية بأخطاء الغلاة؟ أو على الدعوة الإصلاحية بأخطاء المتعصبين؟ أو على الصحوة بأخطاء المتساهلين؟!

والقاعدة القرآنية الخالدة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [187] ، تنطبق هنا بجلاء ، فلا يؤخذ الجميع بجريرة البعض ، ولا يُنزع عنهم وصف الخير والاجتهاد بسبب قولٍ ضعيف من أحدهم.

إذن ، فالمسلك العادل أن يُرد الخطأ إلى صاحبه ، وأن يُنصح بالحسنى ، وأن تُعامل تلك الجماعة الحركية الدعوية بحسب ما هو مقرَّر في أُصولها وعمل كبارها ، لا على أقوال فردية يُحمى بها الجو وتُستدر بها العاطفة.

**وقول السائل : ( بل سألنا كبيرًا لهم في مجتمع من الناس وهو يعتبر قائدهم وعلى هذا شهود ، سألناه أين الله؟ فأجاب بعقيدة الحلولية أن الله في كل مكان ، فإذا كان كبير حلقاتهم ومرشدهم ومعلمهم فكيف يتعلم الآخرون منه؟!)**

وما ذكره ليس إلا مثالًا على سوء الفهم وسوء الظن ، وخرقًا لقواعد العدل في التقييم ، بل هو حشدٌ للعاطفة ، واستثمار لحكاية مبتورة يُبنى عليها طعن جماعي. وقد أحسن من تريث في التثبت من الأقوال ولم تكن عادته التسرع في إسقاط الأحكام الجائرة بلا بينة.

فعندنا في منهج أهل السنة والجماعة ، أولًا: أن قول العامي أو الداعية البسيط: الله في كل مكان لا يعني بالضرورة عقيدة الحلول الكفرية – التي تعني أن ذات الله تحل في المخلوقات والكون – وإنما الغالب على العامة ، بل كثير من أهل الخير الذين لم يتعلموا العقيدة بدقة الاصطلاح ، أنهم يُريدون بذلك أن الله معنا بعلمه واطلاعه وقدرته ، لا أن ذاته تحل في الأماكن ، ولو قيل لهم هذا التفسير لاستبشعوه. وهذا ما قرره العلماء ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: لفظ (في كل مكان) قد يُراد به الإحاطة العلمية لا الذاتية ، فإن أراد الأول فهو حق ، وإن أراد الثاني فهو باطل.

---

[187] [الأنعام: ١٦٤]

فالواجب هنا أن يُبيّن لصاحب القول مقصوده ، ويُسأَل: ماذا تقصد بـ في كل مكان ؟ فإن قصد الذات استُنكِر ، وإن قصد العلم والإحاطة أُقرّ ، وإن تردد أو جهل عُذِر ، لا أن يُؤخذ بكلمة مجملة فيُركّب عليها تهمة الحلول ويُستخرج منها طعنٌ في المنهج بأكمله.

وثانيًا: افتراض أن هذا الرجل كبيرهم ومعلمهم لا يجعل كلامه ملزمًا للجماعة كلها ، ولا يصلح أن يُحمل على أنه يمثل منهجًا اعتقاديًا مقررًا. فما دام المتكلم ليس من علمائهم الرسميين أو المنظّرين لمذهبهم ، فلا يُحكم به على الجماعة ، بل هو قول فرد يُقوَّم في ذاته.

وثالثًا: قدم الرجل في الخروج والدعوة ليس بالضرورة قدمًا علميًا ، بل قد يكون قدمًا ميدانيًا أو في الصحبة ، وليس هذا قدحًا في مكانته ، لأنه ليس في موقع الإفتاء أو تدريس العقيدة الدقيقة ، بل دوره تذكيري تعبدي ، يُغلب فيه على الذكر ، والصحبة ، والتوبة ، والتزكية العامة.

ومن تمام العدل ألا يُؤاخذ الناس بجهل المبتدئ ولا بزلّة المتكلم ، بل يُسدَّدوا ويُوجَّهوا ، لا أن يُبدَّعوا ويُخوَّنوا. وكما قال الإمام مالك: ليس كل من أخطأ يُردّ عليه جملة ، وإنما يُنظر في خطئه ، فإن أصرّ عليه رُد ، وإن تراجع قُبلت توبته.

فلو حكمنا على مناهج الدعوة بناءً على كلمات مجملة من عوام الدعاة ، لما سلم أحدٌ من الطعن ، ولكان هذا سبيلاً للإقصاء والتشويه ، لا للإصلاح والتوجيه.

## لا تُحمّل الكلام ما لا يحتمل .

لمجرد قول العامي الله في كل مكان! فانطلقت التهمة مباشرة: هذا يقول بعقيدة الحلول! كأنها كلمةٌ لا تُفهم إلا على أقبح وجه ، ولا تُفسّر إلا بمناهج الفلاسفة والحلولية.

ولكن ماذا لو تمهّل قبل إطلاق الحكم ؟ ، إذ ليس كل لفظٍ مجمل يُبنى عليه حكم قاتل ، ولا كل عبارةٍ عفوية يُؤخذ منها مذهب عقدي.

إن أكثر العامة يقولون: الله في كل مكان ، ويقصدون بذلك إحاطة العلم ، لا حلول الذات ، وهو معنى صحيح موافق لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [188] ، أي بعلمه وقدرته ، لا بذاته.

والقاعدة ذهبية أنه إذا احتمل كلام المسلم معنى حسنًا وآخر قبيحًا ، فإنه يحمل على الحسن ما لم يصرّح بغيره. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًا ، وأنت تجد لها في الخير محمَلًا.

ومن الظلم أن يُؤخذ داعية بكلمة مجملة ، فيُتهم في عقيدته ، ويُطعن في منهجه ، ويُطوى بها جهد سنوات من الدعوة والذكر والصلاح. بل قد يكون ممن لا يحسن التعبير ، لكنه يحسن النية والعمل ، فالأَوْلى تصحيح عبارته ، لا التشهير به.

وإذا كنا لا نحكم على الجماعة بمواقف الأفراد ، فلا يجوز أن يُحمّل مذهب دعوي بأكمله تبعة زلة من عامّي أو متحمّس. وقد قال الإمام الشافعي: إذا وجدتم لي قولًا يخالف قول رسول الله ﷺ ، فاضربوا بقولي عُرض الحائط.

---

[188] [الحديد: ٤]

إن التقييم العادل يبدأ بفهم السياق ، وسؤال القائل عن قصده ، والنصح له إن أخطأ ، لا بصناعة العناوين المثيرة ومصادرة النيات. فلنكن دعاة إنصاف ، لا صناع تهم ، ولنحمِل كلام الناس على أحسن المحامل ، فإن الله يحب العدل ، والظن السوء من خطوات الشيطان.

**وقول السائل : ( فغيرة على دين التوحيد قمنا بهذه الدروس (درس التوحيد) وأرشدنا الناس إليها ونصحناهم من المناهج الضالة)**

فلنتأمل بصدق ما يقول السائل: فغيرة على دين التوحيد ، قمنا بهذه الدروس ، ونصحنا الناس من المناهج الضالة. هو موضع دقيق من السياق؛ يكشف ما وراء الكلام من مقاصد خفية يُراد لها أن تُقدّم على أنها غيرة على التوحيد ، بينما ظاهر الوقائع وسير الأحداث يشير إلى أنها في حقيقتها غيرة على المكانة والتصدّر والهيبة المحلية ، لا على العقيدة والمنهج.

إن المتأمل في المشهد يرى أن هذه الدروس لم تُقام إلا بعدما ظهر دعاة الحسبة ، من أهل الدعوة الميدانية ، الذين جالوا في القرى ، وأحيوها بالذكر ، والتوبة ، والصحبة ، وأثرهم أصبح ملموسًا في نفوس الناس وسلوكهم وبيوتهم. حينها فقط تحرك أولئك المعترضون وأقاموا الدروس ، لا ابتداءً ، بل ردًا!

وهذا يُشير إلى ما يسمى ردة الفعل التنافسية ، التي لا تنبع من المبادرة لوجه الله ، بل من الخوف على المساحة والمكانة في المجتمع. وهذا واضح من تغيّر حالهم؛ إذ لو كانت الغيرة على التوحيد دافعًا أصيلًا ، لبدأوا بها من قبل ، ولو كانوا حقًّا يريدون نفع العامة ، ما انتظروا حتى يأتي غيرهم ليقوم بهذا الدور.

ولذلك ، فإن وصفهم لدروسهم بأنها غيرة على التوحيد يُفقد صدقيته حين يُعرض بجوار السياق الزمني ، ويتضح أنه لم تكن هناك دروس ، ولا حلقات ، ولا توعية جادة ، قبل أن يجيء هؤلاء الدعاة المتحركون ويُحيوا المجتمع. فهل الغيرة تتأخر؟ وهل إصلاح الناس ينتظر المنافسة؟

والأدهى أن هذه الغيرة ، بدلاً من أن تُثمر تعاونًا أو تكاملًا أو دعمًا للدعاة ، تحوّلت إلى مهارشة وجدال ، وتحذير وتشويش ، وتصنّف وطعن ، وكأن هدفها ليس التكميل ، بل التشويش والتقويض. وهذا لون من حبّ الظهور ، الذي إن تلبّس بلباس الغيرة ، جعل صاحبه يُقاتل لإقصاء غيره بدلًا من أن ينصر الدين بما يستطيع.

والحكمة تقتضي أن الحق يُقبل ممن جاء به ، وأن الخير لا يُحارب لأنه سبقنا إلى القلوب. والواجب على من رأى أثرًا طيبًا سبق له أن يفرح ، لا أن يُنافس ، وأن يبادر بصدق لا بردة فعل ، وألّا يُلبس غيرته على ذاته لبوس الغيرة على التوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله: ومن علامة الإخلاص: أن يفرح المرء بانتشار الخير على يد غيره ، ويحزن لتأخّره عنده ، لا أن يغار على النفس والمقام والراية. فليت من تأخر عن الميدان لا يُهاجم من تقدّم ، ولْيعلم أن التنافس الحقيقي في الأجر ، لا في التصدّر ، وأن مقام الدعوة لا يُمنح بالسبق الزمني ، بل بإخلاص العمل ودوام النفع.

**وقول السائل : ( فإن العامة يا فضيلة الشيخ في ذمتك فنسألك بالله العظيم : هل تنصحون العامة يذهبون مع هؤلاء الناس وليس عندهم علم ، ويتركون دروس التوحيد والسنة المقامة عندهم؟ )**

هذه الفقرة تُعد نموذجًا بالغ الوضوح على محاولة التأثير العاطفي والاستمالة النفسية لاستصدار فتوى بعينها ، أو التراجع عن فتوى صدرت سابقًا لموافقتها لطرفٍ لا يرضاه السائل. فهو يُقدّم عبارته بمقدمة مشحونة: فإن العامة يا فضيلة الشيخ في ذمتك ، فنسألك بالله العظيم .

وهنا يُقحم مفهوم الذمّة الشرعية ، و القسم بالله ، وكأنّ الشيخ مُطالب الآن بأن يُثبت غيرته على الأمة بفتوى جديدة تُرضي السائل ، لا بيانًا علميًا متجردًا. وهذا أسلوب معروف في باب الاستفتاء الموجّه ، إذ

يُراد به ضغط معنوي يجعل المفتي يشعر أن بقاءه على الفتوى الأولى يُعد تفريطًا أو خيانة للأمانة ، وأنه إن لم يتراجع ، فهو إذًا يُهمل ذمم العامة!

ثم يأتي بالعبارة المحورية: هل تنصحون العامة أن يذهبوا مع هؤلاء الناس وليس عندهم علم ، ويتركون دروس التوحيد والسنة المقامة عندهم؟!

وهذه الصياغة فيها أكثر من إشكال:

1. الافتراض المغلوط: كأنه يقرر أن مَن خرج مع هؤلاء فقد ترك التوحيد وترك السنة ، وهذا حكم مُسبق لا دليل عليه. بل يوحي كأن الذهاب مع أهل التبليغ مغادرة ساحات السنة والدخول في البدعة!

2. التخيير المُغشوش: يصوّر للشيخ أن الخيار إما الذهاب مع الجهلة المضللين أو البقاء مع أهل التوحيد والسنة ، كأننا في مفترق نجاة وهلاك! بينما الواقع أن كثيرًا من هؤلاء الذين يخرجون مع الجماعة إنما فعلوا ذلك لتقوية إيمانهم ، وتعميق يقينهم ، وترك الغفلة ، لا ترك التوحيد.

3. إلغاء السياق السابق للفتوى: فالشيخ – في فتواه الأولى – بيّن أن الخروج مع أهل الدعوة يكون على خير ، إذا صَحّت النية ، وصَلَحت الصحبة ، وكان مآله إلى التزكية والتعلم. فمحاولة السائل هنا إلغاء هذه الفتوى ، واستدراج الشيخ إلى موقف آخر أكثر شدّة ، هو نوع من التلاعب الفقهي لا يليق بالطالب ولا بالمستفتي.

وهذا كله يُبيّن أن السائل لا يطلب فتوى حقيقية ، بل يُطالب الشيخ بتبنّي موقف حزبي ضد جماعة معينة ، مستخدمًا في ذلك الأدوات العاطفية (القسم – الذمة – حرص العامة) ، والخيارات المضلّلة ، والافتراضات التي تخلو من التحقيق.

أما المنهج السليم ، فهو ما سلكه العلماء الربانيون ، كابن باز وابن جبرين رحمهم الله ، من بيان أن كل دعوة تردّ الناس إلى الصلاة والذكر وطاعة الله ، وتبعدهم عن المعاصي وتصحبهم إلى أهل الخير ، فهي دعوة معتبرة ، وإن احتاجت إلى ترشيد أو تسديد ، فهذا لا يمنع مدح أصلها.

قال ابن جبرين بوضوح: الخروج مع أهل الدعوة إن كان للتزكية والتذكير وطلب الهداية فهُو على خير ، ويطلب العلم بعدها شيئًا فشيئًا. فالواجب اليوم هو استحضار مقاصد الشرع ، والتجرّد للحق ، وعدم الاستجابة لمحاولات التهييج أو الاستعطاف الذي يتجاوز جوهر السؤال إلى فرض اتجاه بعينه.

وهنا جاء موطن الجواب من الشيخ بعد كل هذا التهويل والتصوير !!!! فانظر كيف رد الشيخ :

**فقول الشيخ رحمه الله في مطلع جوابه :**

حيث قال الشيخ : ( وبعد فما ذكرتم من هؤلاء الشباب الصالحين الذين يدرسون عندكم ويقيمون حلقات ومحاضرات ويفقهونكم في الدين ويعلمونكم ما تجهلون ، فإنهم قد أحسنوا وعملوا صالحًا وهذا من أفضل القربات ، وهو واجبهم حيث أعطاهم الله علمًا نافعًا ، وتلقوه عن أكابر العلماء ، وعرفوا باب العقيدة والتوحيد العملي ، وعرفوا العبادات و المحرمات ، وعلموكم ما تجهلونه ، فعليكم أن تشجعوهم وتحرصوا على التلقي والتقبل منهم وتعلم ما تجهلون ولو تجشمتم المشقة وصبرتم في المجالس والحلقات وسافرتم من البادية إلى القرى والمدن ، فذلك كله من أفضل القربات. )

فجواب الشيخ ابن جبرين رحمه الله يُعدّ نموذجًا راقيًا في الثبات على الموقف ، والانطلاق من معيار الشرع لا من ضغط السؤال أو مشاعره. بل يمكن أن يُستفاد من جوابه فوائد كثيرة ، في المنهج والعدل والبيان. أبرزها ما يلي :

**أولًا: التمييز بين العمل والنية دون الالتفات للخصومات .**

فقد أثنى الشيخ على الشباب الذين يعلّمون الناس ، ليس لأنهم ضمن فريق معيّن ، بل لأن عملهم نافع ، ومبناه على العلم والتعليم. لم يلتفت لمحاولات السائل في تصوير المشهد على أنه صراع بين أهل توحيد و أهل بدعة ، بل أثبت الخير حيث وُجد ، دون انحياز.

ثانيًا: الاستقلال عن التهييج العاطفي .

وبالرغم من أن السائل كرر عبارات الاستعطاف ، وذكر الذمة و السؤال بالله ، فإن الشيخ لم ينجر خلف هذا الأسلوب ، بل أجاب بجواب شرعي متجرد هادئ ، دون أن يُشوّش عليه الانفعال. وهذا يدل على قوة فقهه ، وسعة صدره ، ومعرفته بأساليب التوجيه غير المباشر.

### ثالثًا: الإشادة بالجهد الدعوي مهما كان موقعه .

فقد أثبت الشيخ أن من نفع الناس بما عنده من علم ، وعلّم الجاهل ، فقد أدّى فرضًا عظيمًا من فروض الكفاية. وصف ذلك بأنه من أفضل القربات ، و واجب ، وهذا إقرار ضمني بأن العمل بالدعوة الميدانية والتعليم ولو بدون رسميات هو عمل معتبر شرعًا.

### رابعًا: تثبيت موقع الشباب المصلحين وعدم التقليل من شأنهم .

ذكر الشيخ أنهم أُعطوا علمًا نافعًا ، و تلقوه عن أكابر العلماء ، و عرفوا العقيدة والتوحيد العملي ، وهذه أوصاف تثبت ثقته في هؤلاء الشباب ، وعدم التردد في تزكيتهم في وجه التشويش. يُلاحظ هنا أن الشيخ لم يضعف أمام تصوير خصومهم لهم كـ جهلة أو مثيري فتنة ، بل ردّ الاعتبار لهم بقوة ووضوح.

### خامسًا: الدعوة إلى الجَلَد على طلب العلم من هؤلاء الدعاة .

إذ لم يكتف الشيخ بالدفاع ، بل حثّ المستفيدين على تلقي العلم منهم ، ولو مع المشقة ، ولو بقطع المسافات. وهذا دعم عملي وليس معنويًا فقط ، ودلالة على أن هؤلاء أهل لأن يُتعلَّم منهم لا أن يُحذَّر منهم.

## سادسًا: عدم التفكيك بين الخروج الدعوي وطلب العلم .

وإن لم يتطرق الشيخ في هذه الفقرة تحديدًا لمسألة الخروج ، فإن ثناؤه على التعليم والحلقات التي أنشأها هؤلاء الشباب الخارجين – كما فهم من السياق – دليل على أنه لم يجعل الخروج سببًا في إبطال دعوتهم ، بل رآه وسيلة للخير. وهكذا لم يسقط حقهم بسبب اختلاف الوسيلة ، بل أثبت لهم فضلًا بسبب ثمرة الوسيلة.

## ثبات الشيخ بن جبرين في الحق وتقدير للدعاة :

مفاد جواب الشيخ رحمه الله أنه لا يُرد الحق لأجل الجهة المتكلمة به ، ولا يُسقِط الفضلَ اختلافُ الوسائل. من دعا إلى الله بصدق ، وسعى في نفع الناس ، فهو على خير ، ولو لم يطابق طريقة السائل. فقهنا في الإنصاف هو قُربنا من الحق.

## أبرز الفوائد من جواب الشيخ :

جواب الشيخ ابن جبرين رحمه الله : .فإنهم قد أحسنوا وعملوا صالحًا ، وهذا من أفضل القربات . فذلك كله من أفضل القربات. غير متأثر بأي من محاولات السائل في: تصوير الخصومة ولا في تهييج العاطفة ولا في تعظيم طرف وتقبيح آخر ولا في فرض زاوية نظر ضيقة ، بل كان جوابه شرعيًا ، متزنًا ، قائمًا على مراعاة الأثر والمقصد ، داعيًا للعلم والعمل ، مانعًا من التحيّز الحزبي.

1. إنصاف بلا تحزّب: لم يتأثر الشيخ بالمغالطات والانحياز في السؤال ، بل أثبت الفضل حيث وُجد ، ودافع عن الشباب الدعاة لثمراتهم لا لانتمائهم.

2. دعم العمل الدعوي الميداني: اعتبر تعليم الناس في القرى والبوادي من أفضل القربات ، وهو تزكية صريحة لهذا اللون من الجهد الدعوي.

3. ترسيخ قيمة نشر العلم: شدد على فضل من علّم الناس ما يجهلون ، ووصف ذلك بالواجب الشرعي.

4. التأكيد على مبدأ الثبات: لم يستجب الشيخ لمحاولات الاستعطاف أو الضغط العاطفي ، بل أجاب بجواب علمي متزن يدل على رسوخ في الفقه والتجرد.

5. الحث على التعلّم من الدعاة المخلصين: دعا العامة إلى حضور المجالس والصبر في التعلم حتى مع المشقة ، ما دام المعلم ناصحًا فقيهًا.

6. الاعتراف بفضل الشباب المصلحين: وصفهم بـ الشباب الصالحين ، و أهل العلم النافع ، وهو تكريم يُفند محاولات التشويه بحقهم.

## الطرق الدعوية والوسائل الاجتهادية في نظر الشيخ بن جبرين :

إن عبارة الشيخ رحمه الله : ( وأما جماعة التبليغ فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم ) ليست جملة عابرة ، بل هي دستور في التعامل مع المخالف في الوسائل الدعوية: لا تُصادَر اجتهاداته ، ولا يُخوَّن قصده ، ما دام في إطار الشريعة ، وله سعي ونفع ونتاج. والمسلك السلفي ليس الشدة على الناس ، بل تبليغ الحق برحمة ، وتمييز الخطأ بعلم ، ومرافقة السالكين بنية هداية لا إسقاط.

فإن ما قاله الشيخ ابن جبرين رحمه الله في عبارته: وأما جماعة التبليغ فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم ليست مجرد عبارة توجيهية ، بل هي تجسيد حيّ لخلق الإنصاف ، واتساع أفق العالم الراسخ ، وفهمه للتنوع المأذون به شرعًا في سبل الدعوة والإصلاح.

### أولًا: الاعتراف بالاجتهاد لا التشنيع على الخطأ .

فالشيخ رحمه الله لم يُصدر حكمًا ببدعة أو ضلالة على الجماعة ، بل اعترف بأن لهم اجتهادًا خاصًا ونظرًا مستقلاً ، مما يدل على احترام التنوّع في الوسائل والطرائق ما دامت في دائرة المشروع.

وهذا الأدب الفقهي يُعلّم الداعية السلفي أن الحكم على المناهج لا يكون بردّ مطلق ، بل بالتفصيل في الوسائل والمقاصد والآثار.

### ثانيًا: التفريق بين الأصول والوسائل .

استخدم الشيخ لفظ الطريقة و الاجتهاد و النظر ، ولم يقل العقيدة أو المنهج العقدي ، فدلّ على أنه يُفرّق بين الأصول التي لا تقبل التنازل ، وبين الوسائل الدعوية التي تقبل التنوّع والاجتهاد. وهذا يُعلمنا أن الإنكار يجب أن يكون على ما خالف القطعي ، لا على ما خالف طريقتي الخاصة في الدعوة.

### ثالثًا: فهم اختلاف الطبائع والبيئات الدعوية .

فكلامه يعني أن ما يصلح في بيئة معينة قد لا يكون أنسب في أخرى ، فلكل جماعة نظرها في أنجع الوسائل لإصلاح من حولها. فالتبليغ لهم جهد ميداني ، يغلب عليه التزكية والمخالطة ، وهذا نظر دعوي لا يُبطَل لمجرد أنه مختلف عن الجلوس في الحلقات. فلا يُفرض على الجميع نسخة واحدة من الخطاب ، ولا طريق واحد لا سواه إلى الله.

### رابعًا: التأصيل لاحترام المختلف ما دام لم يخالف النص الصريح .

أقرّ الشيخ بوجود طريقتهم ، لا على سبيل الإدانة بل على سبيل الإخبار والاعتراف ، وهذا من تمام الورع الفقهي الذي لا يطعن إلا فيما ثبت انحرافه بالأدلة. وهنا يتعلم طلاب الدعوة السلفية أن العدل مع المخالف هو من صفات الأئمة لا من تنازلات المنتسبين.

### خامسًا: القدرة على الجمع بين التثمين والتنبيه .

يُثني الشيخ على الغيرة والسعي ، ويقرّ الاجتهاد ، وفي مواضع أخرى يُنبّه على جوانب التقصير – وهذا هو منهج التزكية المتوازنة لا التعميم الإقصائي. فالداعية الفقيه يُشيد بالخير حيث وُجد ، ويُشير إلى النقص بأسلوب حكيم ، لا بتحطيم جماعي.

**ولابد من التأمل العميق في هذه العبارة من الشيخ ابن جبرين رحمه الله : ( حيث رأوا أن الخروج بالعاصي حتى يفارق مجالس اللهو واللعب أجدى له وأنفع لنفسه حيث يعمل معهم الصالحات ويتدرب على أداء الفرائض بخشوع ، وعلى النوافل والأذكار والأدعية الموقتة وغيرها ، وعلى سماع القرآن والذكر والخير ، ويبعد عن جلساء السوء وعن العصاة والمعاصي فيعود وقد أحب العبادات وكره المحرمات ، )**

حيث تُعَد من أبلغ الشواهد على إنصاف العلماء الربانيين ، وإقرارهم بالحق دون تحزّب ولا مجاملة ، وتثمينهم لأي جهد يُقرّب الناس من الله ، مهما خالف طريقتهم أو انتماءهم.

### في شهادة الشيخ عدل وإنصاف :

فالشيخ لم ينظر إلى جماعة التبليغ من خلال أحكام مسبقة أو تهم شائعة ، بل نظر إلى الأثر الظاهر ، والثمار المشاهدة ، والحِكمة المقصودة من أفعالهم. فوصفهم بأنهم:

- يأخذون العاصي بعيدًا عن مجالس اللهو واللعب.

- يُعوّدونه على الصالحات والفرائض بخشوع.
- يُدرّبونه على النوافل والذكر والدعاء.
- يملؤون حياته بالقرآن والرفقة الصالحة.
- يُبعدونه عن جلساء السوء والمعاصي.
- وأخيرًا يعود وقد أحب الطاعات وكره المحرمات.

فهل بعد هذا الأثر الطيب يُنكر عليهم؟!

### والرد على من يكتم محاسنهم:

من الظلم والتعدي أن تُكتم هذه الثمار الباهرة ويُسدل عليها ستار التجاهل أو التحقير ، وكأن من خالفنا في الطريقة لا يُعدّ له معروف ، أو أن كل خير لا يمر عبر مدرستنا لا قيمة له! بل من تمام الإنصاف الشرعي أن تُذكر المحاسن كما تُذكر المآخذ ، وأن يُشكر من أحسن ، ولو وقع في شيء من التقصير. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[189].

وقال الإمام الذهبي في السير : إن العدل واجب ، ومن جار في النقل ففيه شبه من الكذّابين. والذي يمنع ذكر محاسن القوم باسم الولاء أو حماية العقيدة ، إنما يُلبس التعصب لباس الغيرة ، ولا يرضى الحق أن يُدفن الخير لأن صاحبه يخالفنا في بعض الوسائل أو الآليات.

### رسالة لتلامذة الدعوة السلفية العصرية :

---

189 [الأعراف: 85]

إن الصدق في النصح لا يكون بكتم المآثر ، بل بذكرها ثم إلحاق التوجيه والتسديد. ومن أحسن فحقه أن يُقال له جزاك الله خيرًا ثم يُقال له سدّدك الله للمزيد من الهُدى . ولا يُربّى الطالب على منهج التجريح ، بل على العدل والرحمة والرجاء في إصلاح كل مجتهد. فالشيخ رحمه الله لم يُجامل ، بل وصف ما رآه حقًّا ، وأقرَّ لهم بثمراتٍ عملية ، وهذا هو المنهج الرباني: لا يُنكر الخير من أجل الخلاف ، ولا يُبخس المجتهد من أجل الشعار.

## إلى غلاة التجريح . رفقًا بالحق ، وعدلًا في الحكم :

ليس من الإنصاف أن تُبغض المخالف حتى تُنكر كل خيرٍ له ، ولا أن تُحب الموافق حتى تُسوّغ كل زللٍ منه. — فقهاء المنهج السليم ، وننبه إخواننا ممن ابتُلوا بالغلو في التجريح ، ونقولها نصحًا ورحمة: من علامات الهوى أن يُنكر القلب كل ما عند خصمه من صواب ، ولو وافق فيه نصًا أو حقًّا بيّنًا ، وأن لا يُبصر فيه إلا المساوئ ، ولو نَدُرت. وهذا انحراف في الميزان ، وظلم في الشهادة ، وتناقضٌ مع هدي السلف.

ونرجوا منهم أن يتأملوا: كيف أثنى النبي ﷺ على حسن خلق عبد الله بن جدعان ، مع شركه. وكيف عدّل الله شهادة قبطية مصرية ليوسف عليه السلام وهي كافرة. بل كيف قال تعالى في خصمٍ كافر: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ، فأثبت له علمًا.

فهل بعد هذا يسوغ لمسلم أن يُسقط مَن خالفه إسقاطًا كليًا ، ويراه بلا فضل ، ولا جهد ، ولا علم ، ولا أثر نافع؟

فالعدل ليس أن تُساوي بين الناس ، بل أن تُنصفهم ولو خالفوك. قال ابن تيمية: العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال.

أهل السنة لا يطعنون من خالفهم من المخالفين إلا على ما خالفوا فيه ، ويذكرون ما عندهم من الحق ، ويشكرون لهم حسناتهم ، ولو أنكروا عليهم سقطاتهم. فكونوا منهم ، ولا تكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. فرفقًا بالعُبّاد ، وعدلًا في النقد ، ورجوعًا إلى الله في كل حال لأن منهج النبوة لا يُبنى على الخصومة ، بل على الرحمة والبيان.

## الإنصاف ليس خيارًا . بل دينٌ يُدان به المرء .

فرسالتنا التربوية التي نوجهها إلى غلاة التجريح ليس من العدل أن تُغلق عينك عن كل فضلٍ لمخالفك ، ولا من الورع أن تُقصي الحق لأنه جاء على لسان غيرك. فاعلم أن النبي ﷺ أثنى على أخلاق المشرك عبد الله بن جدعان؟ ، وأثبت القرآن العلم لرجل في مجلس فرعون؟

قال ابن تيمية: العادل لا يبخس أحدًا قدره ولو خالفه. ؟ واعلم أن من علامات الهوى أن ترى خصمك مبطلًا مطلقًا ، وتغفل عن كل ما يحسنه ، ولو دعا إلى الله ، وصلّى ، وبكى من خشية ربه. فأي عدلٍ هذا؟ وأي دينٍ يُقرّ طمس الفضل إذا لم يكن على أيدينا؟

وقال الإمام الذهبي: لو وُكِّلنا إلى ردّ كل مَن خالفنا ، لضاع العلم ، وهلكت الدعوة ، واندثرت السنن! فتعلم أن تقول للمخالف: أحسنت في كذا ، وأخطأت في كذا. فهذا هو ميزان العدل ، وفارق كبير بين الناصح والشامت ، وبين الغيور والمتحزب.

## اعتبار الشيخ بن جبرين لاجتهادات العلماء المعاصرين :

إن المتابعة المتأنية لجواب الشيخ ابن جبرين رحمه الله في قوله رحمه الله : ( هذا ما أداه إليهم اجتهادهم ) بفهم دقيق يدرك أن هذا الجواب – بكل ما تضمنه من ألفاظ متّزنة وعبارات راسخة – يُمثّل نموذجًا ناصعًا في فقه التعامل مع المخالف ، وأدب النقد ، وعدالة النظرة ، ووسطيّة العالم الربّاني.

فعبارته التي قال فيها: وأما جماعة التبليغ فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم ، حيث رأوا أن الخروج بالعاصي حتى يفارق مجالس اللهو واللعب أجدى له . تُفصح عن فقه عميق ، لا في الحكم فقط ، بل في قراءة القلوب والمقاصد ، وفهم دوافع السالكين وإن قَصُر بعضهم عن الكمال.

فالشيخ هنا لم يقل: فلهم بدعتهم ، ولم يَصِفهم بأنهم ضلال أو محدثون ، وإنما قال بعبارة العارف العادل: لهم طريقتهم ، واجتهادهم ، ونظرهم . فكأنه يُقرّ بأن لهم مسلكًا مستقلاً في أسلوب الدعوة ، اجتهدوا فيه بحسب فهمهم للواقع ، وسعوا إلى إصلاح العاصين بما أدّى إليه نظرهم ، ولم يتَّهم نيتهم ، ولا جرَّح مقاصدهم ، بل حاكَمهم إلى أثرهم العملي ومردود دعوتهم في الواقع.

ثم فصّل رحمه الله ثمار هذا الجهد الميداني ، فقال إنهم يُخرجون العاصي من بيئة اللهو إلى مجالس الذكر ، ويعوّدونه على الفرائض والنوافل ، ويغرسون في قلبه محبة العبادات وكراهية المنكرات . وهذه – والله – شهادة عالم بصير يُثني على الخير حيث رآه ، ولا يُسلمه للعصبية مهما خالفه في الطريقة.

وهذه الكلمات وحدها كفيلة بأن تُوقف سيل الافتراء الذي لا يذكر من هؤلاء القوم إلا العثرات ، ولا يُبصر من جهودهم إلا ما خالف أسلوبه هو أو منهجه هو. فالشيخ ابن جبرين علّمنا أن نحمد الخير ولو جاءنا من طريق لا نألفه ، وأن نمدح العمل الصالح ، ولو صدر من جماعة بيننا وبينهم خلاف تنظيمي أو منهجي.

وفي قوله أيضًا: ما أدى إليهم اجتهادهم تكمن قمة الرقي العلمي والتجرد القلبي. فهو لا يدعي أنهم على الكمال ، لكنه لا يطعن فيهم كذلك؛ بل يرى أنهم – بقدر طاقتهم – بذلوا وسعهم فيما حسبوه خيرًا ، فاجتهدوا ، وأصابوا في مواضع ، وأخطؤوا في أخرى.

هذه الكلمة تربّي طالب العلم على عدة دروس: أن لا يُلغي جهد المخالف من أجل اجتهاد شخصي لا يوافقه ، وأن لا يُخوّن من اجتهد ، طالما أنه لم يُخالِف أصول الدين ، وأن المنهج السلفي الأصيل لا يُحارب الطاعات لأن شعارها لا يُعجبه ، ولا ينكر الخير لأن ثمرته سبقته.

وفي هذا أيضًا رد مباشر على غلاة التجريح الذين يرون أن الاعتراف بمحاسن الخصم خيانة ، وأن الإنصاف ضعف ، وأن المدح لا يكون إلا لمن وافقهم تمامًا.

وهذا خلاف ما كان عليه سلف هذه الأمة ، فقد كانوا يُنصفون حتى الخوارج في عبادتهم ، ويذكرون الفضل لأهله ، ولو خالفوهم في مسائل جوهرية.

وعبارة الشيخ: فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم ثم استطراده في ذكر ثمار دعوتهم ، وعدم تأثره بسيل التهييج الذي جاء به السائل ، يعلّمنا درسًا عظيمًا: هو أن العالم العادل لا ينظر إلى الألقاب ، بل إلى الآثار ، ولا يحكم على الناس بنَفَس الخصومة ، بل بميزان الشريعة ، ولا يُسلّم رأسه للضغوط العاطفية التي تُراد بها فتاوى مُلفَّقة أو مواقف مُرغَمة. فرحم الله الشيخ ابن جبرين ، فقد كان مُعلِّمًا بعدله قبل علمه ، ومُربِّيًا بإنصافه قبل فتاواه.

## سعة الصدر لدى الشيخ بن جبرين في تقبل وجهات نظر الأقران :

في ختام جواب الشيخ ابن جبرين رحمه الله في قوله رحمه الله : ( ونحن لا نعتب عليهم ) وبعد أن بيّن الخير الموجود في جماعة التبليغ ، وشرح مقاصدهم ، وآثار دعوتهم في سحب العصاة من مجالس اللهو إلى ميادين الذكر والطاعة ، ختم بكلمة قصيرة قال فيها: ونحن لا نعتب عليهم. هذه الكلمة – رغم بساطتها – تختصر أخلاق العلماء ، وإنصاف الدعاة ، وسلامة صدر أهل الصدق. فهي لا تخرج من عالمٍ تعوّد أن يُصغي لصوت الدليل لا لصدى الخصومة ، ولا من قلبٍ تثقل فيه الأهواء على الموازين ، بل من رجلٍ ربانيٍ جرّب

الحياة ، ورأى أثر الناس ، وقرأ النفوس ، ففهم أن ما صدر عن اجتهاد صادق نافع ، لا يُقابل باللوم ، وإن لم يُوافق طريقه هو.

فالشيخ – رحمه الله – كان في مواجهة سؤال مشحون بالتوجّس ، والتلميح ، والتهييج ، بل ومحاولة استمالته لإدانة هؤلاء القوم الذين سبقوا الناس إلى قلوب العامة بطريقتهم البسيطة وصدق دعوتهم. ومع هذا ، لم يستجب لضغط المشاعر ، ولا لصوت الهوى ، ولا لانحيازات الطوائف ، بل بقي كما عرفه منصفو طلابه: هادئًا ، عادلًا ، سليم الصدر ، لا يحمل في قلبه شحناء ، ولا في جوابه تحامل.

ففي قوله: ونحن لا نعتب عليهم ما يلي من الدروس الهامة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار :

- أن العالِم إذا رأى من الداعية أثرًا صالحًا ومقصدًا نقيًا ، لم يُبطل جهده بخلاف يسير أو اجتهاد لا يُفسد الأصل.
- وأن مخالفة الأسلوب لا تعني مخالفة العقيدة ، ومخالفة الطريقة لا تساوي الانحراف عن الشريعة.
- وأن خصومة غيرك مع غيرك ، لا تُلزمك بأن تُدين أو تُتَّهِم ، بل قد تُذكِّر الناس أن الخير واسع ، وأن في الأمة من يسعى للإصلاح ، وإن اختلفت الطرق.

وهذه العبارة هي أيضًا رسالة ضمنية لطائفة السائل ومن على شاكلتهم: أن الغيرة على الدين لا تعني مصادرة جهود الآخرين ، ولا إلزام الناس بطريقة واحدة ، ولا تصوير كل مخالف على أنه عدو للتوحيد.

رحم الله الشيخ ، فقد ترك لنا من العدل ما يُربينا ، ومن الكلمة الطيبة ما يُهذّبنا. وهكذا هم العلماء العارفون: إذا اختلفوا معك في الطريقة ، أنصفوك في الهدف ، وإن خالفوك في التفاصيل ، نَصروك في النيّة ، وإن لم يُقِرّوا لك كل سبيل ، لم يُنكروا عليك أصل السبيل.

## إجابة السائل على مضمون سؤاله مع التيقن من أن سؤاله مختلق :

الفهم الدقيق لهذه العبارة في سياق كلام الشيخ ابن جبرين رحمه الله في قوله: ( لكن نقول : لا يجوز لهم إضرار بأحد ولا اعتراض على غيرهم من أهل الحلقات والتعليم للعامة والخاصة ، ) أنه يحاول تهدئة السائل وجلبه الى منطقة وسط حتى لا يأخذ موقفا من الشيخ لعله كان يتكلم كلاما صحيحا ، ثم هو أيضا بيان للحق وبيانه مع معرفته الكاملة بأهل التبليغ يدل على فقه رصين وعين بصيرة في تتبع مناهج العلماء وتوازنهم في التوجيه.

فبعد أن أثنى الشيخ على جماعة التبليغ وذكر اجتهادهم وآثار دعوتهم الطيبة ، وأنهم يقرّبون الناس من الصلاة والذكر ويباعدونهم عن اللهو والمعاصي ، قال في جملة فاصلة: لكن نقول: لا يجوز لهم إضرار بأحد ، ولا اعتراض على غيرهم من أهل الحلقات والتعليم للعامة والخاصة.

وهذه العبارة لم تأتِ نقضًا لما قبلها ، بل جاءت تثبيتًا لمبدأٍ دقيق في فقه الإنصاف وبيان الحدود: أن الثناء لا يُلغي التنبيه ، والمدح لا يمنع التصويب ، والتزكية لا تبيح التغاضي عن الخطأ إن وقع.

### والسياق يبيّن أمرين مترابطين:

أولًا: الشيخ كان واعيًا – تمامًا – لما أراده السائل من جره إلى التبرؤ من فتواه السابقة ، لكنه أبى أن يُساير تلك العاطفة الحزبية ، بل ثبّت قوله بحزم ، ثم أعاد الطمأنة للسائل بعبارة لا نعتب عليهم .

ثانيًا: مع هذا ، لم يُفرط في المجاملة ، بل استدرك بلطف يُشبه سحب السائل إلى منطقة الإنصاف ، فقال: لكن ، أي: مع كل ما ذكرت من خيرهم واجتهادهم ، فإنني لا أجيز لهم أن يُسيئوا لغيرهم ، أو أن يُخاصموا أهل الحلقات ، أو أن يعتقدوا أنهم وحدهم على الحق دون سواهم.

فهو بهذا يُغلق الباب على الغلو الدعوي – إن حصل – ويضبط حدود الاجتهاد فلا يتعدى إلى التعدي على الآخرين ، ويُربّي القارئ على أن التزكية ليست تفويضًا مطلقًا ، بل هي مشروطة بالتوازن ، واحترام الجهود الأخرى ، وعدم احتكار الطريق إلى الله.

وفي الوقت ذاته ، هذه العبارة تمثل أسلوبًا رفيعًا من العالم الرباني في مراعاة نفسية السائل دون التفريط في الحق: فهو لا يُدينه ، ولا يُغضبه ، ولا يُجامله ، بل يسوقه بلطف من دائرة التحريض إلى دائرة الفهم والعدل.

**في هذا الموضع ، يُعلّمنا الشيخ ثلاث مهارات علمية وتربوية في آنٍ واحد:**

1. مهارة تثبيت الموقف الحق رغم الضغط العاطفي.

2. مهارة الجمع بين الثناء والتنبيه دون تناقض.

3. مهارة جَبر خواطر الطرف المتوجس ، دون الوقوع في المجاملة المُبطلة لميزان الحق.

فما أعظم قول العلماء حين يكون من نبع تقوى وإنصاف ، وما أرحب قلب العالم حين لا تُقيّده العصبيات ، ولا تلوّنه الانتماءات.

**بيان موقف أهل التبليغ من افتراء المفترين وزعمهم الإضرار بالناس :**

ولبيان منهجية أهل التبليغ وموقفهم من الافتراءات التي يُتهمون بها – زورًا – أنهم يُضيّعون الأهل والأعمال والواجبات أن نقول :

**أولًا: أهل التبليغ لا يُضيّعون أهليهم ، بل يحرصون على حفظهم وخدمتهم .**

يقرر دعاتهم دائمًا أن البيت أمانة وحقوق الأهل لا تسقط بالخروج. وكثير منهم لا يخرج إلا بإذن الزوجة من باب المشاورة وترتيب شئون البيت أو بوجود من يقوم بالواجبات نيابة عنه وأكدت توجيهاتهم أن برّ الوالدين ، وخدمة الأهل ، وتربية الأبناء = أولى من الخروج عند التعارض.

حيث يقول مشايخ التبليغ مرارا : إن لم تكن الزوجة راضية ، أو البيت لا يستغني عنك ، فابقَ ، وادعُ الله من داخل بيتك ، فهذا من الخروج.

فأهل التبليغ يُربّون على أن الزوجة والأبناء أمانة عظيمة ، وأن الاعتناء بهم عبادة لا تقلّ عن الخروج للدعوة. لا يخرج الرجل منهم إلا وقد اطمأن إلى أن أهله في يد أمينة ، أو أن خروجَه لا يتضمن تقصيرًا في حقوقهم. بل نجد كثيرًا منهم يقول بصريح العبارة: من خرج وأهله بحاجة إليه ، فقد خالف وصية جماعته قبل أن يخالف حق الشرع . وقد نُقل عن أكابرهم تشديدهم على أن الدعوة لا تعني الهروب من المسؤولية ، وأن من كانت زوجته رافضة لخروجه ، أو أولاده يحتاجون إليه ، فبقاؤه معهم أولى وأثوب.

### ثانيًا: لا يُضيّعون من يعولون ، بل يقومون بواجباتهم الأسرية .

يُربّون المشاركين معهم في الدعوة على أن العائل مؤتمن على مَن تحت يده ، ومن يُهمل واجبه لا يُؤجر على نوافله. ومن شروط الخروج لديهم: ألا يكون الشخص مسؤولًا عن أحد لا يُستغنى عنه. وقد شوهد مرارًا أن من أراد الخروج وأهله بحاجة ماسّة إليه رُدّ بلطف وقيل له: ابقَ عند أهلك ، فخدمتهم أسبق من الخروج.

والقاعدة المتداولة بينهم: الخروج لا يُسقط ما أوجبه الله ، لذا يُشدد دعاتهم على أن العائل مسؤول عن النفقة ، والرعاية ، وأن الخروج لا يكون سببًا في ضياع من يعول ، لا ماليًا ولا تربويًا. وقد يُستثنَى الفرد

من الخروج نهائيًا إذا كان لديه مسؤوليات لا يُستغنى عنه فيها ، بل يُقال له صراحة: أنت مأجور ببقائك ، وأنت في ميدان الدعوة من داخل بيتك .

**ثالثًا: لا يُهملون وظائفهم أو دراساتهم أو تجاراتهم .**

بل يوصون الشباب بأن لا يخرجوا في أوقات الدراسة إلا بإذن ، وأن يلتزموا بأداء الحقوق الوظيفية والتجارية أولًا. وكثير منهم يرتّب الخروج في الإجازات أو أوقات الفراغ ، وبعضهم يُخصّص أيامًا من عطلته السنوية لذلك. وعباراتهم شائعة في هذا: ديننا لا يأمرنا بتضييع المعاش . نُخرج أنفسنا لا نُخرج من عليه مسؤولية.

ومن العجب أن تُتهم جماعة التبليغ بأنها تُفرّط في المعاش ، بينما الواقع أن كثيرًا من أفرادها لا يخرجون إلا في العطل ، أو بعد ترتيب دقيق مع أصحاب الأعمال ، بل بعضهم يوفّر أيامًا مخصوصة في السنة لذلك الغرض. وقد أكّد علماؤهم مرارًا أن أداء الواجبات المهنية والأكاديمية مقدم على النوافل؛ فلا تَجوز الدعوة على حساب الوظائف التي يرتبط بها مصالح عباد. فالطالب يُنصح بأداء دراسته أولًا ، والتاجر بتأمين مصالحه ، ثم إن وُجِد فراغ رُتّب له الخروج بما لا يُخل. وهذا من تمام فقههم ، لا مما يُؤخذ عليهم.

**رابعًا: لا يدعون الناس إلى تضييع الأزواج أو الأولاد ، بل يحثونهم على رعايتهم .**

ففي خطابهم توجيه دائم بأن المسؤول عن بيت لا يجوز أن يخرج ويترك أهله بلا رعاية. ومن أشهر ما يتواصى به دعاتهم: صيانة الأسرة = دعوة عملية قائمة ، ومن ترك ذلك فهو مقصّر في الدعوة قبل أن يكون مقصّرًا في الحياة. وفي دروسهم المتكررة ، نصوص واضحة عن تقديم حق الزوجة ، وحسن معاملة الأبناء ، وضرورة التربية داخل البيت ، حتى إنهم يُذكّرون الناس دومًا بقول النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته». بل يُوصي الداعية أن يبدأ دعوته بأهل بيته ، حتى لا يكون داعية في الخارج مُقصّرًا في البيت. فهم لا يُعلّمون الناس كيف يُهملون أبناءهم ، بل كيف يُصلحونهم بالقدوة والصحبة والتذكير.

**خامسًا: ينظّمون حياتهم ترتيبًا حسنًا ، لا فوضى فيه ولا تهور .**

فلا ينطلق أحد معهم في الخروج حتى يُرتّب أوضاعه ، ويُخطط للغياب ، ويُراعي الأولويات. بل إنك تجد بعضهم يُوثّق المهام ، ويُرتّب من ينوب عنه ، بل ويستشير المربين قبل اتخاذ القرار. والخروج عندهم ليس عشوائيًا ، بل يُسبق غالبًا بمشورة ، وترتيب مالي وأسري ، وتنسيق مع من يقوم بالمهام أثناء الغياب. فلا تجد أحدهم يترك بيته دون إعداد ، بل هناك من يُبقي جداول للأسرة ، ومن يتفق مع الأقارب على الرعاية ، ومن يبرمج الخروج حسب إجازاته. بل حتى الخروج داخل البلد يُرتب بحسب التزامات الشخص. وهذا يعني أن دعوتهم مبنية على التنظيم والانضباط ، لا على الهروب أو الفوضى.

**خلاصة الموقف :**

الادعاء بأن أهل التبليغ يُخرّبون البيوت ويضيّعون الأرزاق ويهملون المسؤوليات ليس إلا ظُلمًا وافتراءً مبنيًا على جهلٍ أو على حالات فردية لا تمثّل المنهج .والواجب على من يدّعي ذلك أن ينظر بعين الإنصاف ، ويسأل من خالطهم ، ويقرأ في سيرهم ، لا أن يلوّن الواقع بأهوائه. فأهل التبليغ ، وإن احتاجوا إلى مزيد فقه وتسديد في مواضع ، إلا أنهم من أحرص الناس على حفظ الحقوق ، وأبعدهم عن الفوضى ، وأكثرهم وعظًا بحُسن ترتيب الحياة على نور من الله.

فأهل التبليغ – بخلاف ما يُشيعه البعض – لا يُربّون على الفوضى ، ولا يهدمون البيوت باسم الدعوة ، ولا يُخرجون الناس من وظائفهم ومسؤولياتهم بلا عقل. بل منهجهم – عند منصف مَن خالطهم – يدعو إلى: التدرج ، وضبط الأولويات ، وتقديم الحقوق الواجبة ، وتهيئة النفس قبل العمل.

وإن وُجد خطأ من فرد ، فهو يُصوّب ، ولا يُنسب للجماعة ، ولا تُنسف به مناهج مشهودة أثمرت خيرًا في الأرض.

## وقوله رحمه الله : ( كما لا يجوز لهم إنكار قراءة العقيدة والتوحيد )

هذا الموضع من جواب الشيخ ابن جبرين رحمه الله يتطلب تأملًا دقيقًا؛ لأنه جمع بين فقه التأصيل ، وحكمة الخطاب ، ومراعاة النفسية المتوترة التي جاء بها السائل.

فعندما قال الشيخ: كما لا يجوز لهم إنكار قراءة العقيدة والتوحيد فهو لا يُقرر واقعًا سمعه من الجماعة أو اطلع عليه ، لأنه – كما هو معلوم – كان على معرفة وثيقة بأهل التبليغ ، وخرج معهم ، وخالطهم ، وشهد مجالسهم ، ولم يكن يومًا من القائلين إنهم يُنكرون قراءة العقيدة. بل كان كثيرًا ما يُثني على ما عندهم من محبة للدين ورغبة في الإصلاح ، وإن كان يوجه بلطف إلى مزيد طلب العلم.

إذًا لماذا قال هذه العبارة؟ الظاهر – والله أعلم – أن لها دافعين متداخلين:

### أولًا: منع تحميل الجماعة قولًا لم يقولوه ؛ لكنه وضع حدًا لأي فهم خاطئ .

فالشيخ – بعلمه الواسع – يعلم أن بعض دعاتهم في بعض البيئات ربما يُكثرون من التحفيز العملي والتهذيب القلبي ، ويقلّ في خطابهم التنصيص على كتب التوحيد والعقيدة بمعناها الاصطلاحي. وهذا الأسلوب قد يُساء فهمه عند غيرهم ، فيُفسر بأنه إعراض أو إنكار.

فأراد الشيخ أن يسد هذا الباب ، ويؤصل منهجيًا في وسط الجواب أنه لا يجوز لأي داعية – من أي جماعة – أن يُنكر فضل علم العقيدة أو يمنع الناس من قراءته ، لا تقريرًا لتهمة ، بل دفعًا لاحتمال أو تحفظًا على مسارٍ محتمل ، لا واقعة قائمة.

### ثانيًا: مراعاة لحساسية السائل دون أن يُسايره في التشنيع .

فالسائل – كما رأينا في كامل رسالته – جاء محمّلًا بشحنة من الاتهام والتشويه ، ووصف الجماعة بأنهم يصدّون عن دروس التوحيد ، ويحذّرون منها ، بل ويربّون على غير العلم. فالشيخ أراد أن يُطمئن السائل ، ويمنع التوتر الفكري أو الاستعداء ، فقال بلغة عامة تأصيلية: لا يجوز لهم إنكار قراءة العقيدة والتوحيد.

أي: لو فعل أحدهم ذلك ، فليس لهم فيه حجة ، وهو مرفوض ، ولا يُقرّ.

فهو لم يقل: إنهم ينكرون . بل قال: لا يجوز لهم أن ينكروا . وهذه عبارة يُراد بها بيان الحكم الشرعي لا الإقرار بالواقعة.

وبهذا ، يكون الشيخ قد: أثبّت موقفه من الجماعة: أنهم على خير ، ويُجتهدون في إصلاح الناس. وفي ذات الوقت ، طمأن المتوجس أنه لا يتساهل في أمر العقيدة ، وأنه يُوجّه ويؤصل حيثما لزم التذكير. وفوّت على السائل فرصة دفع الشيخ إلى الخصومة أو الحكم القاطع ، وجرّه إلى معسكر الهجوم والتخويف.

فهذه العبارة مثال باهر على دقة العبارة الشرعية ، وحنكة العالم ، وحسن توازنه بين النصيحة والعدل. فالشيخ لم يساير التهمة ، ولم يُغضب السائل ، بل أدار الخطاب بميزان العالم الحصيف: ثبت الحق ، وأدّب الخصومة ، ووجّه الجميع نحو التوازن. إنه كلام من يحمل هم الدين لا هم التيار ، ومن يُخاطب بعين الشريعة لا بميول المواقف.

## موقف أهل التبليغ من كتب التوحيد والعقيدة :

من بيان الحق بلغة يسيرة وميزان عدل . نسرد مفهوما لعامة الناس ، يُبيّن واقع جماعة التبليغ تجاه كتب التوحيد والعقيدة ، ويصحّح المفاهيم المغلوطة التي تُتداول عنهم:

فكثيرًا ما يتساءل الناس عن موقف جماعة التبليغ من كتب التوحيد ، ويظن بعضهم – عن حسن نية أو بتأثير الإشاعات – أنهم يُعرضون عنها أو يُنكرونها. والحق أن هذا ظنٌّ لا يوافق واقعهم ولا يعكس حقيقة حالهم ، بل مبني على عدم معرفة أو على فهم مبتور.

إن جماعة التبليغ – في جوهر دعوتهم – يقومون على تحقيق التوحيد الذي أمر الله به الخلق ، وأوجبه على العباد ، وهو توحيد الله في العبادة والطاعة والمحبة والتوكل والدعاء والخوف والرجاء ، وكل ما يتعلق بإفراد الله سبحانه بالعبودية قلبًا وقالبًا .ولذلك فإن برنامجهم اليومي ، وخطابهم العملي ، وتوجيهاتهم المتكررة ، كلها تدور حول:

- تجديد الإيمان ،
- التذكير بأسماء الله وصفاته ،
- الدعوة إلى الإخلاص ،
- الحث على الإقلاع عن المعاصي ،
- تعليم الناس لا إله إلا الله قولًا وعملاً.

فهل هذا إلا توحيدًا عمليًا؟

ومع ذلك ، قد لا تجد عند بعضهم كثرة العناية بقراءة كتب العقيدة بصيغتها الاصطلاحية أو حفظ المتون ، كما يفعل طلاب العلم – لا إعراضًا عنها ، ولا إنكارًا لفضلها – ولكن لأن طريقتهم تميل إلى التربية القلبية والتذكير الإيماني ، لا إلى الجدل الكلامي أو التدريس المنهجي.

وقد كان كثير من الصحابة الكرام – وهم أعظم الناس توحيدًا – لا يملكون كتبًا محفوظة ، ولا متونًا مدروسة ، ومع ذلك كانوا أفقه الناس بمقام الله ، وأصدقهم عبادةً له ، وأشدهم توكلًا وخشيةً ومحبةً.

فالعبرة ليست فقط بمقدار ما يُقرأ ، بل بقدر ما يُطبّق ويُصدّق .وكم من إنسان قرأ كتاب التوحيد مرارًا ولم تؤثر فيه ، وآخرٌ لم يقرأه ولكنه أخلص لله ، وصدق في توكله ، وابتعد عن الرياء ، وحرص على العبادة ، فصار من أهل التوحيد حقًّا في الميزان العملي!

ومن الظلم أن يُقال: هؤلاء يجهلون التوحيد لأنهم لا يدرسون الكتب ، بينما واقعهم أنهم يقيمون صلاة الفجر جماعة ، ويربّون الناس على الذكر ، ويحثّونهم على الإخلاص ، وينهونهم عن الرياء ، ويعلمونهم صدق التوجه إلى الله ، أليس هذا هو التوحيد الحقيقي الذي بُعث به الأنبياء؟

نعم ، بعضهم قد يحتاج إلى معرفة مصطلحات العقيدة ، ومباحث الأسماء والصفات ، وشبهات الفرق ، وهذا يُكمل بالمطالعة أو التلقي ، لكن غياب ذلك لا يسقط عنهم صفة المؤمنين الموحدين ، ولا يجوز أن يُنسب إليهم الجهل المطلق.

فالإنصاف أن نقول :إن أهل التبليغ يطبّقون التوحيد بسلوكهم ، ويُربّون الناس عليه بأعمالهم ، ولو قصّر بعضهم في دراسة المتون ، كما أن في كل تيار من يحتاج إلى تسديد وتكميل. أما نفي التوحيد عنهم ، فهو تعسّف ، وظلم ، ومجازفة عظيمة في الدين.

### اصطلاحات العقيدة ليست ميزان قبول ورد :

هذه النقطة تمسُّ جانبًا دقيقًا من فقه الخطاب الدعوي ، ويمتدّ إلى فهم العلاقة بين المصطلحات الاصطلاحية عند أهل السنة ، وحاجة العامة إليها ، وهل يُعد التزام تلك المصطلحات شرطًا في الاتباع أو معيارًا في الانتماء.

### أولًا: أهمية المصطلحات عند علماء السلفية .

المصطلحات العقدية عند علماء السلفية - كـ التوحيد الألوهية ، الإرجاء ، التفويض ، التشبيه ، البدعة المفسقة وغيرها - لها دور كبير في ضبط المعاني الشرعية ، وتحرير المسائل العقدية بدقة.

هذه المصطلحات لم تُخترع عبثًا ، بل نشأت عبر مئات السنين لتفصيل العقيدة ورد الشبهات ، وهي ضرورية في التدريس ، والتحقيق العلمي ، والمجادلات العقدية.

ولذا نجد علماء السلف – كأحمد ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الوهاب – يستخدمونها في مقام التعليم والتبيين ، لا في مقام الحكم على عوام المسلمين.

**ثانيًا: هل يلزم العامة التكلم بهذه المصطلحات؟**

الأصل في الخطاب النبوي والخطاب القرآني أنه موجه للناس بما يفهمونه ، لا بما يُدخلهم في اصطلاحات الجدال والفرق.

فلا يجب على العامي أن يقول أنا أنفي التشبيه والإلحاد في الأسماء ، بل يكفي أن يعتقد أن الله لا يشبهه شيء ، ويؤمن بأسمائه وصفاته كما وردت.

وليس لازمًا أن يعرف الفروق الدقيقة بين الجهة و العندية في الصفات ، أو أن يقول الله على العرش استوى بلا كيف على جهة الاصطلاح ، ما دام يعتقد العلو ، ويُنَزّه ربه عن التشبيه.

قال الإمام الشاطبي: ليس شرطًا في الإسلام معرفةُ جميع المصطلحات ، بل مدار النجاة على التسليم والاتباع.

**ثالثًا: هل من لم يتكلم بهذه المصطلحات يُعد خارجًا عن السنة؟**

ليس كل من جهل مصطلحًا عقديًا يُوصَف بالابتداع أو يُخرج من دائرة السنة. بل يُنظر في اعتقاده ، وتوحيده ، وتعظيمه للنصوص ، وسلامة قلبه من الشبهات.وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – أشد الناس توحيدًا ، وأبعدهم عن الفلسفة والبدعة ، ومع ذلك لم يكونوا يستعملون هذه المصطلحات ، لأنها لم تكن قد نشأت بعد. فدلّ على أن سلامة المعتقد تكون بتصديق المعنى لا بترداد اللفظ.

### رابعًا: أثر المصطلحات على العامة — بين التعليم والتكليف .

إذا أُحسِن تقديمها بلغةٍ تربوية ، تُثمر فهمًا ، وتُبصّر القلب ، وتزيد المسلم وعيًا.

لكن إن طُرحت بلغة تجريحية أو تُستخدم سيفًا على الأعناق ، تحوّلت إلى أداة نفور ، وصار الخلاف في اللفظ سببًا للتشنيع على مسلمٍ موحّدٍ ربما لم يحسن التعبير.

قال ابن تيمية: إن المعاني التي دل عليها القرآن حق ، أما الألفاظ المُحدَثة فيُنظر في معانيها .

وخلاصة ما سبق أن مصطلحات العقيدة أدوات مهمة في البناء العلمي ، لكنها ليست غاية في ذاتها. فمن أحسن فهمها وأجاد استعمالها ، فبها ونعمت ، ومن لم يُطقها ولكن سلم قلبه وعقيدته ، فهو من أهل الإيمان والسنة. والعبرة بالمعتقد لا بالمفردات ، وبالمضمون لا بالشعار ، وبالنية لا باللغة.

### دعوة للبحث عن الحق دون تشهير أو تحزّب :

وقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: ومسائل الخلاف لأجل معرفة الراجح. عبارة موجزة ، لكنها تحمل توجيهًا منهجيًا بالغًا في التعامل مع الاختلافات العلمية ، ويُراد بها -كما هو ظاهر من سياق الجواب- ضبط الهدف من طلب العلم وهو فهم باب الخلاف لا توسيعه ، وتصحيح منهج التلقي لا تكثير مواضع الطعن.

### أولًا: فهم العبارة في سياقها .

الشيخ يلفت نظر القارئ إلى أن المقصود من دراسة مسائل الخلاف ، ليس هو التشقيق ، ولا التجريح ، ولا الانشغال بانتقاد كل مخالف ، بل هو تحصيل العلم ، وتحقيق الفقه ، وطلب الراجح بدليله ، مع حفظ قدر المخالف.

فلا يتخذ طالب العلم من الخلاف وسيلة للحكم على الآخرين ، أو حجة للخصومة ، أو بابًا للهدم ، وإنما وسيلة للترجيح والتبصر.

فالمقصود من الخلاف عند أهل العلم: الوصول للحق ، لا محاكمة الناس ، ولا استعداء الطوائف.

### ثانيًا: هل معرفة الراجح واجبة على كل أحد؟

هنا يُفرّق بين حالتين:

1. إن كان طالب علم يدرس مسألة معينة ، فيجب عليه – بقدر طاقته – أن يسعى لتحرّي الحق بدليله ، خاصة في مسائل الابتلاء العملي ، حتى يُعبد الله على بصيرة.

2. أما العوام أو المتعلمين في مراحل مبكرة ، فلا يُطالبون بمعرفة الراجح في كل جزئية ، بل يُطالبون بتقليد من يثقون بعلمه وأمانته ، ولا يُكلفون ما لا يُطيقون.

إذن ، معرفة الراجح واجب بحسب الطاقة والحال ، لا شرط يُلزم به كل مسلم في كل مسألة خلافية.

### ثالثًا: تنبيه مهم – لا يُفهم من العبارة موافقة للغلاة أو المداخلة .

بعض أهل الغلو – وخصوصًا من المداخلة والحدادية – يتوسّعون في إنكار مسائل الخلاف ، ويرون أن من لم يتكلم بلغتهم فهو مبتدع ، أو من لم يقل بقولهم في كل فرعٍ عقدي فهو ضال. ويُشهرون مسائل الخلاف فُرَقًا وتمييزًا وولاءً وبراءً.

أما الشيخ ابن جبرين – رحمه الله – فموقفه واضح لا ريب فيه فهو يرى الخلاف موجودًا في الأمة ، لكنه يُضبط بالأصول ، لا يُتخذ ذريعة للتبديع. ويرى أنه من حق طالب العلم أن يطلب الراجح ، لكن لا يجعل من كل مسألة خلاف ساحة إسقاط وتخوين. ولذلك نراه في مواضع كثيرة ينتقد الغلظة ، ويرفض حدّة الخصومة ، ويدعو إلى الدعوة بالحكمة والتدرج.

فكلامه في هذا الموضع لا يُؤخذ على أنه إقرار لنهج الغلاة ، بل هو شرح لمنهج السلف: طلب الراجح بدليله ، والتعامل مع الخلاف بأدبٍ وعلمٍ وإنصاف.

فعبارة الشيخ: مسائل الخلاف لأجل معرفة الراجح ليست دعوة للتقسيم ولا لإثارة العوام ، وإنما هي وصية علمية تهدف إلى ضبط الخلاف ، وتوجيه الطالب للبحث عن الحق دون تشهير أو تحزّب.

ولا يُؤخذ منها بحالٍ أن كل من لم يتكلم بمصطلحات معينة ، أو لم يرجّح مثل ترجيح فلان ، فهو خارج عن السنة ، فهذا مسلك طغى في زمن التبديع الجماعي ، والشيخ منه براء.

## من أهداف طلب العلم :

وقوله رحمه الله : ( وكذا تعلم الأحكام والحلال والحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين واللطف وعدم التنفير ، ) توضيح للسائل ، فهذه العبارة الموجزة من الشيخ ابن جبرين رحمه الله تحمل في طيّاتها فهمًا راقيًا للمنهج النبوي في الدعوة والتعليم ، وتُستفاد منها جملة من المعاني التربوية والمنهجية التي ينبغي لطالب العلم والداعية أن يتأملها ويستثمرها ، ومنها:

### 1. الربط بين العلم والعمل .

الشيخ رحمه الله لم يتوقف عند ضرورة تعلم الحلال والحرام ، بل قرن ذلك بالتطبيق العملي له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا يعكس فقهًا متوازنًا يرى أن العلم وسيلة للإصلاح العملي ، لا غاية للتكديس والتنظير.

**2. أهمية اللين واللطف في الدعوة والتعليم .**

حين قال: باللين واللطف وعدم التنفير ، أراد أن يؤكد أن العلم إذا اقترن بالغلظة ، صار سببًا للنفور لا للهداية ، وأن فقه الحلال والحرام لا يكفي ما لم يُقدَّم بأسلوب حكيم يشجع المتلقي ويحبّب له الاستقامة.

وهذا تمامًا على منهج النبي ﷺ الذي قال: «يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا» [البخاري ومسلم].

**3. العناية بالأصول لا بالمظاهر .**

العبارة تُبرز أن مراد الشيخ بالتعليم ليس إثبات الذات العلمية أو الانتصار في النقاشات ، بل تربية الناس على التقوى والإصلاح الذاتي بالأخلاق الحسنة. فالمسألة ليست فقط نُعلِّم ، بل نُزكّي ونُرشد برفق ورحمة .

**4. تحذير ضمني من الغلظة التي يتلبس بها بعض المنتسبين للعلم .**

الشيخ بذلك ينأى بنفسه عن مناهج التشدد والتنفير والغلظة في التوجيه ، ويوجه طلاب العلم إلى أن الدعوة ليست استعراض مسائل بل بناء قلوب .

وكأنه يرد بلطف على من ظن أن الشدة هي علامة على الغيرة ، أو أن القسوة أنفع للناس من اللين.

**5. الاعتراف بتعدد وسائل النفع .**

الشيخ يضيف تعلم الحلال والحرام ، و الأمر بالمعروف ، ثم يقيدها بالأسلوب ، مما يدل على أنه يرى أن الخير ليس في المعرفة فقط ، بل في كيفية تقديمها ، وأن الدعوة لا تُوزن فقط بالبيان ، بل بحال الداعي وأدبه.

المستفاد من تلك العبارة تُلزم الداعية بثلاثية عظيمة: علمٌ نافع – أسلوبٌ رحيم – مقصدٌ مصلح ، فمن جمع بينها ، فقد سلك هدي النبي ﷺ ، وكان من ورثة الأنبياء حقًّا.

## نصيحة الشيخ بن جبرين للسائل بعد كل محاولاته :

ففي هذه العبارة من الشيخ ابن جبرين رحمه الله: فعلِّموهم بذلك دون أن تُنَفِّروهم أو تُنَفِّروا عنهم تحمل منهجًا تربويًا عظيمًا ، ونصحًا صريحًا موجهًا لطائفة من طلاب العلم ، وخصوصًا من السلفيين الغيورين الذين قد يُنكِرون طريقة جماعة التبليغ بحدّة أو قسوة. إليك تفصيل ما يستفاد منها ، في سياق متصل متدرج:

### أولًا: الدعوة إلى التعليم لا إلى التبديع .

في قوله فعلّموهم بذلك ، إشارة واضحة إلى أن الشيخ لا ينكر أن بعض أفراد جماعة التبليغ قد يجهلون مسائل معينة من العقيدة أو الأحكام الفقهية ، لكنه بدل أن يُطالب بتصنيفهم أو تجهيلهم أو التشنيع عليهم ، دعا إلى توجيههم وتعليمهم برفق.

والشيخ هنا يُرسّخ منهج البناء لا الهدم ، والإصلاح لا الإقصاء ، والتكميل لا الإلغاء.

### ثانيًا: لا تُنَفِّروهم ولا تُنَفِّروا الناس عنهم .

فالشيخ رحمه الله يُنبّه بصراحة إلى خطرين متقابلين:

1. تنفير الدعاة أنفسهم: وذلك حين يُعاملون بجفاء ، وتُسلّط عليهم عبارات التبديع ، ويُتّهمون في نياتهم.

2. تنفير العامة منهم: حين يُشاع عنهم أنهم أصحاب بدع ، أو أن دعوة التبليغ ضالة ، فيُحرم الناس من الانتفاع بجهودهم.

وهنا يرسل الشيخ رسالة ضمنية مفادها: لا تُضيّعوا طاقات المصلحين بنقد منفّر ، ولا تُغلقوا أبواب الخير في وجه العامة من أجل اختلاف أسلوب.

## ثالثًا: الحكمة في الإنكار تبدأ من الرحمة لا القسوة .

حين يقول دون أن تُنَفِّروهم ، فإنه يُدرّب الطالب والداعية على فقه النصح الهادئ ، الذي يحترم المقصود ، ويقدّر الجهد ، ويرى في المخالف طالب خير يُسدَّد لا خصمًا يُحاصَر.

وهو بذلك يُخالف صراحة طريقة بعض المتشددين الذين لا يذكرون خيرًا لجماعة التبليغ ، ويرون أن إنكارهم لا يتم إلا بهدم صورتهم.

## رابعًا: تأصيل للتعاون لا للمواجهة .

كأن الشيخ يقول: هؤلاء قوم عندهم نفع ، وعندهم اجتهاد ، وعندهم رغبة في الهداية ، فإن وُجد فيهم تقصير ، فعلموهم ، ساندوهم ، سددوهم . لا أن تجعلوا من اختلاف الأسلوب سببًا للتباعد والعداوة.

وهذا امتداد لتقرير الشيخ في مواضع أخرى أنه يثني على ما في الجماعة من خير ، ويرى أن الخروج معهم على نية صالحة ينفع العامة ويُوقظ النفوس ، ولا يجوز التضييق على أهله ما دام الأصل محفوظًا.

## خامسًا: تربية لأهل العلم على فقه الموازنات .

فكم من خير ينكسر بسبب نقد متعجل ، وكم من داعية يفتر عزمه بسبب سوء إنكار. ولذلك فإن علموهم دون تنفير تعني: إياك أن تجعل من التعليم سلاحًا لإسقاط المخالف. وإياك أن تُحرم الناس من نفع قائم لمجرد اختلاف في الوسيلة. وإياك أن تظن أن الجفاء أدعى للتصحيح من اللطف.

فرحم الله الشيخ بن جبرين ، ما أعذب عبارته وما أوسع صدره. ففي هذه العبارة الموجزة ، يرسم رحمه الله خارطة تعامل راقية بين طلاب العلم والدعاة الميدانيين:

عِلّموهم ، وجِّهوهم ، ناقشوهم فيما خالف الحق . ولكن لا تُفرّطوا في آداب الدعوة ، ولا تنسفوا المقاصد الصالحة بسبب أسلوب مغاير ، ولا تُقصوا مَن أراد الإصلاح بلهجة التشهير.

**اتهامات باطلة ، ومحاولة رسم صورة معينة في ذهن الشيخ لاستخراج فتوى معينة وفهم الشيخ للحيلة ورده بما يكبت السائل :**

يؤكد الشيخ بن جبرين رحمه الله تعالى أن الخلاف بين الجماعات الإسلامية يجب أن يكون علميًا لا عدائيًا ، والدعوة إلى الله لا يجب أن تكون حكرًا على منهج واحد ولا على حركة واحدة ، فالإصلاح يجب أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع الحرص على جمع كلمة المسلمين وعدم إثارة الفرقة بينهم. والله أعلم.

فيُعد رد الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله على هذا السؤال نموذجًا نادرًا في العدل والاتزان العلمي والدعوي ، خاصة في مقابل سؤالٍ مشحون بالعاطفة والانحياز ، كما أوضحنا سابقًا. إليك تحليلًا دقيقًا لجوابه ، وبيانًا لمدى حكمته في التعامل مع هذا الطرح :

**أولًا: العدل في الثناء على الطرف الأول دون إدانة الطرف الآخر.**

الشيخ بدأ جوابه بتثمين جهود طلاب العلم الذين أقاموا الحلقات والدروس ، وأثنى عليهم ثناءً واضحًا ، لكنه لم يجعل هذا الثناء ذريعة للطعن في غيرهم ، بل فصل بين التقدير للطرف الأول ، والإنصاف للطرف الثاني.

وهذا يُظهر أن الشيخ لا يُلزم نفسه بثنائية مع أو ضد ، بل يُقيّم كل طرف بحسب عمله ، لا بحسب خصومه.

**ثانيًا: الاعتراف بفضل جماعة التبليغ في باب السلوك والتزكية.**

رغم أن السائل حاول تصوير جماعة التبليغ بصورة مشوهة ، فإن الشيخ قال عنهم: فلهم طريقتهم واجتهادهم ونظرهم .

ثم شرح كيف أن الخروج معهم يُعين العاصي على ترك اللهو ، ويُحببه في الطاعة ، ويُبعده عن جلساء السوء.

وهذا إقرار صريح بثمرة دعوية وسلوكية نافعة ، وهو ما تجاهله السائل تمامًا. بل إن الشيخ قال: نحن لا نعتب عليهم . ، أي أنه لا يُدين أصل طريقتهم ، بل يُقيّمها من باب الاجتهاد.

**ثالثًا: التنبيه على الأخطاء دون تهويل أو تبديع.**

الشيخ لم يُنكر وجود ملاحظات على جماعة التبليغ ، لكنه قال: لا يجوز لهم إضرار بأحد ، ولا اعتراض على غيرهم . ولا يجوز لهم إنكار قراءة العقيدة والتوحيد .

وهذا أسلوب نقد علمي هادئ ، لا يتضمن تبديعًا ولا إسقاطًا ، بل دعوة للتكامل والتصحيح ، مع الحفاظ على الأصل الدعوي.

**رابعًا: الدعوة إلى التوازن في التعامل مع المخالف.**

الشيخ ختم بقوله: فعلموهم بذلك دون أن تنفروهم أو تنفروا عنهم. وهذه عبارة ذهبية ، تُلخّص منهج أهل السنة في الدعوة والإصلاح: التعليم بالحكمة ، والنقد بالرفق ، والبعد عن التنفير.

**وخلاصة رد الشيخ ابن جبرين رحمه الله يُظهر:**

عدله في تقييم الأطراف ورفضه للانجرار خلف الأسئلة المتحيزة وحرصه على جمع الكلمة ، لا تمزيق الصف وفهمه العميق لفقه الدعوة ، وتقديره لاجتهادات المخالفين.

وهذا رد يُعلّمنا أن الحق لا يُعرف بالتحزّب ، بل بالعلم والإنصاف ، وأن الاختلاف لا يُسوّغ التشويه ، بل يُعالج بالحكمة والبيان.

**وقع رد الشيخ على السائل المتحيز لجهة معينة بعدما فشل في استخراج ما يريد من الشيخ:**

رد الشيخ ابن جبرين رحمه الله كان كالصخرة التي وقفت في وجه العاطفة المتحيزة ، والمِيزان الذي كسر كفتي الهوى والمبالغة. ومن خلال التحليل ، نستطيع أن نفهم وقع الرد على السائل من عدة زوايا:

**1. خيبة التوقع من السائل بعد جواب الشيخ:**

السائل دخل بالسؤال متسلّحًا بسرد عاطفي ، مُطعَّم باتهامات حادة ، ظنًّا أنه بذلك سيدفع الشيخ إلى إصدار فتوى حاسمة تُدين جماعة التبليغ. لكنه فوجئ بردٍ هادئ ومنصف ، يُقرّ فيه اجتهاد الجماعة ، ويُثني على آثارهم السلوكية ، دون أن يمنح السائل الحكم الذي رغب فيه. وهذا غالبًا ترك في نفس السائل أثر الخيبة والتراجع ، وربما عدم الرضا.

**2. كسر منحنى التصعيد والانفعال :**

السائل حاول تصعيد الموقف إلى معركة توحيد مقابل بدعة ، لكن الشيخ رفض الانجرار إلى هذا السيناريو المتوتر ، وبدلًا من ذلك ، حوّل الرد إلى مساحة من الإرشاد والتوفيق ، نافيًا التنافر بين تعليم التوحيد وأساليب جماعة التبليغ ، إذا خلت من المخالفات. هذا الرد أطفأ حرارة الخطاب المتشنج ، وفضح انفعاليته أمام رزانة العالم الربّاني.

### 3. نزع ورقة الاحتكار الدعوي :

السائل صوّر طلابه ودروسهم على أنها السبيل الوحيد الصحيح ، ومن سواهم فهو على خطر. لكن الشيخ أثبت أن الخير لا ينحصر في جماعة واحدة ، وأن لكلٍ طريقته التي إن اجتهد فيها مخلصًا وأصاب ، كان له أجران ، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد. وهذا أربك أسلوب نحن وحدنا على الحق الذي اعتمده السائل.

### 4. تصحيح البوصلة الدعوية للسائل نفسه :

الشيخ لم يُهادن السائل ، بل وجه له نصيحة ضمنية حين قال: فعلموهم بذلك دون أن تنفروهم أو تنفروا عنهم.

فهذا الخطاب يحمل في طياته تقويمًا خفيًا للسائل نفسه ، وكأنه يقول له: إن كنت فعلاً حريصًا على نشر العلم ، فاستعمل الرفق ، وابتعد عن الإقصاء والتنفير.

### 5. الارتقاء بمستوى الخطاب العلمي :

السائل جاء بخطاب شعبّي مشحون بالعاطفة والقَطع ، لكن الشيخ أجابه بخطاب علمي متّزن ، مؤصل ، مستحضر للنصوص ومقاصد الدعوة. ومن هنا ، شعر السائل حتمًا أن الشيخ لم يستجب لطريقة عرضه ، بل تجاوزه إلى مقام النصيحة والتسديد.

### أثر مراجعة الشيخ للتلميذ المخطىء بحكمة :

هنا يظهر لنا جليا أن رد الشيخ ابن جبرين رحمه الله أعاد الأمور إلى نصابها ، وأثبت أن الفتاوى لا تُنتزع بالمبالغات ، ولا تُصاغ على مقاس الأحكام الجاهزة. ومَن كان ينتظر إدانة ، تلقّى موعظة. ومن سعى لإسقاط فئة ، خرج بتزكية لمن أنكر فضلهم. لقد فشل السائل ، لا لأن الشيخ خالفه ، بل لأن الشيخ أنصف الجميع ، وقال كلمة الحق بلسان العدل.

### الفتوى التاسعة : فتوى عامة ، جماعة التبليغ في الميزان .

في كتاب دروس الشيخ بن جبرين تحت عنوان ( جماعة التبليغ في الميزان ) [190] ، ورد ( السؤال : ما رأى سماحتكم في الأعمال التي يقوم بها جماعة التبليغ والدعوة؟

الجواب : جماعة التبليغ في بلادنا أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالتبليغ وبالدعوة ، وقد نفع الله تعالى بهم ، ولو كان فيهم شيء من الخلل ، أما جماعة التبليغ في البلاد الأخرى كالهند والباكستان ونحوها فالغالب أن فيهم قبوريون ، وفيهم صوفية ، وأنهم يقومون ببعض الأعمال غير المشروعة ، ولهم أسرار وبيعات خفية ، فالذي يصحبهم من إخواننا الذين هم جماعة التبليغ في هذه البلاد الذين على عقيدة لا يخشى عليه ضرر ، إذا كانت عقيدته ومعرفته بالتوحيد راسخة ، وكذلك يعلم بالسنة وبمذهب أهل السنة ، فإن شاء الله لا يخشى عليه ضرر ، أما إذا صحبهم وهو جاهل من المبتدئين فإنه يخشى عليه أن تتدنس عقيدته بأعمالهم الخفية؛ لأنهم قد يؤثرون عليه لقلة علمه ، فيركزون بعقيدته تلك الأعمال أو نحوها.

---

[190] مجلد 11 صفحة 12

ونوصي من يصحبهم من أهل العقيدة والمعرفة أن يظهر معتقد أهل السنة ، وأن يدعوهم إلى الأعمال التي يعمل بها المسلمون في بلاد الإسلام ، ونوصيهم أيضاً بأن يحرصوا على إلزامهم بأن يقرءوا كتب أهل السنة ككتب التوحيد وكتب العقائد لأنهم لا يقرءونها ، وإنما يقرءون في كتب الوعظ والقصص وما أشبهها ، لا يقرءون في كتب العقيدة ، ولا في كتب التوحيد؛ وذلك لأنهم يرون أنها لا أهمية لها؛ مع أنها أشد أهمية من غيرها. ) انتهى

## التعقيب على الفتوى التاسعة :

إن الإصلاح في الإسلام يقوم على التوازن بين العلم والعمل ، ويجب أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على بصيرة شرعية صحيحة ، كما قال النبي ﷺ : بلغوا عني ولو آية [191]. ولذلك ، فإن أي جماعة دعوية يجب أن تعمل وفق الكتاب والسنة ، وتصحح الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون تعصب أو غلو ، وهذا الرد يُظهر منهج الشيخ ابن جبرين رحمه الله في التوازن والإنصاف. وكيف ساند الشيخ رحمه الله الدعوة وأهلها ، دون أن يغفل عن ضوابط الشرع

فالشيخ ابن جبرين رحمه الله ، في فتواه حول جماعة التبليغ ، قدّم نموذجًا نادرًا في الإنصاف والاعتدال. فقد ابتدأ بتقرير قاعدة شرعية عظيمة ، وهي أن الدعوة لا بد أن تقوم على بصيرة شرعية ، وأن الإصلاح لا يتم إلا بالتوازن بين العلم والعمل ، وهو ما يُعدّ تأصيلًا منهجيًا يضع كل جماعة دعوية أمام مسؤولية الالتزام بالوحيين ، دون غلو أو تفريط.

**فقوله رحمه الله (جماعة التبليغ في بلادنا أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالتبليغ وبالدعوة ، )**

[191] (البخاري)

إن الدعوة إلى الله هي من أشرف الأعمال التي يقوم بها المسلم ، وقد قال الله تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا [192] ، مما يدل على أن نشر الخير وهداية الناس هو أفضل ما يمكن أن ينشغل به المسلم في حياته. والنبي ﷺ كان يرسل الدعاة لنشر الإسلام بين الأمم المختلفة ، كما فعل عندما أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة قبل الهجرة لينشر الإسلام بين أهلها. وعندما قال رحمه الله : (جماعة التبليغ في بلادنا أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالتبليغ وبالدعوة) ، فقد أثبت لهم الفضل ، وأثنى على نيتهم وعملهم ، مما يدل على تقديره لجهودهم الدعوية ، وعدم تبديعهم أو الطعن في أصل منهجهم ، بل وصفهم بأنهم من أهل الخير ، وهي شهادة عظيمة من عالم جليل. ثم أتبع ذلك بـ :

**قوله رحمه الله (وقد نفع الله تعالى بهم)**

ليؤكد أن أثرهم ملموس ، وأن دعوتهم أثمرت في الواقع ، وهو ما يُعدّ **إقرارًا بثمرات دعوتهم** ، ودليلًا على أن الشيخ لا ينظر إلى الجماعات من زاوية نظرية مجردة ، بل يُقيّمها بميزان الأثر والواقع. فالتأثير الإيجابي للدعوة إلى الله يعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، فقد قال النبي ﷺ : لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم [193] ، ومعنى الحديث أن هداية شخص واحد إلى طريق الحق أعظم من كنوز الدنيا ، وهذا يؤكد أن كل جهد في سبيل الدعوة له أثر عظيم عند الله. وعندما :

**قال رحمه الله (ولو كان فيهم شيء من الخلل)**

---

[192] (فصلت : 33)

[193] (البخاري ومسلم)

فقد قرر قاعدة أهل السنة في التعامل مع الجماعات والأفراد ، وهي أخذ الخير وترك الخطأ ، دون أن يُلغي الفضل بسبب وجود النقص ، وهو منهج وسط بين الغلو في التزكية والغلو في التبديع ، لذلك اعلم بارك الله فيك أنه لا توجد جماعة بشرية معصومة من الخطأ ، فالكمال لله وحده. ومنهج أهل السنة والجماعة هو أن يؤخذ من كل جماعة الخير الموجود فيها ، مع تصحيح الأخطاء وفق ضوابط الشريعة. قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر (يقصد النبي ﷺ) ، مما يدل على أن أي جماعة أو فرد يمكن أن يقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح ، أما

**قوله رحمه الله (أما جماعة التبليغ في البلاد الأخرى كالهند والباكستان ونحوها فالغالب أن فيهم قبوريون ، وفيهم صوفية)**

فهو تمييز دقيق بين الواقع المحلي والواقع الخارجي ، ولم يُعمّم الحكم ، بل بيّن أن الخلل في بعض الفروع لا ينسحب على الأصل ، مما يدل على عدله وتحرّيه في إطلاق الأحكام. والالتزام بالعقيدة الصحيحة واجب على كل مسلم ، فالتوحيد هو الأساس الذي قام عليه الإسلام ، وقد قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ [194] ، مما يدل على أن الشرك من أعظم الذنوب التي يجب الحذر منها. لذلك ينبغي تصحيح أي مفاهيم عقدية خاطئة ، خاصةً تلك التي تتعلق بالغلو في الأولياء أو تعظيم القبور ، وقد قال النبي ﷺ : لا تجعلوا قبري عيدًا ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم [195] ، مما يدل على أن الإسلام يمنع التعلق بالقبور واتخاذها أماكن للعبادة.

**وفي قوله رحمه الله (وأنهم يقومون ببعض الأعمال غير المشروعة)**

---

194 (النساء : 48)
195 (أبو داود)

لم يُنكر وجود المخالفات ، لكنه لم يجعلها سببًا في إسقاط الجماعة ، بل أشار إلى ضرورة **تصحيحها وفق الضوابط الشرعية** ، وهو ما يعكس منهجه الإصلاحي لا الإقصائي. فأي عمل دعوي يجب أن يكون متوافقًا مع الكتاب والسنة ، وقد قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد [196] ، مما يدل على أن أي ممارسة دعوية تخالف الشرع يجب تصحيحها. وهذا يشمل العبادات التي ليس لها أصل في الدين ، أو التصرفات التي تتنافى مع المقاصد الشرعية للدعوة.

**ثم قال رحمه الله : (ولهم أسرار وبيعات خفية .) ،**

لكنه استدرك مباشرة بأن من يصحبهم من أهل العقيدة الراسخة لا يُخشى عليه ، مما يدل على ثقته في قدرة طالب العلم على التمييز ، وعدم تهويله للأخطاء بما يؤدي إلى القطيعة أو التحذير المطلق.

**ففي قوله رحمه الله (ولهم أسرار وبيعات خفية ، فالذي يصحبهم من إخواننا الذين هم جماعة التبليغ في هذه البلاد الذين على عقيدة لا يخشى عليه ضرر)**

يظهر منهجه التربوي في بناء الحصانة الذاتية ، لا في العزلة عن الواقع ، وهو توجيه عملي لطالب العلم أن يكون فاعلًا في الإصلاح لا معتزلًا. والإسلام يحث على الوضوح والشفافية في الأمور الدعوية ، وأي صورة من صور التنظيمات السرية تحتاج إلى تقييم شرعي. قال النبي ﷺ : إنما الأعمال بالنيات [197] ، مما يدل على أن أي عمل يجب أن يكون واضحًا في أهدافه ومقاصده ، ولا ينبغي أن يكون فيه غموض يثير الشكوك.

---

196 (مسلم)

197 (البخاري ومسلم)

من كان على بصيرة في دينه ، فإنه قادر على التمييز بين الصواب والخطأ ، وقد قال الله تعالى : فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [198] ، مما يدل على أن التشبث بالحق يقي الإنسان من الوقوع في الضلال.

**وأما قوله رحمه الله (أما إذا صحبهم وهو جاهل من المبتدئين فإنه يخشى عليه أن تتدنس عقيدته بأعمالهم الخفية؛ لأنهم قد يؤثرون عليه لقلة علمه ، فيركزون بعقيدته تلك الأعمال أو نحوها.)**

فهو تحذير من الصحبة غير المنضبطة ، لا من الجماعة ذاتها ، مما يدل على أن الإشكال في الجهل لا في الجماعة ، وهو تفريق دقيق بين السبب والمسبب الجهل بالدين هو أكبر أسباب الانحراف العقدي ، وقد قال النبي ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين [199] ، مما يدل على أن طلب العلم هو الحصن الأول ضد أي انحراف فكري أو عقدي.

**وفي قوله رحمه الله (ونوصي من يصحبهم من أهل العقيدة والمعرفة أن يظهر معتقد أهل السنة ، وأن يدعوهم إلى الأعمال التي يعمل بها المسلمون في بلاد الإسلام)**

دعوة إلى الاندماج الإيجابي ، لا الانعزال ، وإلى الإصلاح من الداخل ، لا الهدم من الخارج ، وهو منهج أهل الحكمة في الدعوة. تصحيح المفاهيم ونشر العقيدة الصحيحة واجب على كل مسلم ، وقد قال الله تعالى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [200] ، مما يدل على أن التعاون يجب أن يكون على أساس العلم الصحيح ، وليس على العادات الاجتماعية غير المستندة إلى الشرع.

---

[198] (الزخرف : 43)
[199] (البخاري ومسلم)
[200] (المائدة : 2)

**وقوله رحمه الله (ونوصيهم أيضاً بأن يحرصوا على إلزامهم بأن يقرءوا كتب أهل السنة ككتب التوحيد وكتب العقائد ، )**

مما يدل على حرصه على البناء العلمي ، لا مجرد النقد ، فهو يُشخّص الخلل ويوجه إلى العلاج ، دون أن يُسقط الجماعة أو يُحذّر منها بإطلاق. فالتعليم هو أساس تصحيح الأخطاء العقدية ، وقد قال النبي ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم [201] . وينبغي على الدعاة أن يركزوا على نشر العقيدة الصحيحة وكتب التوحيد ، لأنها العمود الفقري للإسلام السليم.

**وقوله رحمه الله (لأنهم لا يقرءونها)**

هو بيان لواقع يحتاج إلى تصحيح ، لا طعن في النوايا ، وهو ما يُظهر عدله في النقد ، وحرصه على إيصال الخير لا على التشهير. فالابتعاد عن كتب العقيدة الصحيحة يؤدي إلى ضعف الفهم الديني ، ولذلك يجب الحرص على نشر كتب العقيدة والتوحيد بين طلاب العلم ، لأن العقيدة الصحيحة هي أساس العمل الإسلامي الصحيح.

**وقوله رحمه الله (وإنما يقرءون في كتب الوعظ والقصص وما أشبهها)**

يُشير إلى أهمية الجمع بين الوعظ والعقيدة ، دون أن يُنكر فضل الوعظ ، بل يُطالب بالتوازن ، وهو لبّ منهجه الوسطي. والكتب الوعظية مفيدة لكنها لا تغني عن التعليم العقدي الصحيح ، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله : الوعظ بلا علم قد يثير العاطفة لكنه لا يبني عقيدة صحيحة ، بل لا بد من الجمع بين الوعظ والتعليم ، مما يدل على أن التركيز على كتب العقيدة يجب أن يكون أساسيًا بجانب كتب الوعظ.

---

[201] (ابن ماجه)

وفي المجمل ، فتوى الشيخ ابن جبرين رحمه الله تمثل أنموذجًا في الاعتدال والإنصاف ، حيث جمع بين الاعتراف بالفضل ، والتنبيه على الخلل ، والدعوة إلى الإصلاح ، دون غلو في التبديع أو تساهل في التجاوزات. وهذا هو المنهج الذي تحتاجه الأمة في زمن كثرت فيه الأحكام الجائرة والانفعالات غير المنضبطة.

## مفاد الفتوى والدروس المستفادة :

وفي تلك الفتوى بيّن الشيخ ابن جبرين رحمه الله بهذه العبارات البليغة موقفًا بالغ الحكمة والإنصاف تجاه جماعة التبليغ ، فجاء كلامه متوازنًا ، مُنصفًا ، جامعًا بين التثمين والإرشاد ، والتنبيه على الخلل دون تعميم أو تجريح. في منظومة دعوية متكاملة:

### أولًا: الاعتراف بالفضل لا يعني التغاضي عن الخطأ .

عندما وصف الشيخ رحمه الله جماعة التبليغ بأنهم أناس من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالدعوة ، كان يُقدّر إخلاصهم في نشر الإسلام ، وحرصهم على الهداية والتزكية. وهذا ميزان علمي دقيق: فمن اجتهد في الدعوة وله أثر يُشكر عليه ، فلا يُلغى فضله بسبب خلل موجود أو مخالفة اجتهادية. مبينا الاعتراف بالفضل لأهل الدعوة:

- وصف جماعة التبليغ في بلاد الحرمين بأنهم من أهل الخير ، يحبون الخير ، ويقومون بالدعوة .
- أقرّ بأن دعوتهم وسيلة فعالة في هداية العُصاة وإبعادهم عن اللهو والمعصية.
- اعتبر أن أثرهم العملي في إصلاح السلوك ثمرة إيجابية لا تُنكر.

وهذا من منهج السلف في الحكم على الجماعات والأفراد: لا يُعطى الثناء الكامل ولا يُسحب الجهد كله بسبب خطأ ، بل يُشكر ما وافق السنة ، ويُصحح ما خالفها.

### ثانيًا: الحذر من أخطاء الدعوة لا يعني القطيعة .

حين أشار إلى أن زعم وجود صوفية وقبوريين وأعمال غير مشروعة وبيعات سرية . لم يكن ذلك طعنًا في أصل الجماعة ، بل تنبيهًا على بعض الانحرافات المنهجية والعملية ، وهي أمور يجب أن تُقوّم إن كان لها وجود ، لا أن تكون سببًا في إلغاء خير الجماعة الثابت المتفق عليه كله أو تخوين أفرادها ، خصوصًا في البلاد التي يختلط فيها الجهل بالموروث. وبين بأن التنبيه على الأخطاء لابد أن يكون بلا إسقاط كالتالي :

- أشار إلى وجود بعض الملاحظات مثل: التصوف ، الغلو في القبور ، والبيعات السرية.
- شدّد على أن هذا لا يُلغي الخير ، بل يحتاج إلى تصحيح وإصلاح بالحكمة.
- بيّن أن الخلل لا يُسقط الجماعة بالكامل ، فـ كل يؤخذ من قوله ويُرد إلا رسول الله ﷺ.

### ثالثًا: التفريق بين العالم بالحكم الشرعي وغيره في الصحبة .

بيانه رحمه الله بأن من كان راسخًا في العقيدة فلا يُخشى عليه ، أما الجاهل فقد تتأثر عقيدته يدل على فقه دقيق بأثر البيئة في المبتدئ ، وأن الواجب هو تحصين الأفراد بالعلم لا عزلهم عن ساحة الدعوة ، وهذا يجسد فقه النبي ﷺ حين أرسل العلماء للدعوة ، ولم يُرسل حديثي العهد بها. وفي هذا فقه بالتفريق بين العالم والمبتدئ:

- فمن كان راسخًا في العقيدة والتوحيد ، فلا يُخشى عليه إن خرج معهم.
- وأما المبتدئ الجاهل ، فقد يتأثر بعقائد خاطئة ، لذا يجب تحصينه بالعلم قبل المصاحبة.

## رابعًا: الإصلاح من الداخل أولى من الهجر

حين أوصى من يصحبهم بأن يظهر معتقد أهل السنة ويدعوهم إلى كتب العقيدة . ، كان يؤسس لمنهج الإصلاح بالحكمة والمخالطة لا بالمقاطعة أو الاتهام. فالهدف أن يُنتقل الخير إلى الجماعة ، لا أن يُنزوي أهل الحق عنها ، خاصة في بيئات يندر فيها الدعاة أو التعليم الشرعي المنضبط. فمن باب أن الدعوة تكون إلى الإصلاح لا الانسحاب أوصى أهل السنة الذين يصحبونهم :

- ببيان العقيدة الصحيحة.
- وتصحيح المفاهيم من الداخل.
- ونشر كتب أهل السنة والتوحيد.

وهذا يُجسد منهج الإصلاح بالمخالطة ، لا بالمقاطعة أو التشنيع.

## خامسًا: الوعظ لا يكفي لبناء العقيدة .

فكلامه رحمه الله عن اعتمادهم على الكتب الوعظية والقصصية هو تشخيص لضعف البنية العقدية ، لا ذمّ للوعظ ذاته. بل هو يُنبه إلى أن البناء الإيماني لا يكتمل بالموعظة فقط ، بل لا بد من التأصيل العلمي والتوحيدي والمنهجي ، وهو ما دعا إليه بقوله ألزموهم بكتب أهل السنة والتوحيد . . ولأن التعليم العقدي أولًا:

- نبّه إلى أن اعتمادهم على كتب القصص والوعظ فقط لا يكفي.
- دعاهم إلى الالتزام بكتب التوحيد والعقيدة ، لتكوين الوعي الديني الراسخ.
- أكّد أن التعليم هو الحصن الأول ضد الانحراف الفكري والعقدي.

**وأما الرسالة الكلية من كلام الشيخ بن جبرين رحمه الله في هذه الفتوى :**

سيرا على منهج العدل الذي يجمع بين الوفاء للحق ، والرحمة بالخلق ، وهو ما نفتقده في كثير من الطروحات المتشنجة التي لا ترى إلا الأبيض أو الأسود ، وضح لنا الشيخ ابن جبرين رحمه الله في قوله : إن جماعة التبليغ في بلادنا فيها خير وحرص على الهداية ، لكن فيها ما يحتاج إلى تصحيح ، ولا يُتعامل معهم بالعنف أو التبديع ، بل بالإصلاح والتوجيه ، ومن جمع العلم والرفق فلن يضره ما خالفه ، بل يكون سببًا لهداية غيره. وفيه أن :

- الشيخ رحمه الله جمع بين العدل والرحمة ، النصيحة والاعتراف بالفضل.
- لم يُجامل في الخطأ ، ولم يُجحف في التقييم.
- قدّم نموذجًا في الميزان الشرعي في الحكم على الجماعات الدعوية.

فرحم الله الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين رحمةً واسعة ، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء. لقد كان مثالًا حيًا على العالم الرباني الذي يؤصّل بالعلم ، ويحكم بالعدل ، وينصح بالرفق ، وينأى بنفسه عن التعصب والانتصار للهوى. رفع الله درجته في المهديين ، وحشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين ، وجعل علمه صدقة جارية ، ونفعنا وإياك بمنهجه وهديه.

ولقد تميز منهجه ، رحمه الله ، بأنه منهج الإنصاف لا الانتصاف ، والعدل لا الهوى ، والدعوة لا الخصومة. كان واسع الأفق ، سليم المقصد ، يزن الأشخاص والجماعات بميزان الشرع لا بميزان الانتماء ، فكان في زمن الغلو صوتَ تعقُّل ، وفي زمن التنفير رائدَ تقريب.

لقد كانت كلماته ميزانًا ، وصمته كان حكمة ، ومواقفه كانت مصابيح هدى في ليل الفتن. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا. فلله درّه ما أفقهه ، وما أرحمه ، وما أحرصه على جمع القلوب على الحق.

## اللقاء الأخير للشيخ بن جبرين رحمه الله قبل وفاته :

لطالما كان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله، عَلَمًا من أعلام الفقه والعلم في المملكة العربية السعودية، يتمتع ببعد نظر فريد وحكمة بالغة في تقييم الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة. لم يكن موقفه جامدًا أو متحيزًا، بل اتسم بالمرونة والإنصاف، ساعيًا دائمًا إلى تحقيق المصلحة الشرعية وجمع الكلمة على الحق.

وعلى الرغم من الملاحظات التي قد تُوجه لبعض الحركات، إلا أن الشيخ ابن جبرين كان ينظر إلى الصورة الأكبر، مقدرًا الجهود الدعوية المخلصة ومثمنًا الآثار الطيبة في هداية الناس، مع توجيه النصح والإرشاد بروح الأبوة والعلم.

لم يقتصر اهتمامه على جماعة التبليغ فحسب، التي أثنى على جهودها الدعوية وأيَّدها مستندًا إلى تزكيات كبار العلماء، بل امتد ليشمل فهمه وتقييمه لمختلف الحركات الإسلامية، معتمدًا في ذلك على بصيرته الشرعية العميقة وقدرته على التمييز بين الأصول والفروع، وبين المنهج العام والأخطاء الفردية. إن استعراض موقفه يعكس منهجًا علميًا متوازنًا، يجمع بين الاعتراف بالفضل وتوجيه النصح، وهو ما يجعله نموذجًا يُحتذى به في التعاطي مع قضايا الدعوة المعاصرة.

يتسم موقف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله تجاه جماعة التبليغ بالتعاطف والإشادة بجهودهم الدعوية، مع توجيه بعض الملاحظات والنصائح، وقد تجلى ذلك في عدد من فتاواه ولقاءاته، بما في ذلك ما نُقل عنه قبيل وفاته.

وأما عن الموقف الأخير للشيخ ابن جبرين رحمه الله من جماعة التبليغ فقد سجل قبل وفاته بأشهر قليلة فكان الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله من العلماء الذين نظروا إلى جماعة التبليغ بعين التقدير لما تقوم

به من جهود في الدعوة إلى الله، وقد أثنى عليهم في العديد من المواضع. ويمكن تلخيص موقفه وتصريحاته، لا سيما ما نُقل عنه في أواخر حياته، في النقاط التالية:

1. الثناء على جهودهم الدعوية:

فقد كان الشيخ ابن جبرين رحمه الله يرى أن جماعة التبليغ تقوم بعمل عظيم في الدعوة إلى الله، وأنهم من الدعاة إلى الله الذين يخرجون لنشر دين الله ويدعون الناس إلى الصلاة والعبادة والأخلاق الحسنة. وقد أشار إلى أن أول خروجهم كان من الهند وباكستان، وأنهم قاموا بجهود كبيرة في هداية الكثيرين من المنحرفين وتوبة العصاة.

2. ذكره لتأييد اجتهادات كبار العلماء:

أكد الشيخ ابن جبرين أنه سمع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يزكي أهل الدعوة المعروفين بجماعة التبليغ، وأن الشيخ ابن باز له فيهم عدة كتابات ورسائل قد تزيد على عشرين رسالة . وذكر أن الشيخ ابن باز اعتمد في تزكيته لهم على ما لهم من الآثار الحسنة في هداية الكثير من المنحرفين . وأشار كذلك إلى أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كان قد زكاهم أيضًا. كما ذكر أن الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله كان له نفس الرأي. وهذا يؤكد أن موقف الشيخ ابن جبرين لم يكن معزولًا، بل كان منسجمًا مع رأي كبار علماء المملكة العربية السعودية آنذاك.

3. تفرقة الشيخ رحمه الله بين المنهج العام وبعض الملاحظات الفردية:

أوضح الشيخ ابن جبرين أن الانتقادات التي توجه أحيانًا لجماعة التبليغ كانت بسبب بعض المتصوفة الذين يغلون في الأولياء ويعبدون الأموات ويفعلون الكثير من البدع، وأن هذه الانتقادات لا تنطبق على جماعة التبليغ ككل، بل على بعض الأفراد أو الممارسات التي قد تشوبهم نتيجة للبيئة التي نشأوا فيها، لا سيما في

الهند وباكستان حيث تنتشر بعض البدع والخرافات. وهذا يدل على أن الشيخ كان يميز بين المنهج العام للجماعة وما قد يطرأ عليه من شوائب أو أخطاء فردية.

4. نصيحة الشيخ رحمه الله للمنتمين للجماعة والتعامل مع المخالفين:

لقد كان الشيخ ينصح من يخرج مع جماعة التبليغ بأن يواصل طلب العلم، وأن يدرس العقيدة والفقه ومصطلح الحديث وأصول الفقه، وذلك لتعزيز معرفتهم الشرعية. كما نصحهم بمناقشة المخالفين والمعارضين لهم بالتي هي أحسن وبيان الحق لهم، وعدم الجفاء أو الخصومة. وهذا يعكس منهجه في التعامل بالحكمة واللين في الدعوة.

5. ملاحظات الشيخ على بعض الجوانب:

ومن ضمن ما أُشير إليه في بعض الفتاوى المنسوبة للشيخ ابن جبرين، أن الجماعة قد عيب عليها عدم التعرض للمعاصي بأعيانها فلا ينكرون على من يدخن أو يشرب المسكر أو يتعاطى شيئًا من المعاصي بحجة أن هذا تنفير، ولهم اجتهادهم . وهذا يدل على أن الشيخ كان على اطلاع على بعض الملاحظات التي توجه إليهم، لكنه لم ير فيها ما يخرجهم عن دائرة أهل الخير والدعوة.

6. الموقف من النذر بالخروج معهم:

وفي إحدى الفتاوى، سُئل الشيخ عن شخص نذر أن يخرج مع جماعة التبليغ إن تزوج فلانة، وقد تزوجها ثم علم أن الخروج معهم بدعة. فرد الشيخ بأن النذر في طاعة الله فيه الوفاء، وما كان في معصية الله فليس فيه وفاء ويكفره ما يكفر اليمين، وهذا يدل على أنه لم ير الخروج معهم معصية تستوجب الكفارة عن النذر.

وختاما فإن لقاءات وفتاوى الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله، لا سيما تلك التي صدرت قبيل وفاته، تعكس موقفًا متوازنًا تجاه جماعة التبليغ. لقد أثنى على جهودهم الدعوية وأقر بمنافعها الكبيرة في هداية

الناس، مع إقراره بأن بعض الانتقادات الموجهة إليهم قد تكون ناتجة عن بعض الممارسات الفردية أو التصوف الذي قد يكون موجودًا في بيئاتهم الأصلية، وليس عن منهج الجماعة الأساسي. وكان يرى أن الخروج معهم لا حرج فيه، بل فيه خير كثير، مع التوصية بطلب العلم والتحلي بالحكمة في الدعوة.

## فصل في ذكر بعض الاعتراضات حَوْلَ مَوْقِفِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالشَّيْخِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

كثيرة هي التهم والشبهات ، ومن تلك الشبهات قول البعض : تكلم فيهم شيوخ السنة محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين وقولهم : تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم عن قوله فى جماعة التبليغ وقولهم : جهل الشيخ بن باز بحال جماعة التبليغ وقولهم : تراجع الشيخين بن إبراهيم وبن باز عن فتواهما بتزكية جماعة التبليغ وقولهم : بطانة الشيخ بن باز كانوا يخدعونه وقولهم : تراجع الشيخ باز عن تزكيته لهم قبل وفاته بعامين وقول بعضهم : الشيخ بن باز متذبذب ، مرة يقول بدعة ومرة يقول سنة ! مرة يقول اخرجوا معهم ومرة يقول لا تخرجوا معهم إلى آخر ما يقال عن الشيخين رحمهما الله .

فمن التهم التى يتهمنا بها خصومنا قولهم وهى من أكبر الكذبات التى يكذبها السلفييون المعاصرون : مدحهم الشيخ بن إبراهيم حينما لم يكن يعرف حالهم فلما تبين له حالهم حذر منهم ، والشيخ بن باز متذبذب ، تارة يقول هم من أهل السنة وتارة يقول ليسوا من أهل السنة ، الشيخ بن باز لم يعرف حالهم ، الشيخ بن باز خفي عليه قول شيخه محمد بن إبراهيم ، بطانة الشيخ بن باز من الكتبة كانوا يخدعونه ليستخرجوا منه إجابات لصالح التبليغيين ، الشيخ بن باز تراجع عن قوله فيهم قبل موته ، الشيخ بن عثيمين كان يتهمهم بالجهل ولا ينصح بالخروج معهم [202]

وقولهم : تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم عن قوله فى جماعة التبليغ

---

[202] من كلام الأخ أشرف مختار فى شريط له مع بعض طلبة العلم فى إحدى جلساته الخاصة بحضور الأخ على أبو المجد الأزهري ، وأشرف وعلي وكل الحضور ليس منهم واحدا رأي الشيخ محمد بن إبراهيم ولا أحد منهم رأي الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ! وإنما هي تخرصات يتخرصون بها من غير دليل ولا برهان .

وقولهم : كثير ما تفتخر جماعة التبليغ الهندية بفتوى سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله والتي بتأريخ 1407/8/17هـ ولم يكن عنده معرفة بما عليه جماعة التبليغ والدعوة فأثنى عليها . ولما تبين له حذر منها فى آخر فتوى لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في التحذير من جماعة التبليغ في عام 1418هـ

وقولهم : تراجع الشيخين محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعبد العزيز بن باز عن فتواهما بتزكية جماعة التبليغ

إلى آخر تلك الأكاذيب التى ينشرونها حول المشايخ الثلاثة محاولين تصوير أن المشايخ الثلاثة لم يكونوا يمدحون التبليغ أبدا وأن مدحهم كان عن غير قصد أو عن غير علم بهم ودراية بحالهم أو انهم كانوا يمدحون بعض طلبتهم فقط أو أن التبليغيين كانوا يتظاهرون بالسنة أمام المشايخ ليستخرجوا منهم الفتاوى أو أن المشايخ تراجعوا عن ذلك المدح وأن آراءهم المستقرة هى قدحهم والتحذير منهم ، وهذا كله مخالف لحقيقة الأمر ، فقد تواترت النقول بما لا تدع مجالا للشك أبدا عن طلبة المشايخ الثلاثة أنهم كانوا يمدحون عمل التبليغ ويباركونه مع النصح لهم فى بعض الأمور ، وسوف نرد هنا بإذن الله على تلك الأقاويل ونفندها ونبين كذبها إن شاء الله تعالى .

## الرد على قول البعض عن أهل التبليغ : تكلم فيهم شيوخ السنة محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين

تتردد أحيانًا تلك المقولة ومفادها أن شيوخ السنة محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين تكلموا في جماعة التبليغ ، في محاولة لتقديم صورة مغلوطة عن موقف هؤلاء الأعلام من هذه الجماعة الدعوية. ولكن الحقيقة، كما تبين من خلال ما سبق من نقاش وتوضيح، هي على خلاف ذلك تمامًا.

وقد أوضحنا بجلاء أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز، رحمهما الله، كانا على موقف مؤيد ومُشجع لدعوة التبليغ. لم يتكلما فيهما بسوء، بل كان رأيهما مبنيًا على دعم جهودهم في الدعوة إلى الله، والإفتاء بالتعاون معهم. هذا التأييد كان صريحًا، وقد أكده تلميذهما البار الشيخ عبد الله بن جبرين، رحمه الله، الذي بيّن كيف أن الشيخ ابن باز رفض بشدة تقريظ كتاب القول البليغ الذي كان يهدف إلى تشويه صورة جماعة التبليغ.

أما الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، فإن موقفه كان يمثل نظرة فاحصة ومنصفة. لم يكن كلامه في جماعة التبليغ من باب التبديع أو التحريم المطلق، بل كان يوجه نصائح وتنبيهات محددة تتعلق ببعض الجوانب التي قد تحتاج إلى تصحيح أو تكامل، مثل أهمية طلب العلم الشرعي بعمق وعدم الاقتصار على البلاغ، أو التحذير من بعض الأخطاء العقدية التي قد توجد لدى بعض الأفراد في بيئات معينة، خاصة في بلاد العجم. هذه التنبيهات كانت من قبيل النصح والإرشاد لتجويد العمل الدعوي، لا هدمه أو إسقاطه.

وبناءً عليه، فإن الادعاء بأن هؤلاء الشيوخ قد تكلموا في جماعة التبليغ بمعنى الذم المطلق أو التحريم الشامل هو افتراء لا أساس له من الصحة. فمواقفهم كانت تتراوح بين التأييد الواضح والنصح الهادف، وكلها تصب في صالح العمل الدعوي وخدمة الإسلام والمسلمين.

## الرد على قولهم : تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم عن قوله فى جماعة التبليغ

وما يتناقل البعض من مزاعم بأن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رحمه الله، قد تراجع عن موقفه السابق المؤيد لجماعة التبليغ. فدعني أؤكد لك، وبكل وضوح، أن هذا الادعاء لا يمت للحقيقة بصلة، ويتعارض تمامًا مع ما بيّنته في ثنايا هذا البحث.

ولقد أوضحت لك بما لا يدع مجالًا للشك أن الشيخ ابن إبراهيم لم يكن مجرد مُطلع على عمل التبليغ، بل كان يمدحهم ويوجه بالتعاون معهم. هذا الموقف لم يكن رأيًا عابرًا أو فتوى عابرة، وإنما كان يمثل قناعة راسخة لديه بأهمية جهودهم الدعوية، وضرورة تكاتف المسلمين لنشر الخير.

والأكثر من ذلك، فقد نقلتُ لك شهادة تلميذه المقرب الشيخ بن باز رحمه الله ،وكذا الشيخ عبد الله بن جبرين، رحمه الله، الذي أكد بلسانه أن موقف الشيخ ابن إبراهيم لم يتغير حتى وفاته. فالشيخ ابن جبرين كان خير شاهد على ثبات هذا الموقف، وكيف أنه لم يطرأ عليه أي تراجع يُذكر.

ثم إن من يدعي تراجع الشيخ محمد بن إبراهيم عن موقفه، فعليه أن يأتينا بالدليل الصريح والبرهان القاطع. فالفتاوى والمواقف العلمية لكبار المشايخ لا تُبنَى على مجرد الظنون والأوهام، ولا تتغير هكذا دون سبب أو توثيق.

والخلاصة أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ لم يتراجع عن موقفه المؤيد لجماعة التبليغ. وهذا الزعم لا يعدو كونه محاولة غير موفقة لتشويه الحقائق وتضليل الرأي العام حول مواقف علمائنا الأجلاء.

### الرد على قولهم: جهل الشيخ بن باز بحال جماعة التبليغ

إن الادعاء بأن الشيخ بن باز قد جهل حال التبليغ قول باطل ومردود عليه جملة وتفصيلاً، ويتنافى تمامًا مع ما عُرف عن الشيخ من سعة علم، ودقة تحرٍ، وورع عظيم. فالشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، لم يكن عالمًا عاديًا، بل كان إمامًا مجتهدًا، ومفتيًا للمملكة العربية السعودية، وقاضيًا، ومربيًا. حياته كلها كانت وقفًا على العلم والتحقيق والفتوى، وكان منهجه قائمًا على التثبت والرجوع إلى الأدلة قبل إصدار الأحكام. وإليك الأسباب التي تُبطل هذا الزعم:

### 1. مكانة الشيخ العلمية والمنهجية:

فالشيخ ابن باز رحمه الله كان من **أبرز علماء عصره**، بل من أكابر أئمة المسلمين في العصر الحديث. وكان مطلعًا على أحوال العالم الإسلامي، وله مراسلات ولقاءات مع الدعاة والعلماء من شتى بقاع الأرض. فكيف يُعقل أن يُنسب إليه الجهل بحال جماعة دعوية عالمية تنتشر في أنحاء واسعة من العالم الإسلامي، وكان لها وجود في بلاده؟ هذا يتناقض مع مكانته العلمية ومسؤولياته الإفتائية والدعوية.

### 2. منهجه في التثبت والتحري:

وقد عُرف عن الشيخ ابن باز، رحمه الله، **دقة التحري والتثبت قبل إصدار أي فتوى أو حكم**. فلم يكن ليُفتي في أمر دون دراسة وافية، وسؤال لأهل الاختصاص، وتقصٍ لأحوال من يتكلم فيهم. فمن غير المنطقي أن يُقال إنه أيد جماعة أو تعامل معها وهو جاهل بحالها. فهذا اتهام مبطن للشيخ بالتهور أو عدم الدقيق، وهو ما لا يليق بمثله من العلماء الربانيين.

### 3. طول مدة المتابعة والاطلاع:

ولقد كانت جماعة التبليغ موجودة ونشطة في حياة الشيخ ابن باز رحمه الله لعقود طويلة. وقد صدرت منه فتاوى وتوجيهات بخصوصها في أوقات مختلفة. وهذا يدل على أن موقفه لم يكن مبنيًا على معرفة عابرة أو سطحية، بل على **متابعة واطلاع مستمرين** لحالها وأعمالها.

### 4. شهادة تلامذته والمقربين:

وأقرب الناس للشيخ، وتلامذته البارزون، وعلى رأسهم **الشيخ عبد الله بن جبرين** كما ذكرنا، شهدوا على أن الشيخ ابن باز كان **مؤيدًا وداعمًا لجماعة التبليغ**. وقد أكد الشيخ ابن جبرين أن الشيخ ابن باز كان يفتي

بذلك حتى وفاته ولم يتراجع. وهذه الشهادات من أقرب الناس إليه وأعلمهم بمنهجه تدحض أي زعم بالجهل أو التراجع.

### 5. واقع الحال يؤكد علمه لا جهله:

إن مواقف الشيخ ابن باز التي تضمنت النصح والتوجيه للجماعة في بعض النقاط، مع إقراره لأصل عملهم، تدل على أنه كان **على دراية كافية** بمحاسنهم وما قد يؤخذ عليهم. فالعالم لا ينصح ويُوجه إلا إذا كان عالمًا بما ينصح ويوجه فيه. ولو كان جاهلاً بحالهم، لما صدرت منه أي توجيهات محددة.

فالزعم بـ جهل الشيخ ابن باز بحال جماعة التبليغ ليس إلا **محاولة يائسة لتسويغ مخالفة رأي عالم جليل**، أو لتبرير مواقف متشددة لا تستند إلى دليل قوي. وهو اتهام غير مباشر في علم الشيخ وتحريه، وهو ما لا نقبله ولا يرتضيه أحد من أهل العلم والإنصاف.

### الرد على قولهم: بطانة الشيخ بن باز كانوا يخدعونه

إن الزعم بأن بطانة الشيخ ابن باز كانوا يخدعونه قول باطل وتجنٍّ عظيم على مقام الشيخ الجليل، وعلى حاشيته وتلامذته المقربين. وهذا الادعاء لا ينم إلا عن جهل بمنزلة الشيخ العلمية والفقهية، ودقة منهجه في التثبت والتحري، كما أنه يحمل في طياته إساءة بالغة الظن ببطانته التي كانت من خيرة أهل العلم والفضل. ولا يصمد هذا الزعم أمام التدقيق:

### 1. مكانة الشيخ ابن باز وذكائه وفطنته:

لم يكن الشيخ ابن باز شخصية عادية يمكن خداعها بسهولة. فلقد كان إمامًا ربانيًا، يتمتع بذكاء وفطنة حادين، على الرغم من فقده لبصره. فكانت له بصيرة نافذة، وقدرة عجيبة على استيعاب المعلومات وتحليلها وتمحيصها. وكان يستقبل آلاف الاستفسارات يوميًا، ويتعامل مع كبار وصغار العلماء والمسؤولين والناس العاديين من شتى الخلفيات والثقافات. فهل يُعقل أن يكون عالم بهذه المكانة وبهذه الفطنة عرضة للخداع من بطانته في قضايا أساسية كتقييم جماعة دعوية عالمية؟ هذا يتنافى مع أبسط قواعد المنطق.

### 2. بطانة الشيخ: من خيرة أهل العلم والفضل:

ولم تكن تتكون بطانة الشيخ ابن باز من أناس عاديين، بل كانت من كبار طلبة العلم ومن أهل العلم والورع والتقوى. وكانوا من المشهود لهم بالصدق والأمانة، والحرص على الحق. ومنهم من أصبحوا بعده من كبار العلماء والمفتين. فكيف يُتصور أن هؤلاء الأجلاء، الذين يُفترض أنهم حملة أمانة العلم ونصح الأمة، يتعمدون خداع شيخهم، بل إمامهم؟ هذا اتهام لهم بسوء النية، وهو ما لا يليق بهم.

### 3. منهج الشيخ في التثبت والتحري:

لقد كان الشيخ ابن بازرحمه الله ، كما ذكرت لك مرارًا، شديد التحري والتثبت قبل إصدار أي حكم أو فتوى. فلم يكن يعتمد على مصدر واحد للمعلومة، بل كان يستقبل التقارير، ويستمع للشهادات، ويستشير أهل العلم، ويسأل عن الأحوال بنفسه. فلو كانت بطانته تحاول خداعه، لكانت هذه المحاولة ستُكشف بسرعة بفضل منهج الشيخ في التثبت والرجوع إلى مصادر متعددة للمعلومات.

### 4. الفتاوى والمواقف العلنية:

وكانت مواقف الشيخ وفتاواه بخصوص جماعة التبليغ علنية ومسجلة ومعروفة. فلم تكن سرية أو مقتصرة على دائرة ضيقة. ولو كان هناك خداع، لظهر التناقض بين ما يصله من معلومات وما يفتي به علنًا. هذا يدل على أن ما صدر عنه كان عن قناعة تامة مبنية على اطلاع ومعرفة.

### 5. الهدف من هذا الزعم:

يهدف من يطلق هذا الزعم في غالب الأحيان إلى تبرير موقف معين لا يتفق مع رأي الشيخ ابن باز الواضح في بعض القضايا. فبدلاً من مناقشة الأدلة الشرعية أو الاختلاف في الاجتهاد بإنصاف، يلجأون إلى هذا الاتهام الباطل للشيخ أو بطانته، في محاولة لنزع الثقة عن فتواه، وإسقاط مكانته، دون وجه حق.

وخلاصة الرد أن القول بـ خداع بطانة الشيخ ابن باز له هو ادعاء مرفوض ولا أساس له من الصحة. إنه يُعد طعنًا في أمانة بطانته، وتشكيكًا في فطنة الشيخ وورعه، وهو ما يجب أن نرفضه رفضًا قاطعًا، وأن نُبقي على الصورة المشرقة لعلماء الأمة الذين كانوا أمانة وصدقًا في علمهم ونصحهم.

## الرد على قولهم: تراجع الشيخ باز عن تزكيته لهم قبل وفاته بعامين

تُعد مقولة تراجع الشيخ ابن باز عن تزكيته لهم قبل وفاته بعامين من الشبهات المتداولة التي تُثار حول موقف الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، من جماعة التبليغ. وهذه الشبهة لا أساس لها من الصحة، وتتنافى مع الحقائق الثابتة والشهادات الموثقة لأقرب الناس إليه وأعلمهم بفتواه، بالإضافة إلى منهجه الراسخ في العلم والفتوى. وقد بيناها بالتفصيل سابقا ، وإليك مختصر الأسباب التي تُبطل هذا الزعم وتُظهر زيفه:

### 1. شهادة الشيخ ابن جبرين الحاسمة:

لقد أوضحتُ لك سابقًا شهادة الشيخ عبد الله بن جبرين، رحمه الله، وهو من كبار تلامذة الشيخ ابن باز والمقربين منه. فقد أكد الشيخ ابن جبرين صراحة، في لقاء مسجل قبل وفاته بسنتين، أن الشيخ ابن باز لم يتراجع عن فتواه في تأييد ودعم جماعة التبليغ حتى وفاته. هذه الشهادة من عالم جليل، عاصر الشيخ ابن باز ولزمه طويلًا، هي حجة قاطعة تدحض أي ادعاء بالتراجع.

### 2. غياب الدليل الموثق على التراجع:

إن مواقف العلماء الكبار وفتاواهم، خاصة في القضايا الدعوية، تُوثق وتُسجل. فلو كان هناك تراجع حقيقي من الشيخ ابن باز، لظهرت فتوى مكتوبة أو مسجلة صريحة تُبين هذا التراجع، أو شهادة واضحة من جهة موثوقة. ولكننا لا نجد أي دليل موثق على هذا التراجع المزعوم. وكل ما يُثار في هذا الشأن مجرد أقوال مرسلة، لا تصمد أمام التدقيق العلمي.

### 3. ثبات منهج الشيخ ابن باز:

كان الشيخ ابن باز، رحمه الله معروفًا بثباته على المنهج السلفي الأصيل، القائم على الأدلة الشرعية والاجتهاد الرصين. فلم يكن يتردد في بيان الحق، ولم يكن ليغير رأيه في قضية كبرى دون أسباب شرعية واضحة وموثقة. وزعم التراجع قبل وفاته بعامين، دون أي دليل، محاولة للطعن في ثباته العلمي أو في منهجه في الفتوى.

### 4. محاولات تبرير المخالفة:

يأتي هذا الزعم بالتراجع في كثير من الأحيان من قبل أولئك الذين يخالفون رأي الشيخ ابن باز في مسألة جماعة التبليغ، ويرغبون في إيجاد مبرر لعدم اتباع فتواه. فيُخترع هذا الادعاء بالتراجع ليتخلصوا من الحرج الناتج عن مخالفة رأي إمام كبير بحجم الشيخ ابن باز، بدلاً من مناقشة المسألة بأدلتها أو التسليم باجتهاد العلماء.

فالقول بتراجع الشيخ ابن باز عن تزكيته لجماعة التبليغ قبل وفاته بعامين هو شبهة باطلة لا تستند إلى دليل. إن موقف الشيخ من جماعة التبليغ كان ثابتًا ومعلومًا بالتأييد والدعم، والنصيحة والتوجيه، وهذا هو ما شهد به الأقربون إليه والأعلمون بحاله.

### الرد على قولهم: الشيخ بن باز متذبذب

إن القول بأن الشيخ ابن باز رحمه الله متذبذب، مرة يقول بدعة ومرة يقول سنة! مرة يقول اخرجوا معهم ومرة يقول لا تخرجوا معهم هو افتراء صريح لا يليق بمكانة الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، الذي عُرف عنه من بين جميع علماء زمانه بأنه أكثرهم تثبتًا وتحريًا ودقة في الفتوى. فكيف يُعقل أن يُنسب هذا التذبذب والاضطراب إلى عَلَمٍ من أعلام الأمة، وإمامٍ في العلم والورع؟ هذا الادعاء لا ينم إلا عن سوء فهم، أو جهل بمنهج الشيخ، أو قصد لتشويه صورته.

### 1. الثبات على المنهج لا التذبذب في الفتوى .

لقد كان الشيخ ابن باز رحمه الله، ثابتًا على المنهج السلفي الأصيل الذي يدعو إلى اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. وهذا الثبات لا يعني الجمود، بل يعني التمسك بالأصول مع فقه الواقع والنظر في المآلات. ففتاواه كانت مبنية على:

- منهج التحري الدقيق : فلم يكن يُفتي إلا بعد الاطلاع الواسع، وجمع المعلومات من مصادرها الموثوقة، وسؤال أهل الخبرة.
- مبدأ الإنصاف والعدل: لقد كان يتعامل الشيخ مع جميع الجماعات الدعوية بمنطق الإنصاف، يُقرّ المحاسن وينبه على المآخذ، دون غلو أو إفراط في المدح أو الذم.
- طريقة التفصيل والتوضيح: فلم يكن يُطلق الأحكام المطلقة، بل يُفصّل ويوضح، وهذا ما يُفهم خطأً على أنه تذبذب . فالقول: اخرجوا معهم بشروط يختلف عن لا تخرجوا معهم مطلقًا . هذا ليس تذبذبًا، بل هو فقه وعلم وحكمة.

### 2. الفروقات الدقيقة في فتاوى الشيخ تمثل الفهم الدقيق والإجابة على حسب السؤال .

إن ما قد يظنه البعض تذبذبًا في فتاوى الشيخ، هو في حقيقته تفصيل دقيق يراعي اختلاف الأحوال والأشخاص والبيئات. ففتاواه بخصوص جماعة التبليغ كانت تفرق بين:

- الأصل والفرع: فلقد كان الشيخ يقرّ أصل عمل جماعة التبليغ في الدعوة إلى الله والتركيز على العبادات والأخلاق، وهو أمر مطلوب.
- مراعاة الحال والأشخاص والسائلين : لقد كان الشيخ يميز بين حال التبليغ في بلاد الحرمين أو الدول العربية التي غالبًا ما يكون أفرادها على عقيدة صحيحة، وبين حالهم في بعض بلاد العجم التي

قد يختلط فيها بعض الأفراد بالصوفية أو القبورية. لذا، قد يوصي بالخروج معهم لمن لديه بصيرة وعلم، ويُحذر من الخروج معهم لبعض الجهلة خشية التأثر بالانحرافات. هذا ليس تذبذبًا في الرأي، بل تطبيق للعلم على اختلاف أحوال الناس والواقع.

- النصح للسائل والتوجيه: عندما يذكر الشيخ بعض المآخذ على الجماعة (مثل عدم اهتمام البعض بالتعمق في طلب العلم الشرعي أو عدم التصدي للشركيات علنًا)، فهذا من باب النصح والتوجيه وتقويم المسيرة، وليس من باب التحريم أو التبديع المطلق. العالم لا يُطلق الحكم بالجملة، بل يوضح وينُبه.

### 3. شهادة أقرب الناس إليه خير ضابط للتأويلات المغلوطة .

شهادة تلامذة الشيخ المقربين، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن جبرين، رحمه الله، هي خير دليل على ثبات موقف الشيخ. فقد أكد الشيخ ابن جبرين أن الشيخ ابن باز لم يتراجع عن فتواه في تأييد جماعة التبليغ حتى وفاته. هذه الشهادة تأتي لتُسقط أي تأويلات مغلوطة أو مزاعم بالتذبذب.

### 4. كرامة العلم والإنصاف:

إن اتهام عالم بحجم الشيخ ابن باز بـ التذبذب هو انتقاص من قدره العلمي ومنهجه الدقيق. حيث إنه يسيء الظن به، وبمكانته كمرجعية إفتائية. فالعالم الحق لا يُغير فتاواه بالهوى، بل بالدليل أو بتغير حال المفتى به. وما جاء من فتاوى الشيخ ابن باز كان متسقًا مع أصوله ومعرفته بواقع الجماعة.

وباختصار، فإن الشيخ ابن باز رحمه الله لم يكن متذبذبًا في فتاواه، بل كان فقيهًا مدققًا، وحكيمًا في توجيهاته. وما يبدو للبعض تذبذبًا، هو في حقيقته فقه التفصيل واختلاف الأحوال الذي لا يدركه إلا من عَمُق فهمه للمنهج العلمي الشرعي، والذي كان الشيخ إمامًا فيه.

**الرد على مزاعم بدر بن طامي العتيبي في تراجع الشيخ بن باز رحمه الله عن قوله في جهد التبليغ :**

وكالعادة فإن لبدر بن طامي العتيبي كلاما في التبليغ وهو تكرار لمسلسل التبديع الذي لا ينتهي ونقل عن بعض إخوانه المشنعين ومشايخه المجرحين ، ونحن هنا نرد عليه وقد رددنا على نفس الكلام في مواضع أخرى في معرض الرد على غيره ! ولكن كلما أكثروا في الكلام وكرروه لن نفتأ عن الإكثار من الردود وسنكررها ! لا جرم ، وإن عدتم عدنا .

**نص كلام بدر بن طامي :**

قال بدر : ( صادف دخولي بعض المجالس كلمة للشيخ نظام اليعقوبي في قناة البحرين ! ، وبين يديه كتاب عنوانه ( جماعة التبليغ ! ) ولم أدرك منه إلا ثلاث دقائق تقريباً ، قرأ فيها كلاماً لشيخنا ابن باز رحمه الله تعالى يثني فيه على جماعة التبليغ وينسب الثناء عليهم فيه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ، فأقول :

أما كلام شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى في ثنائه على فرقة التبليغ بادئ الأمر ، وكذا شيخه الإمام محمد بن إبراهيم فهو ثابت عنهما بلا شك ، ولكنه من قديم قولهما واستقر مذهب الشيخين على إبطال مذهب فرقة التبليغ ، والتحذير منه.

أما شيخ مشايخنا الإمام محمد بن إبراهيم : فقد كتب في مجموع فتاويه (267268/1 ) رسالة هذا نصّها : ( من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقّر ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد تلقيت خطاب سموكم رقم (5/4/36 د ) في : (1382/1/21هـ ) ، وما برفقة وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظّم من محمد عبدالحامد القادري ، وشاه أحمد نوراني ، وعبدالسلام القادري ، وسعود أحمد الدهلوي ، حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم ، التي سمّوها : ( كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية ) ، وكذلك الكتيبات المرفوعة ضمن

رسالتهم ، وأعرض لسموكم أن هذه الجمعية لا خير فيها ، فإنها جمعية بدعة وضلالة ، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك ، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه ، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها ، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، والسلام عليكم ورحمة الله ( ص م 405 ، في : 1382/1/29هـ ).

والفتوى القديمة كانت بتاريخ : 1373/5/19هـ ، ولهذا لم ينشرها الشيخ محمد ابن قاسم في مجموع الفتاوى ولشيخنا حمود التويجري كلاماً حسناً في نقض هذا الاحتجاج في كتابه الماتع القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ فليراجع.

أما شيخنا الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى : فقد أثنى عليه بادئ الأمر مع التحذير مما عندهم من أخطاء حتى استقرت فتاوى الشيخ من بعد عام 1407 تقريباً على ذمهم والتحذير منهم ، فقد أجاب وأنا أسمع بمسجد في الطائف عام 1419هـ عن سؤال هذا نصّه : ( نسمع يا سماحة الشيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة ، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة ، أرجو توجيهي ونصحي ، وأعظم الله مثوبتكم ).

فقال شيخنا : كل من دعا إلى الله فهو مبلغ : ( بلّغوا عنّي ولو آية ) ، لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات ، عندهم بعض البدع و الشركيات ، فلا يجوز الخروج معهم ، إلاّ إنسان عنده علم يخرج لينكر عليهم ويعلمهم ، أمّا إذا خرج يتابعهم ، لا ، لأن عندهم خرافات وعندهم غلط ، عندهم نقص في العلم ، لكن إذا كان جماعة تبليغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير ، وتعليمهم ، حتى يتركوا المذهب الباطل ، ويعتنقوا مذهب أهل السنة . )انتهى.

والكلام موثق بالصوت في شريط بعنوان : القول البليغ في ذم جماعة التبليغ.

ونشرت مجلة الدعوة في عددها 1437 ، وتاريخ : 3 / 11 / 1414 هـ : فتوى لشيخنا يقول السائل فيها : ( خرجت مع جماعة التبليغ للهند والباكستان ، وكنّا نجتمع ونصلّي في مساجد يوجد بها قبور ، وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد به قبر باطلة ، فما رأيكم في صلاتي ، وهل أعيدها ؟ ، وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن ؟ ).

فأجاب رحمه الله : بسم الله والحمد لله : جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة ، فلا يجوز الخروج معهم إلاّ لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير ، لأنهم نشيطون في عملهم ، لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة ، رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه ، وأمّا الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح ، والواجب عليك إعادة ما صليت فيها ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) متفق على صحته ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ( ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنّي أنهاكم عن ذلك ) أخرجه مسلم في صحيحه ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، انتهى.

وقال الشيخ في بعض مجالسه : إن ما نشر في مجلة الدعوة يعتبر ناسخاً لكل ما قلته في جماعة التبليغ .

وسئل شيخنا رحمه الله بمجموعة أسئلة موجهة لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ، برقم (17776) وتاريخ : 1416/3/18هـ ، ومن هذه الأسئلة سؤال هذا نصّه : ( قرأت لسماحتكم عدّة فتاوى وتحثون عليها طلاّب العلم للخروج مع جماعة التبليغ ، والحمد لله خرجنا معهم واستفدنا الكثير ، ولكن يا

شيخي الفاضل رأيت بعض الأعمال لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل : (1) التحلّق في المسجد كل شخصين أو أكثر ، فيتذاكرون العشر السور الأخيرة من القران والمواظبة ، على هذا العمل بهذه الطريقة في كل مرة نخرج فيها ، (2) والاعتكاف يوم الخميس بصفة مستمرة ، (3) تحديد أيام للخروج وهي ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً كل سنة وأربعة أشهر في العمر ، (4) والدعاء الجماعي المستمر بعد كل بيان.

فكيف يا شيخي الفاضل إذا خرجت مع هذه الجماعة ، أتعامل مع هذه الأعمال والأفعال التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علماً يا شيخي الفاضل أنه من الصعب تغيير هذا المنهج وهذه هي طريقتهم فرجوا التوضيح ).

فأجابوا جزاهم الله خيراً : ما ذكرته من أعمال هذه الجماعة كلّه بدعة فلا تجوز مشاركتهم حتى يلتزموا بمنهج الكتاب والسنة ويتركوا البدع.

انتهت الفتوى بتوقيع : ( شيخنا ابن باز ، وشيخنا صالح الفوزان ، وشيخنا عبدالعزيز آل الشيخ ، والشيخ بكر أبو زيد ).

ولشيخنا فتاوى ومقالات أخر اكتفيت بما تقدم لتأخر التاريخ عن كلّ فتوى أو مقالة فيها الثناء على هذه الفرقة.

وثبت عندي أن الشيخ ابن باز رحمه الله أوصى الشيخ القائم على جمع فتاويه ومقالاته بأن يخرج أي فتوى فيها الثناء على هذه الفرقة.

فعلى هذا آمل أن تصل هذه الأسطر للشيخ نظام اليعقوبي وأن لا يغتر هو أو كاتب الكتاب بما يتناقله التبليغيون إلى اليوم من هذه الفتاوى القديمة ليغرروا بها الناس ، والله المستعان.

فائدة : سئل شيخنا العلامة الفقيه عبدالرزاق عفيفي رحمه الله تعالى عن هذه الفرقة فقال : ( الواقع أنهم مبتدعة محرفون وأصحاب طريق قادرية وغيرها ، وخروجهم ليس في سبيل الله ، ولكنه في سبيل إلياس ، وهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلادش !! ، أمّا الخروج بقصد الدعوة إلى الله ، أو الخروج في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم وهم المبتدعون في أي مكان كانوا هم ، في مصر وإسرائيل وأمريكا والسعودية وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس ).

[ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ( 174/1) ] . ) انتهي

## الرد المفصل علي كلام بدر بن طامي :

وهنا لابد من الرد بالتفصيل على كلام بدر بن طامي لأنه يغطي حقائق جدير أن يعلمها الناس ، وليس كل من اعتلى منبرا جدير بأن يسمع له وليس كل من سود وريقات يقرأ له ، ولا نزعم أننا أهل للكتابة ولكننا نرد عن أنفسنا الشبهات والأكاذيب وهذا حق مكفول للعلماء والعامة من باب لصاحب الحق مقالا !

## الرد على رمي التبليغ بأنها فرقة نارية :

ومن سخيف القول أن نرد على ترهات متهور يرمي ملايين من المسلمين فيهم من هم أعلم منه وأتقى وأخوف لله وأكثر جهدا لنشر دينه وأغير على محارمه من فئة من أمثاله ، فقال المتهور : ( أما كلام شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى في ثنائه على فرقة التبليغ بادئ الأمر ، . – إلى أن قال مذهب فرقة التبليغ.) وهذا تأكيد منه على معنى أن التبليغ فرقة نارية داخلة في حديث رسول الله ( كلها في النار ) وكثير ما يصرحون بمثل هذه التصريحات دون خوف من الله . فنعوذ بالله تعالى من أقوالهم .

## بين بن قاسم وبن باز ! أيهما أصدق واعلم بابن إبراهيم ؟

وأما قول بدر : (ولهذا لم ينشرها الشيخ محمد ابن قاسم في مجموع الفتاوى ) فنقول أيهما أعلم بمذهب الإمام محمد بن إبراهيم ؟! الشيخ بن باز أم محمد بن قاسم ؟!

وقد ثبت بالدليل الواضح أن الشيخ بن باز أثني على عمل التبليغ كثيرا ونصح بمعاونتهم ونقل عن شيخه محمد بن إبراهيم أنه كان يفعل ذلك ومات عليه ولم ينقل مرة واحدة أنه تراجع عن قوله ولم ينوه مرة واحدة أن لشيخه بن إبراهيم قولين في تلك الحركة الدعوية ! فأيهما أصدق ؟!

ثم إن الشيخ بن جبرين رحمه الله نقل ذلك أيضا عن الشيخ محمد بن إبراهيم وأثبت أنه مات على ذلك ونفى نفيا صريحا أن يكون الشيخ محمد بن إبراهيم أو الشيخ بن باز تراجع عن قوله في منهج التبليغ وحركتهم الدعوية ! بل إنه أثبت أن الشيخ بن باز رحمه الله لم يكن راضيا على كتابة حمود التويجري كتابا عن التبليغ واعترض عليه وقال إن حمودا لم ينشر الكتاب إلا بعد وفاة شيخه بن باز لأنه كان ضده في هذا الأمر ! فأيهما أصدق في ذلك محمد بن قاسم أم بن باز وبن جبرين ؟!

## ما ثبت عندك ولا دليل عليه ! فهو غير ثابت :

وأما قولك يا بدر : (وقال الشيخ في بعض مجالسه : إن ما نشر في مجلة الدعوة يعتبر ناسخاً لكل ما قلته في جماعة التبليغ . ) (وثبت عندي أن الشيخ ابن باز رحمه الله أوصى الشيخ القائم على جمع فتاويه ومقالاته بأن يخرج أي فتوى فيها الثناء على هذه الفرقة . ) فقول غير ثابت ولا دليل عليه ، ونقلك غير مأمون لأنه لم يتابعك عليه جماعة تثبت القول عن الشيخ حتى إن الشيخ بن جبرين وهو بلا شك أعلم منك وأرسخ في العلم وأتقى أبت قبل وفاته بأشهر قليلة بالصوت والصورة أن الشيخ بن باز مات وهو ينافح ويدعم أهل التبليغ ! فأيكما نصدق يا بدر ؟ أنت أم الشيخ بن جبرين ؟! لا شك أن شهادتك هذه مردودة .

## الرد على تفصيلات فتوى اللجنة المزعومة :

وأما نقلك عن لجنة الفتوى السعودية فتوى مقتضبة جدا عليها إمضاء الشيخ بن باز وغيره جاء فيها < : ( التحلّق في المسجد كل شخصين أو أكثر ، فيتذاكرون العشر السور الأخيرة من القران والمواظبة ، على هذا العمل بهذه الطريقة في كل مرة نخرج فيها ، (2) والاعتكاف يوم الخميس بصفة مستمرة ، (3) تحديد أيام للخروج وهي ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً كل سنة وأربعة أشهر في العمر ، (4) والدعاء الجماعي المستمر بعد كل بيان.

فكيف يا شيخي الفاضل إذا خرجت مع هذه الجماعة ، أتعامل مع هذه الأعمال والأفعال التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علماً يا شيخي الفاضل أنه من الصعب تغيير هذا المنهج وهذه هي طريقتهم فنرجوا التوضيح ).

فأجابوا جزاهم الله خيراً : ما ذكرته من أعمال هذه الجماعة كلّه بدعة فلا تجوز مشاركتهم حتى يلتزموا بمنهج الكتاب والسنة ويتركوا البدع. انتهي

ففيها إجمال كبير ومعلوم أن لجنة الفتوى هذه ليس واحدا منها معصوما في فتواه ولا هم معصومون باجتماعهم هذا معا ، ولو كان معهم أضعاف عددهم من أمثالهم فليسوا معصومين أيضا إذ اجتماعهم ليس إجماعا للأمة لا يجوز معه مخالفة ! وما أراهم أحسنوا حينما أجملوا الجواب بهذه الطريقة ! والاعتراض عليهم ليس بدعا من القول ولا خروجا من الإسلام ولا إسقاطا لقاماتهم – فافهم بارك الله فيك ، وغالب هذه الأجوبة لا تخرج عن أمرين أحدهما أن تكون في اجتماعات أشبه ما تكون بأجوبه البرامج التى يجيب فيها الشيخ جوابا مقتضبا على شاشة التلفاز ، والثاني أن كتبة اللجنة تكتب بصيغتها وبلفظها ما تفهمه من مناقشة اللجنة أو من جواب أحدهم وموافقة الباقين على جوابه ! ، والصواب أن يكون هناك تفصيل وتدليل لمثل هذه الفتاوى

المهمه التى تتعلق بأمور الدعاة بينهم وبين بعضهم ! لأن عاقبة الإجمال وخيمة ، فما يجوز للعامة قد لا يجوز للخاصة من الدعاة .

وهنا نقول إن التحلّق في المسجد كل شخصين أو أكثر ، يتذاكرون العشر السور الأخيرة من القران والمواظبة ، على هذا العمل بهذه الطريقة في كل مرة نخرج فيها لا حرج ولا شيء فيه من الناحية الشرعية ما دام فى إطار التعليم والتعلم والتذكير والتذكر ولم يكن في دائرة التشريع والاستحسان ! ومثلها ما يقال في درس الألف باء الذي يعطى لتلامذة بسطاء كل شهر مرة وبنفس الترتيب والأداء ! لا يقال عنه لم يرد فى الشرع ولا أصل له ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ! بل هو من الأمور الجائزة بشرط أن يكون ابتداع فى الدين أي لا ينسب هذا الفعل للدين ويقال أنه من صميمه وسننه وموروثاته !

وأما الاعتكاف يوم الخميس بصفة مستمرة أي فى كل شهر يخرجون ثلاثة أو أربعة أو خمسة أيام ويبدؤون الخروج من ليلة الخميس فهى مشروعة من باب الترتيب لا من باب التشريع ، فاختيار يوم الخميس ليس لأفضلية الخميس ابتداءا ولكن ترتيبا لأحوال الناس وتنظيما للعمل الدعوي وتقسيما للأدوار التي تنوء بحملها الجبال ! وما دام لم يقل المشايخ بأن من لم يعتكف ليلة الخميس فهو آثم أو مذنب أو مقصر أو مبتدع أو ما شابه فالأمر واسع ولم يدخل في البدعة فلا تدخلوه فيها عنوة .

وأما تحديد أيام للخروج وهي ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً كل سنة وأربعة أشهر في العمر فشبهة نكراء وكذبة صلعاء تم الرد عليها مرارا وتكرارا وهي أشهر شبهة تقال عن أهل التبليغ حفظهم الله ! ومفاد الرد هنا أن نقول إن هذا كله ترتيب كترتيب كل عمل ديني في الحياة ، العمل له أصل في الشريعة وأما الترتيب فمتروك للمسلم يرتبه على حسب أحواله وأمواله وطبيعته ونظامه وبلده وشغله وفراغه وهمته ! فلا ينكر أبدا على من جعل الثانوية الشرعية ثلاث سنوات ولا من جعلها أربع سنوات ولا من جعلها خمس سنوات !

بل ولا يسئل ابتداءا ولم ثلاث سنوات وليس أربعا ؟! ولا يعترض عليه بعدد معين ، بل الأمر متروك له ولا دليل شرعي يمنع من ذلك .

وأما الدعاء الجماعي المستمر بعد كل بيان فلا مانع منه شرعا لأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بضع مرات وأمن علي دعائه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومتى ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة فقد أجازه ، ولا يلزم منه صلى الله عليه وسلم أن يكرره مرارا حتى يجوز تكراره من الناس بعده ! ففي الشريعة الإسلامية أمورا كثيره فعلها النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة في حياته ومع ذلك يكررها الناس مرات ومرات ! ومنها عدم خروجه لصلاة التراويح في رمضان حتى لا تفرض على الأمة وغير ذلك الكثير .

وأما قول السائل : (فكيف أتعامل مع هذه الأعمال والأفعال التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) فقول سخيف لأن السائل جزم بأن هذه الأمور لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ويكأنه يعلم كل الأوامر والنواهي التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وإذا كان يعلم ذلك – وهو بعيد – فقد جزم بأن هذه الأمور لم ترد وألغى من تلقاء نفسه مصادر التشريع التي الأخرى بعد الكتاب والسنة وهي الإجماع والقياس ! ويكأن السائل قصر كل ما يجوز العمل به على الكتاب والسنة فقط ولم يتطرق – بل ولم يترك مجالا لمصدر آخر – إلى مصادر التشريع الأخرى فهل يا ترى يعلم أن هناك مصادر للتشريع أخرى أم أنه من فئة القرآنيين الذين لا يؤمنون إلا بما جاء بنصه وفصه ولفظه فى القرآن فقط ! ويزاد عليه السنة إعمالا لمظهره السني ! ؟ ، ثم إن المسئولون والمجيبون على تلك الفتوى لم يتطرق أحد منهم ويصحح للسائل الأمر بل أجابوا تلقائيا ويكأن الجواب مغلفا ، لا تعمل عقلك ولا تعمل الأدلة ولا تنشغل بهذا ، ودعك من هؤلاء القوم واسمع لنا وأطع !! هذا مفاد الجواب المقتضب !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والأجدر أن يقال إن هذه الأفعال لم ترد بنصها ولا

بلفظها في كتاب الله وسنة رسوله ولكنها تندرج تحت أصول ثوابت وشرائع متواترة ! ومتى ما كان لها أصل في الدين تقاس عليه لم يجز المنع ولا التشهير ولا التحذير ! وما دامت تلك الأمور لم تدخل في التشريع في الدين فلا مانع منها مطلقا .

وأما جوابهم المختصر : ( ما ذكرته من أعمال هذه الجماعة كلّه بدعة ) فقول مردود لعدم ذكر الدليل عليه – ولعلمنا بأنه لا دليل على قولهم والسطحية في الحكم على ملايين من المسلمين بكل سهولة ! فكما أسلفنا إن هذه الأفعال كلها لها أصول في الدين وليست من باب البدع الشرعية قال بذلك علماء متخصصون متأهلون أتقياء يخافون الله ، وإن كانت هذه الأفعال من باب البدع اللغوية فالمشايخ المجيبون أنفسهم منغمسون في البدع اللغوية ! ولا يخلوا مسلم ولا جماعة إسلامية ولا حركة دعوية ولا فصيل تجمعي من بدع لغوية مشروعة ، وعليهم فقول المجيبين على الفتوى ( فلا تجوز مشاركتهم ) غلط فاحش بناءا على ما قدمناه من أن هذه الأمور مفهومها كما أوردنا لا كما يتوهمون ، ثم إن قولهم ( حتى يلتزموا بمنهج الكتاب والسنة ) مجازفة منهم بأنه لا يلتزم بالكتاب والسنة إلا من فهمه من منظورهم وبطريقتهم وعن طريق شيوخهم ! وهذا مسلك تعصبي محض لا يجمع الأمة بل يفرقها ، وأما قولهم ( ويتركوا البدع) فإكمال لمسلسل البدع المتوهمة في أذهانهم التي يتهمون بها كل من خالف طريقتهم في التعاطي مع الواقع وإن لم يخالفوا جوهر الشريعة ولكن الحقيقة على خلاف زعمهم وتوهمهم .

## الرد على كلام الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله :

نقل بدر بن طامي كلاما للشيخ عبدالرازق عفيفي قال فيه : ( وخروجهم ليس في سبيل الله ، ولكنه في سبيل إلياس ، وهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلادش !! ، أمّا الخروج بقصد الدعوة إلى الله ، أو الخروج في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ ) وهذا كله مردود عليه في مواطن عدة من كتابنا ( كشف الأستار بتبرئة الدعاة الأخيار بالرد على شبهات تصد عن

سبيل الواحد القهار ) ردا تفصيليا فانظره فإنه مفيد إن شاء الله وكاشف للستر التى يحاول هؤلاء المشنعون تغطية الحق بها ، وخلاصته أن الخروج في سبيل الله كما أن كل عمل صالح عُمل لله تعالى فهو في سبيل الله لا في سبيل رئيس العمل أو قائد الكتيبه ! ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب ، فإن كان عبد الرازق عفيفي يعلم ما في قلوب الناس من أن عملهم ليس في سبيل الله وهو في سبيل إلياس سلمنا له هذا ! وكان أولى بالعبادة من الله علام الغيوب ! ولكن الحقيقة أنه عبد ضعيف لا يعلم الغيب من نفسه فكيف يعلم الغيب الذي في قلوب ملايين من المسلمين ! ، وأما قوله (وهم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلادش) فمجازفة أيضا وضرب من العبث وتألٍ على الله ، ونحن نعلم من أنفسنا ما لا يعلم هو ! فكان يجب عليه أن لا يجزم بما في قلوب غيره لأنه بشر وليس إلها ! ، وأما قوله : (أمّا الخروج بقصد الدعوة إلى الله ، أو الخروج في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ ) فهو يقصد الخروج في سبيل الله أي في القتال فقط ، فحصر وقصر سبيل الله على الجهاد بالسيف فقط ونفى أن يكون كل فعل ديني لله فهو في سبيله ، وهذا تدليس وتعمية على المسلمين ! حتى يشوه صورتهم وينفر الناس منهم !

وليته استثني بعضهم ولكنه جازف وجزم وأجمل وهذا غلط فاحش لا يصح أن يقع فيه شيخ كبير أكبرته حكومة المملكة ورفعت شأنه وأجلسته مجلس الإفتاء ! وإن غضب من هذا الكلام من يحب الشيخ فنقول إن أغضبكم الرد على الشيخ فقد أغضبنا تبديع الشيخ لنا ولسنا مبتدعة ، فذوقوا مرارة الكلام في الأعراض والديانات ! وتعلموا من أخطاء ماضيكم ولا تتعصبوا للأشخاص !.

## خاتمة البحث :

وبعد : فقد أنجزنا عملًا علميًا ضخمًا ، يندر أن يُرى له نظير في جمعه ، وتحقيقه ، وإنصافه ، وقد جاء هذا البحث المبارك ليضع النقاط على الحروف في قضية طال حولها الجدل ، وهي موقف كبار علماء المملكة من جماعة التبليغ والدعوة. وقد سلكنا فيه منهجًا علميًا دقيقًا ، بدأه بتأصيلات منهجية حول الفرق بين الفتوى والحكم الشرعي ، وضرورة تنزيل الفتاوى على سياقاتها الزمانية والمكانية ، محذرين من التعميم المخل ، ومبينين أن كثيرًا من الاعتراضات على التبليغ إنما جاءت من فصيل واحد ، لا يمثل إجماع العلماء.

ثم انتقلنا إلى عرض تراجم مفصلة للعلماء الأربعة: الشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ عبد الله بن جبرين رحمهم الله جميعًا ، مبرزين ملامحهم العلمية ، ومواقفهم الدعوية ، ومكانتهم في الأمة ، لنظهر أن شهادتهم ليست عابرة ، بل صادرة عن رسوخ علمي وورع شرعي.

بعد ذلك ، تناول البحث دخول جماعة التبليغ إلى المملكة ، وكيف أن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله - وهو المفتي العام حينها - كان أول من زكاهم وأثنى على جهدهم ، بل لم يُعرف له فتوى مخالفة في حياته ، وإنما نُسبت إليه لاحقًا أقوال مشوشة ناقشها البحث بدقة ، وأثبت أنها إما غير مقصودة للتبليغ المعروف ، أو أنها منسوخة بفتاواه الأخرى.

ثم جاء دور الشيخ ابن باز رحمه الله ، الذي كان تلميذًا وفيًّا لشيخه ، فتابع تزكيته لجماعة التبليغ ، وأكد مرارًا أنه على رأي شيخه ، بل ردّ على من زعم تراجعه ، وأثبت البحث بالأدلة والوثائق أن الشيخ ظل ثابتًا على موقفه حتى وفاته ، وأن كل ما نُسب إليه من تراجع إما باطل أو متأول.

كما عرضنا في البحث فتاوى الشيخ العثيمين رحمه الله ، التي جاءت متزنة ، تُثني على الجماعة من جهة ، وتُشير إلى بعض الملاحظات من جهة أخرى ، دون أن يُبدّع أو يُقصي ، بل دعا إلى نصحهم بالحكمة ، مما يعكس منهجه الوسطي المعروف.

أما الشيخ ابن جبرين رحمه الله ، فقد كان أكثرهم تفصيلًا في الدفاع عن الجماعة ، وبيّن أن الخلل الموجود لا يُسقط الأصل ، وأن من كان على علم وبصيرة فلا يُخشى عليه من صحبتهم ، بل يُرجى أن يُصلح ويُرشد ، وهو منهج إصلاحي راقٍ ، بعيد عن الغلو والتشدد.

وقد ناقشنا في البحث أيضًا الشبهات المثارة ، والفتاوى المنسوبة ، والردود على من زعموا التراجع ، وأثبت أن التعديل المفصل لا يُنسخه الجرح المجمل ، وأن العلماء الأربعة - على اختلاف طبقاتهم - كانوا على خط واحد في تزكية جماعة التبليغ ، مع النصح والتوجيه ، لا مع التبديع والتشهير.

وخلاصة ما وصل إليه البحث أن جماعة التبليغ – في أصلها ومنهجها العام – جماعة دعوية مباركة ، أثنى عليها كبار العلماء ، وأقروا نفعها ، ودعوا إلى نصحها لا هجرها ، وأن ما يُثار حولها من شبهات إما مبالغ فيه ، أو خارج عن الإنصاف ، أو منسوب إلى العلماء زورًا أو تأويلًا.

والنصيحة العامة التي يخرج بها القارئ من هذا البحث: أن يتقي الله في أقواله وأحكامه ، وألا يُسارع إلى التبديع والتشويه ، وأن يزن الأمور بميزان العلم والعدل ، لا بالعاطفة أو التبعية. وأن يُحسن الظن بالعلماء ، ويقرأ فتاواهم كاملة ، لا مجتزأة ، وأن يعلم أن الإصلاح لا يكون إلا بالحكمة ، وأن الأمة أحوج ما تكون إلى جمع الكلمة ، لا إلى تمزيق الصفوف.

وبعد فقد بذلتُ جهدًا كبيرًا في هذا البحث، متحريًا الدقة والإنصاف، لأُجلي وأُبين المواقف الحقيقية لكبار علمائنا الأجلاء :الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح

العثيمين، والشيخ عبد الله بن جبرين، رحمهم الله جميعًا، من جماعة التبليغ والدعوة .وقد كان الهدف الأسمى هو تفنيد الشبهات والأقاويل التي أُثيرت حول فتاواهم ومواقفهم، والتي غالبًا ما جانبت الحقيقة أو أساءت الفهم.

أوضحت بما لا يدع مجالًا للشك أن الشيخين محمد بن إبراهيم وعبد العزيز بن باز، وهما الركيزتان العلميتان في المملكة، كانا على موقف تأييد للتبليغ، وتشجيع للتعاون معها، ورأيا فيها نفعًا كبيرًا للأمة. وقد أكد الشيخ ابن جبرين هذا الموجه مرارًا، بل وكشف عن رفض الشيخ ابن باز لتقريظ كتاب القول البليغ الذي حاول صاحبه تشويه صورة جماعة التبليغ. هذا يؤكد أن موقف هذين الإمامين لم يكن حياديًا، بل كان موقف دعم وتوجيه.

وعلى الرغم من وجود بعض التحفظات أو التنبيهات من قبل الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين على بعض الجزئيات في منهج التبليغ، خاصة ما يتعلق بالتعمق في طلب العلم الشرعي أو بعض الأخطاء العقدية التي قد توجد في بعض أتباعها في بلاد العجم، إلا أنني بينتُ كيف أن هذه التنبيهات كانت تأتي في سياق النصح والإرشاد لا التحريم أو الإقصاء المطلق. لقد كان موقفهم قائمًا على التفريق بين المنهج العام للجماعة الذي يدعو إلى أصول الدين وإحياء القلوب، وبين بعض التصرفات الفردية أو البيئات التي قد تحتاج إلى مزيد من التصحيح.

ولقد كشفتُ، بتوفيق الله، أن التحفظات كانت في جلها موجهة لضمان سلامة المنهج وتكامل الدعوة، لا لنقض أصلها أو فاعليتها. فالعلماء الأربعة أدركوا الأثر العظيم الذي تحدثه هذه الجماعة في إصلاح الفرد، وربطه بالصلاة والمسجد، وإحياء روح الدعوة العملية في النفوس.

إن هذا البحث ليؤكد أن مواقف هؤلاء الأعلام كانت متسقة مع الأصول الشرعية، قائمة على الإنصاف والتفصيل، بعيدة عن التعميم والإطلاق. وأن ما يُشاع من تحريم مطلق أو ذم شامل لجماعة التبليغ من قبلهم هو محض افتراء أو سوء فهم، لا يستند إلى أقوالهم وفتاواهم الموثقة.

وفي الختام، أدعو كل من أراد الإنصاف والحق أن يتأمل في فتاوى هؤلاء العلماء الكبار بعمق وتجرد، وأن ينظر إلى الأثر العملي لهذه الدعوة في إصلاح الملايين من الناس حول العالم. فإن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هي سبيل الأنبياء، وهي واجب كل مسلم، ونرجو أن يكون عمل جماعة التبليغ والدعوة جزءًا من هذا الجهد المبارك الذي يساهم في إحياء الدين في قلوب الناس.

ويمكنني القول بأن هذا الكتاب يعد مرجعًا هامًا لفهم موقف كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من جماعة التبليغ ، والرد على الشبهات المثارة حول هذه القضية. بعيدا عن عصبية المتعصبين وتدليس المدلسين ، حيث يُقدِّم تفنيدًا علميًا دقيقًا مبنيا على مواقفهم الحقيقية من خلال فتاواهم الصريحة ومواقفهم الواضحة ، كما يبرز أهمية التعامل مع الجماعات الإسلامية بمنهج العدل والإنصاف. لذا ، فإن مطالعة هذا الكتاب توفر للقارئ رؤية متكاملة حول تلك المسألة ، وتساعده على تجنب المبالغات أو التأويلات غير الدقيقة ، فالوسطية في التعامل مع الجماعات الإسلامية هي المنهج الصحيح الذي يحفظ وحدة الصف الإسلامي ، امتثالا لقول الله تبارك وتعالى ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ) . نسأل الله تعالى أن نكون منهم والله الموفق والمستعان .

فيا ناظرا فيه وقارئا ، انظر بعين رحمة وما كان فيه من سداد فمن الله تعالى وحده ، فلا تحرمنا دعوة صالحة تنفعنا ولا تضرك ، وما كان فيه من خلل أو زلل أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان نعوذ بالله تعالى من كل خلل وزلل ، ونرجع إلى الحق متى استبان لنا وظهر ، نسأل الله تعالى أن يأخذ بنواصينا إليه أخذ الكرام عليه إنه جواد كريم بر رؤوف رحيم .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه ، خادم الوحيين : أبو إلياس **طه بن إبراهيم القلموشي ،** المصري الشافعي السني ، عامله الله بلطفه وجعل جهده في ميزان حسناته ، وغفر له ولوالديه ولذريته ، ، ، ءامين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

**الثلاثاء 15 أكتوبر 2019 م**

**16 صفر 1441 هـ**

## قائمة المحتويات